

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

فهرس العدد

العدد الخامس والسادس – السنة الخامسة عشر
رمضان 1392 – اكتوبر 1972

تصدرها : وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد : درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الخامس والسادس
السنة الخامسة عشرة
رمضان: 1392
أكتوبر: 1972
ثمن العدد: درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة ((**دعوة الحق**)) ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب ، الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثـر .
السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حسـاب :
مجلة ((**دعوة الحق**)) رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة ((**دعوة الحق**)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
((**دعوة الحق**)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد



لعل من أهم السمات التي تميز شهر رمضان المعظم عن بقية الشهور طـوال أيام السنة اقبال المسلمين الصائمين فيه على الوان العبادة وأنواع الطاعات ، واعمال البر والاحسان ، وتقوية الارادة فى روح الصائم الذي يظل نهاره على الجوع والطوى ، يذوق مرارة الحرمان والصدى ، ويشعر بما يعانيه أخوه الفقير المعوز من الم مرمض، وجوع محـرق اليـم ...

وليس هناك شهر كريم ، يذكي خمود العزم ، ويحرك ساكن الشوق الى ملكوت الله ، ويبعث الارادة التواقة الى المعرفة والحياة الفكرية والروحية التى تعتبر مناط التقدم عند الامم والشعوب كشهر رمضان المعظم ...

فالصيام فى هذا الشهر افضل وسيلة لتربية قوة الارادة فى نفوس الافراد ، وشحذ العزيمة فى نفوس الهيآت والجماعات ؛ فهو مدرسة اجتماعية لتربية أرقـى أنواع السلوك الاجتماعي تنشر فى المجتمع روح الحرية ، وتحرر الصائـم من عبادة الشهوة ، ومن الاسترقاق للعادة ، وتسمو بنفسه الى ان لا يخضع الا لمن تجب لـه العبودية والطاعات ...

لكن .. فبالرغم عن هذه المعاني السامية التي توخاها المشرع من مشروعية الصيام ، والأسرار الغزار التي يحفل بها شهر رمضان،فاننا لا نجد لها تأثيرا ملحوظا فى نفوس المسلمين فى العصر الحاضر كما كنا نجدهـا فى الصدر الاول وفجـر الاسـلام . !!!

بل ان الاهداف التي يعمل لها الخطباء المرشدون ، والوعاظ الهادون الذيـن يجندون طاقاتهم فى هذا الشهر الكريم لبث روح القوة والعزيمـة والنضـال فى نفوس الصائمين طوال ثلاثين يوما لا تحقق المبتغى الذى تغياه المشرع من مشروعية هذه الفريضة ، التي تسير بالمسلم المومن فى طريق الله ، وسبيل الرحمن ، وتقوده الى الانفتاح على الحياة الجادة الواعية الموصلة الى السعادة الراضية والامل المطمئن..

فانه ما يكاد شهر رمضان المعظم يوذن بالرحيل حتى تنطفىء تلك الاشعاعات الذهنية والفكرية تحت غبش المادة الصاخبة ، والفتون العابثة ، وتطوى الصحف وتجف الاقلام ويعود الناس الى حياتهم الجافة الضحلة ، المليئة بالصخب والفراغ ، واللغط والانحراف .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

— × —

ان الاسلام الذي فرض على المسلمين صيام شهر كامل اراد أن يملأ الفراغ الروحي الذي ران على نفوسهم طوال أيام السنة ، ولا سيما فى هذا العصر المادي الجاف الذي تكالبت فيه قوى الشر، وتألبت على المسلمين فيه عناصر الظلم والفساد !!! .

فلقد وصل العالم فى العصر الحاضر الى فراغ نفسي مخيف ، ماتت فيه أحاسيس البهجة فى النفوس ، وتحللت أواصر المودة بين الناس ، وأصبح فيه الانسان المتحضر تكنلوجيا .. والغارق من قمة راسه الى أخمص قدميه فى المادة ، يواجه معضلة الانفصام فى الشخصية ، والضياع الذاتي ، ومن ثم بدأ يفكر فى الهروب من الارض الى القمر ، ومن الوحدة والالفة الى الفرقة والضياع !!!

وقد كان هذا سببا فى أن يتغير الجو الديني فى المنزل ، وفى المدرسة ، وفى المجتمع ، وأن تنشأ الاجيال الطالعة خاوية النفوس من القيم الدينية والروحية ، واصبح العالم المعاصر من جراء ذلك يشكو الغدر والاستغلال فى المعاملة ، ويشكو الذاتية والجفاف فى المعاشرة ، ويشكو التخاذل والتقاعس عن البر ، ويشكو الخيانة والمجاملة فى المصالح العامة ، ويشكو فقدان الغيرة والحشمة والاعتداء على المحرمات ، ويشكو الاستهانة بالتقاليد والمقومات ، مما آل بأحوالنا الى هذه الصورة الطامسة والحال البائسة !!!

انه نتيجة للانحراف عن السلوك الديني الاسلامي الذي يصلح من أود الامة ، ويقوم اعوجاجها ، ويهديها الى طريق الهدى والصواب .

ان ديننا الاسلامي نظام عالمي ذو رسالة موغلة فى الابعاد ، رحيبة الآفاق ، توجه الانسان فى الحياة ، وتقوده فى أناة وتبصر ورفق الى مدخل الانسانية الرحب، وتساعده على أن يحصل لنفسه وللجماعة الانسانية أسمى درجات من الكمال الانساني فى الروح والعقل والخلق والوجدان ...

وما من شك فى أن المسلمين اليوم يعيشون فى حاضر ملح يتمخض عن حادث جلل ، ينتظره مستقبل العروبة والاسلام ، وقد تمخضت الحركة الاسلامية فى السنوات الاخيرة عن دعوة صادقة صريحة صافية فى الرجوع الى صفاء العقيدة التي تدعو الى العمل ، وطهارة الايمان الذي يبعث على الخلاص ، وقواعد الحضارة والثقافة العربية التي تدعو الى الفوز والنجاة والحرية والاستقلال ...

فالعمل الصالح المثمر لا يتم الا عن طريق العقيدة الصافية ، والايمان الراسخ ، والروحانية لا تسمو الا اذا كانت مقرونة بالعمل الذي هو وسيلة لاستمرارها وبقائها.

ان الاسلام يرى فى انسان القرن العشرين انسانا بلغ الشأو البعيد فى الحضارة والتقدم ، والاختراعات والكشوف ، اذ نضجت مداركه ، وتفتحت ملكاته،

806

واتسعت آفاق نظرياته فى ملكوت السماوات والارض ... وكل هذا جدير بأن يبلغ به يوما ما مبلغ الايمان الوثيق ، ويصل به الى درجات الاحسان ، وتكريم أخيه الانسان ، وتعميم الخير ، وتحقيق السعادة ، وتنظيم العمران ...

وان عالمنا اليوم حافل بالوان من المغريات ، وضروب من المعوقات والمثبطات التي يضعها اعداء الاسلام فى طريق خلاصه من التخلف والضياع والانصياع الى التواني والتوكل .. لكن اكبر عدو لدود وخطير فى حياتنا ياتي من الداخل ... انه نفوسنا الواهية العابثة ، الضعيفة الواهنة التي جرأت أعداءنا علينا فاستاسدوا وتنمروا ، ولبسوا لنا جلد الارقم ، وتفننوا فى تشتيتنا وتفتيتنا بما ملكت ايديهم وعقولهم ... فنالوا بعض ما املوا ...

وشهر رمضان المعظم خير فرصة تتاح فى حياة الانسان المسلم لمراجعة النفس ، ومحاسبة الضمير ، ومراقبة السلوك ، وتصحيح العقيدة لتغير ما بها من امت وعوج ، وشطط وانحراف .. !!

واننا عندما ندعو الى الاسلام ، او ننعي على أعدائنا محاربتهم للمسلمين ، فلا بد من أن نضع فى حسابنا أن جانبا كبيرا من المشكلة المزمنة ، والمعضلة القائمة ، يعود الينا نحن فى داخل انفسنا ، ومن هنا جاء القرآن ، وجاءت السنة بعلاج الامر من داخل النفس لا من خارجها .. اذ صلاح المجتمع الاسلامي منطلقا قبل كل شيء من روحه وقلبه ، فتحل الحيوية النشيطة محل الانهزامية ، والأمل الباسم محل اليأس والقنوط ، والايمان الراسخ مكان التشتت ، والعقيدة الصافية السليمة مكان الخيالات المهزوزة التى تحاول ان تجد لها فى القلب الخاوي مستقرا ...

وهذا كله يحتاج الى ثورة بكل ما تحمله هذه الكلمة من ابعاد وظلال ، ودون هذا باطل لا يقبل ، فلا مجال لانصاف الحلول ... اذ لنا الصدر دون العالمين أو القبر . ... ثورة تعصف بكل ما لدى المجتمع الاسلامي الحاضر من مفاهيم واعراف ، وقيم وعادات ، وتطيح بمثله الاخلاقية الحديثة المنافية لروح التشريع الاسلامي ، وتغير اساليب تعامله وعلاقاته فى مختلف المجالات ... وحتى فى لغة تخاطبه ، وتراجع ، مناهج التربية والتعليم حتى تصل الى مختلف مؤسساته القائمة سواء فى مجال الاعلام ، أو التعليم ، أو قيام البنيان الاقتصادي للبلاد بكل ما يقوم عليه من أسس وقواعد وركائز ... ذلك اننا اقوى أمة فى عقيدتنا وايماننا ، واغنى امة فى ثرواتنا الخبيئة ، ودخائرنا الثمينة ، وأرفع دولة فى نفائسنا واعلاقنا ، وأكبر امة فى شغلنا أكبر جزء للكرة الارضية ... وعندنا قوة الايمان بالله ، وطاقة العقيدة الخالدة ، وعندنا تاريخ حافل زاهر ، وماض مشرق مضيء ، وأسوة حسنة فى آبائنا الابطال ورجالنا الغر الميامين الذين رصعو جبين التاريخ ، فالتفت لهم الدهر ، واستجابت لهم الايام ...

واننا بالرغم عن كل هذه الطاقات الكامنة والقوى الخطيرة المستكنة ، ما برح حالنا خامدا هامدا ، لم تتعظ ولم نتعلم ، ولم نغير ما بانفسنا حتى يغير الله ما بنا .. لم نغير نمط تفكيرنا ، وأسلوب حياتنا ولم نحاول أن نرتفع بمستوى مواجهتنا لكل ما يحيط بنا من تخلف وضمور ، وانحطاط واسفاف ، وهجوم واعتداء ، ومسكنة واستخذاء ... ولم نفتح ابصارنا وبصائرنا على ما وصلت اليه الامم الراقية فى تقدمها ونهوضها ، وتماسكها وانسجامها ، متكلين على مجد غابر ، وحق ضائع ، راضين بما قام به أجدادنا من تشيد وبناء ، وحضارة وعمران .

— × —

صحيح ان المسلمين فى العصر الحاضر يعيشون فى محن وخطوب ، لان أمم الارض تالبت عليهم حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ... ولكن هذه الآلام كلها حوافز للنهوض وباعثة على القيام من التعثر والزلق ...

فقد اثبت التاريخ الصادق الامين ان المحن مهما اشتدت ، والخطوب مهمـا تفاقمت فانها تكون عاملا من عوامل البعث والنشور ، وحافزا من حوافـز اليقظـة والانفتاح ، وتجديدا للعزائم بعد الالتياث ، وعقدا للصرائم بعد الانتكاث. وتكوينا للابطال ، وتحويلا لمجرى التاريخ وصنعا للمعجزات ...

وانا لو قمنا بدراسة موضوعية للاحداث والكوارث ، والمتاعب والمصائب التي واجهها العرب والمسلمون فى مختلف العصور من قبل الغزاة الاجانب على امتـداد حقب التاريخ لاستبان لنا ان أمة تصمد لكل هذه البلايا والرزايـا ، ثم تحتفـظ بعقيدتها وثقافتها الحضارية الاسلامية لهي أمة جديرة بالاعجاب والتنويه ، والاشادة والتقدير ، حرية باستعادة القيادة والريادة من جديد فى مستقبل الايام ...

ان امة عرفت بهذا الشان العظيم، وعاشت بهذه الخلال الكريمة، والسجاياالنبيلة، من الرجولة الحق، والبطولة الفذة، وظلت سيدة الدنيا ورائدة الامم والشعوب كلها، واملت ارادتها على العالم كله ... لحقيق بأن تثبت وجودها وحضورها ، وانف الدهر راغم ... ذلك لان الاسلام دين الله ، ولا يمكن أن يسير فى ركاب أحد ، ايا كـان ، ولا أن يكون المومنون به حقا مطية لاحد ، وان بدوا الآن فى بعض اقطارهم غافلين ، فسرعان ما يعودون الى اصالتهم التي تابى عليهم الا أن يكونوا فى الذروة والسنام .

ان الاسلام اقوى عقيدة تقض مضاجع الاستعمار وتنغص عيشه ، وتطير النوم عن معاقد اجفانه وتقوض دعائمه وتاتي بنيانه من القواعد، وتحقق للمسلمين اشواقهم فى سماحة ويسر ، وتلبي تطلعاتهم فى اطار اسلامي صحيح فى حدود العدالة والحق والاحسـان ...

وحدود الاسلام ليست قيودا مما يشل الحركة ، ويعوق النشاط ؛ ولا هـي اغلال وأصفاد مما يمنع النهوض ؛ ولا هي عصائب مما يحجب عن العيون النور ، ولا هي أحجار مما يثقل على الحس ، ولا هي جهالات مما يمتنع على العقل والاقتناع به وتدبره ... وانما هي حدود الطبيعة التي لا يمكن خرقها ، والتي لا يخرقها الا مـن سفه نفسه ... وهي ايضا ليست شيئا الا تحرير الانسانية من كل عبودية تفـرض عليها الا عبادة الله ، من كل تقليد أو نظام يراد به العبث بكرامة العقل أو كرامة الروح.

— x —

وان شباب الاسلام الواعين الصادقين ، الملهمين الملتزمين الذين يحفل بهـم اليوم عالمنا الاسلامي ، المسترخصين أرواحهم وأبدانهم فى سبيل نصـرة الله ، واعلاء كلمة الحق ، هم أصدق الناس وافواهم وأثبتهم وأشدهم تضحية وأكثرهـم فداء فى محاربة الاستعمار الكافر ، ومقارعة الصهيونية الحاقدة ، ومقاومة المذاهب الوافدة من وراء البحار وخلف السهوب والتي تهون عليها فى سبيل محاربة الاسلام الاموال الطائلة التي تبذلها فى اخراج الافلام السينمائية الخليعة ، والمسرحيـات المريضة المشوهة لسمعة المسلمين ، الحاقدة على أخلاقهم ، وفضائلهم ، الداعية الى الميع والانحلال بين جماهيرهم لتقتل فيهم روح الرجولة والنضال التـي عرفهـا المسلمون الصادقون الذين ءامنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وءامنوا ثم اتقـوا واحسنوا ... فوضع الاسلام عنهم اصرهم .. والاغلال التي كانت عليهم ...

والامة الاسلامية تملك من حوافز التقدم والنهوض وبواعث الانطلاق والنشــور ان هي تمسكت بكتاب الله وسنة رسوله وترسمت سنن من كان قبلها مـــن رجـــال السلف الصالح ما يكفل لها حياة راضية ، ويؤهلها لان تحتل مكان الريادة بين شعوب الارض بما تحمله من عقيدة التوحيد ، وشريعة الكرامة ، وسلوك الطهر والنقاء .

فهل الى خروج من سبيل ؟

ان سبيل الخروج مما نحن فيه من تخلف وتأخر، وتباعد وتناحر وتنابز وتدابر، هو التوجه الى طريق الله ، والاعتماد على شريعته ، والاعراض عن كل المستوردات المذهبية الواغلة الوافدة.. حتى لايبقى الا سبيل الاسلام الذى يرفض شوائب النفعية والتسخير والاستغلال ... فمن رغب به خرج منتصرا على تخلفه وتبعيته وفاز فوزا عظيما ، ومن نأى بجانبه وأعرض عنه بقي كقدح الراكب الى الوراء ، مذبذبا بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، متلونا في حالاته وسلوكه وتصرفاته كما تتلون الحرباء !!! .

وصدق رب العزة والجلال :

ومن أعرض عن ذكري ...

فان له معيشة ضنكا ...

ونحشره يوم القيامـة اعمـى ..!!

قال : رب ، لم حشرتني اعمى ..؟؟

وقد كنت بصيرا ..

قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ..

وكذلك اليـوم تنسـى ..!!

وكذلك نجزي مـن أسـرف ..

ولم يومن بآيـات ربـه ...

ولعـذاب الآخرة أشد وابقـى .

دعوة الحق

خطاب صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني
بمناسبة الثورة الفلاحية

اعلن جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في يوم الثلاثاء 10 شعبان عام 1392 ، بداية مرحلة حاسمة فى طريق الثورة الفلاحية ، واعلن قائد الامة بداية الشروع ابتداء من اليوم ف توزيع 90 الف هكتار على الفلاحين فى أقاليم : تازة ـ فاس ـ مكناس ـ القنيطرة ـ البيضاء ـ سطات ـ الجديدة ـ بني ملال ـ أسفي ـ مراكش ـ الغرب ـ دكالة ـ الحوز .

وسيكون من نصيب كل مستفيد 24 هكتارا وفى اطار تعاونيات فلاحية تبلغ 140 تعاونية ، وعدد المستفيدين 3802 .

وهذه الاراضي التى ستوزع ، اغلبها الآن سقوي ، والباقي لا يمكن اعتباره اراض بور ، لانها سيشملها السقي من عدة سدود تبنى حاليا .

وأعلن القائد الحبيب ، أن هذه الاراضي التي سيشرع فى توزيعها الآن ليست سوى خطوة من الخطوات ، وسيتبعها توزيع 200 الف هكتار فى المستقبل وفي اطار تصميم محكم .

وهذا هو النص الكامل لخطاب جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله :

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

ألفنا أن نلتقي كلما دعت الضرورة الى ذلك اما أن نتبادل الافكار واما لنشرح لك بكيفية عميقة ومجملة فى آن واحد الخطوات التى نحن مقدمون عليها والاساليب التى سنستعملها والاهداف التى ننتظرها من وراء مجهوداتنا المشتركة مجهودات الشعب ومجهودات الادارة ومجهودات الحكومة ومجهودات الملك ولن نجد فى المراحل التى طويناها ولا فى العقبات التى تغلبنا عليها لم نجد مرحلة من المراحل ولا خطوة من الخطوات لا تتميز بهذا الالتحام والالتئام ، ولا تتميز بجمع الكلمة ووحدة الصف ، لذا أبينا ونحن مقبلون على ثورة فلاحية نرجو الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا فى السير بها الى الهدف ثم ان يوفقنا فى أن نجني ثمرأتها كاملة غير منقوصة علينا ونحن مقدمون على هذه الثورة الفلاحية ان نخاطبك ونبين لك ونشرح لك حتى تكون على بينة من الدوافع التى دفعتنا الى اتخاذ طريق دون طريق والى نهج منهاج دون منهاج ، وحتى نتمكن بأن نصل الى مقصودنا ألا وهو أن نشركك فى الفهم والبحث والتمحيص وسنحاول استعمال لغة مخضرمة بين الفصحى والدارجة حتى يمكن لكل أحد أن يتتبع خطابنا هذا .

في المدرســة الوطنيــة

غير خاف عليك شعبي العزيز اننا كبرنـا في مدرسة وطنية مدرسة محمد الخـامس رحمه الله الذى القى خطابه التاريخي سنة 1944 ذلك الخطاب الذى قال فيه مقالتين مهمتين :

الاولى ان الملك والشعب يرغبان فى العيش فى ظل ملكية دستورية وفى نفس ذلك الخطاب قال رحمة الله عليه : « يجب علينا أن لا ننسى ، فى الثـــورة التي نقوم بها للتحرير والتعليم وفتح المدارس وارسال البعثات الى الخارج ، يجب علينا ان لا ننسى سواد الامة الذى يكونه الفلاحون »

واذن فان مدرسة محمد الخامس الوطنية كانت مبنية على ثلاثة أسس : الاطار العام الا وهو الملكيــة الدستورية والرفع من مستوى شعبه وذلك بتعميم الثقافة والتعليم وبعث البعثات الى الخارج دون ان ينسى ذلك المشاكل الحقيقية والثـروات الحقيقيــة للبلاد التى يكونها ثمانون فى المائة من السكان الا وهي مشاكل الفلاحــة .

مـع الفلاحيــن دائـمــا

ومنذ ذلك العهد الى يومنا هذا ونحــن نعمــل جادين دون توان ولا تاخر فى تتبع هذه الخطوات وفى الحنو والرضى والاخذ بيد الفلاحين على الخصوص .



الارض هــي الثــروة

واخيرا وفى السنة الماضية وضعنا برنامجا كان ينبني على اربع نقط اهم نقطة فيه هي اعطاء الفرص للجميع حتى يمكن للجميع التمتع بالثروات الوطنية دون تمييز بين هذا وذاك .

وهل هناك اكبر ثروة واكبر غنى من الارض ، الارض التى خدمها اجدادنـا والتى مات من أجلهـا أجدادنا والتى من أجلها اختلط العرق بالدم لكـي تبقى حرة من جهة ولكي تبقى تلـك الارض معطـاء خصبة تغذي الحي وتنبت المقبل بالخير والبركات .

المشاكــل المحيطــة بالقضيــة

هذه الارض كما فى علمك منقسمة الى اقسام فيها التى كانت لدى ملاكيها وفيها التى كانت بيــد المعمرين وفيها التى كانت بيد الجماعات القرويــة او الاملاك المخزنية وفيها التى كانت بيد الاحباس او بيد الجيش او يد المعمرين الآخرين والذين لا زالوا يملكون الثروة الارضية .

كان فى الامكان أن نجمــع هذه الاراضي كلهـا جمعا واحدا بمجرد خط قلم وبوضع توقيع ولكـن كنا سنقع فى الآفات الاخرى الا وهي أن نغفل شيئا لا يمكن أن نهضمه نظرا لكثرته من جهة ونظرا لقلـة الاطر من جهة ونظرا للمشاكل العقارية من جهة اخرى حيث ان كل توزيع يجب ان يقوم على اسس هندسية

لا بد منها ، اولا أسس الجمع واللم ثم أسس التفرقة والتوزيع ، وهذه عمليات تقتضي منا أن نقوم بها بنوع من الحكمة والاناة والتثبت لان الاصل العقاري والطمأنينة العقارية هي من الاسس الضرورية لكل استقرار فى بلد اراد أن يجعل من الفلاحة ومن المتعاطين للفلاحة جنودا منتجين .

الاساس العقاري

فلابد لكل واحد يملك أرضه أن تكون ملكيته غير مشبوه فيها ، لا بد ان يكون عارفا على أنه اذا خدم الارض فانما يخدمها لنفسه ولاولاده ، ولابد ان يعرف أنه فى مأمن من أي منازع ومن أي واحد ينزع منه تلك الارض ، وهذا يقتضي أذن قانونا عقاريا متقنا وعمليات « مثل اللم والجمع ثم التوزيع » متقونة جدا ، ومتقونة حتى لا تقع اية بلبلة فى العقار ومن ثم فى النظام الاجتماعي لاسرة الفلاحين وهي كثيرة جدا .

الشروع فورا فى توزيع 90 الف هكتار

ومنذ سنة 1957 الى سنة 1972 وزعت الدولة مجموع الهكتارات عدده 000 181 هكتارا ، ولكن يدخل فى هذه المائة والواحدة والثمانين هكتار القدر الذى سنبدأ فى توزيعه ابتداء من الغد الا وهو رقم يعتبر فى الحقيقة رقما قياسيا ، فى بلد فى طريق النمو كالمغرب حيث انه قدر يشمل تسعين الف هكتار .

ان فى امكان القلم واللسان ان يجمع بكل سهولة رقم 90.000 هكتار ، أما جمع تسعين الف هكتار ولمها وتقطيعها وتجهيزها وتوزيعها واعطاؤها الاساس العقاري هي عملية ، أعتقد شخصيا ، أنها تستحق التنويه وتستحق الافتخار وتستحق ان نتعالى عن هذه العملية حتى نرى ما وراءها وما يجب ان يكون وراءها حيث أنها ليست الا خطوة وليست هدفا ولا يمكن ابدا أن تكون هدفا فى حد ذاتها .

واذا نظرنا الى توزيع هذه الاراضي نرى ان 90.000 هكتار تشمل عددا من الاقاليم ، فهي تشمل 112 جماعة قروية وتشمل تازة وفاس ومكناس والقنيطرة والدار البيضاء وسطات والجديدة وبني ملال وأسفي ومراكش ومكتب الاستثمار للغرب ومكتب الاستثمار بدكالة ومكتب الاستثمار للحوز .

اذن نجد 112 جماعة قروية ونجد مساحة 90.837 هكتار ونجد عدد المستفيدين 3.802 ، ونجد الاطار الذى يجب ان تتمشى عليه وهو اطار التعاونيات وعددها 140 تعاونية .

الفلاحة والكسب

وفى مجموع هذه الاراضي كلها وحتى يمكننا ان نعطي للفلاحة جناحيها الا وهما الفلاحة والكسب من جهة الداخلة فى مجموع هذه الاراضي أراضي الرعي المشتركة والتى يبلغ عددها 27.709 هكتار .

وهكذا نرى كذلك ان معدل المساحة لكل كساب سنعطيه الارض سيكون معدل 24 هكتارا .

نعم ، يمكن لكل أحد ان يقول ما هي الاستفادة من 24 هكتارا ؟

أقول : المهم فى 24 هكتارا هو ان نعرف فى اي اطار ستستثمر وسيستنتج منها ما يستنتج ؟

فمثلا نرى أن لدينا فى القنيطرة 4.729 هكتار وستوزع على 173 من المستفيدين ولكن هذه الهكتارات التى ستوزع ليست هكتارات بور ولا سقوية فحسب ، بل منها ما هو سقوي ومنها ما سيكون منها سقويا ومنها ما هو بور ، وحتى البور كذلك سيستفيد من مشروع سبو سيحتوي على 300.000 هكتار وايضا فانه حتى الارض التى ليست مسقية بالماء سيصل اليها الندى الطبيعي الضروري الذى يمتد عندما تكون الارض خصبة وعندما تكون الخضر كثيرة .

ومن هنا نرى ان التوزيع لا يمكن الآن ان يقال فيه أنه توزيع لاراضي بور أو توزيع لاراضي سقوية ، بل يمكننا ان نقول عنه انه يحمل فى طياته ما يحملنا ان نقول بأنه كله سقوي فى هذه الناحية .

ونرى فى اقليم سطات مثلا ، نرى ان هناك 26.464 هكتار ، ونضيف الى سطات الجديدة ، واضيف الى الجديدة دكالة ، فهذا كله اولا يمر منه وادي أم الربيع وسيمر منه الماء بعد ما يبنى سد سيدي شحو .

فهذا السد الذى سيبنى زيادة على القنوات التى تجري فى الناحية ، كل هذا سيجعل كذلك من الاراضي أنها قابلة لان تكون أراضي سقوية نظرا للمناخ أو للماء الذي سيصلها .

الاراضي كلها ستسقى

ثم نجد في مراكش 5.262 هكتار ونجد في الحوز 5.036 هكتار ونجد في أسفي 3.391 هكتار.

وهكذا نجد ان مراكش مثلا ، مراكش بسد مولاي يوسف اولا ، ثم بسد الوادي الاخضر فيما اذا انجزناه ، سيمكن ان نسقي من مراكش الى أسفي ، وبهذه الكيفية سيمكن بذلك أن نقول انه من فلمة السراغنة بسد مولاي يوسف ثم الحوز بالقرب من مراكش ثم أسفي يمكن لنا ان نقول أن الماء سيجري في ثلاث عمالات وان أسفي ومراكش والحوز التي سيشملها توزيع عشرين ألف هكتار تقريبا لا يمكن ان يقال في الاراضي الموزعة انها بور ولا يمكن ان يقال فيها بانها ستكون سقوية .

أما بني ملال فانكم تعرفون السد الموجود فيها وتعرفون ان هذا السد ما يزال قابلا لكي يسقي 30.000 هكتار .

وهكذا نرى شعبي العزيز ان هذا التوزيع كما قلت لكم ليس غاية في حد ذاته ، وانما هو غاية للوصول في اطار التصميم الخماسي والتصميمات الخماسية المقبلة ، سيكون شبكة من الخيرات ، وشبكة من وسائل التبادل، لا التبادل داخل الحدود المغربية ولكن التبادل على صعيد القارات .

خطوة ستتبعها خطوات

لذا أريد من الجميع ان يستفيدوا وان يعملوا ويكدوا لان هذه الاراضي الموزعة ، ليست بالخطوة الوحيدة وانما هي خطوة تتبعها خطوات ، ولا زالت خطوات أخرى ولا زالت أراضي أخرى اما مغربية واما أراضي غير مغربية قررنا كيفما كان الحال ان نسترجعها ولكن كما قلت لكم سابقا ان الاسترجاع غير كاف ، ولكن لابد من استرجاعها ولا بد من حسن التصرف وحسن التوزيع حتى يمكن أن نعطي الثورة ووسائل الثروة لا ان نعطي وسائل الفتن والمخاصمات امام المحاكم .

سنسترجع 200 ألف هكتار

اذن هي 90.000 هكتار سيتبعها 200.000 هكتار لا زالت في يد المعمر الاجنبي الذي يملكها ملكا ، والتي قررنا استرجاعها كيفما كان الحال ، بالطبع سيحاول المغرب استعمال أساليبه المعروفة فيه مع جميع الدول التي يتعامل معها ، تلك الاساليب المبنية على المنطق والعدل ، واعتقد ان العدل والمنطق مزية في المغرب ولكن مبنية كذلك على اللياقة وحسن التعامل واحترام المصالح ـ لا أقول المصالح الخاصة ـ ولكن المصالح العليا للبلاد التي يهمها الامر .

ولقائل أن يقول سمعنا هذا ، وفهمنا هذا الكلام ولكن ماذا جرى في المغرب الشمالي المنطقة القديمة للحماية ، أقول ان القوانين العقارية التي كانت موجودة في المنطقة الشمالية كانت غير القوانين العقارية التي كانت موجودة في المنطقة الجنوبية ومع ذلك هذا لم يصدنا عن العمل بل يمكن القول أن اللوكوس فيه أراضي يمكن ان توزع منها في مارس وافريل 8.000 هكتار ، وهي أيضا ستكون متمتعة بالري من وادي ملوية ، وهناك ايضا ما يقرب من 10.000 هكتار لا زالت في حيز اللم والجمع، وهكذا ستكون هذه العملية لا تشمل المنطقة الجنوبية من المغرب فحسب، ولكن تشمل حتى المنطقة الشمالية القديمة .

واذا اضفنا الى هذا أننا قررنا في السنة المقبلة ان نضع الحجر الاساسي لسد اللوكوس ستكون قد زدنا على المنطقة الشمالية القديمة مساحة هائلة غنية جدا تقدر ب 30.000 هكتار سيمكن القول حسب الاحصاءات التي قمنا بها ان هذه العملية اذا تمت ستقوم بمصارف السد أما الباقي فسيكون ربحا للدولة .

وفي الكلمة التي وجهتها لكم آنفا تطرقت الى لفظ التعاونيات والمستفيدين .

كناش الالتزامات

أولا فيجب على المستفيدين ان يطمئنوا لان التعاليم والاوامر التي اصدرتها وان هناك كناش الالتزامات يجب أن يكون سيفا ذا حدين أحدهما على المستفيد والآخر على الادارة، فلا يمكن ان يكون كناش الالتزامات على كاهل المستفيد فقط وأن لا تمارس اية رقابة على الادارة لاداء واجبها نحو الفلاح وهكذا فمن جملة الواجبات التي ستفتح لكل فلاح الطعن أو التحاكم التزام الدولة بتقديم الحبوب للفلاحين في أبانها وبثمنها الرسمي حتى لا يمكن لاي أحد ان

يتلاعب لا فى كمية الحبوب ولا فى كيفيتهـا ولا فى الوقت الذى يجب ان تعطى فيه .

القـرض حـق لكـل مستفيـد

يجب على الدولة أن تضمن لكل واحد القرض الفلاحي فى اقرب محـل للارض التى يستثمرهـا وعليها ايضا ان تضمن لكل فلاح الاسمدة لانه لا يعقل ان يصدر المغرب الى الخارج 14 مليـون طـن مـن الفوسفاط ولما تطرح على بعض الشخصيات الاجنبية اسئلة عن استهلاك المغرب من الفوسفـاط الداخلـي اخجل لانني لا استطيع ذكر الكمية المستهلكة داخليا ، لكنني سأقولها الان ، فهذه النسبـة هي : 0،001 بالنسبة لـ 14 مليون طن التى ينتجها المغرب سنويا.

لذا اصدرنا اوامرنا كذلك بان تؤسس الدولة شركة ولا أعني بذلك شركة للدولـة ولكنها شركـة تساهم فيها أموال خصوصية رسمية وذلك لتكييف ما هو خاص بالاراضـي وتسويقهـا باثمنـة قـارة ورسمية.

الانتـاج والتسويـق

فلا يمكن أنتضمن أثمان الخبز والسكر والشاي والزيت دون ان تضمن ما هو مكون للثروة المغربية الا وهو ثمن الحبوب والدقة فى مواقيت القروض وثمن السماد فاذا كان من واجب الفلاح أن يستثمر بلـده حسب كناش الالتزامات واذا هو خرج عن هـذه الالتزامات يعاقب ولا يمكن أن لا يكـون على كاهـل الادارة التزامات اخرى تحترمهـا ولكـل أحـد من المستفيدين أن يطعن فى عدم التزام الدولة فيما هو منوط بها من واجبات وخدمات، وسوف نلاحظ حينما تبدأ التعاونيات فى العمل كيف يمكننـا ان نضمـن للتعاونيات التى تقوم بعمليات فلاحية من شأنها ان تغزو الاسواق الخارجية كيف يمكن للدولة أن تتحمل التسويق بواسطة مكاتب حتى لا تثقل كاهل الفلاح والتعاونيات بمشاكل التسويق والترويج .

روح التعـــاون

وبما أننا بصدد ذكر التعاونيات علينا ان ننظر فيها جديا فلا يمكن ان تعطي أكلها الا اذا كانت مبنية على أساسين متينين أولهما : روح التعاون فكيفمـا كان الشعب وأنانية أفرادهفى طبائعهم وغرائزهم عليه ان يدخل فى قالب الروح التعاونيـة اذا هو أراد أن يتقدم ببلده وبالاخص بمساحات صغيرة مثل 15 او 24 او 30 هكتارا فلا يمكن لخمسـة عشـر او 30 هكتارا على حدة انتنتج الحوامض ولكن تعاونية تضم مثلا 1046 هكتارا يمكنها ان تنتج الحوامض وتزاحم السوق الخارجية فاذن لا بد من الروح التعاونيـة وعلينا أن لا نرى فى التعاونية حاجزا بيننـا وبيـن التمتع بالملكية الكاملة بل علينا ان نرى فيها الوسيلة التى ستمكننا من الانتاج وأحسـن ما فـى الانتـاج التسويق بكيفية مستحسنة .

التعاونيـــات .. والاطـــر

هذه هي الروح التعاونية ولكن ازاء الروح يجب ان تتوفر بالاضافة الى ذلك على الاطر التى تبنـي التعاونيات على كاهلهم ، أما هذه الاطر فتتمثـل في شخصين أولهما مدير التعاونية وثانيهما محاسبها ، فعلى المدير أن يكون منأهل الناحية حتى لا يشعـر به الناس انه دخيـل عليهم وأنه جاء ليعيـش علـى حسابهم وان لا هم له سواء ربحوا أم خسروا وكلمـا أمكن ذلك يجب أن يكون مديـر التعاونيـة اما مـن الفلاحين او المستفيدين وذلك دوريا كل سنة أو على رأس كل سنتين او ثلاثة وعليه ان يكون من عين المكان المحاسبون ولذا أعطينا واصدرنـا أمـرا الى وزارة امكن وان يكونوا من ذوي الحنكة والخبرة .

وهنا يمكن لمتسائل ان يتساءل واين هم هؤلاء المحاسبون ؟

فاجيب أن الدولة حينما قدمـت للبرلمـان فى السنة الماضية قانون التقاعد للمدنيين والعسكريين وحينما وافق البرلمان باغلبية على ذلك القانون الذى انصف خدام الدولة ، مدنييـن كانـوا أم عسكرييـن حينما أصدر ذلك القانون كان من المنتظر أن يحـال على المعاش عدد من المتصرفين فى الادارة ومن بينهم المحاسبون ولذا أعطينا واصدرنـــا امرا الى وزارة

الشؤون الادارية من جهة والى وزارتي الداخلية والفلاحة من جهة لتقوما باحصاء جميع الموظفين الذين يتوفرون على دبلوم وشهادة للمحاسبة او الذين تعاطوا اليها اما فى الجيش واما فى الاطار المدني، وأن يؤخذوا بالاسبقيات فى هذه التعاونيات شريطة ان يكونوا من عين المحل حتى يمكن التفاهم والتجانس التام بينهم وبين المستفيدين .

الارض .. من اسس المدرسة الوطنية

وهكذا شعبي العزيز ترى اننا اولا ركزنا الفكرة، الا وهي ان المدرسة الوطنية المغربية من أسسها الارض والاخذ بيد من يخدم الارض والنقطة الثانية : ان التوزيع ليس غاية فى حد ذاته وليس مطية تركب حينما يريد فلان او فلان أن ينفخ فى مزامير الدعاية والديماغوجية ولكن هي غاية نبيلة للوصول الى غاية انبل وهي تكريم بني آدم وهي اعلاء مستوى المعيشة للافراد والجماعات فى هذه البلاد .

بعيدا عن الديماغوجية

النقطة الثالثة : ان هذا التوزيع لا يرمي الى التوزيع فقط بل سيؤدي بنا الى التفكير فى اطار خماسي اول او خماسي ثاني من المخططات ثم ينتقل الى توزيع أراضي اخرى وقلت اننا لا نستعمل الديماغوجية يمكننا بتوقيع أو تخطيط قلم ان نقول اننا استرجعنا 300.000 أو 400.000 هكتار ولكن سوف نكون كما قال الشاعر :

لو بغير الماء حلقي شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصاري

فاذا نحن أردنا أن نشرب من الفلاحة ومن الاراضي وأن نتغذى منهما ، واذا نحن وقفت لنا غصة من الفلاحة فبماذا يا ترى سنعتصم ؟

النقطة الخامسة : قلنا ان هذه العمليات لا يمكن أن تتم وتعطي مدلولها الحقيقي الا اذا دخلت فى اطار تعامل التعاونيات ، وأعطينا الشروط للتعاونيات كما أننا من جهة بينا الواجبات الملقاة على كاهل الفلاح والمستفيد وبينا الواجبات الملقاة على كاهل الادارة والحكومة .

الانتاج والعمل

وكم من بلد يتمنى لو كانت له اليوم 90.000 هكتار او نصف 90.000 هكتار لزمر وطبل وارعد ولكن المغرب ولوحق له ان يفتخر ويصفق ولو حق لنا ان نحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه وهدايته سوف يسير فى طريقه ، تلك الطريق التى لا ترمي الا للانتاج والعمل ، وبشيء من الحشمة فنحن نستحيي ونفضل أن يقال عنا الخير ولا نكون كالذي يثني على نفسه ولو قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني احب الثناء .

علينا أن نفتخر

فاذن علينا أن نفتخر ، ولكن علينا ان نفتخر من جهة وعلينا ان نتأسف من جهة اخرى فمثل هذه الفتوحات ـ لانها فتوحات ـ ومثل هذه الانتصارات كان بودنا أن تكون وليدة الجميع وان يفتخر بها الجميع وساهم وشارك فى رعايتها وتنميتها الجميع حتى يمكننا ان نحمد السرى وأن نقول ان هذا عمل مغربي وعمل يحق لنا ان نفتخر به وان نكون فرحين به لانه عمل الجميع فاملي أن نرى فى السنوات المقبلة التى نحن مقبلون عليها : اما فى السنة المقبلة أو فى السنوات التى تتلوها أن نرى اكثر ما يمكن من الايدي والقلوب والطاقات والافكار مجتمعة فى اناء واحد فى عجين واحد حتى تعطي للجميع لقمة واحدة ، لقمة واحدة خالصة غير مختلطة بما يشوبها ، لانها لقمة وطنية صرفة وبهذه المناسبة أؤكد وأقول أن مثل هذه العمليات هي عمليات يجد فى مسرحها المتسع كل واحد مبتغاه وضالته وهدفه ومطمحه انه اما من الخوف من المسؤولية واما من التقهقر واما من التخاذل ، اذا ما رفض كل ذي عقل وكل ذي تفكير وكل ذي شخصية ان يضع يده فى مثل هذا العمل المشرف العمل الوطني الذى لا هدف له ولا مطمع له الا أن يكرم ابن آدم ويرفع من شأن المواطن المغربي ومع ذلك الله اسأل كما سألته دائما ان يهدي القلوب، قال الله سبحانه وتعالى : « ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء » .

واملي فى الله أن يهدي الله أكثر ما يمكن ممن يشاء حتى نجد انفسنا يوما ما وفى أقرب وقت

ممكن ، نجد جميع المخلصين الحقيقيين الذين لا يعملون ولا يأمرون ولا يؤمرون ولا ينهون الا من طرف الوازع الوطني الصرف لا من الخارج .

◆ املي أن نجد هؤلاء الناس كلهم يدهم يدا في يد لاتمام العمل وللسير بهذه الامة نحو الازدهار ونحو عزتها .

دعـــاء

◆ والله سبحانه وتعالى أسأل ان يحفظ هذه البلاد وأن يكلأها بعينه التى لا تنام ، وأن يجعلها فى مأمن من كل غدر ومؤامرة ومصيبة ومكروه .

وادعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وأن يزيد فى هدايته الي وان يحفظني لنفسي ويحفظني لمن اخدمهم الا وهم المغاربة حتى أرى فيهم ما يشفي الغليل وحتى يروا مني ما فى امكاني أن اعطي لهم .

انه مجيب الدعاء وانه سميع عليم .

والسلام عليكم ورحمة الله .





مستقبل الاسلام بيد أبنائه ..

للأستاذ: عبد الله كنون

مما لا ريب فيه ، أن مدا فكريا عظيما يتصاعد يوما فيوما ، في كل بقعة من بقاع العالم الاسلامي ، وهدفه مقاومة الغزو الفكر الاجنبي الذى طغى على الحياة العامة في بلاد الاسلام ، فزيفها ولفها في ثياب الابتذال والاستلاب ، حتى اصبح المجتمع الاسلامي صورة مهزوزة من المجتمعات العربية بما فيها من تدين مدخول ومادية ملحدة .

والقد شعر مفكرو الاسلام وقادته المصلحون ، بالخطر الذى يتهدد الوجود الاسلامي ، منذ اخذت دولة الاسلام تترنح للسقوط ، فاطلق السيد جمال الدين الافغاني صيحته المدوية التى كانت ترمي الى جمع كلمة المسلمين ، ودعم دولتهم التى تحفظ كيانهم علما بأن الاسلام دين دولة ، ومصحف وسيف ، فلا قيام لأحدهما بدون الآخر .

وخلفه الشيخ محمد عبده، وان حول الدعوة من اتجاهها السياسي الى اتجاه علمي ، فرد الشبه ، ودحض المفتريات التى توجه الى الاسلام ، وكون عند المسلمين وعيا بالمشاكل التى تعترض حياتهم الدينية في العصر الحديث ، فصار هذا الاتجاه هو القناة التى كتب للمد الاسلامي ان يصب فيها من حين ظهوره الى الآن . اما الاتجاه السياسي فقد اختلج المسلمون دونه ، وتراجع مده بعوامل مختلفة ، وتحت ضغوط داخلية وخارجية كما سنلمح اليه فيما بعد ، وفي البدء لم يكن حماة الاسلام يواجهون ما نواجهه الآن من انظمة سياسية ومذاهب اجتماعية واقتصادية متكاملة وانما كانوا يصطدمون بأقوال ومطاعن على تاريخ الاسلام والشريعة الاسلامية ، وربط تاخر المسلمين بتمسكهم بالدين ، وخاصة بعقيدة القضاء والقدر ، التى تجعلهم يخلدون الى العجز والكسل ، ويقعدون عن مجاراة الامم والشعوب الراقية ، فقد كثرت المزاعم التى تتقول على الاسلام بأنه ضد العلم ، وان دولته اضطهدت الفلسفة والمفكرين الاحرار اينما كانوا ، وأن عمر بن الخطاب احرق مكتبة الاسكندرية لما فتح مصر ، وان حضارة الاسلام انما كانت امتدادا لحضارة الشعوب المفتوحة التى انضوت تحت سلطة المسلمين، لم ينشئها الاسلام ولم تتميز بشيء عن الحضارات السابقة ، حتى التشريع الاسلامي لم يكن الا نسخة طبق الاصل من الفقه الروماني الذى كان منتشرا في الشام ، وفي ظلاله نشأت المذاهب الفقهية الاسلامية المعروفة .

وراجت هذه الاقوال بين الشباب المتعلم الذى قراها في اللغات التى كتبت بها ، ونقلت بالترجمة الى العربية ضمن الكتب والدراسات التى وضعها المستشرقون عن الاسلام وتاريخه، وردد صداها بعض الكتاب من نصارى العرب مثل فرح انطون في مجلة الجامعة ، حين ادعى أن المسيحية كانت ارحب صدرا مع العلم والفلسفة من الاسلام ، ولذلك نما غرسهما وترعرع في ظلها ما لم ينم ويترعرع في ظله .

وكانت الشريعة الاسلامية كذلك هدفا للطعن والتجريح ، وركز الانتقاد اها على وضعية المراة في

الاسلام ، وما عاملتها به الاحكام الفقهية من حيف واجحاف بزعم الخصوم ، فمن تقييد حريتها وضرب الحجاب عليها ، ومنعها من التعليم ، الى سيف الطلاق المصلت على راسها، وجعل نصيبها من الارث على النصف من نصيب الرجل واباحة تعدد الزوجات وغير ذلك مما قضى على المجتمع الاسلامي بالتفكك وانعدام الالفة بين افراده ، وانتشار الجهل وقبول الضيم ، اذ المراة هي نواة الاسرة وراعية البيت ، ومربية الولد ، فما كانت عليه من حال ظهر اثره فى المجتمع ان صالحا او فاسدا .

وقد تلقف الجيل الجديد، ولاسيما الفتيات هذه الآراء ، معتقدا صحتها ، ومطالبا بانصاف المراة ورد الاعتبار اليها ، واعطائها حقوقها كاملة . وكتبت مؤلفات فى هذا المعنى من اشهرها كتاب تحرير المراة والمراة الجديدة لقاسم أمين .

ولم تسلم احكام المعاملات هي الاخرى كذلك من الاعتراض ، فالربا الذى حرمته جميع الشرائع السماوية والوضعية ، ولم يحترم كبر تحليله الا اليهود عبر العصور، ثم اخذه عنهم النظام الراسمالي الشائع، اصبح مما يعد فى وسائل التقدم الاقتصادي، ويؤخذ على الاسلام عدم القول بجوازه ، ويعزى تخلف المسلمين اقتصاديا الى تحرجهم من المعاملات المصرفية ، وقبول الفائدة ، حتى رسخ هذا الاعتقاد فى نفوس الكثير منهم ، وهفا بعض العلماء فافتى بجوازه او بعض الانواع منه .

كل ذلك انما كان المراد منه تشكيك المسلمين فى دينهم ، وصرفهم عن الحكم بشريعته ، واضعاف معنوياتهم لتضعف مقاومتهم ، وزعزعة كيانهم ليسهل الاستيلاء عليهم ، واذ ذاك يتم استلابهم ، فلا يبقى لهم ماض ينظرون اليه ، ولا مستقبل يؤملونه ، وتقر عين المستعمر بتبعيتهم له الى الابد .

ولكن علماء الاسلام انبروا لهذه التهم فردوها ، وبينوا ما فيها من جهل وتحامل ، وكان اسبقهم الى ذلك واطولهم يدا الشيخ محمد عبده فى كتابيه: « الاسلام والرد على منتقديه » ، و « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » ، وهما الكتابان اللذان ضما بين دفتيهما مجموع المقالات التى كتبها الاستاذ الامام فى الرد على هانوتو ورنان ، وابطال دعاويهما على الاسلام ، والاول من ساسة فرنسا الكبار ، والثاني من فلاسفتها الاعلام . كما يضم الكتاب الثاني رده على فرح انطون سالف الذكر ، فيما كتبه على فلسفة ابن رشد وموقف الاسلام من العلم والفلسفة بعامة ، الى ردود اخرى وتصحيحات لاخطاء وقع فيها غير واحد من الاجانب الذين تعرضوا للحديث عن الاسلام تضمنها الكتابان المذكوران .

ولا اخالني مهما بالغت فى القول ، موفيا بحق التقدير للعمل الفكري القيم الذى قام به الشيخ محمد عبده فى المنافحة عن الاسلام، وتثبيت الشبيبة العصرية على الايمان ، ووضع اسس الفكر الاسلامي الذى خلف علم الكلام القديم ، فاني اشبه عمله هذا بعمل علماء السلف الذين واجهوا شبهات الفلسفة اليونانية ، ومذاهب الفرق الاسلامية التى احدثت فى الاسلام ، بما يبين تهافتها ودحض مزاعمها ، حتى خلصت العقيدة الاسلامية من جميع الشبه التى اوردت عليها ، وحمى الله دينه وشريعته من زيغ الملحدين وفتنة المبطلين .

وبالاشارة الى الموضوعات الاساسية التى تناولتها تلك المقالات يظهر مدى الجهد الذى بذله المفكر الاسلامي الكبير فى تقرير حقيقة الدعوة الاسلامية ، وما اتت به من اصلاح عام ، ومنهج كامل للحياة هو الذى قامت عليه الحضارة العربية التى اقتبس منها الاوروبيون ، وكانت السبب فى يقظتهم ونهضتهم وكل ذلك باسلوب واضح وعرض جديد ، يساير العقلية المتطورة والتفكير الحديث ، الذى لا يقتنع بالغيبيات ، ولا يسلم الا بالدليل القاطع والواقع المحسوس .

واذا كان هانوتو ، وهو يتحدث عن سياسة بلده فرنسا فى الاقطار الاسلامية التى بسطت سلطانها عليها تعرض للعقيدة الاسلامية ألتى تقوم على توحيد الخالق عز وجل ، وتنزيهه عن شبه التشبيه ، فزعم انها سبب تخلف المسلمين وركونهم الى حياة البؤس والخمول ، بخلاف العقيدة المسيحية التى تقول بتعدد الآلهة فقد فتح المجال امام الشيخ محمد عبده للمقارنة بين العقيدتين واثرهما فى اتباعهما ، مع ملاحظة ان التثليث وهو المراد بالتعدد ، طارىء على المسيحية، متسائلا : ماذا كانت عليه حال اوروبا، وهي تعتنق المسيحية قبل اتصالها بالاسلام واشراق نور حضارته عليها ؟ ولما كان هانوتو يحرص على الربط بين الحضارة الاوربية والحضارة الهندية ، ويعبر عنهما معا بالحضارة الآرية ، ويرجع الفضل فى نشوئهما والتقائهما الى القاسم المشترك بين الوثنية الهندية والمسيحية الاروبية فقد دفع ذلك الشيخ محمد عبده الى الكلام على الحضارة

الهندية، ونظام الطبقات الذى يتكون منه المجتمع الهندي، مما تقضي به وثنية الهند، معطيا لهانوتو اسوأ الامثلة عما تلاقيه الانسانية من ذل وهوان فى ظل الحضارة الآرية التى يعجب بها ، وبذلك اثبت جهله بالاديان وبالتاريخ .

ثم عرض لمسألة القضاء والقدر وما خبط به هانوتو فيها ، فبين ان هذه العقيدة لم تختص بدين من الاديان ، ولا فلسفة من الفلسفات ، وأن الناس ما زالوا فيها بين طرفين . وذكر له من طوائف المسيحيين خاصة ، من يقول بالجبر ، ومن يقول بالقدر . وبعد ذلك شرح مذهب الاسلام فى المسألة وهو وسط بين الطرفين يثبت الكسب والاختيار ، وفى القرآن نحو اربع وستين آية تدل على ذلك . وضرب المثل بالنبي (ص) وجهاده فى سبيل اعلاء كلمة الله وتبليغ دعوته ، والصحابة الكرام وسلف الامة الذين نشروا الاسلام فى جميع انحاء الارض. وشيدوا تلك الحضارة التى ادهشت العالم فى مدة وجيزة ، وقبضوا على زمام الحكم فى القارات الثلاث قرونا متعددة . فالقول بان القضاء والقدر هو سبب تأخر المسلمين مغالطة مكشوفة لانه فى الواقع وبالمفهوم الاسلامي الصحيح هو الذى قاد المسلمين الى مواطن العزة والنصر ، وما قعد بهم الا الجهل والتواكل والدروشة التى دخلت عليهم من جهلة العجم ، والطوائف المبتدعة والفرق الضالة .

ويرتفع مستوى التفكير عند رد الشيخ على هانوتو فى مسألة التنزيه اي التوحيد والتشبيه اي الاعتقاد بتجسد الالوهية الذى جعله هانوتو مصدر تفوق الجنس الآري ومنبع حضارته ، فيذكر ان الوثنية المجسمة التى هي بنت التشبيه كانت وما تزال عقيدة الذين وقفوا على ابواب المعرفة الانسانية ولم يدخلوها وهي دليل على انحطاط عقول معتنقيها مع تفاوت فى درجات الانحطاط ، من وثني افريقيا الى بوذيي الصين وان الانسان كلما ارتقى فى العلم تجلت له الحقيقة الكاملة حتى ينتهي الى الاعتقاد بوجود اله واحد ليس كمثله شيء ، كان ذلك شأن اليونان الذين نشأوا على الوثنية ، فما زالت وثنيتهم ترق وتضعف بارتقائهم فى العلوم ، وبحث فلاسفتهم فى طبائع الكائنات حتى انتهوا الى التوحيد وقف فيثاغورس على عتبة التقديس ، وجاء بعده سقراط وافلاطون وارسطو الذين بذلوا وسعهم فى محاربة الوثنية . ومن قرا جمهورية افلاطون ، علم كيف قارع هذا الفيلسوف عبادة الاصنام والعقائد السخيفة التى كانت منتشرة فى امته.. وهكذا يبرهن على ان الوثنية ما كانت قط علامة الرقي ولا عنوان الفضل كما يزعم هانوتو . ويتطرق بعد ذلك الى بيان مساوي العقيدة المسيحية التى قال هانوتو انها تحفز اتباعها الى طلب الكمال والتشبه بالآلهة فى الخلق والابداع ، فذكر من استعباد الكهنة والرهبان لعامة الشعب والنساء وادعائهم القدرة على مغفرة الذنوب، وسيطرة الكنيسة على العقول وتصرفها فى حياة الناس بالاوهام الباطلة ما هو معروف ، حتى قامت حركة الاصلاح ، وقضت على كثير من مظاهر هذه العقيدة الفاسدة ، فاستقامت اوربا على طريق النهضة ولو بقيت متمسكة بتلك العقيدة لما افاقت من غشيتها ابدا . هذا فى حين ان الاسلام الذى جاء بالتوحيد ، وتنزيه الخالق عن التمثيل والتشبيه ، دعا الى افراد الله عز وجل بالعبادة ، ولم يجعل بين العبد وربه واسطة اصلا ، وحرر العقول والنفوس من سيطرة اي مخلوق وسلطة اي رئيس ، وبذلك نفخ فى اتباعه روح العمل والسعي وتحمل المسؤولية فانتشرت الفضائل ، وامحت الرذائل ، وتنورت العقول ، ولئن طالت به غيبة فله اوبة ، ثم هو على ضعف اهله وادبار دولته ، ما يزال ينتشر فى الصين وغيره من اطراف آسيا وافريقيا وفى انتشاره الخير الكثير ، فقد قال القس اسحاق طيار : « أن الاسلام ينتشر فى افريقيا ومعه تنتشر الفضائل فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره ، والشجاعة والاقدام من انصاره . فى حين أن السكر والفحش والقمار ، تنتشر بانتشار المسيحية ، واني لافضل اسلاما لا سكر فيه على مسيحية فيه سكر » .

هذه رؤوس اقلام فقط مما تناوله الرد على هانوتو ، واي شاب او مثقف خالي الذهن من الحقائق الباهرة التى تنطوي تحتها ، لا تستهويه تلك التهم الباطلة ، ولا يتزعزع ايمانه ان لم يؤيد بروح من التربية الدينية ، ويتوفر على معلومات مماثلة تثبته بالقول الثابت ، وانى له ذلك لو لم يقم هذا الامام بتقديمها له وتمكينه منها فى سهولة واسماح ؟

وبمثل هذه البسطة فى العلم والحصافة فى الراي ، يرد الشيخ الامام على رنان الذى اتهم الاسلام بالجمود والتعصب ، وقال فى عرض له فى تساهل المذاهب الدينية مع العلم : « على اني اخشى ان يثبت الدين الاسلامي وحده فى وجه هذا التسامح العام

في العقائد ، ولكني اعرف ان في نفوس بعض الرجال المتمسكين بآداب الدين الاسلامي القويمة ، وفي بضعة من رجال الاستانة وبلاد الفرس جراثيم جيدة تدل على فكر واسع وعقل ميال الى المسالمة ، الا انني اخشى ان تختنق هذه الجراثيم بتعصب بعض الفقهاء ، فاذا اختنقت قضي على الدين الاسلامي ، ذلك انه من الثابت الآن امران ، الاول ان التمدن الحديث لا يريد اماتة الاديان بالمرة لانها تصلح ان تكون وسيلة اليه ، والثاني انه لا يطيق ان تكون الاديان عثرة في سبيله ، فعلى هذه الاديان ان تسالم وتلين ، والا كان موتها ضربة لازب » .

ولا يمكننا ان نعطي خلاصة لرد الشيخ على هذا الكلام ، فانه افاض في الكلام على الجمود وآثاره السيئة في حياة الافراد والجماعات ، ولم ينكر ما عليه المسلمون من جمود وتمسك بما الفوا الا انه بحث في اسباب جمودهم هذا ورد اكثرها الى استعجام الدولة ، وجنايته على اللغة العربية التي بها تفهم مقاصد الكتاب والسنة وهما أصل الدين ، ثم تكلم على جمود المحدثين من خريجي المدارس العصرية والدارسين في البلاد الاجنبية ، فذكر انه كجمود القدماء شر على اصحابه ، اذ يبادرون الى الانكار ، ويعتقدون ان ما تعلموه او راوه خارج اوطانهم هو عين الحق ، غير مميزين بين خطأ وصواب ، ولا بين ما هو مدسوس على الدين او ما تقول عليه لمجرد العداوة للاسلام ونبيه الكريم ، فينفضون ايديهم منه، زعما بأنهم من انصار العلم والتقدم . وبعد بحث طويل في هذاالموضوع ختم كلامه بفصل في ان الجمود علة تزول ، ومما جاء فيه هذه الجملة الفذة :

« ان الاسلام لن يقف عثرة في سبيل المدنية ابدا، ولكنه سيهذبها وينقيها من اوضارها وستكون المدنية من اقوى انصاره متى عرفته وعرفها اهله . وهذا الجمود سيزول ، واقوى دليل على زواله بقاء الكتاب العزيز شاهدا عليه بسوء حاله ، ولطف الله بتقيض اناس لكتابه ينصرونه ، ويدعون اليه ويؤيدونه والحوادث تساعدهم وسوط الله النازل بالجامدين ينصرهم » .

ولا يمنعنا الاعجاب بهذا الرد المفحم ، من ان نعقب عليه بان المبالغة في التسامح والتساهل ، ربما ادت الى عكس المطلوب ، فاذا كان المراد هو نشر العلم والمعرفة والتمكين لهما ، وازالة كل العوائق والمثبطات من طريقهما فان علينا أن لا ندوس عقيدة الامة في سبيل ما يسمونه بالعلمانية ، وان لا تتجاهل المعالم التي يجب الوقوف عندها كما حصل في تركيا التي اثنى رنان على سعة فكر بعض رجالها من فصل الدين عن الدولة ، والغاء الخلافة الاسلامية ، واستبدال الحروف الاجنبية بالحروف العربية في الكتابة ، وكما حصل اخيرا في ايران ، وهي ايضا قد حظيت بتنويه رنان ، من الاحتفال على نطاق دولي بذكرى نشوء الامبراطورية المجوسية التي حطمها الاسلام .

ان الله قد جعل لكل شيء قدرا ، فالتسامح وعدم التعصب مما ندب اليه الاسلام ودعا اليه ، ولكن المسلمين قد ذهبوا في ذلك طرفا حتى اننا نقارنهم بالامم والشعوب التي اعلنت رسميا عن عدم تدينها فنجدهم قد اربوا عليها في عدم المبالاة بامر الدين ، والتضحية به لاول الامر من غير ان يدعوهم داع الى ذلك او يجديهم شيئا عند من يتقربون اليه به ، فهذه الدعوة قد جاوزت حدها اليوم ، واصبح المسلمون بحاجة الى الاستمساك والمحافظة اكثر من كل وقت مضى .

والرد الذي ارسى قواعد الفكر الاسلامي الحديث، وبدد كل شبهة توجه اليه ، في اصله وتاريخه ، هو ما كتبه الاستاذ الامام نقضا لما ادعاه فرح انطون لما كتبه عن فلسفة ابن رشد ونشره بمجلة الجامعة من موافقة المسيحية للعلم والمدنية ومعارضة الاسلام لهما وقد أثبت عكس ذلك بما لا مزيد عليه في وضوح الحجة وقوة البيان ، فقرر ان طبيعة الاسلام مع العلم ، وان الاصل الاول الذي قامت عليه الدعوة الاسلامية هو النظر العقلي لتحصيل الايمان ، وان مقتضى العقل مقدم على ظاهر الشرع عند التعارض الى آخر ما ذكر من الاصول العامة ، ثم انتقل بعد ذلك الى ذكر نتائج هذه الاصول في الحياة الفكرية الاسلامية ، فتكلم على اشتغال المسلمين بالعلوم الادبية ، ثم العقلية في الصدر الاول ، واقبالهم على العلوم الكونية في القرن الثاني ، وانشائهم لدور الكتب العامة والخاصة ، والمدارس والمستشفيات ، ونبوغهم في مختلف العلوم والمعارف ، وكشوفهم وتجاربهم العلمية التي افاد منها الغرب ، وكانت اساس نهضته ومدنيته الحاضرة ، وهذا الى تقديمه القول في اضطهاد النصرانية للعلم والعلماء ، ونفى ذلك عن الاسلام الذي كان اتباعه متسامحين مع اهل النظر من كل ملة ، وتقريره لاصول النصرانية التي تنابذ العلم والمدنية ، وهي الاعتقاد بالخوارق ، وسلطة الرؤساء الدينيين ، واطراح الدنيا والايمان بغير

المعقول ، وكون الكتب المقدسة حاوية لكل المعارف التى يحتاج اليها البشر ، ومن ثم تعرض لاحراق مكتبة الاسكندرية فى عهد جول قيصر ، قبل ظهور الاسلام ، وقتل العلماء واحراقهم ، ومراقبة المطبوعات ، ومحكمة التفتيش على عقائد الناس ، ورفض الكنيسة لاستعمال الحقن تحت الجلد ومختلف العلاجات الطبية الجديدة الى غير ذلك من مظاهر التخلف الفكري التى انما كان الدافع اليها التعصب المسيحي ومطاردة رجال الدين للعلم والمدنية .

ولا يقف الرد عند هذا الحد بل يمضي فى مناقشة راي فرح انطون ، فى فلسفة ابن رشد ومذاهب المتكلمين فى الوجود ، فيبين خطاه فى فهم اقوال هؤلاء الائمة ، ويحرر المناط بما عهد فى صاحبه من دقة النظر وسعة الاطلاع .. وهذا القسم من الرد لا يهمنا هنا فلذلك لا نعرج عليه .

ان ما نريده من هذا العرض السريع ، هو القول بأن حركة الفكر الاسلامي ، فى مدها الاول ، بدات قوية معتدة بنفسها ومستقيمة على الطريق، وقد نزلت المعركة وهي مسلحة بسلاح العلم والايمان ، فلم تعوزها الادلة اليقينية والوجدانية لدحر الخصم وكسب الانصار ، وهم من الشباب وعامة المثقفين الذين اوشكوا ان يقعوا فى حبال الدعايات المغرضة، وتسمم افكارهم بالاراجيف التى تجافي الحقيقة وتجني على التاريخ أعظم جناية . فما ان انطلقت هذه الردود الموضوعية ، حتى تلقفها الجميع بغاية التلهف، وكان لها الوقع الحسن فى النفوس والتاثير البليغ على المشاعر ، وسكنت هيعة المتطاولين على الاسلام ولو الى حين واطمانت قلوب المؤمنين بما هداها من الحيرة وغمرها من اليقين .

ولم يكن الجانب العقائدي والحضاري وحده من الفكر الاسلامي الذى اثار ردود الفعل على الخطة المبيتة لمهاجمة الاسلام ، فالجانب الاجتماعي والاقتصادي أيضا مما تبارت الاقلام فى الذب عنه ، وابطال التهم الموجهة اليه ، ولئن برز الشيخ محمد عبده وكاد ينفرد بالعمل فى المجال الاول ، فقد شاركه فى العمل بالمجال الثاني علماء مصاحون عاشوا مثله عهد التكالب على الاسلام ، والحملات المسعورة التى شنت ضده فى مفتتح هذا القرن عند انهزام دولته ، تداعيا مع المثل القائل : اذا سقطت الجزور كثرت السكاكين فانتدب اولئك الغير لحماية بيضة الدين والمنافحة عن حقيقته بما أوتوا من سعة علم وقوة بيان ، وما كانوا ينطوون عليه من نزعة الى التجديد وتطلع الى الاصلاح. ونذكر منهم الشيخ عبد العزيز جاويش والشيخ عبد الحميد الزهراوي والشيخ مصطفى الغلاييني والاستاذ محمد فريد وجدي والعلامة حسين الجسر ، وتلك الطبقة التى لم تأل جهدا فى ابراز محاسن الاسلام واسرار شريعته ومثله العليا واخلاقه السامية ، مغبرة فى وجوه المعترضين والمنتقدين الذين خفيت عليهم حكمه وقيمه او تجاهلوها ، فرموه بما عبر عن ذات انفسهم من حقد دفين ، وجهل مشين .

ولقد حظيت قضية المراة منهم بالبيان الشافي، اذ كانت محور الجدل الذى اداره الخصوم حول الشريعة الاسلامية ، وعدم صلاحيتها للحكم فى العصر الحاضر الذى انتشرت فيه الحرية والمساواة، وشاركت المراة الرجل فى مسؤولية بناء الاسرة وتقدم المجتمع ، قائلين : ان تشريع الطلاق وتعدد الزوجات وتنصيف الميراث مما غمطت به الشريعة الاسلامية حقوق المراة ، وجعلت منزلتها دون الرجل ، فضلا عن تهديده الدائم للحياة الزوجية بالانفصام ، واحتدام الخصام ، وفقد معنى السكينة والمودة فى البيت الذى يقوم على هذا الاساس الى آخر ما تنادوا به من هذه الترهات .

وكان الرد فى المستوى المطلوب ، وكان ما كتب عن حقوق المراة فى الاسلام ، مما يشرف هؤلاء الاعلام ويظهر عظمة الدين الحنيف الذى رفع من شان المراة بما لم تعرفه فى عهد من العهود القديمة والحديثة على السواء فحين كان احد المجامع العلمية فى أوربا يبحث فى المراة هل لها روح ام لا ، كان الاسلام يعلن ان الجنة تحت اقدام الامهات ، وأن خير الرجال خيرهم لاهله ، ويقول كتابه العزيز فى معادلة حقوق النساء لواجباتهن :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » اما الطلاق فهو تشريع رحيم ، كثيرا ما يكون فى صالح المراة ، وقد برهنت الحوادث على ذلك ، فلم تبق هناك حاجة الى اقامة الدليل على حكمة مشروعيته، خصوصا بعد الازمة السياسية التى عاشتها ايطاليا اخيرا مدى سنة كاملة من اجل الاعتراف به .

وذلك مثل الربا الذى بقي مثار النزاع والبلبلة فى الاوساط المالية والاقتصادية الاسلامية ، اقترارا بما روجته الراسمالية الاجنبية من انه لا ازدهار ولا

رفاعية الا بتعاطيه ، حتى قامت النظم الاشتراكية والحكومات المنبثقة منها او لفته ، فايدت بذلك نظر الاسلام اليه ، وصح فيه القول « ان الله يؤيد هذا الدين برجال ليسوا منه » ..

والقول فى تعدد الزوجات مثل القــول فى الطلاق ، فانه فى صالح المراة اكثر مما هو فى صالح الرجل ، ذلك انه قائم بالفعل فى كل مكان ، ومنتشر بالخصوص فى المجتمعات الحضرية لاسباب اقتصادية وجنسية ، ولكن على هامش القانــون ، فالضحيــة الاولى فيه هي المراة ثم الاولاد الذين لا يعتــرف المجتمع لهم بحق مادي ولا معنوي .. فالاسلام اضفى عليه صفة المشروعية ، وانقذ المراة من ذلك الواقع السيىء ، وحفظ لها شرفها وحقــوق اولادها فى الارث والنسب ، وزاد بطهارة المجتمع من الانحــلال الخلقي وعوامل الفساد .

انه حل الاسلام لهذا المشكــل ، وليس عند المعترضين حل افضل منه ، فقد قال اميل لودفيج الكاتب الالماني المعروف ، ان اوربا سائرة نحو اقرار التعدد ان قريبا او بعيدا .

ولعل القول فى نقصان ميراث المراة المسلمة ، كان اهون ما واجهه المدافعون عنها ، ما دام فى قوانين المهاجمين ما يورث الابن الاكبر فقط ، وما يسوى بين الورثة مع اختلاف مقاماتهم ، فربما بخس المراة اكثر مما ينتقدون من بخس الشريعة الاسلامية لها، هذا فى حين ان المراة فى الاسلام لها من حق التصرف فى ما لها باستقلال عن زوجها وقرابتها ما ليــس للمراة فى اكثر القوانين الاجنبية ، ونفقتها الى حد اخدامها « اي ان يجعل لها خادمة » واجبة على الزوج ولو كانت غنية وهو فقير ، وزواجها لا يتم الا بمهر يدفعه الزوج ، وفى تلك القوانين تدفعه هي ، فحتى الآن وبعد ما زعموا من مساواة المراة العصرية للرجل، ما يزال حق المراة فى الشريعة الاسلاميــة اعظم ، ومكانتها اكرم .

ومن الجدير بالذكر ان الاستاذ محمد فريــد وجدي خص المراة المسلمة بكتاب قيم ، حرص فيه على المقارنة بينها وبين المــراة فى العالــم الغــربي المتمدن ، فوصف ضروب الشقاء التى تعانيها المراة الغربية من جراء مجابهة مطالب الحياة العصرية بحكم حريتها المزعومة ومساواتها للرجل ، وما تنعــم بــه المراة المسلمة من سعادة وهناء بسبب حماية الاسلام وشرعه الحكيم لها .

وبالجملة فقد اخذت قضية المراة حظها الكامل من الدراسة فى هذه الردود ، وابــان العلمــاء فــي تناولهم لها عن بعد نظر واجتهاد فى تعليل الاحكــام الشرعية المتعلقة بها على وفق التطورات الاجتماعية الجديدة ، فاسكتوا المتقولين ، واقنعوا المتطلعين ، واثروا الفكر الاسلامي ايما اثراء ، فى هذه الناحيــة التى هي شطر الدين ، على حد ما جاء فى حديــث « خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء » يعني عائشة، وذلك لان المراة نصف الرجل، والنساء شقائق الرجال فى الاحكام ، فالحاجة كانت جد ماسة الى عــرض موقف الاسلام منهن ، وبيان الاصلاح العظيم الــذى جاء به فيما يخصهن ، ليهلــك من هلــك عن بينــة ويحيى من حيي عن بينة ، وقد كانت تلك الاحكام مقررة فى الشريعة ولكنها غير موجهة هذا التوجيه العصري ، ولا مقارنة بما يقابلها فى القوانين المحدثة والشرائع المتقدمة ، فوقع تقريرها بهذا الاسلوب الحكيم بردا وسلاما على قلوب المؤمنين وخسا الذين سفهوا انفسهم بما كانوا يفترون ، (يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) .

— * —

نعم هكذا كانت الانتفاضة الاسلاميــة الاولــى واعدة ، ومتعاطفة مع آمال المسلمين فى مستقبل زاهر للاسلام ومتمكنة من وسائل دعم دولته وتجديد دعوته ، الا ان تقسيم الوطن الاسلامي الى دويــلات اشبه بدول الطوائف وقيام اغلب هذه الدول على نظم للحكم ومذاهب سياسية مستوردة ، حال دون ذلك ، وبقي الفكر الاسلامي عائما تتقاذفه التيارات الاجنبية لا ياوي الى ركن يسنده ، ولا يمد احد اليه يدا بنجدة او انقاذ ..

وهذا هو ما اشرت اليه من قبل من ان الاتجاه السياسي للاصلاح الاسلامي الذى دعا اليه المجــدد الاول السيد جمال الافغاني قد انصرف المسلمون عنه بعوامل مختلفة وتحت ضغوط داخلية وخارجيــة . فبالرغم من ان صوتا آخر من اجهر الاصوات ، كان قد ارتفع بهذه الدعوة ، وهو صوت السيد عبد الرحمن الكواكبي صاحب كتاب طبائع الاستبداد وام القرى ، وان صداها لم يزل يتردد بين جنبات العالم الاسلامي من طرف دعاة كبار كالامير شكيب ارسلان والشيخ حسن البناء والسيد ابي الاعلى المودودي والاخ علال الفاسي

وسواهم ، فان زعماء الاحزاب السياسية والحكام الذين قاموا فى البلاد الاسلامية بعد القضاء على الخلافة العثمانية ، كانوا متشبعين بافكار وايديولوجيات أخرى ، حرصوا كل الحرص على تطبيقها من غير نظر فى موافقتها أو معارضتها للاسلام .. وكان الذى يغامر بانتقادهم ويطالب باقامة حكم نابع من دستور الاسلام الخالد وهو القرآن الكريم والسنة النبوية يستهدف لسخرية العملاء والدلادل ونبزه بأقبح النعوت كالجمود والتزمت وعدم التفتح على العصر الذى يعيش فيه ، وهذا ان لم يتعرض للاذى والعقاب من طرف رجال الحكم انفسهم . ونتج عن ذلك أن كثيرا من الحكام لما راوا تمسك شعوبهم بالاسلام وتغير قلوبهم عليهم ، صاروا يتملقون العامة ببعض المظاهر الاسلامية ، واوعزوا الى أنصارهم وصنائعهم بالعمل على الباس تلك الافكار والايديولوجيات لباس الاسلام ، وادعاء انها هي المفهوم الحقيقي للدين الحنيف الذى اخطاه السلف والخلف ، ولم يستبن معناه الا لهؤلاء القادة الابرار والساسة الاحرار .

ومن المؤسف ان يقع بعض الكتاب المخلصين فى هذه الخدعة ، ويوالوا نشر المؤلفات على نغم جميع المذاهب المستوردة ، حتى لتخشى أن تصبح الشيوعية الماركسية واللينينية اسلاما صحيحا مؤيدا بالنصوص واعمال بعض رجالات السلف الصالح .

ولا شك فى أن هناك ضغطا خارجيا على بعض الحكام المسلمين الذين يتبنون هذه السياسة او تلك، الى جانب ايمانهم بجدواها دون السياسة الاسلامية، وان ما يعبر عنه بالمساعدات المشروطة ان كان انما يهدف فى الظاهر الى حماية مصالح الجهة التى تبذل تلك المساعدات فانه فى باطن الامر ، لا يعدو ان يكون توجيها سياسيا وضغطا على اتباع مذاهب هذه الجهة أو عدم مخالفته على الاقل .

وهذا هو التفسير الواقعي لحملة الابادة التى تعرضت لها احدى الهيئات الاسلامية الكبرى فى بلد شقيق قبل بضع سنوات .

وقد يكون بعض الحكام ممن لا يهتمون بشؤون الدين ، فيغتنم خصوم الاسلام الفرصة ويعملون على نشر مبادئهم ، ومحاربة عقيدة الاسلام ، كما حصل فى اندونيسيا لما اصبح الحزب الشيوعي فيها اكبر حزب فى العالم ينتمي الى هذا المذهب ، خارج بلاد الاتحاد السوفياتي .

والناس يتعجبون من انقسام دولة باكستان ، ونجاح دعوة الانفصال فيها ، مع انها دولة انما قامت على أساس الفكرة الاسلامية ، والاخوة الدينية ، ولكنهم ينسون ان هذه الفكرة منذ كانت وهي ملاحقة من خصوم الاسلام ومحاربة بطرق خفية ومكشوفة ، فالمكشوفة هي التى تسير عليها سياسة الهند الوثنية، والخفية هي التى استخدمتها الهيئات المشبوهة بعد فتور الحماس الديني لباكستان الاسلامية الذى كان يتصف به حكامها الاولون فما زالت تفتل فى الذروة والغارب بنشر المذاهب السياسية التى اشرنا اليها مرارا وان لم نسمها ، للعلم بها ، وتأسيس الاحزاب التى تحمل فكرة التقدم وما اليها وتعارض فكرة الاسلام ، فلم يكن الا كلا ولا ، حتى انتشرت دعوتها بين الشباب والعمال والجماهير الشعبية ، لاسيما ودعاة الفكرة الاسلامية مبعدون ومحاربون ، وهم بحكم نزاهتهم واستقامتهم لا يمدون ايديهم الى الخارج ، فى حين أن الاحزاب الاخرى تتدفق عليها الاعانات وتلقى التأييد المعنوي فى كل مناسبة . فلما جاءت مناسبة تلقي التأييد المادي اعلنوها حربا شعواء على الاسلام ودولته الكبرى ، وتفككت تلك الرابطة ، وقضت شهوة الحكم واهواء الذين باعوا انفسهم للشيطان على مجهودات نصف قرن أو أكثر لحماة الفكر الاسلامي الذين عملوا على انشاء الباكستان .

ان الاحزاب السياسية التى كانت تعمل فى الهند بحسب مخطط اسلامي هادف والتى كانت تحارب من قبل الانجليز، قد لوحقت فى باكستان ، ونصب على رأسها اناس ليسوا فى المستوى ، فصبغت بصبغات مستوردة ولما تمكنت من الاعلان عن نفسها ، اظهرت خبثها ، فتكشفت الرغوة عن الصريح ، وتبين الصبح لذي عينين .

فالانحراف عن خط الاسلام هو الذى قسم باكستان شطرين ، ولو انها استمرت فى بناء كيانها على الاساس الذى قامت عليه ، لما كان مستبعدا ان يأتي الوقت الذى تنضم فيه اليها الستون مليونا مسلما الباقية فى الهند تحت سيف التهديد والوعيد، لا أن تنفصل عنها البنغال .

ان الاسلام لا يقبل المزاحمة ، فاما عقيدة اسلامية ، وشريعة اسلامية ، واخلاق اسلامية فى دولة اسلامية تحمي هذه القيم من التزييف والتحريف، واما هذه الفوضى والتمزق الذى يعيش

فيه المسلمون ، ويدمغهم بالخنوع والاستسلام ، فما ينهضون من نكسة الا ليقعوا في نكسة اعظم .

واذا كان تقسيم العالم الاسلامي الى دويلات مدنية ، هي المسؤولة عن ايقاف المد الاسلامي الاول، على ما بيناه آنفا ، فان العلماء الذين يتواطئون مع هذه الدويلات في التمكين للنظم المستوردة ، والنسخ (الكوبياج) من المذاهب الاجنبية، وتزكيتها بنسبتها الى الاسلام او نسبة الاسلام اليها ، هم المسؤولون عن تعويق المد الاسلامي الجديد الذى يهدف الى قيام دولة اسلامية بكل معاني الكلمة ، وابعادها ، ويضع فكرة السيد جمال الدين موضع التنفيذ .

فعلى هؤلاء ان يقتدوا بالدعاة الاولين الذين ارتفعوا بالاسلام عن اي تبعية او اندماج ويجعلوه هو الحكم الذى ترضى حكومته ، والمرجع الاول والاخير في كل مشكل ، صادرين عن قوله (ص) فيما ينبغي ان يكون عليه علماء الاسلام : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

وعلى الحكومات التى تقوم في مختلف البلاد الاسلامية ان تجرب سياسة الاسلام والحكم بشريعته، والتمهيد للعقيدة الاسلامية ، والاخذ بيد دعاة الفكر الاسلامي الصحيح ، الذين هم آخر من ينزع يدا من طاعة ، لان نظام الحكم في الاسلام قوامه اسمع واطع ، وعدم منازعة الامر اهله ، ومن خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية كما في الاحاديث الصحاح ، فما تخشاه من انتشار الدعوة الاسلامية ، وقوة الهيئات المتقيدة بالاسلام ، وعودة السلطان الاسلامي ، انما هو وهم وتسويل من الشيطان ، وايحاء ودس من الدول الاجنبية التى يهمها بقاء نفوذها ساري المفعول في كل بلد اسلامي لتشل انبعاث الجامعة الاسلامية الكبرى التى تعد خطرها اعظم من خطر الحرب الذرية .

ولا دليل على براءة الحركات الاسلامية من الشغب والشبهة اكبر من ان الانقلابات الحكومية التى وقعت في اي بلد اسلامي خلال القرن ، اعتبارا من الانقلاب التركي ، لم يكن القائمون بها من العناصر التى تتخذ الاسلام شعارا لها ، ولو على سبيل الدعاية ، وان الاحزاب السياسية التى توجد في البلدان الاسلامية ولاسيما العربية ليس فيها حزب واحد ذو نزعة دينية ، فليضع الحكام اذن يدهم في يد دعاة الاسلام بملء الايمان والثقة ، وليرفعوا معا راية الاسلام ، فان مستقبل هذا الدين الحنيف بين ايديهم ، وان الله سائلهم عنه لا محالة . (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين) .

طنجة ــ عبد الله كنون

الإمام محمد بن ادريس الشافعي



امتاز القرن الثاني للهجرة النبوية باستقرار الامر للدولة العباسية فاتجهت هذه الدولة الى تنشيط الحركة العلمية والفنية ، وكثر العمران ، وتجلت مظاهر الحضارة والتمدن وتنافس العلماء على اختلاف طبقاتهم لتدوين معلوماتهم وضبطها واتقان شأنها .

وهكذا راينا الفقهاء الاعلام يحررون المسائل الفقهية ، ويؤصلون الاصول للاحكام ورأينا المحدثين يعطون العناية الكاملة لتدوين الاحاديث وترتيبها وتمييز غثها من سمينها ، ورأينا الفلكيين والرياضيين والمتعاطين للعلوم الفلسفية يترجمون ويدرسون ويبحثون ، ورأينا العلماء والادباء يتناظرون ويتناقشون ، ورأينا الباحثين والنقاد واللغويين يرحلون في طلب المعرفة ويتصلون بمختلف الرجالات الذين انجبتهم التربة الاسلامية ، والذين اصبحوا مقصد المستفيدين والمتعلمين ، كما رأينا الدولة مهتمة كل الاهتمام بتشييد مظاهر العمران مشجعة كل التشجيع جميع انواع المعرفة مولية اصحابها الحظوة والتقدير .

لقد ازدهرت الحياة الفكرية ، واقبل العلماء يقتبسون من فلسفة اليونان وآداب الفرس وحكمة الهند ، ما يتلاءم مع القيم التي جاء بها الاسلام، وما يزيد في تراثهم الحضاري .

وفي هذا العصر بالذات ، صارت تظهر بعض الحركات الهدامة التي ارادت ان تكيد للاسلام ، وتبيت للقضاء على قيمه المثلى ، فبرز الزنادقة بأفكار ترمي لافساد الجماعة الاسلامية ، وادخلت بعض الآراء والافكار على بساطة الفكرة الاسلامية ، وكثر الجدل والنقاش بين ارباب الراي والمحدثين من العلماء الفقهاء واختلفت اوجه النظر في استنباط الاحكام من الاصول المعتبرة ، وتجلى هذا الاختلاف خصوصا بامتداد رقعة الدولة الاسلامية ، من الحجاز والعراق والشام الى الفسطاط والاندلس والمغرب .

في هذا العصر بالذات ، برزت شخصية الامام محمد بن ادريس الشافعي فمن يكون الامام الشافعي هذا ؟

نسبه :

هو الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي ، يمتد نسبه الى عبد مناف بن عبد المطلب، ويجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .

لقي احد اجداده ، شافع بن السائب .. رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع وكان ابوه – السائب – صاحب راية بني هاشم يوم بدر (1).

---

(1) وفيات الاعيان

مولــده :

ازداد الامام الشافعي بمدينة غـزة على اصح الاقوال وذلك سنة 150 للهجرة النبوية . وقيل ان ولادته كانت فى اليوم الذى توفي فيه الامـام أبـو حنيفة النعمان .

نشاتــه :

نشأ يتيما فى اسرة فقيرة ، فحمل الى مكة المكرمة وهو ابن سنتين ، حيث تربى تربية سليمة فى منزل الوحي ، وموطن ولادة الرسول عليه السلام ، وما ان بلغ سن التمييز ، حتى دفع به الى التعليم فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وحفظ الموطـا وهو ابن عشر سنين .

حدث اسماعيل بن يحيى قال : سمعت الشافعي يقول : حفظت القرآن وانا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطا ، وانا ابن عشر سنين . وروي عنه انه قال : لما اتى علي سنتان ، حملتني امي الى مكة ، وكانت نعمتي فى شيئين : فى الرمي ، وطلب العلم ، فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرة ، عشرة .

قال عمر بن سواد : وسكت عن العلم . فقلت له : انت والله فى العلم اكثر منك فى الرمي .

ولقد ارتأى المشرفون على تربيته وتكوينه ان ينقلوه الى البادية العربية حيث يكتسب سليقـة عربية ويتقن العربية الفصحى الخالية من كل أعجمي أو دخيل . فرحل الى قبيلة هذيـل وهي ما هي فى مكانة اللغة ، وفصاحة الالفاظ ، فصاريتعلم كلامها، ويأخذ عن رواتها ما يحفظونه من الشعر ، ويروونه من أيام العرب وانسابهم .

قال الشافعي : اقمت فى بطون العرب عشرين سنة ، آخذ أشعارها ولغاتها وحفظت القرآن ، فما علمت انه مر بي حـرف الا وقد علمت المعنى فيه والمراد ، ما خلا حرفين : قال الـراوي : حفظت احدهما ونسيت الآخر . احدهما : دساها .

ومقامه بالبادية العربية ، وفى قبيلة (هذيل) بالذات ، جعله يتعمق فى ادراك أسرار اللغة العربية، ويتذوق بلاغة اساليبها . ثم جعله يتفهم معاني القرآن الكريم الذى نزل بلغة عربية فصيحـة ، سجـد لـه بسببها حتى غير المعترفين بنبوة الرسول الكريم عليه السلام . واتقانه للغة العربية ، وتعرفه لاسـرارها ، ومعرفته بشعرائها وبلغاتها جعل الاصمعي وهو الامام الثبت الحجة فى ميدان البلاغة ، يصحح على الامام الشافعي شعر الشنفرى .

ثقافتــه :

درس الشافعي جميع العلوم التى كانت تدرس فى عصره ، وتعرف الى مختلف المذاهب الاسلاميـة فدرس اصولها دراسة فاحصة ، وكان أول حياتـه مختصا فى دراسة مذهب « مالك » رضي الله عنه متبعا له ، حافظا للموطأ .

روي عنه انه قال : قدمت على مالك وقد حفظت الموطأ فقال لي : احضر من يقرأ لك، فقلت انا قاريء، فقرات عليه الموطا حفظا ، فقال : ان يك احد يفلح فهذا الغلام (2) .

ثم بعد تمكنه من الاطلاع على أسرار المذهـب المالكي ، تاقت نفســه الى التعـرف على مختلـف الاتجاهات المذهبية الموجودة فى وقته ، فتتلمذ على محمد بن الحسن الشيباني تلميذ ابي حنيفة وصاحبه، وتعرف على مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنهم اجمعين .

ومن المعلوم ان العلماء انقسموا فى ذلك العهد الى طائفتين كبيرتين : طائفة اهل الحديـث وكـان مركزها بالمدينة المنورة ويمثلها الامام مالك ابن انس ، امام دار الهجرة والمغرب . وطائفة أهل الرأي بالكوفة، ويراسها الامام ابو حنيفة النعمان ، صاحب اكبـر مذهب من المذاهب الاسلامية فى العالم الاسلامي .

اما الطائفة الحديثية الاولى فاشتهرت بتمسكها بنصوص الكتاب والسنة واتباعها لعمل أهل المدينة واقوال الصحابة ، بعيدة عن القول بالراي والتوسع فى الاجتهاد ، الا اذا انعدم النص القرآني أو الحديث حيث تقول بالقياس المستمد من الاصلين المذكورين حسبما هو مبين فى اصول مذهبها (3) .

---

(2) الوفيـات

(3) محمصاني وغيره .

واما الطائفة الثانية فلقد دفعها بعدها عن مهد السنة من اهل الحجاز الى التشدد فى اخذ الحديث، فعملت ائمتها بالرأي واخذت تتعمق فى الاجتهاد فى الجزئيات التى تحدث ، وتتوسع في الاجماع والقياس والاستحسان (4) .

مذهبه :

لقد كان الامام الشافعي متبعا اول عهده مذهب شيخه الامام مالك ابن انس ولكن اتصاله بغيره من العلماء والائمة ، وسماعه عليهم جعله يكون لنفسه مذهبا جديدا ، لا يبتعد عن رأي أهل الحديث ولكنه لا ينبذ اهل الراي كذلك ، فهو مذهب وسط بينهما .

ولقد ضبط الامام الشافعي الاصول التى جرى عليها فى اجتهاده ، فهو يقول فى كتابه الام : العلم طبقات شتى : الاولى الكتاب والسنة اذا ثبتت ، ثم الثانية الاجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة ، والثالثة ان يقول بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قولا ولا نعلم له مخالفا منهم ، والرابعة اختلاف النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، والخامسة القياس ولا يصار الى شيء غير الكتاب والسنة ، وهما موجودان ، وانما يوجد العلم من اعلى (5) .

فمذهب الشافعي يرجع اولا الى القرآن الكريم ، ولا يتزحزح عنه الا اذا ثبت لدى ارباب المذهب ثبوتا قطعا ما يصرفهم عن اتباع ظاهر آياته.

والاصل الثاني من اصول المذهب الشافعي هو سنة الرسول عليه السلام ، ولو كان راويها واحدا شريطة ان يكون راويها ثقة فى دينه معروفا بالصدق فى حديثه ، حافظا عالما بما يحدث به ، بريئا من التدليس فى راويته ، ثم ان يكون الحديث متصلا بسنده الى الرسول (6). والاصل الثالث الاجماع .

ثم القياس بشرط ان يكون له اصل من الكتاب والسنة .

والشافعي يرى ان القياس هو الاجتهاد ذاته ، ولا يقول بالاستحسان والمصالح المرسلة مثل الاحناف فى الاول والمالكية فى الثاني (7).

الشافعي يضع أصول الفقه :

أشرنا فيما سبق الى ان الشافعي كان يتمذهب بالمذهب المالكي ثم بعد سماعه من ائمة آخرين امثال الشيباني صاحب ابي حنيفة والامام أحمد بن حنبل، صار يتكون عنده مذهب ليس بالحديثي الصرف وليس من ذوي الراي المحض بل يعتبر مذهبا وسطا بينهما والذى دفعه لتكوين هذا المذهب ما عاشه وعاينه من الجدل بين اصحاب الاتجاهات المختلفة فى المسائل الفقهية .

فكان نظرا لما آتاه الله من توقد فى الذهن ، واطلاع على الآراء ، ومعرفة باسرار التشريع يتطلع الى ايجاد قواعد واصولا يرجع اليها الباحث، فتهديه اصوب الطرق التى يسلكها ، وتعصمه من الخطأ الذى ربما يدفع اليه الجدل والحوار .

وهناك أسباب اخرى دفعت بالامام الشافعي الى وضع أصول للفقه الاسلامي هي : ضعف اللسان العربي بسبب اختلاط العرب بالعجم وبعد العهد بين عصره والعصر النبوي ، وكثرة الوضع فى أحاديث الرسول عليه السلام ، وتجدد حوادث ووقائع لا يستطاع الوقوف على احكامها مباشرة من القرآن والسنة (8) .

لقد وضع الامام الشافعي اصولا للفقه الاسلامي لم يسبق اليها ، قال الشرازي: اتفق الناس على ان أول من صنف فى هذا العلم : « علم اصول الفقه » الشافعي ، وهو الذى رتب ابوابها ، وميز بعض اقسامها عن بعض ، وشرح مراتبها فى القوة والضعف ..

لقد دون الشافعي أصول الفقه فى رسالته التى الفها ببغداد ثم راجعها بمصر وتكلم فيها عما يحتاج

---

(4) محمصاني .
(5) الاجتهاد والتجديد .
(6) الفقه الاسلامي .
(7) المصدر نفسه .
(8) اصول الفقه للاستاذ بدران ابو العينين .

اليه المجتهد ازاء القرآن من العام والخاص ، والناسخ والمنسوخ ، وما يقبل منه ولا يقبل ، وتكلم عن الاجماع ، وعن اثبات القياس والقياس ، ومتى يجب القياس ومتى لا يجوز ومن له أن يقيس ، ومن ليس له ذلك ، ونقد الاستحسان ورد على القائلين به ، وتكلم عن الاوامر وانها تفيد الوجوب ، الا ان دلت القرينة على غيره ، وعن علل الحديث ، والاحتجاج بخبر الواحد ، وما يجوز الاختلاف فيه وما لا يجوز (9) .

ان ابتكار علم اصول الفقه يعد بحق من أعظم ما ابتكره فكر قانوني سليم ، ولقد ذكر صاحبا كتاب : « اصول القانون » (10) « ان ابتكار هذا العلم يبرهن على مقدرة فقهية مستقلة ، ويؤكد ما امتازت به مدرسة الفقه الاسلامي على الرومان وغيرهم من الامم التى تفوقت فى القانون بوضع علم اقرب ما يكون لعلم اصول القانون وهو علم اصول الفقه ، بحث علماء الفقه فيه مصادر الشريعة الاسلامية ، وكيفية استنباط الاحكام التفصيلية من هذه المصادر . وهذا العلم يميز الفقه الاسلامي عن اي فقه آخر .

هل يوجد توافق بين أصول الفقه وأصول القانون ؟

وما دمنا تكلمنا عن أصول القانون واصول الفقه فلنشر الى انه توجد بين الاصوليين مواضع اتفاق ، كما توجد مواضع اختلاف (11) . فهما يتفقان فى ان كلا منهما يبحث فى قواعد عامة ، كما أن هذه القواعد مشتركة بين فروع مختلفة ، فقواعد اصول الفقه مشتركة بين جميع مذاهب الفقهاء والمجتهدين ، وقواعد أصول القوانين مشتركة بين جميع القوانين الوضعية فى الامم المختلفة ، وبالاضافة الى ذلك فان كلا من اصول الفقه واصول القانون يبحث فى القواعد الاجمالية دون التعرض للادلة التفصيلية .

وهما يختلفان ويفترقان على «ان المباديء العامة والاصول الكلية فى الشريعة الاسلامية مستنبطة من نصوصها ، واحكامها ترجع الى اصول اربعة : هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس ولا تتعدى هذه الاصول ، فلا يجوز انشاء قاعدة شرعية ، او ابتداع أصل فى الشريعة لا يرجع الى هذه الاصول بما يستنبط منها (12) .

اما اصول القوانين فهي مباديء لا ترجع الى اصول محصورة ، بل يجوز انشاء مبدا فى القانون وابتداع قاعدة بمحض العقل ، دون ان يكونا راجعين الى المباديء القانونية السابقة ، فليس لها اصول تشريعية بمعنى مباديء وكليات ، تكون ضوابط لكل ما يشرع منها وان كان لها أصول بمعنى مصادر تاريخية .

وتفترق اصول الفقه عن أصول القانون كذلك فى ان المباديء الكلية فى الشريعة الاسلامية تتسع لكل زمان ومكان ولا تضيق بالحوادث والازمان . اما المباديء القانونية فضيقة الدائرة ، يراعى فى وضعها زمان خاص واحوال معينة ، لانها وليدة زمانها ، ونتيجة الارتقاء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

لقد تجلت عبقرية الامام الشافعي وسعة اطلاعه، وادراكه لسمو التشريع الاسلامي بابتكاره لهذا العلم الذى يبقى صفحة بيضاء فى المدرسة الشافعية .

تآليفه :

واذا كان الامام الشافعي رحمه الله ورضي عنه ، أضفى على الفقه الاسلامي حلة جديدة باطلاعه الواسع على المدرسة الحديثية ومعرفته الجادة بوجهات نظر اهل الراي والاجتهاد ، فان تآليفه المتعددة سواء منها ما كتبه فى بغداد ، عندما كان يرتوي بلبان معرفة أصحاب ابي حنيفة ، او ما كتبه بمصر عند ما استقر به المقام بأرض الكنانة ، فاختمرت افكاره واجتهاداته وطلع على العالم الاسلامي بمذهبه الجديد الذى دونه فى رسالته فى أصول الفقه وكتابه : الام ، وهما من أعمق واصفى ما كتبه من مؤلفات قيل انها كانت كثيرة .

---

(9) المصدر نفسه .

(10) اصول القانون للدكتور السنهوري والدكتور حشمت ابو ستيت .

(11) اصول الفقه لبدران ابو العينين بدران .

(12) المصدر نفسه .

الشافعـي المناظـــر :

لقد امتاز العصر الـذى بـرز فيه الشافعـي بكثرة العلماء وقوة شكيمتهم العلمية ، كمـا امتـاز باقبال هؤلاء العلماء علـى البحـث عـن الحقيقـــة والانتصار للشريعة الاسلامية والذود عنها .

ولقد تفتحت اذهان هؤلاء العلماء عن اجتهادات كانت فى منتهى الاستجابة للمقاصـد الشرعيـة ، وكانت هذه الاجتهادات تدفعهم الى المناظرة والحوار انتصارا للحق وخدمة للفكر الاسلامي .

ولقد امتاز الامام الشافعي بانه كان من ابـرع المناظرين الامناء يتكلم بذلاقة لسان ويبرهـن علـى آرائه بأدلة معقولة ، تساعده عربية متينة ، رضـع لبانها فى بادية قبيلة هذيل واطلاع واسع على مدرسة اهل الحديث اكتسبه فى المدينة المنورة ، ان استعمال الفكر والرأي اخذه عن علماء العراق ومناظرتـه مع محمد بن الحسن نالت اعجاب الرشيد كما ان كتبه مملوءة بهذه المناظرات، وبالرغم عن هذا الباع الطويل، والنفس العالي ، فانه رحمه الله لم يكن ينشـد الا اظهار الحق والصواب ، سواء على يده او على يـد مناظره ، ولقد اثر عنه انه قال :

ما ناظرت أحدا قط، الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان وتكون عليه رعاية من الله وحفظه ، وما ناظرت احدا الا ولم ابـال بين الله الحـق على لسانـي او لسـانه .

قال هرون بن سعيد الايلي : لو ان الشافعـي ناظر على هذه العمود التى من حجارة ، اتهـا مـن خشـب لغلب ، لاقتداره على المناظـرة . وعن ابـن الوليد بن ابي الجارود قال : ما رايت احدا الا وكتبه اكثر من مشاهدته ، الا الشافعي ، فان لسـانه كـان اكثر من كتابه .

الشافعـــي الشـاعـــر :

لقد كانت مشاركة الشافعي فى العلوم مشاركة قوية ، فكان يصول ويجول فى مختلف الميادين ، وان دراسته للغة العربية ، شعرها وآدابها واطلاعه على ايامها واخبارها. جعل شيخ اللغويين الاصمعي يصحح عنه شعر الشنفرى ، ويرجع اليه فى تثبيت ابياتها والفاظها وذلك يدل على تمكنه من ناصية الشعر ، مثل تملكه لناصية النثر . ومن يدري فلو لم تتجه به الاقدار الى التخصـص الفقـهي ، والاجتهـادات التشريعية ، لكان من الشعـراء المفلقيـن والادبـاء المجيدين .

وان الباحث فى ترجمته يعثـر له على ابيـات شعرية مختلفة ، تدل على باع طويل وشاعرية قوية .

فمن شعره :

ان الذى رزق اليسـار ولم يصـب
حمـدا ولا أجــرا لغيـــر موفـــق
الجد يدنـي كـل امـــر شاســـع
والجـد يفتـح كـل بـاب مغلـــق
واذا سمعت بأن مجـدودا حـــوى
عـودا فاثمـر فى يديـــه فصـــدق

وينسب اليه قولـه :

كلمـا ادبـنـي الـدهـــ
ـــر أرانـي نقـص عقلـي
واذا مـا ازددت علمـــا
زادنـي علمـــا بجهـلـي

ومن شعره كذلك :

ماذا يخبر ضيـف بيتـك اهلـه
ان سيل كيف معـاده ومعاجـه
أيقول جاورت الفرات ولم أنـل
ريا لديه وقد طفـت أمواجـه
ورقيت فى درج العلا فتضايقت
عما اريـد شعابـه وفجاجـــه
ولتخبرن خصاصتـي بتملقـــي
والماء يخبر عن قـذاه زجاجـه
عندي يواقيـت القريـض ودره
وعلـي اكليـل الكـلام وتاجـه

ومن شعره أيضا :

امطري لؤلـؤا سمـاء سرنديـ
ـب وفيضي ابار تكرور تبـرا
أنا ما عشت لسـت اعـدم قوتـا
واذا مت لسـت اعـدم قبـرا
همتـي همـة الملـوك ونفســي
نفس حـر تـرى المذلـة كفـرا

وينسب اليه :

ولولا الشعر بالعلماء يزري
لكنت اليوم اشعر من لبيد

وقال :
لقد اصبحت نفسي تتوق الى مصر
ومن دونها ارض المهامه والقفر
فوالله ما ادري الفوز والغنى
اساق اليها ام اساق الى قبري

تدين الشافعي وتقواه وتهجده :

نشأ الامام الشافعي نشأة اسلامية قويمة ، فكان من القوامين التالين لكتاب الله آناء الليل واطراف النهار ، يتلو قول ذي العزة والجلال : « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » فيجتهد كل الاجتهاد ليرضي ربه ، ويتبع ما امره به ، باذلا جهده فى الطاعة والامتثال. روي عن حسين بن علي الكرابيسي قال : بت مع الشافعي غير ليلة ، فكان يصلي نحو ثلث الليل ، فما رايته يزيد على خمسين آية ، فاذا اكثر فمائة ، وكان لا يمر بآية رحمة ، الا سال الله لنفسه وللمومنين اجمعين ، ولا يمر بآية عذاب الا تعوذ منها وسال النجاة لنفسه ولجميع المسلمين قال : فكانما جمع له الرجاء والرهبة معا . وقال الشيخ ابو بكر : قد كان الشافعي بآخره يديم التلاوة ، ويدرج القراءة . واخبرنا علي ابن محسن القاضي فى روايته عن الرفيع ابن سليمان قال : كان الشافعي يختم فى كل ليلة ختمة ، فاذا كان شهر رمضان ، ختم فى كل ليلة منه ختمة ، وفى كل يوم ختمة ، فكان يختم فى شهر رمضان ستين ختمة .

وعن بحر بن نصر قال : كنا اذا اردنا ان نبكي قلنا ، بعضنا لبعض ، قوموا بنا الى هذا الفتى المطلبي ، نقرا القرآن ، فاذا اتيناه استفتح القرآن حتى تتساقط الناس بين يديه ويكثر عجيجهم بالبكاء ، فاذا راى ذلك امسك عن القراءة ، بحسن صوته .

شيوخ الشافعي :

سمع الشافعي من الامام مالك امام دار الهجرة والمغرب ومن سفيان بن عيينة شيخ محدثي مكة ومن مسلم بن خالد الزنجي مفتي الحرم المكي ومن محمد ابن الحسن الشيباني فقيه العراق وناشر مذهب أبي حنيفة وغيرهم من العلماء والفقهاء كثير ، وروي انه اخذ عن بن الحسن بصفة خاصة وكتب عنه حمل بعير من الكتب .

ثناء العلماء عليه :

كان الحميدي اذا جرى عنده ذكر الشافعي يقول: حدثنا سيد الفقهاء . وسئل ابو ثور ، ايهما افقه ، الشافعي او محمد بن الحسن ؟ فقال ابو ثور : الشافعي افقه من محمد وأبي يوسف وأبي حنيفة وحماد وابراهيم .

وعن وهب بن كيسان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : اللهم اهد قريشا، فان عالمها يملأ طباق الأرض علما ، اللهم كما اذقتهم عذابا فاذقهم نوالا ، دعا بها ثلاث مرات .

قال عبد الملك بن محمد فى قوله صلى الله عليه وسلم فان عالمها يملأ الارض علما، ويملأ طباق الارض، علامة بينة المميز ان المراد بذلك رجل من علماء هذه الامة من قريش ، قد ظهر علمه ، وانتشر فى البلاد، وكتبوا تآليفه كما تكتب المصاحف ، واستظهروا اقواله ، فهذه صفة لا نعلمها قد احاطت الا بالشافعي .

وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله يبعث الى هذه الامة فى رأس كل مائة سنة ، من يجدد لها دينها . قال احمد بن حنبل : ان الله تعالى يقيض للناس فى كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن ، وينفي عن رسول الله الكذب ، فنظرنا فاذا فى راس المائة عمر بن عبد العزيز وفى رأس المائتين الشافعي . وقال احمد بن حنبل ايضا: ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعي .

وقال ابو عبيد القاسم بن سلام : ما رايت رجلا قط اكمل من الشافعي .

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل : قلت لابي : اي رجل كان الشافعي ؟ فاني سمعتك تكثر من الدعاء له . فقال يا بني : كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للبدن هل لهذين من خلف ؟ او عنهما من عوض ؟

الشافعي المناظر :

لقد امتاز العصر الذى برز فيه الشافعي بكثرة العلماء وقوة شكيمتهم العلمية ، كما امتاز باقبال هؤلاء العلماء على البحث عن الحقيقة والانتصار للشريعة الاسلامية والذود عنها .

ولقد تفتحت اذهان هؤلاء العلماء عن اجتهادات كانت فى منتهى الاستجابة للمقاصد الشرعية ، وكانت هذه الاجتهادات تدفعهم الى المناظرة والحوار انتصارا للحق وخدمة للفكر الاسلامي .

ولقد امتاز الامام الشافعي بانه كان من أبرع المناظرين الامناء يتكلم بذلاقة لسان ويبرهن على آرائه بادلة معقولة ، تساعده عربية متينة ، رضع لبانها فى بادية قبيلة هذيل واطلاع واسع على مدرسة اهل الحديث اكتسبه فى المدينة المنورة ، ان استعمال الفكر والراي اخذه عن علماء العراق ومناظرته مع محمد بن الحسن نالت اعجاب الرشيد كما ان كتبه مملوءة بهذه المناظرات، وبالرغم عن هذا الباع الطويل، والنفس العالي ، فانه رحمه الله لم يكن ينشد الا اظهار الحق والصواب ، سواء على يده او على يد مناظره ، ولقد اثر عنه انه قال :

ما ناظرت احدا قط، الا أحببت ان يوفق ويسدد

ويعان وتكون عليه رعاية من الله وحفظه ، وما ناظرت احدا الا ولم ابال بين الله الحق على لساني او لسانه .

قال هرون بن سعيد الايلي : لو ان الشافعي ناظر على هذه العمود التى من حجارة ، انها من خشب لقلب ، لاقتداره على المناظرة . وعن ابن الوليد بن ابي الجارود قال : ما رايت احدا الا وكتبه اكثر من مشاهدته ، الا الشافعي ، فان لسانه كان اكثر من كتابه .

الشافعي الشاعر :

لقد كانت مشاركة الشافعي فى العلوم مشاركة قوية ، فكان يصول ويجول فى مختلف الميادين ، وان دراسته للغة العربية ، شعرها وآدابها واطلاعه على ايامها واخبارها. جعل شيخ اللغويين الاصمعي يصحح عنه شعر الشنفرى ، ويرجع اليه فى تثبيت أبياتها والفاظها وذلك يدل على تمكنه من ناصية الشعر ، مثل تملكه لناصية النثر . ومن يدري فلو لم تتجه به الاقدار الى التخصص الفقهي ، والاجتهادات التشريعية ، لكان من الشعراء المفلقين والادباء المجيدين .

وان الباحث فى ترجمته يعثر له على ابيات شعرية مختلفة ، تدل على باع طويل وشاعرية قوية .

فمن شعره :

ان الذى رزق اليسار ولم يصب
حمدا ولا اجرا لغير موفق
الجد يدني كل امر شاسع
والجد يفتح كل باب مغلق
واذا سمعت بأن مجدودا حوى
عودا فأثمر فى يديه فصدق

وينسب اليه قوله :

كلما أدبني الدهـ
ـر اراني نقص عقلي
واذا ما ازددت علما
زادني علما بجهلي

ومن شعره كذلك :

ماذا يخبر ضيف بيتك اهله
ان سيل كيف معاده ومعاجه
ايقول جاورت الفرات ولم انل
ريا لديه وقد طغت امواجه
ورقيت فى درج العلا فتضايقت
عما أريد شعابه وفجاجه
ولتخبرن خصاصتي بتملقي
والماء يخبر عن قذاه زجاجه
عندي يواقيت القريض ودره
وعلى اكليل الكلام وتاجه

ومن شعره ايضا :

امطري لؤلؤا سماء سرنديـ
ـب وفيضي ابار تكرور تبرا
انا ما عشت لست اعدم قوتا
واذا مت لست أعدم قبرا
همتي همة الملوك ونفسي
نفس حر ترى المذلة كفرا



حدثنا ابو الفتح المراكشي فقال : دعاني قريب الى زيارة كريمة ، لدار اديب تربطه واياه صداقة حميمة . وقال : هيا ابا الفتح الى وليمة فكرية ، وصحاف وصحف قديمة وجديدة عصرية ، فى دار صديق حصيف العقل سديد النظر ، ثاقب الفكر حديد البصر، ذي قريحة خصيبة الرباع ، ومخيلة رحيبة الباع ، انيسه وجاساؤه كتبه ، فهي رفاقه وزملاؤه وصحبه ، قد اتخذ من دراسة الاسفار شرعة ، ومن ارتياض رياض الافكار نجعة ، استقرى طرق المذاهب ومضايقها ، واستقرى غلف الفلسفات ومغالقها . وعندما تعاينه تخاله كشباب هذا الزمان، انسلخ عن ماضيه وفقد الايمان ، وعصفت به تيارات الشك والالحاد ، فاسلم لها رأسه واعراسه وانقاد . ولكن عندما تحادثه وتناقشه ، تكتشف ان له حصاة ، ورزانة واناة، من آمال الفتيان قامته، ونور الجديدان هامته ، قد جاب كل فج وتنوفة ، وولج كل لج ومخوفة ، واغترف من كل حوض ، واقتطف من كل روض ، اذا نطق اصاب ، واذا استمطر صاب ، وهو الى ذلك لصديقه صفي ، وبضيفه حفي ، خل ودود ، وخدن مردود . وجعل طول الطريق يثني على صديقه ومكتبته ، ويفديهما بروحه ومهجته ، ويقول : خزانته خزان ، يروي واحة الفكر بما يسيل من اوراقه ، وخزين ملآن ، باشهى ما يهيا من موائد الفكر واطباقه، وحديقة فيحاء كثيفة الاغصان ، رائقة الفنون وريقة الافنان ، وبعض مؤلفاته تعمل فى الفكر عمل النحلة ، تسري فى أوراق هذه الفلسفات والعقائد ، وتروح مع رائحة تلك الملة ، تسرب فى حقول الافكار والمذاهب ، تمتص من رياحين واقاح تلك النحلة ، وتعيل الفليط عسلا مصفى ينثر فى الصحاف نثرا مسجوعا وطليقا منه معفى ، او يقيد فى زجاجات التفعيلات ويوضع فى رفوف « البيت » موزونا ومقفى . وبعض المعاني كالفراشات المرفرفة ، في حدائق ورياض المعرفة ، او خرد حسان ، يخطرن فى جنان، يرتدين الكلمات غلائل وحبر (1) وفساتين ، موشاة بالوان غلال وزهر البساتين ، والعناوين الذهبية قلائد واساور والحبر رضاب ، يفتح شهية الفكر ويسيل ما له من لعاب ، فيا سعادة من فاز بهذه الدرر المكنونة، وحاز هذه الجواري والجواهر المصونة. وصدعني بصفات صديقه ومكتبته ، الى ان انتهينا الى باب شقته . ولم يطل بنا الوقوف ، فقد انفرج وخرج الشخص الموصوف . كان شابا طويل القامة جسيما ، طلق المحيا انيقا وسيما ، بشره يشف ، ونضرته ترف . فقلت فى نفسي حسن والله عيانه، فكيف يكون كيانه ، وهل يطابق حبره وسبره خبره وسبره (2) ؟ ورغم اننا اقتحمنا خلوته ، وكدرنا عليه صفوته ، فقد استقبلنا استقبال الاكارم الاخيار ، وقادنا بصدر رحب وترحاب الى داخل الدار . وطلب الصديق ان تقضي الزيارة داخل المكتبة ، فقبل اقتراحه ولبى مطلبه . وكانت كما ذكر ووصف ، جنة وارفة الظلال ، وافرة الغلال ، فروعها حانية ،

---

(1) حبر جمع حبرة ، الملابس النفيسة .
(2) السبر بكسر السين الهياة والحسن ، وبفتحها العلم والتجارب .

وقطوفها دانية ، صففت كتبها بذوق رفيع احسن تصفيف ، وغلفت بالوان زاهية اجمل تغليف ، فالمؤلفات القديمة الصفراء الفاقعة والشقراء ، تبدو كسبائك ذهبية ملفوفة فى مطارف مطرزة خضراء ، والكتب الجديدة البيضاء ، كقطع فضية لامعة فى مناديل حريرية موشاة حمراء .. كان هناك ثلاث خزانات ، الاولى خاصة بالقرآن الحكيم ، وحديث الرسول الكريم ، والفقه والتفسير والاصول والقراءات ، وكتب التراجم والتواريخ والسير والطبقات ، وعلى اليمين مؤلفات حديثة فى الفكر الاسلامي واعلامه ورجاله ، اما اليسرى فخاصة بالفكر الغربي وقادته وأبطاله . وقد سرنا اجتماع علماء الاسلام ، القدماء منهم والمحدثين ، وتعانق الفلاسفة والمؤرخين والفقهاء والمحدثين ، فكنت ترى مالكا والشافعي والعقاد وابن تيمية وانور وجدي ، فى احاديث ودية مع ابن حنبل وابي حنيفة وقطب والمودودي، ومسلما والبخاري والترمذي والمسعودي، يناقشون قضايا اسلامية مع الغزاليين وابن عربي وابي حيان التوحيدي، وعلال الفاسي وشيث خطاب وابن الخطيب وبنت الشاطيء وابن الشاطبي، فى جلسة عائلية مع الافغاني ومحمد عبده والكندي وابن رشد والفارابي، وعمر فروخ ويوسف القرضاوي ومحمود الصواف وعبد الله كنون ، يتساقون كؤوس الفكر الاسلامي مع عبد الله السمان ومحمد البهي ومالك بن نبي وابن خلدون، والامام شلتوت والغمام وعبد الفتاح طبارة والطبري ، فى ضيافة القاضي عياض وابن حزم والفقيه العبدوسي والزمخشري . كل هذه الاسماء القارعة للاسماع ، كانت تنادي من خلف الزجاج اللماع ، تطالب بقراءتها ودرسها ، وتغري بالقطاف من غرسها ، وعلى مكتبه الاخضر الانيق مجموعة أخرى قرات منها هذه العناوين : الحلول المستوردة وكيف جنت على امتنا ، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، اباطيل وأسمار، ما يقال عن الاسلام ، شبهات حول الاسلام ، النكسة والخطأ ،الاستعمار اطماع واحقاد ، التبشير والاستعمار ، المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام، الافعى اليهودية فى معاقل الاسلام ، كارثة القرم الاسلامية ، الهلال الشهيد ، بروتوكولات حكماء صهيون ، مدفعية اسرائيل النفسية ، الدنيا لعبة اسرائيل ، لعبة الامم ، لعبة اليمين واليسار .. قال الراوي : ازداد شوقي الى ان يتحدث الاديب ، ذو الغصن الرطيب ، وبرد الشباب القشيب، وبديقنا من غاب رياضه ، وعذب حياضه ، لارى هل توافق فصاحته صباحته ، وبهجته لهجته ، أم ان طعامه طبخ على نار الحباحب ، وشرابه سراب السباسب. فأوعزت الى الصديق ان يفتح معه باب الحوار، ويطلب منه ان يحدثنا عن بعض ما لديه من الافكار ، لنعرف هل اثرت فى نفسه هذه الكتب والاسفار ، ام انها مجرد حلية وحيلة بارعة لجلب الانظار ، والفوز باعجاب الزوار ، فرد الصديق : لقد أعطيت القوس باريها ، واسكنت الدار بانيها ، ثم سأله :

ــ كيف حالك ابا نصر، وقاك الله العي والحصر.

ــ اتقلب فى الحالين بؤس ورخاء ، واتقلب مع الريحين زعزع ورخاء ، والحمد لله على كل حال ، للكبير المتعال ، على ما اسبغ من عطاء ، وأسبل من غطاء .

ــ ليس عن هذا سؤالي، ولا هو ما يشغل بالي ، اقصد كيف حالك مع الفكرة التى تملا اقطار نفسك وتقلقك ، اعني القضية الاسلامية التى تشغل ذهنك وتؤرقك .

ــ اود ايها الصديق ، ما كنت اريد ان تنكأ ما بقلبي من جراح وتحيل فرحي بزيارتكما الى اتراح ، ومعنا ضيف كريم لا يسمح المقام ان نسقيه هما وقرحا بدل القراح .

ــ انه يرغب فى سماع مثل هذه الاخبار ، والتعرف على ما يحدق بالمسلمين من مهالك واخطار.

ــ اذن لا بد مما ليس منه بد، قالها وقد بدت عليه الصراحة والجد ، وبعد ان اطرق قليلا رفع رأسه وقال :

لن احدثكما عن مصائب المسلمين ونكباتهم فى باكستان وفلسطين ، ولا عما ينتظرهم فى الهند وقبرس والفلبين ، ولا عما اصاب وحدتنا من تصدع وانشقاق وانقسام ، بعد الاخوة والوفاق والانسجام، ولا عما اعترى مجتمعاتنا من انحلال واختلال ، وما صاحب ذلك من غزو خبيث واحتلال ، ولا كيف سلط الله علينا احقر جنس وانجسه ، فداس فى مسرى رسولنا ودنسه ــ وما كانوا يقاتلون اجدادنا الا كنساء الخدور ، فى قرى محصنة او من وراء جدر ، وهاهم اليوم يصولون ويجولون باسم الدين والتوراة ، بينما يدخل بعضنا القرآن والاسلام فى باب التراث ــ ولا كيف غرر بالشباب ، وخلبت له الالباب ، فطوحت بريحه الاعصارات ، وجرفت

مجراه التيارات ، ففتر حماسه وانطفأ توقده ، وحلت روابطه بربه وعقده ، وابتلي بمعاقرة العقار ، وخلع رداء الوقار ، واستبدل غشيان المساجد وقراء المثاني، باتيان الحانات ونشد الاغاني . ولا كيف طرقت بناتنا اوكار الموبقات وولجن بابها ، وتنصلن من العفة وشققن جلبابها . ولا كيف نشأ فينا الخبث والمخادعة، والفحش والمقاذعة، واغرمنا بالهتار، وهتك الاستار، وكلفنا بالحدد واللدد ، وتنكبنا عن الجدد والسدد ، وتمزقنا يمينا ووسطا ويسارا ، يكيد هذا الجناح لذاك سرا وجهارا ، ويمكر بعضنا ببعض مكرا كبارا . ولا كيف ان الاستعمار ، قبل ان يغادر الديار ، ويرفع كلكله ويسحب ذلاذله ، زرع في الساحة الاسلامية افراخه وأراذله ، ونصبهم كالشراك والفخاخ ، يتابعون عملية غسل المخاخ . ولا كيف اقصي فريق الفكرة الاسلامية ، ووصم بالرجعية والجمود والانهزامية ، ولم يترك له من الوظائف الا العلالة ، ومن الامتيازات الا البلالة ، لينشغل بتدبير حالته ، ويدبر عن رسالته . ولا كيف اجدب فكرنا بعد الاخصاب ، وامحل بعد الازهار والاعشاب — وهو الذى انرى المشرقين ، واضاء نوره الخافقين — ولا كيف فعل الغزو الفكري والاعلامي فينا فعله ، فاعلى رؤوسنا حذاء الجهل ونعله ، فاستوت لدينا الانوار والظلم ، واستسمنا ذا ورم ، واستدفئنا بغير ذي ضرم ، واعتقدنا ان في يد الاجنبي مهماز يقظتنا بعد الرقود ، وفي تقليده تحريك دواليب نهضتنا بعد الركود ، وفي الاقتباس منه تأجيج نارنا بعد الخمود ، وهدايتنا وارشادنا بعد الحيرة والسمود — وهل يسلم السجان سجينه مفتاحه ، ويهديه خيره وصلاحه ؟ — ولا كيف اصبح المسلمون على الغرب عالة ، يستوردون ماله من فكر وفلسفة وآلة ، الى برقه الخادع يركضون ، والى سناه يرفضون — وما لوامعه الا يلامع (3) القاع ، ويرامع (4) البقاع — على موائد فلسفته مضبون (5) ، والى دعوة كؤوس فكره ملبون ، — وما فلسفته الا نظرة مبرقشة ملفقة ، وخمرة سامة منقعة معتقة ، نهلها بحران (6) وعللها خسران — الى آخره ، فما يغشانا من ليالي نجومها مغمومة ، وغيومها مركومة ، وما نمتصه من حلويات حضارة مسمومة ، ونعمل به من افكار ومذاهب ملغومة ، هذا الواقع كله ، ولم يحضرني الا اقله ، ليس الانتاج شجرة شمخت في تشريعاتنا واحكامنا فروعها ، بعدما بذرت في نفوسنا وفكرنا بذورها ، واينعت في تصوراتنا ونظرتنا زهورها ، فصارت لنا غلالها لنا قيودا واغلالا، وظلالها ظلاما لنا وعمى وضلالا ، تسمم فكرنا ونفوسنا ثمارها ، وتحرق قيمنا واصالتنا جمارها . فوالذي فطر السماء ، وعلم آدم الاسماء ، وانزل المطر من الغمام ، واخرج الثمر من الاكمام ، أن المسلمين لن ينبسط حفرهم ، ويعشوشب قفرهم ، وتترع حياضهم ، وتمرع رياضهم ، وتعمر دورهم ، ويعم نورهم ، الا اذا استيقظوا من سباتهم ، ووعوا مخططات عداتهم ، وافشلوها بهجران ما هيىء لهم من مسارب ملتوية سوداء ، والعودة الى الصراط المستقيم والمحجة البيضاء ، التي رسمها القرآن وعبدتها السنة للسالك، والتي لا يزيغ عنها الا غاو وضال وهالك .

انظر الى هذه الكتب ، فانها تميط النقاب ، وتنقب وتزيح اكوام التراب ، عن بذور خطة جهنمية ، لمحو الاسلام واستعباد الامم الاسلامية ، وتجريدها من ماضيها وتراثها وحضارتها ، وسلخها عن دينها ولغتها واصالتها ، ومسخها اذنابا تابعة ، وكلابا تحت الموائد قابعة ، تقتات بما بقي على موائد السيد من لماظة ، وما تساقط من مزاود فكره من نفاضة ، ودفعها في ليل دامس ، وطريق طامس ، والعجيب ان الخطة تنفذ بحذافيرها ، والشراك تنطبق على عصافيرها ، ونحن في غفلتنا سادرون ، وفي المسارب التي رسموها لنا سائرون ، لا ننحرف عنها ولا نعيد ، كأن على جانبينا اسوارا من حديد ، او كاننا لا نقرا ما جد في عالم المطبوعات من جديد . لن اثقل عليكما بذكر الصفحات وارقامها ، ولا بالعودة الى مراجعها واعلامها ، وانما ساصب لكما عصير الاوراق في كاس قصة ، يشي بلورها الشفاف بما يعتصر قلبي من حسرة وغصة . فاستمعا وعيا واستعينا بما لكما من احساس مرهف وفكر سديد ، ففي ما احكيه تذكرة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

---

(3) يلامع : جمع يلمع ، السراب .
(4) يرامع : جمع يرمع ، حصى بيضاء زجاجية اللمعان .
(5) اضب على الشيء : اقام عليه ولازمه .
(6) البحران : شدة التغير ، من مرض او غيره .

في بداية القرن العشرين ، ضمت جلسة ثلاثة خبثاء ماكرين ، التقوا حول مائدة سوداء ، تلفهم العداوة والبغضاء ، علق الاول على صدره صليبا نحاسيا ، ووضع امامه علما وسيفا صليبيا ، وكان امام الثاني نموذج مجسم لخريطة البلاد الاسلامية ، اما الثالث فقد رسم على صدره وذراعه نجمة سوداء سداسية ، ووضع امامه كرة ارضية .

صاحب الصليب :

ان النار في قلبي مضطرمة ، واحاسيس الانتقام في نفسي محتدمة ، فلا يزال خيال الحروب الصليبية يخفق في وجداني ، ولا زالت ذكراها تنبض وتهز ذاتي وكياني ، فكلما ذكر الاسلام وجف قلبي ، وارتج جسمي واطار لبي ، وتفرقت نفسي شعاعا ، وارعدت فرائصي ارتياعا . فلا زالت قذائفهم المحرقة ، وجحافلهم الزاحفة المطبقة ، وصيحاتهم المجلجلة المصعقة « الله اكبر ، فتح ربي ونصر ، وخذل من كفر » ، لا زالت هذه الاصوات والصور تغلي في قلبي وتثور ، وتطالب بالانتقام وشفاء ما بالصدور ، وان يشفي عليلي ، ويروي غليلي ، ويسلي قلبي ، ويسري كربي ، غير هدم الاسلام ، وقبره في الظلام ، فلن تنطفيء ناري المبرح بنفسي استعارها والملفح وجهي شعارها ، حتى يخلو مراحه ، ويخبو مصباحه ، ويحل الفناء بفنائه ، والنوب ببنائه، وتصبح بيوت المسلمين قفرا ، وتخونهم صفرا ، وراشدهم حائرا ومرشدهم بائرا .

صاحب الخريطة الاسلامية

عندما جرعني المسلمون النهلة المرة، ودحروني واخرجوني اول مرة من التركستان والقوقاز والقرم ، بعد فلسطين ومصر والشام ، عكفت على نفسي افكر في هؤلاء الاقوام ، كيف استطاعت هذه القبائل المتفرقة ان تصبح قوة غالبة ، فتهزم جيوش الرومان وتقهر التتر والصقالبة، وهي التى كانت في صحرائها مغمورة، وحروبها تكاد تكون بينها محصورة ؟ وادركت ان سر نجاحهم ، وسبب فلاحهم ،لا يرجع الى فروسيتهم الحربية ، او الى ارومتهم العربية ، وانما يكمن اولا واخيرا ، في دينهم الذي يعد لهم نصيرا وظهيرا ، فهو جذوتهم في الظلمات ، ونجدتهم في المدلهمات ، وركنهم الركين ، وحصنهم الحصين. واستنتجت انني لن افلح فلاحهم ، الا اذا استعملت سلاحهم . فاخذت اوغر على الاسلام الصدور ، وادعو بالويل والثبور ، وعظائم الامور ، اشوه سيرة رسولهم في عين اتباعي ، وتعاليم دينهم في بقاعي ورباعي ، ابالغ في تصوير همجية خلفائهم ، ووحشية حكامهم وامرائهم ، اخطب في الجموع الجاهلة ، التى كانت عن خطتي غافلة ، ادعو الى القيام بحرب مقدسة دينية ، تسترجع مسقط راس المسيح في الاراضي الفلسطينية ، فنجحت دعوتي ، وترددت اصداء صوتي ، في فرنسا والنمسا ، وبولونيا واسبانيا ، وانجلترا وايطاليا ، وبروسيا وروسيا ، ولبست مسوح الرهبان ، وعلقت على صدري الصلبان ، واغتنمت تنازع المسلمين وتقاتلهم ، وتهاونهم وتخاذلهم ، فنجحت احدى دهماتي ، واثمرت بعض هجماتي ، فركزت اقدامي في الشواطيء ، ومهدت فيها المواطيء ، وحصنت القلاع والمعاقل والمستعمرات وشرعت في دس الدسائس وحبك المؤامرات، ليزداد المسلمون تنازعا وتخاذلا وركودا ، وازداد نحو غايتي سرعة وركوضا، الى ان يرسخ قدمي ويستد ساعدي ويتوارد عددي ومددي ، وبعدها اقوم بجولة تالية ، تقرب المسلمين من صحرائهم الخالية . الا انه بدا في الافق شيء خطير، انذر مخططاتي بشر مستطير، فقد ظهر المدعو صلاح الدين ، وعمل على توحيد المسلمين ، ودعا الى الجهاد وحرب مقدسة ، تطهر ما اسماه بالاراضي المدنسة ، وللمرة الثانية دمرني المسلمون ، وكان من نتائج حظين ما تعلمون . فعدت الى بلادي ، وقد طال ارقي وسهادي ، افكر في هؤلاء الاعادي . ثم دارت الايام دورها ، وتقلبت الاهلة حورها وكورها ، وشهدت ارضي قفزة علمية هائلة ، ونهضة صناعية شاملة ، نتجت عما كان بيني وبين المسلمين والاسلام ، من اتصال والتحام ، سواء في ميادين الحرب والصدام ، او في مجالات التعايش والسلام ، في جنوبي فرنسا وايطاليا ، وقبرص وصقلية ، والمجر وبلغاريا ، في جامعات الازهر والزيتونة والقروين ، وفي آستارا (7) واشخباد (8) وسواحل قزوين ، في معارك القدس ، ومعاهد الاندلس. كما افادني ما اختطفت ونهبت من مكتباتهم،

---

(7) آستارا ، مدينة على ساحل قزوين .

(8) اشخباد ، مدينة على الحدود الروسية الايرانية .

وما قطفت وترجمت من مؤلفاتهم ، فاستغللت علومي، في تحقيق حامي ، وتفريج همومي ، واخترعت أدوات الخراب والدمار ، وشحنت الاساطيل بالحديد والنار . وزيادة في اخذ الحيطة والحذر ، ولكي لا تتعرض خطتي للخطر ، ولكي استفيد من تجارب الدرس السابق ، امرت الا ينفخ في النفير ، ولا ينعق او ينهق ناعق او ناهق ، واعطيت اوامر مشددة ، وتعاليم محددة ، بالا ترفع الشارات الصليبية ، حتى لا تثار الحمية الهلالية ، وان يكون هجومي على شكل دفعات متفارقة ، ودفقات متلاحقة ، تكتسي طابع النزاعات الدولية ، ورداء البحث عن المواد الاولية ، وتصريف الحاصلات ، وتامين المواصلات . ثم خرجت اساطيلي تروع البحار ، وكلي ثقة في تحقيق الانتصار . فانطلت خدعتي على القوم ، وغشيتهم الغفلة والنوم ، فبعد ان طهرت منهم جزيرة ايبريا ، طاردتهم في آسيا وافريقيا ، والتركستان والقوقاز وسيبريا ، وبعدما اصليت اسوار طنجة وتطوان ، وخربت عروس قزوين استراخان ،طارت احلامي الى مسجد ابن طولون وطبرية وصفد ، وخامرت مخيلتي خمائل بخارى وسمرقند . اسقطت راية الاسلام في كراتشي ودهلي وداكا ، وتعلقت عيناي باعلامه في كركوك ودمشق وعكا ، زعزعته في الخرطوم وبماكو، وزحزحته عن باطوم (9) وباكو (10) ، غرست علمي فوق جبال الاوراس وغسلت قدمي في مصبي الاورال واراس (11) ، اغلقت المساجد الوهرانية ، واغرمت بالصوامع الطهرانية . غير ان نجاحي لم يكن كاملا واحتلالي لم يكن شاملا ، فقد اطلع على جلية خطبي، وتنبه الى خبيئة خبي ، ونفر مرة اخرى في النفير ، وارتفع ذلك النداء النكير ، « يا مسلمي العالم اتحدوا ، ولاعادة مجدكم استعدوا ، وباسلافكم اقتدوا ، بنبراسهم اهتدوا » تلك الصرخة التي أثار جمال الدين غبارها، واضرم محمد عبده نارها ، واضاءت السلفية في الخافقين منارها . ففعلت فعل النار في الهشيم ، والترياق في الملدوغ السقيم ، فلا يقلقني أيها السادة ويرهبني ، ويقض مضجعي ويرعبني ، غير ان ارى الشعور الاسلامي قد بعث وعاد ، واصبحت له السيطرة على البلاد والعباد ، فعندها تشيل كفتي ويزل قدمي ، ويشتد تحسري وندمي ، على ما انفلت من يدي من خير وضاع ، واندثر من احلام واطماع . وما حضرت جلستكما وقعدت هذه القعدة، الا من اجل الحيلولة دون بروز تلك الصخرة الصلدة، التي يسمونها الاتحاد الاسلامي والوحدة ، واحالة توافقهم تشاققا ، وتعانقهم تخانقا ، وتحاببهم تخاببا، وتمادحهم تسابا .

صاحب النجمة السداسية

انصتا ايها الاخوان واسمعا ، انني اجمع رغبتيكما معا ، غير ان ما يغلي بقلبي الحقود ، من كراهية واطماع ليس لها حدود . فلائحة حساباتي مع الاسلام والمسلمين طويلة عريضة ، ترجع الى وقائع بني قينقاع والنضير وقريظة، وما نتج عن ذلك من تقتيل وتشريد لنا ، واستيلاء محمد واصحابه على قلاعنا واموالنا ، ورغم انهم أكرموني في الشام ، وعاملوني بكل تسامح واحترام ، ورعوا لي حرمة وذمما ، فان مراجلي لا تقذف الا حمما ، وسعادتهم لا تملأ نفسي الا غما وهما ، فما يزيدهم قوة ويقظة واتحادا، لا يزيد ناري الا اذكاء واضراما واتقادا ، وقد وضعت خططا منظمة ، تنفذ باساليب محكمة ، تستهدف اولا الاستيلاء على فلسطين ، كبداية لاذلال المسلمين ، ودق في عزتهم آسفين ، ثم التمدد الى الممرات المائية والخلجان والقنوات ، تمهيدا لاحتلال بلاد العرب واستغلال ما فيها من خيرات وثروات ، فما شعارنا من النيل الى الفرات ، الا خطوة ستتلوها اخريات ، فهناك خريطة من العراق الى حضرموت ، ومن البحرين الى بيروت . فلن ينطفيء ما بقلبي من ضرام ، حتىاخرب المسجدين الاقصى والحرام ، واعفر انوفهم في الرغام ، وأسنهم رمادا ، واشربهم سوادا ، واحيل عيشهم مرا ، وسرهم ضرا ، وغبراءهم محلا ، وغلباءهم قحلا .. ولن احدثكم عن تفاصيل هذه المخططات ولا كيفية تحقيقها ، ولا عما سيصيب المسلمين من عذابها وحريتها ، الا اذا خرجت الخطوة الاولى الى النور ، ونفست عن بعض ما في الصدور . وانا لن استطيع تحقيق كل هذا

(9) باطوم ، على البحر الاسود ، يصدر منها فحم وبترول القرم الشهيدة .

(10) باكو على ساحل قزوين ، غنية بالبترول .

(11) الاورال والاراس : نهران يصبان في بحر قز وين .

وحدي ، تكونا عضدي وساعدي ، اشددا أزري ، اشركتما في أمري ، كونا لي جناحين أكن لكما راسا مخلبا ، لتكون ثالوثا يصب العذاب على المسلمين صبا، وبحقنهم سما ووصبا ، اغرسا قدمي في القدس والناصرة وعكا ، لابدا في دنه حسون دينهم ووحدتهم دكا . والآن اريد ان اعرف ماذا أعددتما ورسمتما ، لانسق مخططاتي مع مخططاتكما ، حتى لا يكون في وسائلنا تعارض ، وفي اهدافنا تناقض .

صاحب الصليب

لقد التحمت مع المسلمين في معارك ضروس ، خرجت منها بتجارب مرة ودروس ، ان اسلامهم يسلحهم بمتاريس نفيسة وتروس ، لا تنال من مناعتها المجانيق والقؤوس ، فقد باءت كل حملاتي بالخيبة والخسران ، ورجعت اجر اذيال الذل والحسرة والهوان ، وبقي الاسلام كالطود الراسخ ، والجبل الاشم الشامخ، لذلك هجرت سيوفي وسهامي ورماحي ، واتخذت من التبشير والتعليم انجع سلاحي . وليس هدفي نشر المسيحية بينهم كعقيدة ، وهدايتهم الى ديانتنا العتيدة ، فالمسلمون انجاس اوغاد ، لا يستحقون الهداية والارشاد ، وكيف ارجو لهم الخير وقلبي تأكله الاحقاد؟ وانما مرماي ومقصدي ، ومغزاي ومنشدي ، زعزعة عقيدة المؤمن وبث الشكوك في فكره وكيانه ، وزحزحته عن الاسلام وفهم روابطه بربه وايمانه ، لتستحكم في نفسه أوصابها ، ويشتد تمزقها وعذابها ، وللوصول الى هذه الغاية السعيدة ، سلكت سبلا متنوعة عديدة، كتوزيع الصدقات على الفقراء والمعوزين ، والاحسان الى المتشردين والمنبوذين ، والظهور بمظهر الزاهد المتقشف ، ومغيث المحروم المتلهف ، وفتح المستشفيات للعلاج وتوزيع الادوية ، كوسائل لتحطيم ما لهم من عقيدة صلبة قوية . ومن وسائلي البعيدة الآثار ، انشاء مدارس لتعليم الصغار ، وغايتها تخريج اجيال شبيهة بالامم النصرانية ، مفصومة الصلة بالملل والنحل القرآنية ، لا هي بالمسيحية ولا هي بالمسلمة ، وانما اشتات متمزقة متحطمة ، وبهذا تنطفىء ناري المضطرمة . الا تريان ايها الاخوان العزيزان ، انني أمكر من الاباليس ، واكثر ذكاء ودهاء ودسائس ؟

صاحب الخريطة الاسلامية

يا لك من ثعلب ماكر ، تنفذ خطتي اولا بآخر ، كأننا متفقان في الباطن والظاهر . انا ايضا استعمل التبشير والتعليم، كوسيلة للتخريب والتحطيم، لكن لا لمجرد الانتقام من الاسلام ، وانما لتحقيق الاماني والاحلام ، فقد هدتني تجاربي المرة ، واخفاقي مرة بعد مرة ، انني لن اتمكن منهم وابلغ غايتي ، الا اذا غرست في قلوبهم ــ لا في أرضهم ــ رايتي . ولكي افتح ذلك الركن الركين ، والكن الكنين ، وأطرد منه سلطان الاسلام المكين ، رايت ان الطريقة المثلى ، والوسيلة الفضلى ، هي أن اختبر المسلمين واعجمهم، واستبطنهم واحل مترجمهم. فدرست دينهم ولغتهم، وادبهم وحضارتهم ، وسبرت سرائرهم وقرائحهم ، وخبرت شائلهم وراجعهم ، وماتحهم ومائحهم (12) ، وسانحهم وبارحهم (13) وسابحهم وسارحهم، وناشبهم ورامحهم ، ومعصومهم وموصومهم ، ومظلومهم ومنصوفهم ، فوصلت الى راي قاطع ، اباته لي قبس ساطع ، ان المؤمن الحق ، والمسلم الصدق ، يتمتع بارادة قوية نضالية ، وثقة في النفس ومعنوية عالية ، فهو ماضي العزيمة ، قوي الشكيمة ، صعب مراسه ، خشية امراسه ، صلب العريكة ، صلد الفريكة ، عزيز النفس ابي ، يرفض الذل والخضوع للاجنبي. فلكي احطم ما للمسلمين من قوة رافضة صامدة ، واجعلهم أمة سلبية خاملة سامدة ، ضالعها ظليع ، وصالحها خليع ، وقائقها مائق ، وخالصها مماذق ، وظفت مرتزقة من المبشرين ، وبعثتهم الى ديار المسلمين ، لنشر صوفية ومذاهب الفلسفة المسيحية، الداعية الى الايخاء والمحبة والاريحية، حتى اذا صفعتهم على خدهم الاغر ، منحوني الآخر الايسر، وانشات مدارس للتعليم ــ آه للتجهيل والتعقيم ــ قناعها التنصير والتبصير والتحرير ، ووجهها التخسير والتسخير والتغرير . والا كيف اضيع مالي ووقتي ، وفكري وطاقتي ، في نشر دين اثخنته العلوم وكفنته العلمانية ، وتخرته المادية والوثنية الرومانية ، فلو بعث المسيح لوجد نفسه في الغرب غريبا ، لا يجد مؤمنا حقا ولا صديقا او قريبا . فلهذا اتظاهر بالتدين واحمي الكنائس واتباعها خارج بلادي، واظهر على حقيقتي ــ كافرا ملحدا ــ داخل ارض

(12) ماح يميح : اغترف الماء بيده ، امتاح : استخرجه بالدلو .
(13) السانح الذي يأتي من جانب اليمين ، والبارح من اليسار .

اجدادي . فما التبشير بالنسبة لي فى مراميه البعيدة وغاياته ، الا وسيلة لاستئصال الاسلام واجتثاثه، وهدم عقيدة المسلم وارادته الصلبة واذلاله، واحتلال العالم الاسلامي واستغلاله . اما التعاليم فغايتي من وراء نشره ومطلبي : تخريج جيل يتجاوب مع فلسفتي ومشاعري ومشربي ، اتخذه اداة لنشر افكاري ونظرياتي ، وتنفيذ مخططاتي ومشروعاتي. فما رايكما فى عبقريتي والمعيتي ؟

صاحب النجمة السداسية

انكما تحومان حول الموضوع، ولا تميزان بين الاصول والفروع ، ولا تفرقان بين الاشكال والظواهر، وبين المضامين والجواهر . فعملكما ايها الاخوان ، كعمل صاحب حقل به افعى وافعوان ، يخرجان له كل سنة افاعي صغيرة عديدة ، ينشغل بقتلها ومطاردتها اياما مديدة ، ولو كان بعيد النظر ثاقب الفكر ، لاتجه رأسا الى الوكر. وعدوانا اللدودان هما الخلافة والقرآن ، فمهما خططتما ونفذتما ، وبقي هذا الثنائي قويا سليما ، فان عملكما سيكون عقيما سقيما ، فمهما علمت انت (علمت انت) وبشرت، وحرفت من الاسلام وزورت ، وبقي القرآن حيا ، فان عملك سيكون واهيا ، لانه بالنسبة للمسلمين كالمرآة الصقيلة، فيه يرون وجههم الحقيقي واصالتهم الاصيلة ، وبواسطتها يكتشفون ما شاب دينهم وقيمهم من شوائب دخيلة . ومهما فتتت انت وحدتهم ، وكسرت صلدتهم ، ومزقتهم بددا ، وطرائق قددا ، فان الخلافة التى تكتسي قداسة الدين ، قادرة فى كل وقت وحين ، على ان تحيل تخالفهم تحالفا ، وتقاذفهم تآلفا ، وتدابرهم تضافرا، وتناحرهم تناصرا ، ولأترك الكلام عن الافعوان الى جلسة تالية ، واحدثكما عما خططته للافعى فى اللحظة الحالية . وليكون لمخططاتي فى نفسيكما أثر وقيمة، اذكركما ببعض ما قامت به الخلافة من اعمال جسيمة، حديثة وقديمة . اذكرا ان ظهور العثمانيين كان لريحكما اعصارا ، فعندما جاء الاتراك وأثارت خيلهم بالاناضول غبارا ، كانت الجيوش الاسلامية بها تعاني تراجعا وانكسارا ، وموجاتها تعاني جزرا وانحسارا، فحقنوها بدماء فتية قوية ، بعثت فيها نشاطا وحركة وحيوية ، وكانت لهم معارك فاصلة مع الروس والروم ، فى جبال طورس وانقرة والقرم وكوردوم ، وتوجوا انتصاراتهم العظيمة ، بفتح عاصمة الامبراطورية الرومانية القديمة . وحولوا كنائسها كتاتيب للقرآن ، ومساجد يسمع فوق صوامعها الآذان، واسكتوا النواقيس وانكسوا الصلبان ، وساعدوا على نشر دياناتهم وتعاليمها ، فى بقاع أوربا واقاليمها . وامتد نفوذهم من كابول الى استانبول ، ومن كرمان ، الى ام درمان ، ومن جبال بنطس (14)، الى سلسلة الاطلس ، وحولوا بحار مرمرا والاسود والاحمر والابيض ، الى بحيرات اسلامية ، ووصلت مدافعهم الى الديار النمساوية ، وهددوا مواصلاتكم فى البحار ، وضيقوا على اوروبا خناق الحصار . والخلافة هي التى وقفت فى سبيل تحقيق ما لك من اغراض ومرامي ، وافشلت مخططاتك فى اتمام احتلال العالم الاسلامي ، فعندما كنت تخطو نحو الخرطوم ، كانت جيوشها تتحرك فى ارضروم ، وعندما كنت تقترب من الصويرة وأزمور ، كانت أساطيلها تبحر من أزمير وصور، وعندما كنت تقتبل اقليم القوقاز ، كانت ترفع « الله اكبر » فى منطقة الاهواز . . لن اطيل فى حديثي عن مصائبكما اكثر ، مع هذا العدو الذى لا يقهر ، والجيش الذى لا يدحر ، فلقد اذاقكما مر العلاقم ، ووقف لكما عظم شجا فى الحلاقيم ، وما مواقفه من مراكزكما التبشيرية بخافية ، فلكما فى هذا الموضوع معلومات ضافية . أما بالنسبة لي فلن افتح ما لي مع الخلافة من حسابات ماضية ، ومالتبادلناه من الضربات التى ستكون اواخرها لها قاضية ، فلن احدثكما عن تدبيرنا لاغتيال محمد الفاتح ، وكيف أصاب الخلافة بفقده خسران فادح ، ولا عن اغتيال أبناء سليمان القانوني وأحفاده الصغار، من طرف « توربانو » سليلة الشعب المختار، فهذه صفحة طولها اربعمائة عام ، فلنطوها ونفتح ما جد فى هذه الايام ، فقد ذهب الى الاستانة وفد متكون من ثلاثة اقطاب عظام ، هرتسل وقره صو وموشي ليوي الحاخام ، وساوموا الخلافة عن فلسطين ، بقناطر مقنطرة من المعدن الثمين ، لكنهم وجدوا لدى الخليفة عبد الحميد ، ارادة رافضة أصلب من الحديد ، فردهم خائبين وقال لهم ، ان فلسطين ملك المسلمين جميعهم ، ولن استطيع ان افرط فى اماناتهم وودائعهم ، لم يشترها أبو عبيدة وشرحبيل وخالد ، ومن تحت امرتهم من الابطال

(14) سلسلة جبال قريبة من البحر الاسود .

الاماجد ، وانما دخلوهـا مقاتليـن ، وفى سبيل الله مجاهدين ، وتركوا دماءهم على صخورها ورمالها ، فكيف ابيعها لكم بمتاع الدنيا ومالها . ولهذا خططنا لهدم الخلافة وزلزلة اقدامها ، وانتكاس راياتهـا واعلامها ، وتحطيم هذه القوة العتيدة ، التى تقف فى سبيل احلامي واحلامكما السعيدة . ففي كيانها يجب ان ينزل الخراب ، والى صدرها يجب ان توجـه الحراب ، فلماذا تبددان جهودكمـا ايهـا الاخـوان وتعميان عن وكر الافعى والافعوان ؟

صاحـب الصليـب

لا اسمح لك بوصفي بقصر النظر ، والعجز عن رؤية مكمن الخطر ، فمنذ عقود وعهود ، ادركت ما للخلافة من سلطة ونفوذ ، وادركت انها مركز الدائرة الاسلامية وقطرها ، والقبلة التى يولي المسلمـون وجوههم شطرها ، والمنبع الذى يمتد شعاعه وغدرانه الى باقي الاقطار، وايقنت ان نيـل المنـى وقضـاء الاوطار ، يكمـن فى تسميـم هذا النبـع بالتبشير وتعريضه للاخطار ، لانها كالمصبـاح الجـاذب للفراشات الباحثة عن النور والظهور ، والراغبين فى السلطة وحياة البلاطات والقصـور . فادخلت ابنـاء هؤلاء مدارسي ، وجعلتـهم طرائـدي وفرائسـي ، وكفلتهم مذ دبوا ، الى ان شبوا ، وارضعتهم ما شوه من تعاليم المسيح عليه السلام، والبان الحقد والكراهية ضد الاسلام ، وابعدتهم عن شوبـه (15) ، وروبـه وصوبه ، وصورته لهم طعاما غثا ، وثوبا رثا ، وقلما رديئا ، وسيفا صدئا ، فخمـدت فى انفسهـم جذوته ، وصدئت فى اعينهم جلوته ، ولما ارسلـوا الى بعض الاقاليم حكاما وسادة، نصبوا انفسهم عن المسيحية المزودة ذاذة ، وشوهوا الاسلام وما له من دعاة وقادة ، وضيقوا على العلماء واسكنوهم قفصا، وتوزعوا مناصبهم العليا حصصا ، لم يتركوا لهم من وظائف القيادة ، ومراكز السيادة ، الا حثالة المآكل، وثمالة المناهل ، وكموا افواههم ووضعوا اقلامهم فى الاسار ، فتربوا بعد الاتراب واعسروا بعد الإيسار ، فكيف تغمز من قناتي ، وتغض من حصاتـي ، وقد رايت صنائعي تقضى لبانتـي ، فتفـرج غمتـي ، وتروى غلتي ، وتزحزح اقدام الخلافة ، تحت قناع نشر الدين والثقافة ؟

صاحـب الخريطـة الاسلاميـة

وانا ايضا ادركـت ان الخلافـة قلب الاسـلام النابض ، والمصدر الـذي يتخـرج منـه الرافـع والخافض، والباسط والقابض ، ومربض ابناء الاعيان والامراء ، وذوي الشان والوزراء، وكعبة الراغبين فى تذوق حلاوة الحلم والرياسة ، والمفرمين بجاه النفوذ وسلطة السيـاسة ، وادركت ان بـذوري لا يمكن ان تثمر ، وليل خوفي من يقظتهم لا يمكن ان يقمر ، ما لم اخضع هذه النخبة لازمتي واحبولتي ، وادللهـا واربطها بعجلتي ، واقلدها سيفي ونبلي ، واسخرها حاطبة فى حبلي . فنصبت حولها شراكي ، وادرتها فى جاذبية افلاكي ، واتخذت من ادمغتهـا وقلوبهـا اراضي للبذار ، وزرع العواطف والافكار . وعندما عادت الى بلادها وشاركت فى تصريـف امورهـا ، تصرفت بما غرس ووقر فى فكرها وصدورها، فكانت ادواتي الطيعة وصوتي ولساني ، تسـر لسروري وتحز فيها احزاني، لانني جعلت مصالحي مع مصالحها متشابكة ، وخيوطي مع خيوطها متحابكة . وكم قامت بتدبير الفتن والقلاقل والاضطرابات ، لاجد مبـررا للتدخل بدعوى حماية الاقليات والديانات ، وكانـت اداة الخراب والدمار ، فى جسم الخلافة حاميـة الذمام والذمار ، وفى قلبها جرحا داميـا ، وكنـت عنها مدافعا ومحاميا . فكيـف تتهمنـي بالخلـط والغباوة ، وفكري يتصف بهـذه الصفـاوة ؟ وقـد اتخذت من صنائعـي سلمـا للارتقـاء ، وسببـا للاستسقـاء ، فاستعانت بدينها وذكائها ومعارفهـا ، على اذكاء النار فى اطراف الخلافة ومطارفها .

صاحـب النجمـة السداسيـة

لقد حملتما كلامي على غير محمله ، ووقفتمـا عند عمومه ومجمله ، انني لا اجهل جهود مراكزكمـا المظيمة ، وما قامت به من تخريبـات جسيمـة ، فلقد جرعت الخلافة من السم قطرات ادخلتها فى حالة من الاغماءات والسكـرات ، اذهبـت نفـوس الخلفاء عليها حسـرات ، وهيجت ما كان من بحرها رهوا ، وكدرت ما كان من عيشها صفوا، وغيمت ما كان من جوها صحوا ، ومع هذا وانتما تجريان نحو تحقيق الحلم السعيد ، تاكدا انه لن يكون لكما فى المدى البعيد ، فى ارض الخلافة مرتـع ، ولا فـى

---

(15) الشوب : العسـل .

اهلها مطمع ، ما دام قلبها يخفق ، واجراسها تدق ، فقد تتماثل للشفاء ، وتعمر ما اصابه العفاء ، وتسري القوة في اوصالها ، وتصلح ما فسد من احوالها ، فيضيع عمل وكد عقود ، ويلاحق خطتكما النحس بعد السعود ، وتنتكس اعلامكما بعد الصعود ، وتتحرر ما استعمرتما من اقاليم وولايات ، وتتجرعان طعم الفشل والويلات . يجب ان يكون لكما راي حاسم ، ويقين جازم ، ان اعمالكما لن تكون جدية ، واساليبكما ان تكون مجدية ، ما لم نحشد كل ما لنا من طاقات وجهود ، وسلطة ونفوذ ، ونوجه الكل في معركة مع الخلافة فاصلة ، وضربة لعنقها قاصلة، وبعدها تجتمع الشركة ، وتقتسم التركة . وقد مهدت لعملكما كل التمهيد ، وعبدت طريقكما كل التعبيد ، فبجانب مراكزكما التعليمية والتبشيرية ، انشات خلايا لجمعياتي الماسونية السرية ، اتخذتها اداتي في هدم ما للنفوس من صياصي (16) ، والمسك بما لها من نواصي ، وتليين قناة العاصي ، وتقريب الهارب والمدبر والقاصي . وكونت فيها فرقا من الاشداء العتاة ، اسست ما سمي بحزبي « الاتحاد والترقي» و « تركيا الفتاة » وكلفتها بالاتصال بطبقات الشعب والضباط والجنود ، وتهييئهم للثورة التي ستنطلق في يوم موعود ، وبث روح السخط والتذمر والمرارة ، استعدادا للمشاركة في اضرام الشرارة، كما اخترت من جمعياتي فرقة من المجرمين الاشرار ، ودسستهم بين من سيعرفون بالضباط الاحرار ، واصطفيت « كمالا » البطل الهمام وهو يهودي تظاهر بالاسلام ، وجعلته على رأس قيادتها ، وسينعت باب تركيا ورمز سيادتها . وعهدت اليه باجتثاث دوحة الخلافة العثمانية ، وغرس مكانها الدولة العلمانية ، والعمل على فصل الدولة عن الدين ، ونزع ما للاسلام من سلطان مكين ، وتغريب تركيا تغريبا كاملا ، ليصبح شعبها النشيط كسولا خاملا . وستقوم صحافتي بتضخيم اعماله، واطراء محاسنه وخصاله، والتشهير بعبد الحميد والصاق به الشنعة ، وتلطيخ ما له من سيرة وسمعة ، ونعته بأخس النعوت واقبح التهم ، وتشويه الخلافة بوجه اعم ، حتى ينفر الناس من ذكر الخلافة والخلفاء ، ويعتبروهم جميعا للشر والتعفن حلفاء ، وحتى يكون مصير عبد الحميد ، عبرة لكل مخالف لاوامرنا عنيد . (واضاف في نفسه: كما فعلنا مع لويس السادس عشر منذ عهود ، وكما سنفعل قريبا مع قيصر روسيا عدونا اللدود) ولا يلبث عمل كمال ان يصبح طريقة تقتدى ، وسنة تحتذى ، تنتشر في بقاع الخلافة واقطارها ، وتكتوي كل الانظمة بشرارتها ونارها . والمطلوب منكما ان تسخرا مراكزكما في خدمتي ، وتجعلاها تحت تصرفي وامرتي ، لانني اريد استخدامها في تنفيذ مخطط رهيب ، ستقطفان ثماره الحلوة عما قريب، ستقوم صنائعي بالدعوة الى القومية التركية الطورانية ، وترد صنائعكما بالدعوة الى القومية العدنانية القحطانية ، وسيدفعها حقدها الدفين على الاسلام ، الى التفاني في تنفيذ هذا المخطط الهدام، وسيتناطح ثور القوميتين ، ويهدمان مجد الامتين ، وبعدها لن تقوم للمسلمين قائمة ، ويصبحون تحت رحمتنا كالسائمة ، فبعد كسر الوحدة الاسلامية وطمرها ، وهدم الخلافة وقبرها ، سنتمكن من قهر جيوشهم ودحرها ، لان حروبهم ستفقد قداسة الجهاد الاسلامية ، وتدخل في نطاق الحروب الاقليمية ، فلا يعود قتالهم جهادا ، ولا موتهم استشهادا ، ونستريح من ذلك الصوت المنكر « الله اكبر ، الله اكبر » فتستفيدان انتما من تحطيم ارادة الجهاد ، ويكون نصيبي أرض الميعاد ، وبعدها اليمن لكما قناة القاهرة وبغداد والرياض وحلب ، واقدم لكما دينهم وثرواتهم على طبق من ذهب ، فتتمتعان وتنتقمان ، وينطفيء ما بقلبيكما من غضب ولهب . ورغم ان هدف هذا الشوط بطين (17) ، فانني في هذ الميدان شيطان ابن شوطين، وخطتي لا يمكن أن يرقى الى امكانية فشلها الشك والتخمين ، لان في جرابي تجارب اربعة آلاف من السنين ، انني لن اقول لكما ما رايكما فيما اتمتع به من مزايا تخريبية وشيطنة التي ستقضي على آخر ما للمسلمين من خلافة وعز وسلطنة ، ولكنني اقول : لنضع اليد في اليد ، ونبدا العمل من الغد ، فالزمان لا يرحم ، ومن تهاون يندم ، لنسرع بتجريع الخلافة السم الزعاف ، ونعجل بليلة الزفاف فلي فلسطين اجمل الفوادي الاسلاميات ، ولكما الأخريات والخيرات والثروات ، على الطريقة الكاثوليكية طول الحياة ، فلا نزاع ولا شقاق ولا نشاز ولا فراق .

---

(16) الصياصي ، الحصون .

(17) بطين ، بعيد

صاحب الصليب

انك أكثر مني خبرة واطلاعا ، واجدر بمحاربة الاسلام اضطلاعا، لانك اكثر حقدا وقلبك اشد التياعا، فلن املك ازاء ارادتك الا خضوعا وانصياعا . فلك الامر والرسم والتخطيط ، وعلينا التنفيذ والسمع والطاعة .

صاحب الخريطة الاسلامية

انك اعظم مني احلاما واطماعا ، وانك فى هذا الميدان لأطول باعا ، وبما أن فى ارضاء رغباتك لرغباتنا اشباعا ، فلن تجد فينا الا أدوات طيعة وخدما واتباعا ، فامر بما تريد انفذه لك الساعة .

— ◆ —

ثم انهم جمعوا ادواتهم وتصافحوا ووقفوا ، وتناسوا حزازاتهم وتعانقوا وتصافوا واتفقوا على عقد جلسة لاحقة ، لتقييم نتائج المؤامرة السابقة ، ووضع تشريعات لفصل الدين عن الدولة ، والقضاء على ما للقرآن من سلطان وصولة . وخرج الثالوث مشتبك الايدي من قاعة الاجتماع ، وقد تأججت النار اكثر ، واضطرمت الاحقاد والاطماع .

قال ابو الفتح المراكشي ، وهنا توقف الصديق وقال : احس بالتعب والارهاق ، فقد حمل الاعداء قلبي ما لا يطاق ، ولذلك استعفيكما من سرد ما دار فى الجلسة الثانية ، واعدكما بذلك ان شاء الله فى فرصة تالية . والآن ما رايكما فى مشروبات وحلويات تجري فى الحلوق ، وتسري فى العروق ، تفثا ما يجتاح جسومنا من حرارة ، وتلطف ما تركته مؤامرات الاعداء فى نفوسنا من مرارة .

وبعد أن ودعناه وغادرناه ، قلت لقريبي طوبي لمن الهمه الله القراءة مثل هذه الكتب المفيدة ، ونور فكره وزود نفسه بمعلومات وافكار جديدة ، عما يبيته اعداء الاسلام ، من مؤامرات ودسائس فى الظلام ، لاذلال المسلمين وارغامهم على الاستسلام .

ويا حبذا لو اجتمع مفكرونا وقاموا بوضع خطط مضادة ، ترد الذين جرفتهم التيارات الى العبادة ، وتقدم للاجيال الصاعدة ، ترياقا اسلاميا ضد سموم مكرهم ، وتفتح العيون والعقول على افاعي وكرهم .

مكناس — أبو عدنان عبد القادر البوشيخي





للأستاذ عبد الواحد الناصر

بينت فى مقال سابق (1) ان التاميم غير معروف وغير مقبول فى الاسلام ، وسأبين فى هذا المقال تعارضه مع ركن من أركان الاسلام .

وأرى من الضروري ، تفاديا لكل التباس ، أن انبه الى أن التاميم يقصد به حلول الدولة مكان الأفراد فى تملك المشاريع بغض النظر عن اصل هذا التملك. لذا فانه من اللازم أن نستثني من هذا المفهوم ، قيام دولة ما بالاستيلاء على المشاريع التى أقامتها الدول الاستعمارية لاستغلال ثروات البلاد الاسلامية ثروات البترول مثلا ـ أو تلك التى ترتبت عن ضعف هذه البلاد فى مواجهة القوى الاستعمارية العالمية ، فذلك ليس الا استرجاعا لحقوق مغتصبة ، لا يثير اي اعتراض ، واجراء يمكن ان تقوم به اي دولة بغض النظر عن النهج الذى تاخذ به فى حياتها .

ان التاميم يتناقض مع الاسلام حين يعني قيام الدولة بالقضاء على ملكيات شخصية ، اكتسبها اصحابها بالطرق الحلال ، بقصد اقامة نمط جديد للملكية ، يزعم اصحابه انه حتمية تاريخية .

فهذا النمط الجديد للملكية ، ليس الا بديلا جاهليا للملكية الاسلامية ، وسيطرة من السلطة الفعلية فى الدولة على موارد الثروة وادارتها وتوزيعها، مما يعني استحالة تطبيق الركن الثالث من اركان الاسلام ، وهو الزكاة .

— ◆ —

حقائق عن الزكاة :

فغني عن كل بيان ان الزكاة ركن من اركان الاسلام ، بحيث لا يتم اسلام المرء الا به . ولا ادل على ذلك من امتناع فريق من المسلمين عن ادائها ، يعتبر ردة من الاسلام ، وفتنة ، ومحاولة لتقويض المجتمع الاسلامي .

ومن الواضح أن الزكاة نصيب من اموال كل مسلم ميسور ، يدفعه الى بيت المال ، ليصرف على الفقراء والمساكين والعاجزين عن الكسب ... وهي وجيبة ثابتة غير قابلة للزيادة أو النقصان على عكس ما يذهب اليه البعض (2)، وليست منحة يستطيع المسلم ان يختار بين دفعها او الامتناع عن تقديمها ، ولا تغيير نسبها ، وانما هي حق ثابت باعتباره ركنا

(1) موقف الاسلام من التاميم ، دعوة الحق عدد ابريل 1972 .

(2) يذهب الاستاذ احمد حسين فى كتابه « فى الايمان والاسلام» ص 182 الى هذا الراي حيث يقول: (وهذا القدر الواجب من الزكاة هو ما كان فى كل زمان أن ترتفع بهذه النسبة المقررة بما يتمشى مع تطور الحياة وارتفاع تكاليفها) .
ويبدو ان الاستاذ احمد حسين فى دعوته لتطوير الاسلام ، يأخذ فى اعتباره ارتفاع تكاليف الحياة ، ويتناسى تضاعف الخيرات ، والتصاعد الهائل فى الثروات الخاضعة للزكاة !

من اركان الاسلام . فان عجزت ايرادات الزكاة عن سد نفقات بيت المال ، فهناك الانفاق من العفـو ، وهناك الوقف، وهناك التعاون والتكافل الاسلامي .. وفي هذا يختلف الاسلام عـن الراسمالية ، وعـن الاشتراكية .

ويتجلى من ذلك ان الزكاة اقرار لتملك المسلمين وحيازتهم للخيرات سواء كانت مواد انتاجية او استهلاكية ... وهي في نفس الوقت اقرار بان ملكيات الدولة الاسلامية ، لا تترتب عن مصادرة ممتلكات العباد واموالهم بالوسائل البوليسية ، وانما مجالها الخيرات الحرة غير المملوكة لأحد .

هذه الحقائق لا يأخذها دعاة التاميم وانصاره في اعتبارهم ، لذلك فانهم انساقوا الى اقرار فكرتهم على حساب ركن من اركان الاسلام .

— ◆ —

الزكـاة ملازمـة للتفـاوت :

ذلك ان الزكاة مفروضة على الاغنياء والميسورين، وملازمة للتفاوت بين الناس في الأرزاق والثروات .. فان سقطت ملكية الأفراد كليا او جزئيا ، وسقط بذلك تفاوتهم ، وفضل بعضهم على بعض في الرزق ، وتساووا في ثرواتهم ، توقفت الزكاة ، وسقطت !

وبموازاة ذلك لا تجب الزكاة على الدولة ، فبيت المال لا يؤدي الزكاة ، لانه هـو نفسه ادارة عامة للزكاة ، ولان الخيرات المؤممة لن تخضع للزكاة باعتبارها ملكا للدولة !

ومن هنا يظهر بوضوح الخطا الذى وقع فيه عالم وسياسي مغربي حين ادعى ان الملكية العامة في الاسلام تشمل المائعات والموزونات والمرعى والوقود وكل ما يرى المسلمون مصلحة في تاميمه .. ليتفق مع احدى التجارب المعاصرة في اقتصار الملكية الخاصة على المسكن والملبس والمأكل وما ينتجه المرء بكد يمينه (3) .

فاذا كانت الملكية العامة لا تخضع للزكاة بطبيعتها ، فانه يلاحظ على نظرية العالم المذكور :

اولا : ان الزكاة لا تستحق على المسكن الذى يسكنه المسلم ، ولا تستحق على قوته وملبسه .

ثانيا : ان الزكاة ، بعد هذا الاسقاط ، سوف تقتصر على ما ينتجه المرء بكد يمينه ! .

ثالثا : واذا كان من يكسب رزقه بكد يمينه ، وعرق جبينه ، هو : العامل الصغير ، والفلاح الصغير ، والتاجر الصغير .. فان هذا النوع من الناس ، في اغلب الأحوال ، ان لم يكن في جميع الاحوال ، لا يكون لديهم فائض تنطبق عليه احكام الزكاة !

فلماذا جعل الله عـز وجـل الزكاة ركنا من اركان الاسلام ؟! ولماذا ارسل محمدا عليه الصلاة والسلام ليبلغ لنا قوانين جبايتها ، ونسبها ومصارفها ..؟!

لا شك في ان الله عز وجل لم يشرع لنا الزكاة عبثا ، ولا شك في أنه سبحانه وتعالى جعلها ملازمة لتفاوت الناس في الارزاق والثروات .. فمن يعتقد بان الارزاق والثروات يجب ان تكون تحت تصرف وادارة وتوزيع سلطة قهرية ، تحقيقا للمساواة الجبرية بينهم ، فانما يعلن عن نتيجة الزكاة ، واستبدال النمط الاسلامي للملكية بنمط جديد .

فهل يضحي دعاة التاميم بالزكاة ؟! وهل يحق لمسلم أن يفضل التاميم على الزكاة ؟! ولو اممنا المائعات والموزونات والمرعى والوقود ، وكل ما يرى المسلمون مصلحة في تاميمه .. فهل سيبقى بعد ذلك وجود « الاموال » تنطبق عليها أحكام الزكاة ؟! وهل سيجد المسلمون بعد ذلك « عفوا » ينفقون منه في سبيل الله ؟! وهل سيجدون بعد ذلك «فائضا» يخضع لقانون الارث والوصية والوقف والهبة ..؟!

الحقيقة مدهشة ، وهي ان الدعوة الى التاميم، ليست الا انعكاسا لمذهب يناقض الاسلام ، ويتعارض مع مبادئه ، ويلغي شريعته ! والابعاد العملية لهذه الدعوة تؤكد صحة ذلك ، وتؤكد بالتالي حقيقة لا يمكن انكارها ، وهي وجود عملية منظمة وموجهة بدقة متناهية ، لاحلال هذا المذهب مكان الاسلام في

(3) الاسلام والتنمية في الاقتصاد المصري للاستاذ علال الفاسي ، العلم الاسبوعي عـدد 119 ص 3 وانظر تعليقنا على ذلك في مقالنا : موقف الاسلام من التاميم ، دعوة الحق ، عدد ابريل 1972 تحت عنوان : الرسول بريء مما يدعون .

عقول الناس ، وحتى فى عقول من يسميهم البعض برجال الفكر الاسلامي دون تمحيص ! (4) .

— ♦ —

التاميم بديل للزكاة :

ان التاميم كما يزعم انصاره ، يقضي على الاستغلال بنقل ملكية المؤسسات والمشاريع الخاصة الى الشعب ، فهو يعني عمل العمال فى ملكيتهم بدل العمل لفائدة فرد او مؤسسة ، وهو يقضي بأن تكون خزينة الدولة للشعب ، وان يكون الجميع سواسية فى الأخذ منها .

فالتاميم نظريا اسلوب لتحقيق المساواة الاقتصادية بين الناس عن طريق الاجبار .. ومن الواضح أن الاسلام لم يات بأي اسلوب من هذا النوع ، وانما على عكس ذلك ، يقوم على اساس من انعدام المساواة الاقتصادية الجبرية بين العباد ، والزكاة التي تمثل احد اسسه الخمسة التى لا يقوم بدونها ، هي تجسيد لهذه اللا مساواة ، وطريقة مغايرة لتحقيق العدل والتوازن والتعاون فى المجتمع الاسلامي . فكل من زادت امواله على نصاب معين ، يخضع لحق نسبي او تصاعدي ، يتميز بحسب طبيعة الاموال الخاضعة للزكاة .

فبين الزكاة والتاميم مماثلة للفروق الموجودة بين الاجبار والامتثال الطوعي :

اولا : فالتاميم يعني تعويض ملكية الافراد والمؤسسات بملكية الدولة ... اما الزكاة فتتطلب اساسا وجود ملكيات شخصية وفق النمط الاسلامي .

ثانيا : ان التاميم يقضي على التفاوت بين الناس ، وينهي فضل بعضهم على بعض فى الرزق ، اما الزكاة فملازمة للتفاوت ، وملازمة للغنى ، وملازمة للنوعية الاسلامية .

ثالثا : التاميم عمليا اكراه من السلطة القهرية للاستيلاء على الاموال والثروات الخاصة ، اما الزكاة فلا تتسم بالاكراه الا فى حالة الامتناع عن ادائها ، ولا يمتد هذا الاكراه الى مجموع اموال من تستحق عليه ، ولكنه يقتصر على نصابها .

رابعا : المساواة التى يتشدق بها دعاة التأميم الكلي او الجزئي ، لم يتعد حدود النظرية حتى في الدول التى تاخذ بالتاميم الشامل ! فالأكثر انتفاعا من الخيرات المؤممة هم الحكوميون ورجال الدولة .

فان كان التاميم نظريا وسيلة لتحقيق المساواة الاقتصادية الجبرية بين الناس ، وكان تطبيقها يؤدي الى منح الامتيازات الى رجال السلطة ، فهو بذلك ليس الا بديلا للزكاة ، والذين يدعون الى الاخذ به ، انما يدعون الى التخلي عن الزكاة ، ومن تخلى عن الزكاة فقد تخلى عن الاسلام ، وما ربك بظلام للعبيد !

لا بديل للزكاة :

واذا كانت الزكاة ملازمة للملكية الشخصية ، وملازمة للتفاوت ، فهي تقترن بنمط واحد من الملكية لا يمكن تسميته الا بالنمط الاسلامي. ولذلك لا يمكن تشبيه الزكاة بالضرائب ، لانها تؤخذ من الاغنياء وترد على الفقراء ، ولانها دليل على الولاء الديني ، فبدونها لا يمكن للمرء أن يعد من الجماعة المسلمة .

وبعكس ذلك نجد الضرائب من صنع بشري ، تؤخذ من الفقراء والاغنياء ومتوسطي الحال لترد فى الاغلب الاعم على الاغنياء والاقوياء والرؤساء .

فليس هناك من سبيل للمقارنة بين الزكاة والضريبة ، سواء كانت مجحفة او عادلة ، وسواء كانت نسبية او تصاعدية . ذلك ان ايرادات الضرائب، تجمع فى اكثرها من عرق الفلاحين الصغار ، ومن عرق العمال والتجار والحرفيين الذين يعملون ليل نهار فى دكاكينهم ومتاجرهم وحرفهم ، لتصرف بعد ذلك بسخاء فى الولائم الاسطورية ، وفى الدعاية وحماية الانظمة ، وفى توفير اماكن الترف والترفيه لذوي الدخول المرتفعة : (فليس ادق تصويرا ولا اصدق تعبيرا فى وصف هذه الضرائب التى تقوم عليها الحكومات اليوم من قولنا انها تؤخذ من فقرائهم وترد على اغنيائهم) (5) .

---

(4) لم يعد من الغريب ان يقوم احد هؤلاء ، ليعلن بصراحة اللفظ او المعنى ، عن وجوب الاخذ بمذهب يناقض الاسلام ، او ليعرض النظريات الراسمالية او الاشتراكية فى ثياب اسلامية !

(5) الاركان الاربعة لابي الحسن علي الحسيني الندوي ص 121 الطبعة الثانية 1968 لله

ويحق القول بأن الضرائب التي فرضت على البلاد الاسلامية ، اثناء السيطرة الاستعمارية ، وبعدها ، كلها غريبة عن المحيط الاسلامي . فالمجتمع الاسلامي ليس في حاجة الى فرض تكاليف اجبارية على المسلمين ، لينفق منها على مصالحهم المختلفة ، وعلى حماية نظامهم وامنهم ، وعلى ضمان متطلباتهم الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية ، فهذه كلها التزامات اساسية لحمل الصفة الاسلامية ، كان المسلمون يوفون بها دونما حاجة الى اجبار او اكراه ، ودونما حاجة الى تشريعات معقدة ، يحاول الكل ان يتهرب من مقتضياتها !

فليتيقن كل من يهدف الى اقامة مجتمع اسلامي، من ان قوة هذا المجتمع لا تكمن في الجبايات القسرية التي تماثل الفقراء بالأغنياء ، ولا في تحديد الملكية عن طريق الضرائب التصاعدية العالية، وانما هي تكمن في اخلاص أفراد هذا المجتمع لنوعيتهم الاسلامية، وفي اقبالهم الطوعي على الوفاء بالتزاماتهم، وعلى التكافل والتعاون وتوفير عناصر القوة لكيانهم المنشود .

ولهذه الاسباب نرفض الفكرة الشائعة لدى بعض الكتاب والباحثين ، التي تبرر النظم الجبائية القائمة في البلاد الاسلامية ، وتضفي عليها طابع المشروعية . كما نلاحظ على بعض هؤلا ممن عرفوا باخلاصهم الشديد للاسلام ، انسياقهم مع هذا التيار ، ووقوعهم في تناقض خطير يتجلى في اعلانهم كمال الاسلام من جهة ، وافتائهم بمشروعية الضرائب ، من حيث المبدأ او الغايات ، من جهة ثانية .

— ◆ —

تصويب لا بد منه :

وفي هذا الاتجاه كتب عالم مغربي هو الاستاذ الرحالي الفاروقي ، بصدق وحق ، ان : « نظام الاسلام شيء لا يتبعض ، وكل لا يتجزا ، فاما ان يؤخذ كله واما أن يترك كله ، واما اذا بعضته او زاوجته مع غيره كالقضاء بالشرع في الاحوال الشخصية ، وبالقانون في الاحوال المدنية والجنائية، فانه لا ينجد ولا مردة فيه ، وتلك هي طبيعته وخاصيته ، فهو نظام الانظمة ونظام التماسك والوحدة ، لا يقبل تجزئة ، ولا ازدواجية ، وهو نظام شامل وكامل ..) (6) .

فاذا كان الاستاذ الفاروقي يعلن وحدة وتكاملية الاسلام وعدم قابليته للتجزئة او الازدواجية ، واعطى لذلك مثالا بانه لا يمكن ان نقضي بالشرع في الاحوال الشخصية ، ونقضي في نفس الوقت بالقانون الوضعي في الاحوال المدنية والجنائية ... فهل يمكنه ، تبعا لذلك ، أن يسلم بمبدأ تطبيق القانون المالي الوضعي في وقت تطبق فيه قوانين اسلامية في الميادين المدنية والجنائية والأحوال الشخصية ؟!

ان الاجابة على هذا السؤال نجدها جاهزة لدى الاستاذ الفاروقي : (وكل ما يمكن ان تقبله قواعد الشريعة ونصوصها العامة هو مراقبة الحياة الاجتماعية ، واتخاذ اجراءات حاسمة وعادلة تستهدف ـ تحقيق ازدهار مادي في المرافق العامة او حماية المجتمع من استقلال غير مشروع ـ او احداث ما هو ضروري من الضرائب لنهوض دولة فتية مجدة لها اتجاه مقبول وهدف معقول) (7).

ونتيجة ذلك :

اولا : ان الاسلام لم يقدم نظاما كاملا يمكن اية دولة من النهوض والازدهار ، وانما ترك لأرباب السلطة ان يتخذوا الاجراءات الحاسمة والعادلة ، او يحدثوا ما شاؤوا من الضرائب حتى تستطيع دولتهم النهوض في اتجاه مقبول وهدف معقول !

ثانيا : وما دام الاسلام قد ترك المجال مفتوحا في هذا الميدان ، فيمكن للمسلمين ان يأخذوا من غيرهم نظامهم الجبائي الذي لا يمت للاسلام بصلة سواء في اصوله وامتداداته او في غاياته واهدافه!(8).

---

(6) نظرية التأميم نظرية أجنبية وطبيعة التأميم طبيعة شيوعية ، دعوة الحق ، العدد الرابع ، يوليوز 1972 ، ص 7 .

(7) المرجع السابق ص 10 .

(8) نشير الى أن النظام الجبائي في مفهومه الحديث اصبح وسيلة لتحقيق الاهداف الاقتصادية والاجتماعية بالاضافة الى المهام التقليدية لخزينة الدولة . وهو بذلك يقابل النظام الجبائي الاسلامي المرتكز اساسا على الزكاة والجبايات المقررة شرعا واستثناء على ما يقدمه المسلمون طواعية بحكم انتمائهم « للبنيان المرصوص » .

وقد بينت فيما سبق ان الضرائب لم تنشا فى مناخ اسلامي ، ولم يقررها الاسلام سواء من حيث المبدا او الغايات ، واكثر من ذلك فهي تناقض شروطا اساسية فى النظام المالي الاسلامي ، منها ان الزكاة وعبء الانفاق على المصالح العامة والاغراض الاجتماعية وغيرها ، يقع على عاتق الاغنياء والقادرين وحدهم ، بينما توخذ الضرائب مباشرة من الجميع دون تمييز .

فالقول بان الدولة الاسلامية يمكنها ان تحدث ما تراه ضروريا من الضرائب ، فى سبيل النهوض والازدهار ، ليس من وجهة عامة الا انعكاسا للسحق الحضاري الغربي، وليس من وجهة خاصة الا تعبيرا عن قصور الاسلام وعجزه فى ميدان المالية العامة .

ومن الواضح أن الاسلام قد قدم للبشرية نظاما كاملا ، لم تكن تعرفه التجارب البشرية آنذاك رغم معرفتها للضرائب ، ولم تصل الى مضاهاته التجارب المعاصرة التي جعلت الضرائب ملازمة للانسان من ولادته الى وفاته . ورغم ان الاسلام لا يمنع المسلمين من الاخذ بالجوانب التنظيمية او الاستفادة من تقنية الغير ، فان هذا الاقتباس مشروط بعدم مخالفته لمبادىء الشرع ومقاصده وقواعده .

وكل له صلة بالنظم المالية والجبائية الحديثة — وكاتب هذه السطور من ذوي الاختصاص فى هذا الميدان — يعرف ان هذه النظم فى مبادئها وأساليبها، وفى تقنياتها وغاياتها ، تنتمي الى اصول اوربية وتتغذى بمعطيات عقول غير اسلامية .

ومن ثمة فان السماح ، او الافتاء بمشروعية احداث الضرائب ، ان هو الا اقرار بمشروعية النظم الجبائية المقتبسة عن الغرب ، واقرار بافلاس النظام الاسلامي وعجزه فى هذا الميدان .

ونعود الى الفكرة التي لا نشك فى اخلاص الاستاذ الفاروقي لها ، وهي أنه لا يمكن ان تقضي بالشرع فى الاحوال الشخصية والمدنية والجنائية ، ونطبق القوانين الوضعية فى ميدان المالية العامة والاقتصاد او فى غيره من الميادين « فالشرع نظام كامل شامل ، وكل لا يتجزأ ، ولا يتبعض ، ولا يتزاوج » .

— ◆ —

فاذا كان التاميم يسقط الزكاة، ويسقط الصفة الاسلامية ، فان الضريبة ليست اقل درجة منه ، فهي نفسها تغني عن الزكاة وتحل محلها ، واصبحت ملجا للراسمالية المنهارة . ولا يمكن فى اي حال من الاحوال الجمع بين الزكاة والتاميم ، او بين الزكاة والضريبة . فذلك يعني الجمع بين الاسلام والراسمالية ، أو الجمع بين الاسلام ونظم متراوحة بين الاشتراكية والراسمالية .

الرباط : عبد الواحد الناصر



التصور الإسلامي للحياة

للأستاذ محمد العربي الناصر

اثناء مطالعاتي الخاصة ، كثيرا ما التقي مع كلمة الحياة فى طيات المؤلفات المختلفة ، مما جعلني اشعر بأهميتها كموضوع خصب . ولما تناولت الموضوع بحثا هالني الامر .. فكلمة الحياة التى كنت اراها تذكر على كل لسان ، فى كل كتاب ، لم تكن محددة المعنى ، واضحة المعالم . فهي تحمل فى اعماقها مدلولات شتى ، فقد تكون رقيقة شاعرية ، وقد تكون جافة مختبرية ، أو تكون طليقة ميتافيزيقية ، او مكبلة واقعية يومية . فانت لا تستطيع ان تأخذ من الكلمة الحقيقية التى تتوخاها اذا ما غصت فى أعماقها او غاصت فى أعماقك .

وكما قال زكريا ابراهيم : ان هناك صعوبة تكمن فى كلمة الحياة نفسها . اذ ما الذى نعنيه هنا بهذه الكلمة ؟ هل نعني بها حياة الفرد او حياة النوع ؟ او بعبارة أخرى أترانا نتحدث هنا عن حياة الانسان ام عن حياة البشرية بأسرها ؟ وهل نشير بهذا اللفظ الى الحياة البيولوجية على المستوى الطبيعي الصرف ، ام نحن نتحدث ايضا عن الحياة النفسية والاجتماعية والحضارية للكائن البشري بكل ما تنطوي عليه من تنوع ووفرة وتعقيد ؟ .. (1)

الا انني عندما فكرت فى الحياة لم اقصد عملية الوجود الانساني والنباتي والحيواني ، وانما قصدت التفاعل الذى يخلقه الانسان والكون معا اثناء اسلامهما لله . تلك الفعالية التى تأخذ أشكالا مختلفة وانواعا متباينة وتقدم خلاصة الوجود الكوني الانساني فى طاقاته العلمية وطاقاته النفسية وطاقاته الاخلاقية وطاقاته الاجتماعية ..

كنت ارى التصور الاسلامي للكون والانسان مقدمة لتحديد الاطار العملي للتصور الاسلامي للحياة . فالحياة هي الاطار الفعلي للوجود الكوني ــ الانساني . تتجلى فيه بقدر ما يستطيع الانسان ان يوسع دائرة وجود خلافته . فالخلافة ، خلافة الانسان فى الارض ، رمز الوجود الانساني ، رمز قوته الانسانية ، رمز فعاليته . ففى الخلافة تمتزج معالم الكون وطاقات الانسان ، وتخلق ابعاده خلقا . والحياة بذلك ليست الا تتويجا لهذه الخلافة . فهي وجهها العملي ، الحي ، المتفاعل ، الذى يعطي ويأخذ ، يبني ويهدم ، يصلح ويفسد . الوجه الذى يعيش الضحك والبكاء ، الفرح والغضب ، العلم والجهل ، التعب والراحة .

امام هذا التشعب فى معاني الحياة ومدلولاتها رأيت أن أعود الى القرآن الكريم وأجعله منطلقا لتحديد مدلولها ، ولاجد خطا واضحا أسير على هديه . وخاصة ان الدراسات الحديثة حول موضوعات القرآن الكريم تثبت الوحدة الموضوعية للآيات القرآنية التى تتناول موضوعا بعينه (2) . واول خط اتضح امامي ، عندما استقرات الآيات الكريمات اللاتي وردت فيهن كلمة الحياة .. ان الحياة ذكرت فى معنيين :

1) الحياة ويقابلها الموت .

2) الحياة الدنيا وتقابلها الحياة الآخرة .

---

(1) مشكلة الحياة . ص : 35 .

(2) الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم . الدكتور محمد محمود حجازي .

ما هـي الحيـاة

تعتبر الماهية من معضلات الفلسفة والعلم على الاطلاق . فالعلم يقف عند مظاهرها ، والفلسفة تقدم الاجوبة تلو الاجوبة ، ولكنها تبقى دائما شخصية لا تقنع بل تدفع الى التساؤل والاجابة على مر الزمان ، ما دام هناك عقل يفكر .

وحصر الاجابات الفلسفية عن ماهية الحياة صعب لكثرتها ، ووفرتها وتناقضها ، وتضاربها ، مما لا يستطيع الانسان جمع شتاتها في وحدة تامة كاملة .

فمن قائل : الحياة نفسها لا تزيد عن كونها مجرد صورة من صور المادة . (انجلز)

ومن قائل : ان الحياة تطور خالق ، واختراع على غرار النشاط الشعوري ، وخلق مستمر مثله ، فهي تخلق شيئا ما في كل لحظة . (برجسون) .

ومن قائل : الحياة ليست شيئا آخر غير شعور الانسان بالحياة . جرد اي انسان من الشعور بالحياة تجرده من الحياة ذاتها في معناها الحقيقي . (سيد قطب) .

ومن قائل : انها الارادة العمياء ، ارادة الحياة التي لا تعرف لها غير غاية هي الوجود والوجود باستمرار فاذا ما هددت في جوهرها ثارت وتململت واهتاجت في عنف وارتياع . (شوبنهور) .

طبيعة الحيـاة ونشاتهـا :

ومن الاجابات الفلسفية المختلفة ، بما فيها الآراء العلمية ، تحدد مذهبان مختلفان يبينان طبيعة الحياة . فمنهما من يقول ان الحياة مادية ، ومنهما من يقول ان الحياة مبدا حيوي .. وبين التفسيرين اختلافات كبيرة .

التفسيـر المـادي للحيـاة

يرى التفسير المادي للحياة ان الحياة ليست سوى عمليات تخضع لعوامل محض كميائية وفيزيائية (3) فهي ظاهرة بيولوجية محضة لا تحمل غاية ، فهي من صدف بدائع الزمان في غابر الأزمان.

وعلى هذا الاساس وضعت نظريات عديدة كي تفسر لنا كيف نشات الحياة من عالم الجمادات فذهب بعض الباحثين الى ان الحياة قد نشات من البروتوجين او من الفيروس أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة . وقد يخيل الى بعض الناس ان هذه النظريات قد سدت الفجوة التي تفصل بين عالم الاحياء وعالم الجمادات . (4)

فالعناصر التي تقوم عليها الخلية الحية معروفة والنسب التي موجودة فيها ايضا صارت معروفة الا ان الشيء غير المعروف لحد الآن هو نشوء الحياة . فمحاولة الاتيان بهذه العناصر وربطها بذات النسب الموجودة في الخلية اجريت مرارا الا ان الفشل ظل ملازما لكل تلك المحاولات (5) .

التفسيـر الحيـوي للحيـاة :

يدعي مذهب الحياة او التطور الخالق ان الحياة اوسع و اشمل من ان يدرسها العلم في مختبراته الفيزيائية والكيميائية . فما يدرسه العلم ليس الا نقطة مماس مع القوى الطبيعية . وهذه الدراسات في حد ذاتها لا تكشف الا جزءا صغيرا من الحقيقة الواقعية . فهي لا تدرس الا الجانب غير الحي ، والمادة لا الحياة . وبهذا يعاكس المذهب الحيوي المذهب المادي في تفسيره لطبيعة الحياة . ويرى أن الاشكال الحية التي ظهرت في اول الامر ، كانت في منتهى البساطة ، وانها كانت تحتوي على دفعة داخلية هائلة ووثبة اصيلة للحياة ، كان من شانها ان ترتفع الى اسمى اشكال الحياة . وهي بذلك تنطلق تلقائية خالقة متطورة في اتجاهات مختلفة وتعود الى اصل واحد مشترك سواء كانت نباتية او حيوانية . فهي بذلك ديمومة وصيرورة ممثلة في الخلق المستمر والتي تنساب في العالم المادي وتحولـه الى حياة باستمرار (6) .

---

(3) ـ (5) مجلة العلوم (اللبنانية) العدد 2 السنة 16 شباط 1971 . ص : 10

(4) الله يتجلى في عصر العلم ص : 79

(6) التطور الخالق برجسون . ص : 42 ـ 401 ـ 118 ـ 66 ـ 104 ـ 105 ـ 126 ـ 133 ـ 289 ـ 417 ـ 388 .

اما التفسير الاسلامي للحياة ، فهو تفسير ليس كرد فعل للمذهب المادي ، ولا المذهب الحيوي ، ولا هو وسط بينهما . فالتفسيران الاولان (المادي والحيوي) يعودان الى أصل واحد هو الانسان . فهو مخترعهما . ويسميان لذلك بالتفسير الجاهلي للحياة . والتفسير الثاني (الاسلامي) يعود الى اصل واحد ، وهو المصدر الرباني والوحي الالهي . فالتفسير الجاهلي لذلك متعدد الصور متغيرها ومتطورها اجازا وتفصيلا . في حين ان التفسير الاسلامي هو تفسير واحد منذ اقدم العصور الى وقتنا الحاضر . وهذا الثبات ناتج عن ثبات الرسالات السماوية ووحدويتها الاسلامية .

ولكن ما هو الاختلاف الجوهري بين التفسيرين يا ترى ؟

اننا اذا تأملنا الوجود او العالم والكون ، او على الاقل ارضنا ، لرأيناها تضم قسمين : احياء واموات . او بالمعنى الاصطلاحي العلمي لابسط جزئيات العالم : خلايا وذرات (7) . وتتميز الخلايا بخصائص تؤهلها لتكون حية في حين ان الذرات رغم حركتها ودقة نظامها تظل ميتة . الا ان العلاقات بينهما قائمة ومستمرة . فترى الميت يتحول الى حي ، والحي يتحول الى ميت : « ان الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ، ذلكم الله ، فأنى توفكون » (8) .

وامثلة ذلك في عالم الواقع كثيرة ، ابسطها البيضة التي تخرج منها فرخة والفرخة التي تبيض بيضة . او الحب الذي ينبت منه نبات حي ومنه يخرج حب ميت . أو الفيروس تلك المادة الكيماوية الميتة التي اذا ما اتصلت بخلية حية انسلخت من جلدها لتنغمس في جسم الخلية وتسيطر عليها وتحولها الى اداة للتوالد والتكاثر بسرعة هائلة . او الحياة في بدايتها وموت الكائنات في نهايتها . امام هذه العلاقة يقف العلم والفلسفة ، كلاهما يقفان عاجزان عن ادراك حقيقتها . بل ويرفضان البحث فيها . فهي سر وجود الحياة أو موتها . والكل يعلم كيف يرفض المذهب المادي خالقا للحياة ومبدعا لها ، بل وكيف يرفض حتى التفكير الفلسفي للحياة ويعتبر ان لا مكان للحياة في هذه الدراسة . وفي ذلك يقول انجلز : « اننا هنا بازاء ظاهرة بيولوجية بحتة لا دخل للفلسفة في تفسيرها او تأويلها او بيان اصلها فلا موضع للحديث عن مشكلة الحياة بالمعنى الميتافيزيقي لهذه الكلمة وبالتالي لا معنى اصلا لاثارة هذه المشكلة على المستوى الفلسفي الصرف » . (9)

اما المذهب الحيوي وان كان كرد فعل للمذهب المادي فهو لا يعترف الا بالحياة ويجعلها هي الله نفسه . وفي ذلك يقول برجسون : فاني اقتصر على التعبير عن هذا التشابه الاحتمالي بالكلام عن مركز تنبثق منه العوالم على هيئة قذائف تخرج من باقة هائلة ، ولكن بشرط الا تنظر الى هذا المركز نظرتي الى شي من الاشياء ، بل نظرتي الى انبثاق مستمر **والله** بهذا المعنى ليس كائنا نهائيا بل هو حياة دائبة وعمل وحرية) . (10)

اما التصور الاسلامي فيضع الحقيقة في مكانها . فالله حي . وحياته سبحانه اوسع من ان يدركها عقلنا فنحن لا نستطيع ان نقول عنها انها تفاعلات كيماوية .. ولا انها وثبة داخلية .. فالحياة في المفهوم الاسلامي — كما سيأتي — اوسع من ذلك اطلاقا حيث تتمزق المقاييس والمعايير امامها ، ويعيى العقل حيالها ، ولا تنفع التجربة والملاحظة ازاءها .

واما الفكر اذا كان قد انشق على نفسه ليخلق ثنائية تكاد لا تلتقي سواء في الواقع بين الخلية والذرة او الاحياء والاموات ، او بين الفلسفة والعلم في الفكر . فان السبب لوجود هذ لتقسيم كامن في ذلك الفكر ذاته الذي يقف أمام هذه الحقيقة الواقعية ظاهريا ولا يعلم منها الا ظاهريا (11) .

فكثيرا ما تساءل الفكر الجاهلي عن كيفية جمع هذه الثنائية . اما التصور الاسلامي فبين خضوعها

---

(7) المرسلات 26 . الم نجعل الارض كفاتا احياء واموانا) .
(8) الانعام 95 — آل عمران 27 — يونس 31 — الروم 18 .
(9) مشكلة الحياة . زكريا ابراهيم . ص : 11 .
(10) التطور الخالق . برجسون . ص : 283
(11) «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » الروم 6

في وحدة اسلامية لله . ووجد الميدانين في وحدة اسلامية حية (12) . نحن البشر بني الانسان لا نشعر بها ، ولا نقدر حقيقتها ، ولا نشاهد ترابطها . فهذه الوحدة هي التي تجعل الحياة والموت او الاحياء والاموات مستسلمين لله خاضعين له. فهو خالقهما (الله الذى خلق الموت والحياة) (13) . وليس هناك اله آخر يستطيع ان يخلقهما. (لااله الا هو، يحيي ويميت) (14) فالله هو القادر على ذلك « له ملك السماوات والارض يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير » (15) واليه يؤول الامر ويعود « هو يحيي ويميت ، واليه ترجعون » (16) . فهو الوارث لكل شيء « نحيي ونميت ونحن الوارثون » (17) . فالله هو الحي الذى لا يموت « وتوكل على الحي الذى لا يموت ، وسبح بحمده » (18) .

والحقيقة ان التطور الاسلامي لا يهمه ان يعطي جوابا شافيا تاما عن ماهية الحياة ليكون جزءا من التناقض فى الاجابات الوفيرة حول الحياة ، فالامر عكس ذلك فهو يضع الحقائق التى لا تخضع لاي جدل عقيم . فيصور الحقيقة التامة للحياة ، الحقيقة الواضحة . الا وهي خضوع الحياة واسلامها لله .

ولكن ، رغم ذلك فالانسان عنيد ، يتساءل ويتساءل، اما للاطمئنان واما للجحود .. فالسؤال عن كيفية الاحياء ليس غريبا فقد سألها ابراهيم عليه السلام وسألها غيره .. واليك آية ذلك :

قال تعالى : « الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيي ويميت ، قال انا احيي واميت ، قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين ، أو كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه، قال كم لبثت ، قال لبثت يوما او بعض يوم ، قال بل لبثت مائة عام، فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر الى حمارك ، ولنجعلك آية للناس ، وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما ، فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير . واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ، قال اولم تومن ، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا ، واعلم أن الله عزيز حكيم) . (19)

وهكذا .. فالله هو الذى يحيي ويميت ، فان راى انسان ان ذلك امر بسيط ، فهو مجرد خلايا تتفاعل كيماويا ، فليعلم أن الامر أبعد من ذلك . ابعد من أن تخلق مادة حية فى انابيب الاختبار .. او كما توهم الملك انه يحيي ويميت . فالامر امر تسيير السماوات والارض والتحكم فيهما والهيمنة عليهما. (وهو الذى يحيي ويميت، وله اختلاف الليل والنهار، افلا تعقلون) . بحيث يكون الامر مجرد **كن** ، فيكون الامر بسرعة خاطفة . (هو الذى يحيي ويميت فاذا الامر بسرعة خاطفة . (هو الذى يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) (20) .

ولهذا فالحياة عندما وجدت لم تحتج الى ملايين السنين لتتوالى عليها العصور المختلفة وبتهيا لها الجو المناسب للظهور (كما يقول الماديون) . وانما هي انبثاق فى عالم المادة بأمر من الله الذى يحدث فى الحين . وهو بالتالي ليس تلك الدقة الداخلية الاصيلة التى انبثقت لانها كانت ضامرة فى العالم المادي ، ثم تطورت وتنوعت انواعا مختلفة .. بل الله مخرجها من العالم الميت وخالقها فى كل لحظة وحين ولا زال يخلقها ..

---

(12) التصور الاسلامي للكون والتصور الاسلامي للانسان نشرا بدعوة الحق .
(13) الملك 2 ـ البقرة 257 ـ آل عمران 157 ـ الانعام 161 ـ
(14) الاعراف 158 ـ الفرقان 7 .
(15) الحديد 2 ـ الحج 6
(16) يونس 56 ـ ق 43
(17) الحجر 23 .
(18) الفرقان 58 ـ البقرة 255 ـ طه 108 .
(19) البقرة 258 ـ 260 .
(20) غافر 68 .

اذن فالحياة فى التصور الاسلامي ابعد غورا مما هي عليه فى التفسير الجاهلي . انها تلك الحياة التى تقوم على الاسلام فمن احيا الاسلام فى قلبه واحيا الايمان فى فؤاده وجوارحه انبعثت فيه الحياة، وحيي حياة طيبة .. فى هذه الدنيا وفى الآخرة (21)

ومن امات هذا الاسلام فى قلبه وايمانه وجوارحه ظل ميتا وهو على قيد الحياة ، او على الاقل حياته لا تتساوى مع حياة المومن الصالح (22) . وان ظل كذلك فى الاخرة ، لا هو بالحي ولا هو بالميت . « انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى » (23) .

ومن جانب آخر ، ها هم الشهداء ، الذين تراهم يسقطون الواحد تلو الآخر جثث هامدات لا حراك بها ، يسقطون كما يموت جميع الناس فى حياتهم الرتيبة . هؤلاء الشهداء ، الاموات فى نظرنا، ليسوا أمواتا . ولا يحق لنا ان نقولها . انهم احياء..

احياء .. ولكننا لا نشعر بحياتهم . « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات ، بل احياء ، ولكن لا يشعرون » (24) فحياتهم هذه ليست حياة معنوية لا غير ، بل هي حياة حقيقية ، حياة لم تعد متجلية فى المادة الموات أو الخلية الحية . كما نعلم ونشاهد على هذه الارض ، انها حياة فى اطار لا يرى ولا يمت للمادة والتفاعل الكيماوي بصلة ، ولا هو بتلك الدفعة الداخلية الاصيلة . فالحياة هنا لا هي هذه ولا تلك . فلا هي بالمادة التى اعتدنا تسميتها مادة ولا هي بالحياة التى ألفنا تسميتها بالحياة . ولعل هذا ما سيذهب اليه العلم والفلسفة حديثا . فدراستهما العميقة لم تعد تستطيعان ان تشيرا الى شيء ثابت فى المادة والحياة فكل شيء ينزلق من بين يديهما ولا يستطيعان ان يضعا له تعريفا دقيقا يميزه عن غيره . ومما لا شك فيه ان التفسير الجاهلي لا يذهب هذا المذهب والا من اين له بعلم الغيب ؟ ولا يمكنه بالتالي رد هذا المفهوم الشامل للحياة لانه يرتبط بمجاله ويقف تفكيره عند حدود رؤيته . وأما بعد ذلك فانكار وجحود وتخمين وظن ليس الا .

فالحياة الآخرة اذن هي الوجه الحقيقي للحياة، ذاك الوجه الذى نجهله فى هذه الدنيا . ذاك الوجه الذى يظهر فى عالمنا وكأنه من المعنويات والمجازيات بيد انه حقيقة ماثلة ، ودائمة ، وعلى درجات من الظهور والكمون او الضآلة والضخامة (25) . ولكننا لا ندركها ولا نعرف منها الا ظاهرها .

الحياة فى التصور الاسلامي اذن ليست مجرد صورة للمادة ، ولا هي حيوية من دفعة اصيلة تواجه العالم المادي بل هي أوسع معنى من ذلك كله واغمض واكثر سرا . والعقل يحير فيها اكثر كلما تمعنها اكثر . فالعلماء اليوم رغم تجاربهم لخلق الحياة قد فشلوا .. والعلماء اليوم رغم علمهم الدقيق بامور الحياة لم يستطيعوا ان يفرقوا بين الحيوان والنبات .. والعلماء اليوم رغم تقدمهم العلمي لم يتمكنوا من اكتشاف السر فى تحول المادة الى حياة والحياة الى مادة . والعلماء اليوم رغم تفوقهم لم يستطيعوا ان يفرقوا بين الحياة والموت ..

---

(21) من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ماكانوا يعملون » النحل 97 ـ « يا ايها الذين آمنوا استجيبوا الله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون » الانفال 24 ـ « اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » الانعام 22 .

(22) ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء مايحكمون » الجاثية 20 .

(23) طه 73 ـ الاعلى 11 .

(24) البقرة 153 .

(25) « واولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا» الاسراء 75 .

وكما قال الدكتور مصطفى محمود : العقل والطاقة والعاطفة والمادة والحياة والارادة هي في النهاية ظواهر لشيء واحد وانما تختلف التسمية التي نطلقها عليه حسب الموقف الذي نقف فيه وننظر منه الى ذلك الشيء » . وقال : نشعر وكأنما العقل مبثوث في كل شيء في الحي والميت اودعنا نقول انه لم يعد هناك حي ولا ميت وانما الكل اصبح عاقلا حيا من الفلك العظيم الى الذرة المتناهية في الصغر .

الا اننا لا نذهب كما يذهب مصطفى محمود ليعتبر هذه الحياة وذاك العقل المنبث في الكون هو الله اذا كان يقصد ذلك .. وانما نقف عند حد ان الكون أو العالم كله حي عابد لربه مسلم له ، ولكننا لا نفقه ذلك ولا نشعر به. وقد ظهرت هذه الوحدة جلية عندما عبر عنها القرآن الكريم بالحياة الدنيا . وقد ارتأينا تأجيل البحث في موضوع التصور الاسلامي للحياة الدنيا الى مقال آخر بحول الله .

الرباط ـ محمد العربي الناصر



الإعلام والدعوة

دور الإعلام المعاصر في حركة البعث الإسلامي

للأستاذ عبد القادر الادريسي

اجتهدت قدر الامكان في العدد السابق لابراز نظرية اعلامية وفق الفكرة الاسلامية ، وعلى ضوء رسالة هذا الدين في قيادة البشرية . وكنت انوي مواصلة الحديث في خصائص هذه النظرية ومميزاتها ومقوماتها ، الا ان انشغال البلاد بموضوع البعث الاسلامي ــ على المستويين الرسمي والشعبي ــ الجاني الى الخوض في علاقة الاعلام بالبعث الاسلامي ودوره الخطير والهام في التمهيد لهذه الحركة .

ويجمل بي قبل تناول دور الاعلام المعاصر في حركة البعث الاسلامي المنتظر ظهوره في المغرب باذن الله ، ان اسوق تحديدا موضوعيا لمفهوم البعث الاسلامي .

العودة الى الاسلام :

هناك مفهوم واحد للبعث الاسلامي ، هو العودة الى الاسلام من جديد ، واستئناف حياة اسلامية ، ووصل ما انقطع من حضارة امة الاسلام . وبعبارة اخرى : اقامة منهج الاسلام في الارض على نحو يرضي الله ورسوله والمؤمنين . وآراء المفكرين الاسلاميين في تحديد مفهوم البعث الاسلامي لا تختلف الا في الجزئيات ، اما بخصوص الكليات العامة وجوهر هذا البعث ، فهناك اجماع عام على اعتبار العودة الى الاسلام سبيلا الى تحقيق الوجود الحضاري للشعوب الاسلامية ، واعتباره أيضا المخرج الوحيد من هذه الازمات الخانقة الضاغطة التي تفتك بهذه الشعوب وتتركها مرتبطة الى عجلة الموكب الجاهلي الزاحف بالانسانية الى الهاوية . وكل محاولات الاستعمار ــ بشقيه ــ منصبة على اعاقة العالم الاسلامي عن الاخذ بالاسلام ، وصرفه بأسلوب أو بآخر ، عن اقامة نظام الاسلام في جميع مجالات الحياة . وتتضافر من اجل هذه الغاية جهود الثالوث الخبيث (الصليبية ــ الصهيونية ــ الشيوعية) فتتعاون جميعها للابقاء على انحراف ــ بل ردة ! ــ المسلمين عن دينهم . وليس غريبا ان نجد الاستعمار ــ بالمفهوم السابق ــ كثير الاهتمام بالحركات الاسلامية ، يترصدها باجهزته ، ويتعقب دعاتها بانكر أساليب الاضطهاد ، مما يخلق جوا من الارهاب في كثير من المناطق الاسلامية ، أدى الى احجام كثير من المؤمنين الصادقين عن العمل والدعوة الى بعث اسلامي . وتستوقفنا قضية هامة في هذا الصدد ، ذلك أن القوى الاستعمارية استخدمت كثيرا اجهزة الاعلام لتشويه مفهوم البعث الاسلامي في الاذهان ، واقامة جدار من الجهل يمنع المسلمين من عودة صادقة الى اسلامهم . ففي كثير من المناطق الاسلامية اقتنع عامة المسلمين وخاصتهم بضرورة الاعتراف بالامر الواقع ــ على جاهليته وانحرافه عن الخط الاسلامي ــ وانه ليس في الامكان أبدع مما كان وان العمل من اجل خلق مجتمع اسلامي يتناقض ويتعارض مع المناداة بالاشتراكية ، وما دامت الجهود المخلصة تبذل من اجل بناء الاشتراكية ــ مثلا ــ فلماذا كل هذا الاهتمام بالبعث الاسلامي ؟ . وكان هذا الفهم

من نتائج الاعلام المنحرف الذي روج للافكار المناهضة للاسلام تحت عناوين متعددة. ومن ثم كانت الدعوة الى البعث الاسلامي لا تلقى دائما آذانا صاغية ولا قلوبا واعية ولا ارادات مصممة على العمل لوجه الله ، لا لوجه الطاغوت ، شرقيا كان ام غربيا .

وجملة القول ، فان البعث الاسلامي ، ضرورة الساعة ، ومناط فلاح هذه الامة ، ومنطلق انبعاثها من جديد لتحتل مكانها الطبيعي فى الحياة .

الاعــلام : وسيلــة وأداة :

ان العودة الى الاسلام هي الغاية التى تلتقـي عندها كل جهود الدعاة المخلصين . وبطبيعة الحال هناك جملة وسائل تؤدي جميعها الى تحقيق ــ بدرجة او باخرى ــ البعث الاسلامي المنتظر . وهناك مـن جانب آخر انواع من الادوات تستخدم جميعها ايضـا لبلوغ المراد . ولست اعتقد ان هناك وسيلـة او اداة تضاهي **الاعلام** او تقوم مقامه فى عصرنا الراهن . ذلك ان البعث الاسلامي يأتي نتيجة تغيير جذري وتحويل عميق فى انماط السلوك واساليب التفكير وطرائـق تدبير شؤون الحياة والنظر الى جوهر وهدف وغايـة ونهاية مطاف هذه الحياة. والاعلام بامكانياته التأثيرية الضخمة هو وحده الذي نملك بواسطته احداث هـذا التغيير المرغوب والتحويل المطلوب ، وحتى **التعليـم** بجميع انواعه وبمختلف اساليبه وعبر كل مستوياتــه لا يؤدي ذلك التأثير الذي من شأنه أنه يحدث تغييـرا جذريا ينعطف بالانسان من حياة جاهلية او مستهترة غير منضبطة بقواعد من دين الى حياة الاســلام فى سعتها ورحمتها وواقعيتها . ومرجع ذلك الى الحالة التى تتلبس المرء وهو يتلقى موادا فى نطاق تعليم ما فى مرحلة ما . وهي حالة انضباط والتزام واستحضـار الذهن وتحفز الاعصاب والخوف من الفد والتهيب من المجهول ، وهذه حالة تتلبس ولا شك جل المتعلمين ان لم يكن الكل . وبديهي ان النفس لا تكون مستعدة لتقبل **منهج جديد** مخالف، لما اعتادت عليه وتكيفت به. ولذلك نجد كثيرا من مناهج التربية لا تفلح فى خلـق **الفرد المسلم** ، وبالتالي لا تبلغ شأوا بعيدا فى تعميق ذلك التغيير المنتظر فى النفس والعقل والقلب . وفى مقابل ذلك كله نجد تأثيرا مضادا لاجهزة الاعلام جميعها فى تكوين الفرد والجماعة على السواء ، ينطبق هذا على المجتمعات المتخلفة والنامية والمتقدمة ، ويصدق ايضا على الانسان فى المجتمعات الاسلاميــة (أو من المفروض ان تكون اسلاميــة ؟) وعلى صنـوه فى المجتمعات الشيوعيــة الاشتراكيــة والرأسماليــة المسيحية ، حيث نجد صورة واحدة متكررة للانسان المعاصر فى المشرق والمغرب « من نتاج » الاعــلام الجاهلي المعاصر ، تعكس الحيرة والضياع والتفسخ والانفلات من قيود الدين والاخلاق وعادات المجتمـع حسنها وسيئها ، والانغمار فى متاهات سحيقة مـن اوهم الذي يزكيه الثالوث الخبيــث (الصليبيـــة ــ الصهيونية ــ الشيوعية) . وعلى هذا الاساس يكـون نجاح مناهج التربية وبرامج التعليم فى بلد ما مرهونا ومرتبطا بمدى التزام سياسة الاعلام فى هذا البلـد بعقيدة ومقومات الامة ، فنحن وان الغينا كل مــواد التعليم ، وابقينا فقط على مادة التربيــة الاسلاميـة (بالمفهوم الشامل للتربية الاسلامية) ودرجنـا على تلقينها للنشء تلقينا مركزا مدعما بالقدوة الحسنـة فلن نستطيع ان تفلح فى خلق **الطالب المسلم** ان كان هناك جهاز اعلامي واحد ــ فقط ــ يداب على اشاعـة مفاهيم وآراء وافكار وتقاليد غريبة متناقضة مع مـا تلقنه للنشء على مقاعـد الدرس تكون النتيجـة في حالتنا هذه عكسيـة تماما .

من هنا ــ اذن ــ تبرز اهمية الاعلام فى مجـال تغيير المفاهيم السائدة بأخرى اسلامية تمهيدا لهداية الناس الى الدين والتعاون جميعا على النهوض بأعباء بعث اسلامي حقيقي . فالاعلام هو الوسيلة الكفيلـة باحداث ذلك التغيير الجذري المنتظر ، وهـو الاداة التى يصح الاعتماد عليها واستخدامها على نطاق واسع اختصارا لكثير من المسافة التي تفصل الناس اليوم عن البعث الاسلامي الحق .

اعــلام اسلامــي اولا :

من المسلم به ان اعلاما فاسدا منحرفـا لـن ينشيء الا فردا فاسدا منحرفا . ولذلك لا ينبغـي أن نعول على اعلام لا هوية له ، ولا هدف محدد لــه ، ولا مميزات تعكس صورة اصالة الامة الاسلامية ونصاعة عقيدتها . ومن هنا تنبع ضرورة انشاء اعلام اسلامـي يخدم الاسلام حقـا .

والاعلام الاسلامي فى بلد ما يعني وجود :

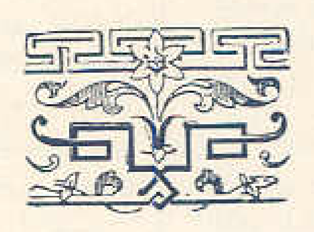
1 ــ اذاعــة اسلاميــة .
2 ــ تلفــزة اسلاميــة .
3 ــ صحافــة اسلاميــة .
4 ــ مســرح اسلامــي .
5 ــ سينمــا اسلاميــة .

ومن عجب أننا تجد اعلاما شيوعيا فى البلـــدان الشيوعية واعلاما راسماليا فى الدول الراسماليـــة المسيحية ، بل ونجد أيضا اعلاما يهوديا اسرائيليا فى فلـسطين المسلمة المحتلة ، وفى مقابل **ذلك لا نكـــاد** نعثر على نفوذ يذكر للاعلام الاسلامـــي فى البلـــدان الاسلامية على افتراض ان هناك اعلاما اسلاميا له نفوذ على الراي العام فى هذه البلدان .

قد يتصور المرء ان « اذاعة اسلامية هي تلـك التى تقتصر برامجها على اذاعة القرآن الكريم طيلـة ساعات الارسال . وهذا خطا فى التصور ، وقصور فى الفهم ، فمن حق « الاذاعة الاسلامية » أن تخوض فى كل الميادين مع مراعاة مقتضيات الاخلاق والتـــزام حدود الدين والتركيز على هداية الناس الى طريــق الحق بالكلمة الطيبة سواء اكانت فى اغنية او حديث او مسرحية او تعليق أو خبر ... الخ . ونحن نجـد مثالا لهذا **الالتزام الكامل** فى صورة عكسية عند الدول الشيوعية حيث يغلب طابع النظام العام على سياسـة الاعلام وعلى الاذاعة والتلفزة والصحافة بوجه عـــام . فدائما هناك حرص شديد على **التـــزام خط عـــام** لا انحراف عنـــه .

فانشاء اجهزة اعلامية ملتزمة بالخط الاسلامـي وسائرة وفق مفاهيمه هو الشرط الاساسي لوجـــود اعلام اسلامي يصح الاعتماد عليه فى الجهاد الاكبر من اجل توطيد دعائم البعث الاسلامي المنتظر .

الرباط ــ عبد القادر الادريسي





شهر رمضان يحل اوانه من كل عام فيستقبله مسلمو اليوم من الصوريين ببرود وتكاسل وتفور وتردد لانه في نظرهم يمنع العديد من المتع ، ويتلقاه مسلمو اليوم من المتنكرين بانقباض وتشاؤم وحزن وتهاون لكونه حسب فهمهم يمنعهم من شتى الرغبات التى يرونها ضرورية لهم والتى تتمثل فى خلع العذار واطلاق العنان فى ميدان المحرمات .

وبما انهم يفهمون بأن الحياة فوضى وعبث لكونهم من العصريين بل من المتحررين ، فهم لذلك لا يفرحون لحاول شهر رمضان الذي يعد في الاسلام شهر النظام الدقيق والقيم الصحيحة فى كل مجالات الحياة ، فماذا يفعلون وكيف يتصرفون للتغلب على موانع رمضان ؟! هل يمكنهم ان يمنعوا حلول رمضان او يتظاهروا ضده او يضربوا عن صيامه ؟ انهم لا يكفرون بركن الصيام ولكن يكفرون باهدافه وغاياته بمقاصده ومغازيه ، انهم يخشون مشاعر الناس ولا يخشون خالق الناس حق الخشية ولذلك فهم يصومون عادة لا عبادة ، صورة لا حقيقة ، تمثيلا لا تدليلا ، نفاقا لا اعتقادا بدون ان يهتموا أو يفكروا في المصير يوم القيامة !! وهكذا تلافيا لمواقف الاحراج وتجنبا لمواقف الافتضاح امام العامة فما عليهم الا ان يصوموا رمضان عادة لا عبادة على هذه الكيفية التى تبدو في صيامه نهارا وتمضيته فى لعب الاوراق ترفيها، وفى دخول دور الخيالة تسلية حتى يحين ابان الافطار حيث يسمح لهم بأن يملأوا بطونهم بما لذ وطاب من الطعام ليعوضوا ما حرم عليهم من اكل خلال النهار !

اما عن الشباب التقدمي بزعمه الباطل ، المغرور بفهمه القاصر ، العصري بثقافته السطحية ، المقدس لجاهلية القرن العشرين حتى اداه تقديسه الشاذ لها الى التنكر الغريب لدينه الحنيف ، فكان من مظاهر تنكره السافر عدم صيام رمضان لانه من الرجعية !! ولكي لا يكون رجعيا فهو علانية لا يصومه باسم التقدمية لان هذه التقدمية توحي اليه بأن فى الصوم صنوف التعذيب والتشديد والتضييع والحرمان هكذا !!

فبئست التقدمية التى من هذا النوع لانها ضلال وتضليل وجهل وتجهيل تجعل الانسان يعمل بشريعة الغاب فينحدر الى الحضيض بل ليكون من اخوان الحيوان !! وكيف لا وهي اي التقدمية الفاسدة المفسدة من بنات الصهيونية العالمية او اليهودية المنحرفة التى انتجت الجاهلية الحديثة التى هي فى الحقيقة رجعية فريدة غريبة لانها تهدف للرجعة بالانسان الى العمل بمبادىء وقوانين انسان الغاب !!

وفى تحسر اليم اقول : يحل شهر رمضان ليمضي بدون ان يهدي صائميه او يجديهم فى ناحية من نواحي حياتهم العلمية، فالله الحكيم يريده شهر تقوى وهم يريدونه شهر فوضى ، وهو شهر خير وهم يرونه شهر شر ، وهو موسم طاعة وهم يغتنمونه فى المعصية ، وهو فرصة لتحصيل المعرفة وهم

يضيعونه بلا استفادة ليبقوا في جهالة ، وهو طريقة ربانية للفوز بالصحة وعندهم وسيلة غير معقولة تسبب العلة ، وهم لما لهم من قصور في الفهم ونقص في التفهم ، وجهل بالحقائق وتجاهل لمبادىء الحق لا يمكنهم محاولة التعرف على اسرار وفوائد رمضان ليعرفوا بانه شهر ارادة تبني الشخصية ، وانسانية تحقق المرحمة بين الناس ، ورياضة روحية تسمو بالنفس ، وتربية قويمة تصلح احوال الشخص ، وايجابية مضمونة توصل الى معالي الامور ، وجهاد فريد ضد الذنوب ، واجتهاد مستمر في الطاعات ، وحرية بانية لسعادة الانسان ، وفلسفة للعيش عجيبة تقيد الجسم وتضمن العافية ، وقضاء على كل اعوجاج في الانسان يكفل التقويم الشامل له في رمضان وفي كل شهور العام .

ليت شعري كيف لهم ان يقدروا ركن الصوم وهم يعانون من الجهل المركب ويتميزون بمركب النقص في آن واحد : جهل سافر بكل ما هو اسلامي ونقص ظاهر في الوعي الديني ، وقصدي هو كل ما يمت بصلة الى الاسلام الصحيح .

فمن المستحيل ان تكون لهم اية استفادة برمضان في موضوع الهدايات التي توحي بها هذه الآيات البينات :

« شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .. » (البقرة : 185)

«يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .. (البقرة : 183)

وكم كنت استغرب وانا اسمع عن احداث بشعة وجرائم شنيعة ، والاحظ من تصرفات لا ايمانية واعمال لا معقولة في شهر رمضان من كل عام، كأن هذا الشهر لم يفرض صيامه الا للاساءة والاجرام لا للاحسان والانابة ، فكم رأينا من ناس وسمعنا عن آخرين فيما مضى من رمضانات وهم لا يملكون انفسهم ولا يكفون عن العصيان في شهر القرآن .

ان البرهنة على ما اقول تتمثل في احداث ثلاثة لي علم بها وقعت في رمضان لسنة 1391 بالرباط، وهي احداث دالة على سوء التقدير لهذا الشهر بل دالة على كفران حقه وهو الشهر الذي اراده الله موسم خير وطاعات .

وابدا بالاشارة الى الحدث الاول الذي قرات عنه وسمعت وهو يتلخص في عملية سطو على احد بنوك العاصمة من طرف لص مسلح انتهت باستيلائه على عدة ملايين فاز بها في لحظات معدودات .

والحدث الثاني شاهد أحد اخواني اثره الباقي وملخصه ان متزوجا كانت له علاقة غير شريفة بامراة اجنبية عنه الحت عليه بل ارغمته بعد محاولات منها يائسة بان يتزوجها بعد ما يطلق زوجته الشرعية ذات الاولاد منه ، ولكنه راى بانها قد جاوزت حدها ، فماذا يفعل وقد قضى وطره منها ؟

لقد كان الحل في نظره هو ان يرد عليها علنا ونهارا في شارع بالرباط امام المارة بعدة رصاصات كانت بها نهاية حياتها في ساعة من يوم من ايام رمضان !

والحدث الثالث حضره والدي في السوق المركزي بالرباط وكان عبارة عن مناقشة حادة بين شخصين تطورت الى شجار عنيف بينهما نتج عنه اصابة احدهما بجروح خطيرة جعلته بين الموت والحياة .

هذه الاحداث ومثيلاتها من نوع السباب والشتم والغضب والايذاء من اي صنف كانت كلها حجج مفحمة على افلاس المسلم من الحسنات في هذا الشهر الذي يغتنمه فقط المتنكر له في فعل المنكر مع الاستهتار الملحوظ بقيم الخير فيه .

فكيف يمكن تعليل وقوع كثرة المنكرات في شهر رمضان بالذات ؟

ولم الاقبال بالضبط على اعمال الكفر والفسوق والعصيان لا الاقبال على اعمال الايمان في هذا الشهر ؟

الجواب الواضح بل التعليل الصريح هو في انعدام الوزع الايماني ، والرادع الاخلاقي ، والوعي الديني ، وغيب الحكم الاسلامي والقصاص الحق مع الجهل التام بالفقه الصحيح الذي يلهم الناس الرشد في الاعمال والاصلاح في الاحوال ، قال رسول الله :

« اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين والهمه رشده » (1) .

---

(1) رواه البزار برجال ثقات (الهيثمي ج 1 ص 120)

والحقيقة ان الحلول الواقيـة من انحرافـات الناس هي في حقائق الايمان ، فمتى خمدت جذوتـه وانطفأت شعلته فقد الانسان حيوية الايمان ومفعوله، واصابه الشر المزمن الذي يصير صاحبه يعيش بتأثير الشيطان عليه فيقبل على اعمال العصيان لا يفرق بين الحلال والحرام ولا يميز بين الكفر والايمان ولا يقدر بالتالي ايام رمضان بالنسبة لباقي ايام العام .

وهكذا يعيش الناس في غيبوبة الضمير الحـي وفقدان اصالة الايمان وهم اقرب ما يكونون الى الكفرة الفجرة ، الفسقة الظلمة بحيث يصلون الى مرحلـة العصيان باستمرار وفي اصرار حتى يكونـوا ممـن يزنون ويسرقون ويسكرون ولا يرعوون وهلم جرا.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يزنـي الزانـي حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق الســارق حيـن يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن فاذا فعل ذلك خلع ربقة الاسلام من عنقه، فان تاب تاب الله عليه) (2) .

ومرحلة الحضيض هذه في العصيان التي قد يصلها اي مسلم جاهل بدينه او متجاهل له انما يمر بها من لا يتخذ وسائل الصيانة والعصمة المتحققة في اوامر الله ونواهيه ، فتطبيقها كلية وبكل اتقان دليل صادق على الايمان بهذا الدين ، فهي من معالم طريق الخير لهذا المسلم ، وهي من ثمرات التقوى التي تلازم المسلم بحكم اليقين ، لتجعله يلتزم على الدوام بتعاليم دينه وبالاخص في رمضان فرصة الحياة وسعادة العمر كي يواصل السير الحثيث في سبيل الله داعيا الى الحق ، يهتدى ويهدي للخير لانه يتقي ، وما اجمـل التقوى في رمضان ! بل ما ألزمها عليه وما احوجـه اليها فيه لكي يصلح الحال ويقي المصيـر في هـذه وتلك ! فهل نتقي ومتى نبادر الى التقوى ؟

ما احكمك ربي وما ارحمك ! انت الهي لا تأمر الا بالحق ولا تهدي الا الى الخير فقولك حق وانت اصدق القائلين ، وما اعظمه من قول عن حقيقة صيام رمضان مبرهن على اهمية رمضان ! ترى هل نعيـه ونقدره ونفقهه ونتدبره في شهر القرآن ؟

« .. كتب عليكم الصيام كما كتب على الذيـن من قبلكم لعلكم تتقون .. »

صدق الله العظيم

الرباط ـ محمد ابراهيم بخـات

---

(2) رواه البخاري والنسائي بزيادة : (فاذا فعل ذلك خلع ربقة الاسلام من عنقه ، فان تاب تاب الله عليـــه) .



في الرد على شبهات الضالين ودرء مفتريات الحاقدين

للاستاذ توفيق علي وهبة

– 2 –

الفصل الرابع

هل انتشر الاسلام بحد السيف ؟

يقول الكاتب ص 92 جـ 2 (وكان يدعو الناس الى التسليم بدعوته وقبولها في أول أمره بالحسنى والرفق واللين والرضى ، ويتظاهر بعدم اكراه احد والزامه قبول الاسلام . وقد وردت بهذا الشأن نصوص كثيرة في القرآن لامحل لايرادها . «راجع سورة البقرة آية 257 وآل عمران آية 19 والانعام آية 66 وآية 104 وآية 107 ويونس آية 99 ، 100 والاحزاب آية 47 والنمل آية 126 وبني اسرائيل آية 106 والزمر آية 42 » . ويظهر انه كان مراعيا للظروف فقط وخاصة ظروفه فتظاهره بدعوته الناس الى قبول تعليمه غير مكرهين كان في حال ضعفه فلما اشتد أزره انقلب الى العكس كما يعلم من نصوص اخرى عكس التي أشرنا اليها .

راجع سورة البقرة آية 188 والتوبة آية 5 وآية 28 وآية 71 ومحمد آية 4 والنساء آية 83 ، 88)

وهذه الفرية ليست بالجديدة ايضا وانما رددها الكثير من المستشرقين والحاقدين امثال صاحب الخريدة النفيسة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يبدا بحرب المشركين او اكراههم على قبول الدعوة الاسلامية ، وان ما حدث هو أن اهل الشرك في مكة آذوا المسلمين وعذبوهم ونكلوا بهم حتى هاجر بعضهم مرتين الى الحبشة هربا من الاضطهاد والتعذيب في مكة ، فأرسلت قريش الى ملك الحبشة ليرد المهاجرين اليهم لينتقموا منهم ، ولكنه عندما سمع كلامهم وعرف منهم حقيقة الدين الذي آمنوا به رفض تسليمهم ورد وفد قريش على اعقابه . ثم كانت الهجرة الى المدينة فرارا بدين الله حينما وجد الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل يثرب اقبالا على الاسلام وتاييدا له فكانت الهجرة لتدعيم الدعوة الاسلامية وتثبيتها ، ونشرها في شبه جزيرة العرب بعيدا عن قريش واضطهادها لكل من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد طلب كثير من المسلمين مقاتلة اهل الشرك دفاعا عن انفسهم ودينهم ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يوافقهم ويقول لهم لم اومر بقتال ، لم اومر بقتال لان الله تعالى امر بالدعوة الى دين الله باللين والحسنى ، (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) .

واستمر المسلمون ثلاثة عشر عاما يدعون الناس بالحسنى ويتحملون ايذاء الكفار واستفزازاتهم دون ان يردوا عليهم ، ولما وجدوا أن المشركين يعدون العدة لقتالهم والقضاء عليهم في المدينة ، كان من الضروري للمحافظة على الدين الاسلامي وعلى المسلمين ان يدافعوا عن انفسهم وعن دينهم ، فكانت جميع الغزوات المعروفة في السيره النبوية دفاعا ضد عدوان أهل الشرك او اليهود ، فالاسلام لم يبدا بقتالهم وانما قاتلهم ردا على اعتداءاتهم دفاعا عن النفس ، وبذلك بأمر من الله تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » .

(اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا، وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا

ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) .

فبالنسبة للقتال بين مشركي مكة ويهود يثرب من جانب وبين المسلمين من جانب آخر كان البادىء به دائما هم المشركون أو اليهود . ولم يقاتل المسلمون ابدا من لم يقاتلهم ولم تكن الغزوات سلبا ونهبا وتنكيلا كما يدعي هذا الحاقد ، وانما كانت دفاعا عن الاسلام ووقوفا في وجه ظلم المشركين وايذائهم للمسلمين .

اما بالنسبة لقتال الفرس والروم فقد كانت الدولتان تسيطران على معظم بلاد العرب وبداوا يستعدون لقتال المسلمين . فالروم قتلوا مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي توجه بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى والي الروم ببصرى ولم يسمحوا لمن يريد الدخول في الاسلام أن يعتنقه . اما الفرس فقد ارسل كسرى ردا على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم اليه الى واليه على اليمن يطلب منه قتال الرسول صلى الله عليه وسلم وارسال راسه الى كسرى اذا لم يرجع عما يدعو اليه .

وازاء ذلك كان على المسلمين ان يعدوا انفسهم لمهاجمة هؤلاء المشركين قبل ان يهاجموهم فكانت الحرب بين المسلمين وبين الفرس والروم ردا على استفزازاتهم واعتداءاتهم على المسلمين وفي جميع الفتوحات الاسلامية التى حدثت لم يجبر احد على اعتناق الاسلام وتركت حرية الدين للجميع (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) . لقد كان على اهل البلاد المفتوحة الاختيار بين أحد أمرين : اما الاسلام او البقاء على دينهم مع دفع الجزية . وكانت الجزية هذه تدفع مقابل حماية جيش المسلمين للذميين الذين يعيشون في البلاد التي تخضع للحكومة الاسلامية أو البلاد التي تتحالف معها على أن يحميها المسلمون ، لم يقتل المسلمون من يلقون سلاحهم أو يتعاهدون معهم . ولم يجبروا أحدا منهم على اعتناق الاسلام .

والكاتب نفسه الذى يدعي انالرسول نشر الدعوة بالقوة يتناقض مع نفسه اذ يقول ص 103 عن فتح مصر (وتصالح الاقباط مع العرب على أن يدفع كل نفر منهم دينارين ما عدا الشيخ والولد البالغ من العمر 13 سنة والمراة ، واحصى من دفع الجزية تلك السنة من الاقباط فكان عددهم ستة ملايين نفرا) .

فلو كان الاسلام يدعو الى عبادة الله والايمان بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم بالقوة لما وافق الفاتحون العرب على تأمين الاقباط في مصر على دينهم على ان يدفعوا الجزية ولأجبروهم على اعتناق الاسلام.

فكما قلنا أن الفاتحين العرب امنوا كل البلاد المفتوحة ، وقبلوا الجزية ممن رفض الدخول في الاسلام ، ولم يرو لنا التاريخ عن اي بلد أجبر اهله على اعتناق الاسلام وانما كان الدخول في الاسلام بالاختيار عن اقناع واقتناع .

وما كانت الفتوحات او الغزوات الاسلامية توسعا او محاولة تكوين ملك للعرب كما يدعي المفترون، وانما كانت تأمينا للدعوة الاسلامية ودعوة بالحسنى لمن يهد الله قلبه للايمان ، اما الذين طمس الله على قلوبهم واعماهم ولم يؤمنوا فقد تركوا وما يعتقدون ما داموا لا يحاولون محاربة المسلمين او التشكيك في دينهم ..!

لقد كان الفاتحون قبل الاسلام يجبرون البلاد التي يغزونها على الخضوع لهم دون السماح لشعبها باي حرية او حق وكانوا يبيدون اجناسا باكملها ويهدمون مدنا ويقضون على من فيها .

ولكن العرب لم يهدموا ولم يخربوا ولم يحرقوا زرعا او خلافه ولم يقاتلوا أو يقتلوا شيوخا أو نساء او اطفالا ، وانما منحوهم حريتهم السياسية وحريتهم الدينية ، ولم يقبلوا من هؤلاء الضعفاء درهما ولا دينارا، وانما كانوا يؤمنونهم دون مقابل .

وانتشرت مبادىء الحرية والعدل والمساواة في ربوع البلاد التي فتحها العرب لا فرق بين غنيهم وفقيرهم كلهم سواسية ، الملك والمملوك ، والسيد والمسود والمسلم وغير المسلم ، كلهم امام القانون سواء مواطنون لهم كافة الحقوق وعليهم كافة الواجبات .

ومما يدحض فرية انتشار الاسلام بالقوة ان معظم البلاد التي انتشر فيها الاسلام في آسيا وافريقيا كان ينتشر بقوته الذاتية ومبادئه القويمة عن طريق التجار المسلمين الذين رأى فيهم اصحاب تلك البلاد الامانة والورع والتقوى ، وكانوا يشاهدونهم وهم يقومون بشعائر دينهم فيسالون عن هذا الدين فيشرحونه لهم ويقنعونهم به ، وعندئذ يعلمون انه دين سماوي منزل من لدن عزيز حكيم فيؤمنون على ايدي هؤلاء التجار ، لدرجة ان هناك دولا باكملها اسلمت دون ان يدخلها جيش من المسلمين ومنها على سبيل المثال اندونيسيا التي اسلمت جميعها بما فيهم ملك البلاد على يد رجل تاجر من المسلمين .... !!

الفصـــل الخامـــس

تحويل القبلة من بيت المقدس الى البيت الحرام

يقول الكاتب الحاقد على الاسلام ورسولـــه ص 92 ، 93 جـ 2 (وكذلك راعى « محمد » فى اول الامر خاطر اليهود ليكونوا أعوانا له وجعل وجهة المصلين بيت المقدس فلما قويت شوكته نقض هـــذا الامـــر وجعل وجهة المصلين الكعبة وهي معبد اصنامي قديم لعرب قريش لا يزال فيه حجر اسود يدعي العرب انه نزل من الجنة . وطالب محمد من كبار قريش ان يزيلوا الاصنام من الكعبة فتوقفوا والتمس عنه نفر ان يكرم معبوداتهم لكيلا ينفر الناس من دعوته فاكرمها ومدحها بقوله : « افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى » «تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى» وقد ورد ذلك فى سورة النجم ولكن العبارة الاخيرة حذفهـــا جامعوا القرآن لانهم راوا انها محطة بمنزلة محمد ولكن المفسرين اثبتوها وايدوا نسبتها لمحمد واعتذروا عنه واشهرهم ابن عباس) .

سبحان الذي جعل البيت الحرام مثابة للنـــاس وامنا منذ ان خلق الارض ومن عليها حتى يقوم الناس لرب العالمين . لقد كانت الكعبة منذ خلـــق الله آدم حتى بعثة ابينا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام قبلة الاديان والرسالات التي بعثها الله سبحانه وتعالى هدى للناس ورحمة .

وعندما تحولت الرسالة الى بنـــي اسرائيـــل تحولت كذلك القبلة الى بيت المقدس ، وظل بيـــت المقدس قبلة اليهودية والمسيحية حتى كانت بعثـــة خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلـــم .

ويقول البعض ان القبلة ظلت الى بيت المقدس فى بدء الرسالة المحمديـــة ثم بعد هجرتـــه صلـــى الله عليه وسلم الى المدينة لمدة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وبعد ذلك امره الله سبحانه وتعالى ان يغير قبلته الى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة .

ولكن الراي الراجح ان القبلة كانت فى بدايـــة البعثة المحمدية الى البيت الحرام ثم غيرت الى بيت المقدس بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة وذلك تاليفا لقلوب اهل الكتاب من يهود ومسيحيين واختبارا للعرب الذين آمنوا برسالة خاتم الانبيـــاء فالمنافقون سوف يرتـــدون عن الاسلام ، اما اقويـــاء الايمان فسيزيدهم الله ايمانا على ايمانهم . . .

ولما لم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم تجاوبـــا من أهل الكتاب وظلوا على عنادهم واستكبارهم ، عاد صلى الله عليه وسلم يحن الى قبلته الاولى وهي بيت الله الحرام ، وفعلا نزل القرآن الكريم مقررا تعديل القبلة اشارة الى انتقال الرسالة من بني اسرائيل الى العرب وتعظيما وتمجيدا لبيت الله الحرام .

يقول الله تعالى : (قد نرى تقلب وجهـــك فى الســـماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهـــك شطـــر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) .

ومعنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى راى تطلـــع الرسول صلى الله عليه وسلم الى السماء عســـى أن ينزل عليه الوحي بتغيير القبلة من بيت المقـــدس الى الكعبة التي يحبها لانها قبلة سيدنا ابراهيم ، ومخالفا بذلك لليهود ، ولانها ادعى للعرب الى الايمـــان لانهـــا مفخرتهم ومزارهم ومطافهم فيقول الله له فيها نحن اولئك نؤتيك سؤلك فاستقبل فى صلاتك المسجـــد الحرام الذي تحن وتميل اليه لامنيتك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته . وانتم ايضـــا ايها المسلمون استقبلوه فى اي مكان تكونون ، وان اهل الكتاب الذين ينكرون عليك التحول عن قبلة بيت المقدس قد عرفوا من كتبهم انكم اهل الكعبة وعلموا ان امر الله جار على تخصيص كل شريعة بقبلة وان هذا هو الحق من ربهم ولكنهم يريدون فتنتكم وتشكيككم فى دينكم والله ليس غافلا عنهم وهو يجزيهم بما يعملون .

ان البقعة المباركة التي توجد بها الكعبة تشبـــه البيت المعمور فى السماء وهو مطاف الملائكة هناك ، فنحن فى الارض نطوف حول البيت الحرام كما يطوف الملائكة فى السماء حول البيت المعمـــور تعظيـــما لله وتمجيدا .

ويقول الله سبحانه وتعالى : (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) ويقول جل شانه : (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشون ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون) .

يقول المرحوم الشيخ عبد اللطيـــف السبكـــي « كان حادث القبلة عجبا طاشت له عقول الكافريـــن ، والمنافقين ، فقريش تقول ان محمدا عاد الى قبلتـــه فى مكة حنينا الى بلده ، وسيعود قريبا الى دين آبائه

واهل الكتاب يقولون : ما الذي دعا محمدا وأصحابه الى التحول عن بيت المقدس كما كان فى أول عهده بالمدينة ؟ وصدق الله تعالى اذ يقول : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها » وهذا السفه يجري على لسان اليهود والمشركين ، والله تعالى يلقن رسوله الجواب الحاسم « قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

كانت سفاهة أولئك طمعا فى مطاوعة النبي لهم وعودته الى قبلتهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم مشغوفا بهدايتهم او اتباعهم لقبلته الحقة .

ويقول الاستاذ محمد فريد وجدي فى تفسيره « فوجهوا وجوهكم نحو البيت الحرام لتدفعوا حجة اليهود عليكم فى قولهم ان التوراة نصت على نبي آخر الزمان قبلته الكعبة ومحمد يجحد ديننا ويتبعنا فى قبلتنا ولتدفعوا حجة المشركين ايضا فى قولهم كيف يدعي محمد ملة ابراهيم ويخالف قبلته » .

روى الامام احمد عن البراء بن عازب قال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على اجداده او اخواله من الانصار انه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته البيت ، وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على اهل مسجد وهم راكعون، فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة ، قال : فداروا كما هم قبل البيت وكان يعجبه أن يحول قبل البيت وكان اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس واهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك » .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها : « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : انهم – يعني اليهود – لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين» .

لقد اصبحت الكعبة قبلة المسلمين فى جميع انحا الارض عليهم ان يتجهوا اليها جميعا اينما كانوا وحيثما كانوا ولا صلاة لمن لم يستقبل الكعبة لمخالفته اوامر الله وعزوفه عن التوجه الى مولاه سبحانه وتعالى .

يقول القرطبي رضي الله عنه فى تفسيره : « لا خلاف بين العلماء ان الكعبة قبلة فى كل افق ، واجمعوا على ان من شاهدها وعاينها فرض عليه استقبالها ، وانه ان ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له ، وعليه اعادة كل ما صلى ، ذكره ابو عمر واجمعوا على ان كل من غاب عنها ان يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقاءها ، فان خفيت عليه فعليه أن يستدل على ذلك بكل ما يمكنه من النجوم والرياح والجبال وغير ذلك مما يمكن أن يستدل به على ناحيتها ومن جلس فى المسجد الحرام فليكن وجهه الى الكعبة وينظر اليها ايمانا واحتسابا ، فانه يروى ان النظر الى الكعبة عبادة . قاله عطاء ومجاهد » .

اما قول الكاتب ان الحجر الاسود من الجنة فقد اعتمد على بعض الاحاديث الضعيفة التي لم يقبلها ائمة الحديث وعلماؤه المحققون ومنها ما روي عن عبد الله ابن عمرو بن العاص انه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما . ولولا ان طمس الله نورهما لاضاءا ما بين المشرق والمغرب (ذكره الترمذي فى صحيحه وقال حديث غريب) .

وهناك روايتان عن ابن عباس متعارضتان يقول فى احداهما : « نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا فى اللبن فسودته خطايا بني آدم »، ويقول فى رواية اخرى : « انما غيره الله بالسواد لئلا ينظر اهل الدنيا الى زينة الجنة وانه لياقوتة بيضاء » .

وهذه الاحاديث ضعيفة ولم يقبلها اهل العلم والتمحيص ، والراجح ان الحجر الاسود حجر عادي ولونه مخالف للاحجار التي بنيت منها الكعبة ليعرف مكانه حيث يبدأ منه الطواف بالكعبة . والمروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقبله ، كما قبله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقول والله انني اعلم انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك . فتقبيل الحجر سنة عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد يكون التقبيل تكريما لواضعي هذا الحجر فى مكانه وهما سيدنا ابراهيم وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، ولمس الحجر فى الطواف بمثابة مصافحة لجميع المسلمين وتعاهد على العمل لصالح الاسلام والمسلمين وتعاهد بين العبد وربه على اتباع أوامره واجتناب نواهيه سبحانه وتعالى .

فالحجر الاسود سواء أكان من الجنة او من احجار الارض فان ذلك لا يقدم ولا يؤخر شيئا ، فهو حجر لا يضر ولا ينفع وانما هو كما قلنا علامة لبداية الطواف حتى لا يضطرب الطائفون فى الاركان ، فليس

الحجر الاسود من الجنة ولا هو من آثار المشركين كما يدعي بعض الذين يشككون في تقبيل الحجر او لمسه بل هو من آثار سيدنا ابراهيم عليه السلام ومن الحجارة التي وضعها في الكعبة ولا يمكن تفسير تقبيل الحجر الاسود على انه وثنية لان الوثنية معناها عبادة الوثن والشرك بالله . وليس هناك مسلم حين يستلم الحجر الاسود او يقبله او يشير اليه يفكر فيه تفكير العبادة .

الفصل السادس

قصة الفرانيق

يدعي الكاتب ـ مسايرا في ذلك الكثير من المستشرقين ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم مدح الاصنام بقوله : (افرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الاخرى . تلك الفرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى) ، مستندين في ذلك على ما رواه بعض المفسرين من أن النبي صلى الله عليه وسلم تمنى الا ينزل عليه قرآن ينفر قريشا منه وقارب قومه ، ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوما في ناد من تلك الاندية حول الكعبة فقرأ عليهم سورة النجم بالكيفية السالفة فلما وجدوا انه يعترف بآلهتهم وانه جعل لها نصيبا قالوا له نحن معك وبذلك زال وجه الخلاف بينه وبينهم .

ولقد ارتد محمد عن ذكر آلهة قريش بالخير في الروايات التي ذكرت انه مدحها لانه كبر عليه قول قريش « أما اذا جعلت لآلهتنا نصيبا فنحن معك » ولانه جلس في بيته حتى اذا امسى اتاه جبريل فعرض النبي عليه سورة النجم فقال جبريل : (أو جئتك بهاتين الكلمتين) ؟ مشيرا الى « تلك الفرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى » قال محمد قلت على الله ما لم يقل ثم أوحى الله اليه : « وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا . ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » وبذلك عاد يذكر آلهة قريش بالشر ويسبهم فعادت قريش لايذائه واصحابه .

تلك هي قصة الفرانيق التي تلقفها المستشرقون والحاقدون على الاسلام من بعض الروايات الضعيفة التي اثبتتها رغم أن الباحث المدقق في هذا الموضوع لا بد أن يرفض قبول هذه الروايات . ولقد سبق ان رفضها ابن اسحق حين سئل عنها حيث قال : انها من وضع الزنادقة .

ويستند المدعون بهذه الفرية على حجتين :

1 ـ ان المهاجرين الى الحبشة عندما علموا بان محمدا قد تصالح مع قريش بعد أن ذكر آلهتهم بخير عادوا الى وطنهم وتركوا بلاد الحبشة على الرغم من أن ملكها قد أكرمهم ورفض تسليمهم لقريش عند طلبهم .

ومما يدحض هذا القول أن المهاجرين تركوا الحبشة عندما سمعوا باسلام عمر واكتساب الاسلام القوة بانضمام عمر بن الخطاب اليه ولان الحبشة كانت قد حدثت بها ثورة ضد النجاشي من اسبابها ما ابداه من عطف على مهاجري المسلمين . ولذلك آثروا العودة الى بلادهم والابتعاد من هذه الثورة .

2 ـ اما الحجة الثانية فهي التي يستند عليها بعض المفسرين في تفسير آيات :

(وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك) ، (ما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته) وهذه الحجة لا تقل ضعفا عن الحجة السابقة لان الله سبحانه وتعالى يقول في صدر هذه الآيات : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا » ومعنى ذلك انه لو افترضنا أن الشيطان قد القى في أمنية الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كاد يركن اليهم شيئا قليلا الا أن الله ثبته وحفظه فلم يفعل لانه لو فعل ذلك لأذاقه الله ضعف الحياة وضعف الممات .

ومن الجدير بالذكر ان كتب التفاسير جعلت لهذه الآيات موضعا آخر غير مسألة الفرانيق فلا يبق اي وجه للاحتجاج بها في هذه المسألة .

ومما يدل على كذب قصة الفرانيق انها ذكرت بعدة روايات منها « تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى » ، « الفرانقة العلا وان شفاعتهن لترتجى » ، « ان شفاعتهن لترتجى » دون ذكر الغرانقه . « انها لهي الفرانيق العلا » ، « انهن لهن الفرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى » وروايات اخرى كثيرة مختلفة مما يقطع بكذبها .

فالغرض من وضعها كما قال ابن اسحق هو التشكيك في صدق تبليغ محمد رسالات ربه . ويقرر الشيخ محمد عبده رحمه الله أنه مما يقطع بكذب هذه الروايات أن وصف العرب لآلهتهم بأنها

الفرانيق لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن احد ان ذلك الوصف كان جاريا على السنتهم، وانما ورد الفرنوق على انه اسم لطائر مائي أسود او أبيض والشاب الابيض الجميل ، ولا يناسب شيء من ذلك لوصف الاصنام التي كان يعبدها كفار مكة .

لقد وضع الزنادقة هذه القصة للتشكيك في صدق محمد والصد عن دعوته وللاسف تابعهم بعض المفسرين ، مع انه كان الاحرى بهؤلاء المفسرين ومن تابعهم ان يرفضوا هذه المفتريات لان الله سبحانه وتعالى عاصم انبياءه من الخطأ في تبليغ رسالاتهم ، وحيث ان محمدا صلى الله عليه وسلم معصوم ولا يمكن ان يخطىء في تبليغ رسالة ربه وخاصة في مسألة التوحيد التي هي أساس العقيدة ، فان هذه الروايات المكذوبة على رسول الله تؤدي الى زعزعة الثقة فيما يدعو اليه رسول الله من عبادة اله واحد لا شريك له في الملك . فاذا جاء المفترون والحاقدون وقالوا انه صلى الله عليه وسلم أشرك الاصنام مع الله سبحانه وتعالى في العبادة لكان ذلك هدما للاسلام من اساسه، وحاشا لله ان ينقل رسول الله المعصوم قولا عن الله سبحانه وتعالى لم يوح به اليه ، حاشا لله ان يكون له شريك في الملك وتعالى الله عما يفترون علوا كبيرا وصدق الله العظيم اذ يقول « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ان الزعم بانه صلى الله عليه وسلم مدح الاصنام ومجدها لا يستقيم مع واقع الدعوة الاسلامية فقد ثبت بنص القرآن ان وفدا من الكافرين أتى النبي فعرض عليه ان يعبد آلهتهم سنة وهم يعبدون الله سنة فنزل قول الله سبحانه وتعالى : « قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولي دين » .

يقول الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسير هذه السورة : « مفاد الجملتين الاوليين الاختلاف التام في المعبود ومفاد الجملتين الاخريين تمام الاختلاف في العبادة : فلا معبودنا واحد ، ولا عبادتنا واحدة . لان معبودي ذلك الاله الواحد المنزه عن الند والشفيع ، المتعالي عن الظهور في شخص معين او المحاباة لشعب او واحد بعينه الباسط فضله لكل من اخلص له ، الآخذ قهره بناصية كل من نابذ المبلغين الصادقين عنه . والذي تعبدونه على خلاف ذلك . . . وعبادتي مخلصة لله وحده ، وعبادتكم مشوبة بالشرك مصحوبة بالغفلة عن الله تعالى ، فلا تسمى على الحقيقة عبادة ، فاين هي من عبادتي ؟ (لكم دينكم) دينكم مختص بكم لا يتعداكم الي ، فلا تظنوا أني عليه او على شيء منه . (ولي دين) اي ديني هو دين خاص بي ، وهو الذي أدعو اليه ولا مشاركة بينه وبين ما انتم عليه » .

هكذا تظهر هذه السورة الشريفة انه لا علاقة اطلاقا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المشركين لا في العبادة ولا في المعبود . وهذه هي الحقيقة التي لا مراء فيها والتي تصفع القائلين بانه صلى الله عليه وسلم مدح الاصنام ؟؟

ان الكاتب الحاقد الذي اراد أن يلصق هذا الافتراء بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو منه بريء تخبط في اقواله حتى كذبت بعضها فهو يقول ان جامعي القرآن حذفوا عبارة « تلك الفرانيق العلى . . . » لانهم راوا انها محطة بمنزلة محمد . . . ثم يعود فيقول في فقرة تالية (وقد أحس محمد بفلطته وعدل عنها فنقم عليه عبدة تلك الاصنام وقصدوا ايذاءه واضمروا الشر له فلما انكشف له سوء مقصدهم هجر مكة وهرب الى مدينة يثرب وكان ذلك سنة 622 ، ومن سنة هروبه يبدأ تاريخ الاسلام) .

هل هناك تناقض اكثر من ذلك يقول ان جامعي القرآن حذفوا هذه العبارة ثم يعود فيقول ان محمدا عدل عنها ؟؟ اظن ان كلامه واضح لا يحتاج الى تعليق فهو ينم عن حقد دفين يحمله في قلبه للاسلام فليمت بغيظه !!!

الفصل السابع

المسيح وعقيدة التثليث

يقول الكاتب ص 93 (ثم توفي — اي رسول الله — فخلفه ابو بكر الصديق وسمي الصديق لانه هو أول من سلم لمحمد بقبول دعوته واحياها بعد موته وقد اصبحت بموته على وشك الاضمحلال لان المسلمين كانوا يرجون ان يقوم نبيهم من الاموات كما قام المسيح فلما لم يقم تفرقوا كل واحد الى قبيلته) .

ويثير هذا الكلام نقطتين : اولاهما الادعاء بأن المسيح قام من الاموات بعد صلبه !! والثانية الادعاء بأن ردة البعض التي حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كان سببها عدم قيام محمد صلى الله عليه وسلم من الاموات كما قام المسيح . . . !!!

فهل حقيقة قام المسيح من الاموات ؟

القول بأن السيد المسيح عليه السلام قام من الاموات مرتبط بالاعتقاد فى ان اليهود صلبوه ثم قام بعد موته بثلاثة ايام والتقى ببعض تلاميذه وحوارييه . يقول متى : « ان ملكا لافى امراتين واخبرهما ان المسيح قام من الاموات فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبر التلاميذ وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه اذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما فتقدمتا وامسكتا بقدميه وسجدتا له فقال لهما يسوع لا تخافا اذهبا قولا لاخوتي ان يذهبوا الى الجبل وهناك يرونني » اما لوقا فيروي قصة المسيح بطريقة اخرى واثبت انه لم يقابل النسوة » . بينما يوحنا فيقول ان المراة قابلت المسيح اثناء وجودها مع الملكين عند القبر وانه قال لها (قولي لهم اني أصعد الى ابي وابيكم الهي والهكم) .

ويتبين من روايات الاناجيل للقضية المزعومة بصلب السيد المسيح ثم قيامه انها روايات مختلفة اخترعها كاتبوها بل انها تثبت ان المصلوب هو رجل آخر خلاف السيد المسيح وان صحت روايته انه عليه السلام ظهر بعد ثلاثة ايام من واقعة الصلب فان ذلك يؤيد ما جاء بالقرآن الكريم من أن المسيح لم يقتل ولم يصلب وانما رفعه الله اليه ، فاذا كان المسيح قد ظهر حقا بعد ثلاثة ايام من واقعة الصلب المزعومة فليس معنى ذلك انه صلب ثم قام بعد الموت وانما يدل ذلك دلالة قاطعة على ان المصلوب انسان آخر غير السيد المسيح عليه السلام .

ولم يثبت ان السيد المسيح عليه السلام قرر او اعلن انه سوف يصلب وانما الثابت انه اكد ان هذه الميتة الشنعاء سوف تلصق به حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فينفي عنه هذه الميتة .

والقرآن الكريم ينفي واقعة الصلب نفيا قاطعا حيث يقول الله تعالى : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) « النساء آية 157 »

ومما يؤكد عدم صحة واقعة صلب السيد المسيح عليه السلام ان رواة الاناجيل لم يشهدوا واقعة الصلب وانما نقلوا ذلك عمن شهدها من اليهود، ولم يشهد احد من تلاميذ المسيح أو حوارييه واقعة القبض عليه ، فحينما هاجمه المكلفون بالقبض عليه كان فى عدد قليل من تلاميذه فتركوه جميعا وهربوا وعلى ذلك فلا يعلم احد منهم من هو الذي قبض عليه ، كما ان المصلوب لم يصلب فى المكان الذي كان مخصصا له وانما صلب فى مكان معزول غير مطروق ثم اخفوا جثته بعد ست ساعات حتى لا تطلع عليه العامة وادعوا أن اتباعه سرقوه وكل الروايات التي وردت بالاناجيل عن حادثة صلب السيد المسيح من الاسرائيليات حيث استقاها رواتها من اليهود الذين شهدوا هذه الواقعة .

ويعلم زعماء اليهود تماما انهم لم يصلبوا السيد المسيح ولم يستطيعوا القبض عليه ، ولكنهم ارادوا تضليل العامة عند فشلهم فى العثور على المسيح واذاعوا هذه المفتريات كذبا وبهتانا ضد المسيح نبي الله ورسوله الذي عصمه الله منهم ونجاه مما يدبرون له فرفعه اليه كما هو ثابت فى آية سورة النساء .

ومما يثبت كذب ما ادعاه اليهود هو ما روته بعض الاناجيل من ان بعضا من اتباع المسيح عليه السلام قد شاهدوه فى اليوم الثالث لواقعة الصلب وهذا يدل فى صراحة ووضوح أن المصلوب هو شخص آخر ، يقول المسيح لليهود الذين أتوا للقبض عليه : « أنا معكم زمانا يسيرا ثم امضي الى الذي ارسلني ستطلبونني وحيث اكون انا لا تقدرون انتم أن تاتوا يوحنا 7 / 33 .

ولقد قرر بطرس رئيس الحواريين انه لا يعرف المصلوب حينما سئل عنه حيث قال : (اني لا اعرف الرجل) متى 27 .

أبو بكر الصديق وحروب الردة :

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بويع ابو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبوفاته صلى الله عليه وسلم امتنع بعض المسلمين عن دفع الزكاة بحجة انها كانت من خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم وبوفاته اصبحوا غير ملزمين بدفعها ولكن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ضرورة قتالهم حتى يعودوا الى الاسلام الصحيح ويدفعوا الزكاة .

وحدثت مناقشات بين الصحابة رضي الله عنهم بخصوص هذه الحرب فكان من راي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يتركوا بدون قتال لانه لا يجوز قتال المسلمين كما راى استعمال الهوادة واللين معهم عسى

ان يثوبوا الى رشدهم فيما بعد، ولكن ابا بكر الصديق رضي الله عنه صمم على قتال من فرق بين الصلاة والزكاة لان ترك ركن من اركان الاسلام معناه الارتداد عنه شيئا فشيئا ثم العودة الى سابق الجاهلية .

هذا هو ملخص الاسباب التي ادت الى الردة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم نسمع أن احدا ارتد عن الاسلام لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقم من الموت .

فالمسلمون يعلمون تمام العلم انه لا قيام لميت الا عندما يقوم الناس جميعا لرب العالمين يوم الحشر الاكبر يوم تلقى كل نفس ما قدمت . وان القرآن الكريم يقرر أن محمدا رسول الله مثله مثل غيره من الرسل ومقدر عليه الموت، يقول الله سبحانه وتعالى: (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم . ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) . ويقول سبحانه « انك ميت وانهم ميتون » .

عقيدة التثليث والفداء :

يقول الكاتب ص 135 جـ 2 فى معرض حديثه عن الاسس والتعاليم التي يقرها الاسلام « ان الكتاب المقدس الذى هو العهد القديم والجديد كتاب الهي يجب الاعتماد عليه والرجوع اليه . ولكن للاسف أن محمدا انكر اشهر قضاياه التي يتوقف عليها الخلاص ، اما تعمدا او لجهله وعدم اطلاعه عليها وذلك كتثليث اقانيم الله وعمل الفداء مع كونه اعتقد بأن آدم طرد من الجنة لمخالفته التي عمت كل أولاده فقد احس بالجرح واقربه ولكنه لم يهتد الى مرهمه ووسيلة النجاة منه وهي كفارة المسيح التي أنكرها بتاتا » .

وهذا القول يثير ثلاثة قضايا :

ا ـ اعتقاد المسلمين فى الكتاب المقدس .

ب ـ الله واحد ام ثلاثة .

جـ ـ صلب المسيح كتكفير لذنوب آدم وأولاده من بعده .

اولا : **المسلمون والكتاب المقدس** :

يؤمن المسلمون ببعثة الانبياء والرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام ، كما يؤمنون بأن الله أنزل عليهم التوراة والانجيل فيهما هدى ونور ، ولكن الكتب الموجودة الان والمنسوبة الى الديانتين الموسوية والمسيحية ليست هي الكتب الصحيحة التي انزلهـا الله ، وانما هي روايات كتبها كاتبوها بعد المسيح بسنين عديدة بلغتهم وكلامهم ، اضافوا اليها وحذفوا منها ، لذلك نجد اختلافا كثيرا بين روايات الانجيل ، ففى انجيل متى اشياء تناقض انجيل لوقا ... وهكذا

فالمسلمون غير مطالبين بالايمان بالكتاب المقدس الموجود حاليا بين يدي المسيحيين واليهود لانه لم يرد الينا عن طريق التواتر على لسان موسى وعيسى عليهما السلام ، وانما ورد بروايات أصحاب الاناجيل الذين دونوها بأفكارهم وحرفوا الكلم عن مواضعه حسب ما املته عليهم شهواتهم واهواؤهم . وليس هذا الكتاب وحيا من عند الله . كما ان معظم ما جاء بالكتاب المقدس المنزل من الله ورد بالقرآن الكريم .

ثانيا : **عقيدة التثليث** :

يدعي كتاب الاناجيل ان الله سبحانه وتعالى ينقسم الى ثلاثة عناصر أو ثلاثة آلهة متساوية هي : « الاب والابن والروح القدس » فالله الموجود هو الاب، والله الناطق هو الابن ، والله الحي هو الروح القدس ، ويختلف الكتاب المسيحيون فى سر هذا التقسيم .

يقول البعض : « ان تسمية الثالوث باسم الاب والابن والروح القدس تعتبر اعماقا الهية واسرارا سماوية لا يجوز لنا أن نتفلسف فى تفكيكها وتحليلها ، أو نلصق بها أفكارا من عندياتنا ... »

ويقول آخر « ان الذات والد للنطق فيقال له الاب

والنطق مولود من الذات فيقال له الابن

والحياة منبعثة من الذات فيقال لها الروح القدس»

وتعتبر عقيدة الثالوث أعظم العقائد المسيحية لانها تتصل بذات الله وهم يصورون الله سبحانه وتعالى بصورة الانسان ويقولون بأن الله خلق الانسان على صورته سبحانه ولا يمكن فهم الله الا عن طريق تصوره بالصورة البشرية ... سبحان الله وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.. لا ادري كيف صورت لهم عقولهم المريضة انيشبهوا الله سبحانه وتعالى بمخلوقاته وهو سبحانه ليس كمثله شيء ، انه فرد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وهناك تفسيرات كثيرة للقول بأن الله مكون من ثلاثة اقانيم لا يمكن أن يقبلها العقل منهـا : ان اللـه

سبحانه وتعالى اراد ان يبث محبته فولد الله الابن منذ الازل نتيجة لحبه اياه ووهبه ذاته .. !!

وهذه التفسيرات الواهية وغيرها مما هو اوهى منها ولا داعي للاستطراد فيها نظرا لتفاهتها ، لانها لا تقوم على اي اساس ولا يوجد ما يؤيدها .

ويستند القائلون : بالتثليث على ما جاء في انجيل متى في الباب الاخير والعدد الاخير « الاب والابن والروح القدس اله واحد » . ويقول الاستاذ ابراهيم خليل احمد انه عند دراسته للنص الاصلي وجد ان عبارة «الاب والابن والروح القدس» غير موجودة في الاصل اليوناني وقد اضافها المترجم .

ان المسيح عيسى بن مريم لم يقل انه اله أو ابن الله وانما قال لشعبه انه ابن الانسان ولكنهم الهوه وعبدوه من دون الله فبئس ما فعلوا ..:: على انه يمكن القول بان عقيدة التثليث هذه منقولة من معتقدات المصريين والهنود الذين كانوا يعتقدون في تثليث الله سبحانه وتعالى ...

وتتضارب آراء المسيحيين في ترتيب اقانيم الله الثلاثة . فمن قائل انهم ثلاثة في شخص واحد، ومن قائل انهم ثلاثة متساوون في كل شيء لا فرق بينهم ، والقول الثالث بأن هؤلاء الثلاثة مرتبون حسب قدرتهم فالله الاب هو الاكبر ثم الاله الابن ثم الاله الروح القدس ويخضع الالهين الاخيرين للاله الاب .

هذا وغيره كلها اقوال مردودة لانه لو وجدت آلهة كثيرة كما يقولون لاختلفت الالهة وتصارعت ولاختلف نظام الكون ، فسبحان الله مسير الامور وحده ، قيوم السموات والارض وحده .

موقف القرآن الكريم من التثليث :

لقد انكر القرآن الكريم هذا الموقف واكد وحدانية الله سبحانه وتعالى وتفرده بالملك لا شريك له ولا منازع ، يقول سبحانه في سورة الاخلاص : « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد » .

ففي هذه السورة يبين الله سبحانه وتعالى انه واحد احد فرد صمد لا والد له ولا ولد . ولا شبيه له ولا نظير .

يقول سبحانه في شأن أهل الكتاب الذين يقولون بالتثليث : « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد . وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم . افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم » **ما المسيح عيسى ابن مريم الا رسول** قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة **كانا ياكلان** الطعام . انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يوفكون » (سورة المائدة) .

ويقول سبحانه « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» (آل عمران).

وهكذا بين الله سبحانه وتعالى انه لا اله الا هو ، وان الذين يقولون بالتثليث قوم ضلوا سواء السبيل وكفروا بالله سبحانه ، فما عيسى الا رسول كباقي الرسل خلقه من تراب كما خلق آدم أبو البشر . فاذا كان الله قد خلق عيسى بدون اب فما ذلك عليه بمستغرب او مستبعد ، وما هو بعزيز عليه سبحانه الذي يقول للشيء كن فيكون .

ويقول سبحانه وتعالى : وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون » (البقرة آية 116)

ويقول سبحانه على لسان عيسى بن مريم دحضا لمفتريات المفترين : « واذ قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله . قال سبحانك ما كان لي ان اقول ما ليس لي بحق . ان كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، انك انت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد . ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم »(المائدة آيات 18/16)

وهكذا يتبين لنا ان عقيدة التثليث هذه دخيلة على العقيدة المسيحية وكانت معروفة عند قدماء المصريين والهنود الذين كانوا يعتقدون في تثليث الله سبحانه وقد انتقلت من الوثنيين المصريين والهنود الى المسيحية السمحاء . فالمسيحيون قد انقسموا على انفسهم بين مؤيد للطبيعة الواحدة لله ومؤيد للتثليث ، واخيرا انتصرت عقيدة التثليث على يد الامبراطور قسطنطين في مجمع نيقية سنة 325م ثم تعددت المجامع بعد ذلك بين مؤيد ومعارض حتى استقرت في النهاية عقيدة التثليث .

اذا عرضنا القول بالتثليث على العقل لرفضه اذ كيف يسير هذا الكون ثلاثة آلهة انه ان صح ذلك لنال الكون الدمار من اختلافهم ، فهذا يريد امرا والآخر لا يريده ، والثالث يحبذ رأيا آخر ، واذا لاضطربت

الحياة وانتهت الى فناء محقق ، ولكن الله سبحانه واحد احد يسير الامور كما يريد ويفعل ما يشاء له الامر واليه النشور .

(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار) سورة المائدة آية 172 .

ثالثا : **عقيدة الفداء :**

يدعي المسيحيون ان المسيح قد صلب ليفدي العالم من المعصية التي ارتكبها آدم في الجنة عندما اكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة التي امره الله سبحانه وتعالى الا يقربها ، وان معصية آدم لاصقة بابنائه من بعده . ولقد رأى الله ان يخلص العالم من وصمة هذه المعصية فسمح بالتضحية بابنه على الصليب كفارة عن الناس ، ولا ينجو من هذه الوصمة التي لحقته الا من آمن بهذا الفداء واتخذه عقيدة له .

وبديهي ان هذه الدعوى لا اساس لها من الصحة لان الله سبحانه وتعالى غفور رحيم يقبل توبة التائب ، ولقد تاب آدم بعد ان عصى ربه واكل من الشجرة وقبل الله توبته (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) البقرة آية 36 .

ولا ادري كيف سولت لهم عقولهم القول بأن يتحمل الجنس البشري وزر معصية آدم وعلى اي اساس يتحمل انسان وزر جرم لم يرتكبه ، والكتاب المقدس نفسه يناقض هذا الزعم (النفس التي تخطىء هي تموت . الابن لا يحمل من اثم الاب والاب لا يحمل من اثم الابن . بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون) حزقيال 18 / 2 وكذا في سفر روميه (سيجازى كل واحد حسب اعماله) 2 / 6 .

وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تبين ان كل انسان مسئول عن عمله وتحدد موقفه يوم القيامة تبعا لما عمل . يقول الله تعالى : « وان ليس للانسان الا ما سعى » ويقول : «من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى » سورة الاسراء . ويقول جل شانه : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » سورة الزلزلة . ويقول : « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها » . ويقول : « كل نفس بما كسبت رهينة » . ويقول ايضا « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » .

ومن هنا تسقط دعوى الفداء التي يقول بها المسيحيون (وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم ايضا) يوحنا 2 / 2 ، كيف يستقيم هذا الزعم . اذا كان المسيح كفارة لكل العالم فمعنى ذلك نجاة الكفار والوثنيين من العذاب ومعنى ذلك ايضا انه لم يكن هناك اي داع لارسال الرسل مبشرين ومنذرين ما دام المسيح قد قدم نفسه قربانا وفداء للناس جميعا ... !! هذا قول لا يقبله المنطق ولا يرضاه العقل . ولقد الصقه البعض زورا وبهتانا بالديانة المسيحية .

فالمسيح عليه السلام لم يصلب ولم يقدمه الله قربانا ... وانما رفعه الله وعصمه من اعدائه وهذا اكرم له واشرف .

ان قصة الفداء هذه منقولة عن الديانات المصرية القديمة واليونانية وكذا ديانات الهند والتبت حيث كانوا يقدمون القرابين والفداء لآلهتهم حتى ترضى عنهم ولا تثور عليهم .. منهم من يقدم آلاف الضحايا للشمس ، وكان يتضاعف هذا العدد عندما يحل الكسوف اذ كانوا يعتقدون ان الاله الشمس غاضب وغير راض عنهم .

لقد الصق المغرضون والمبطلون بالمسيح عليه السلام هذه الضلالات والخرافات التي ما انزل الله بها من سلطان . فهي بعيدة كل البعد عن الحق وعن المسيحية الصحيحة التى جاء بها السيد المسيح عليه السلام .

ان الدين الحق هو دين الاسلام .. رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الخاتمة وهي دعوى ابراهيم ورسالة موسى وعيسى عليهم السلام . فالاسلام لم يختلف عن الرسالات السابقة ، وانما جاء متمما ومكملا لها .

وصدق الله سبحانه وتعالى اذ يقول : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون » . (سورة الصف آية 8)

نسال الله جل علاه ان يحفظ الاسلام والمسلمين وان يقوي دينهم ، ويوحد كلمتهم وينصرهم على اعدائهم .

« والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله » .

القاهرة : توفيق علي وهبه

مراجع البحث

1 ـ القرآن الكريم
2 ـ الجامع لاحكام القرآن — لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي
3 تفسير وجدي — للاستاذ محمد فريد وجدي
4 ـ تفسير جزء عم — للامام الشيخ محمد عبده
5 ـ بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز — لمجد الدين الفيروزابادي
6 ـ من روائع الاعجاز فى القرآن الكريم — للدكتور محمد جمال الدين الفندى
7 ـ مختصر صحيح مسلم — نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت
8 ـ المنتخب من السنة ج 1 — نشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة
9 ـ الاحاديث القدسية — نشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة
10 ـ صحيح البخاري
11 ـ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم — لابن هشام
12 ـ الطبقات الكبرى — لابن سعد
13 ـ الوحي الى رسول الله — للشيخ عبد اللطيف السبكي
14 ـ نفحات القرآن — للشيخ عبد اللطيف السبكي
15 ـ المستشرقون والاسلام — للمهندس زكريا هاشم زكريا
16 ـ اعلام الساجد باحكام المساجد — للزركشي
17 ـ حياة محمد — للدكتور محمد حسن هيكل
18 ـ التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام — للشيخ محمد الغزالي
19 ـ دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين — للشيخ محمد الغزالي
20 ـ محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل والقرآن — للاستاذ ابراهيم خليل احمد
21 ـ دعوة الحق او الحقيقة بين المسيحية والاسلام — للاستاذ منصور حسين عبد العزيز
22 ـ الاسلام بين شبهات الضالين واكاذيب المفترين — للاستاذين يوسف القرضاوي واحمد العسال
23 ـ شبهات النصارى وحجج الاسلام — للسيد محمد رشيد رضا
24 ـ المسيح والتثليث — للدكتور محمد وصفي
25 ـ المسيح عيسى ابن مريم — للاستاذ عبد الحميد جودة السحار
26 ـ حياة المسيح — للاستاذ عباس العقاد
27 ـ الله واحد ام ثالوث — للاستاذ محمد مجدي مرجان
28 ـ من قصص الانبياء فى القرآن — للاستاذ سعد صادق محمد
29 ـ الكتاب المقدس
30 ـ انجيل برنابا

كيف دونت السيرة النبوية وما مصادرها..؟

للدكتور محمد حيدر

لم يعهد التاريخ الانساني مصلحا ايقظ النفوس ، واحيى الاخلاق ، ورفع شأن الفضيلة ، واقام المثل العليا للكمال الانساني ، فى زمن قصير كما صنع محمد عليه السلام ، اذ لم تتجاوز دعوته المجيدة سوى ثلاثة وعشرين عاما حتى اقام خلالها نظاما ، واوجد دينا ودولة معا .

وقد عني المفكرون منذ فجر التاريخ الاسلامي بالسيرة النبوية عناية كبرى ، وقد راد هذا المجال محدثون ناقلون ، ثم جاء بعدهم من جمع روايات المحدثين وبوبها ، ولما استوى ذلك للمتأخرين أعملوا فكرهم ناقدين ومعلقين كما فعل ابن هشام فى سيرة ابن اسحاق .

وقد بدا اهتمام العلماء بسيرة الرسول عليه السلام فى اواخر القرن الاول الهجري فى عهد الدولة الاموية ، تخليدا لذكراه العطرة ، وتعلقا به ، وتمثلا لآثاره، على ذلك يعوضهم بعض التعويض، ويحقق ما فى نفوسهم من تعلق به وحب له، بعد ان منعوا من تدوين الاحاديث حتى عهد عمر بن عبد العزيز خشية ان يختلط الحديث بالقرآن الكريم ، فأخذ كثير من المحدثين يدونون فى السيرة كتبا من أمثال : عروة بن الزبير ، الذي مكنه نسبه من قبل ابيه الزبير ، وامه اسماء بنت ابي بكر ان يروي الكثير من الاخبار والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وحياته فى صدر الاسلام .

وقد تأثر ابن اسحاق والواقدي والطبري بعروة ابن الزبير الفقيه المحدث واكثروا من الاخذ عنه فيما يتعلق بالهجرة الى الحبشة ، والى المدينة وغزوة بدر ، وكانت وفاة عروة حوالي سنة 92 هـ . (1)

والف ابان بن عثمان بن عفان (المتوفى سنة 105 هـ) صحفا فى السيرة جمع فيها الاحاديث التي تروي حياة الرسول ، أما المغازي وما يتعلق بها فقد عنى بها من كبار المحدثين : وهب بن منبه (المتوفى سنة 110 هـ) وشرحبيل بن سعد (المتوفى سنة 123 هـ) وابن شهاب الزهري (المتوفى سنة 124 هـ) وعاصم بن عمر بن قتادة (المتوفى سنة 130 هـ) وعبد الله بن ابي بكر بن حزم (المتوفى سنة 135 هـ).

وكان ابن اسحاق أظهر هؤلاء جميعا ، اذ كان أمامهم فى هذا الصدد، ودخل التأليف فى السيرة على يديه الى طور جديد ، وقد ساعده فى هذا الامر انه كان واسع الثقافة ، رحب التفكير ، محيطا باخبار السابقين وقد أهلته معارفه ان يكون اثيرا لدى الخليفة المنصور، الذي كلفه بأن يضع كتابا منذ خلق الله آدم الى يومه ، فذهب ابن اسحاق والف كتاب السيرة ، وبعد الفراغ من تأليفه القى فى خزانة المنصور .

وقدر لسيرة ابن اسحاق ان تظل المحور والاساس ومركز الدائرة لمن شغلوا بالسيرة من بعده ، وكان اظهر هؤلاء جميعا ابن هشام الذي قيضه الله لهذا العمل الجليل ، فجمع سيرة ابن اسحاق ، ودونها، وتعقب ابن اسحاق فى كثير من الروايات التي اوردها فحررها ، واختصرها ، ونقد ما شاء له أن ينقد ، واضاف روايات جديدة لم يذكرها ابن اسحاق فجاءت

(1) انظر مقدمة سيرة ابن هشام .. تحقيق الاستاذ مصطفى السقا .

سيرة ابن هشام (المتوفى سنة 218 هـ) منسوبة اليه حتى ليكاد الناس ينسون معه ابن اسحاق .

واقتصرت جهود من اتى بعد ابن هشام على الشرح والتعليق والتحقيق كالسهيلي في كتابه « الروض الانف » والعيني في « كشف اللثام » والخشني في « شرح غريب سيرة ابن هشام » .

ولم تتجاوزهم الباحثين بعد ذلك اختصار كتاب السيرة ، فصدر « الذخيرة في مختصر السيرة لابراهيم بن محمد الشافعي ، ومختصر سيرة ابن هشام » لعماد الدين الواسطي ، الى ان جاءت طبقة النظامين فصاغوها في قالب جديد من الشعر ، كالاميري والحضراوي وبعض المؤرخين لم يفرد للسيرة بحثا مستقلا ، وانما جاءت في ثنايا بحثه كحلقة من حلقات التاريخ العام كالطبري ، وابن الاثير ، وابن كثير .. وغيرهم ممن كتب في تاريخ الدولة الاسلامية .

وهكذا لم تضع جهود ابن اسحاق وابن هشام ازاء السيرة النبوية سدى . بل نالت هذه الجهود اعجاب الكثيرين ولقيت حظا وافرا من عناية الباحثين ، بعد ان تناولتها الاقلام في شتى العصور ، مرة بالجمع وطورا بالشرح ، وتارة بالاختصار ، واخيرا وضعه في ثوب جديد من النظم .

والسيرة النبوية جديرة حقا بالتأمل في مصادرها المتعددة ، كمشاعل على طريق الانسانية للهداية والارشاد ، ليس للمسلمين وحدهم في عصر من العصور ، بل للانسانية جمعاء في مختلف الازمان .

فقد دعا الرسول الكريم الى الايمان بالله وحيدا منفردا دون أن يكون معه سلاح سوى سلاح الايمان ، ولم يؤمن به سوى نفر قليل من قومه ، اما جحافل الشرك ، فقد ابوا الايمان أو الاذعان ، وعاندوه في اصرار ، وحاولوا جاهدين أن يطفئوا نور الله بافواههم ولكن ابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون .

لم يرتب النبي في نصره ، رغم كثرة المشركين ، وايقن ان مكة ليست هي البيئة الصالحة لنشر الدين الجديد ، فيقرر الهجرة من مكة الى المدينة ، ويهاجر معه المسلمون الاولون مؤثرين دينهم على ديارهم واموالهم .

وفي المدينة يتكون المجتمع الاسلامي ، وتقوم الدولة الاسلامية ، بعد ان تحقق لها الوطن الآمن ويرسي الرسول الكريم قواعد الدولة الاسلامية على اساس الدين الجديد فيبني مسجدا ، اسس على التقوى من اول يوم ، ليكون مقرا للعبادة ، ولتوجيه سياسة الدولة ، ويعقد معاهدة مع يهود المدينة تحدد علاقة اليهود بالدولة الاسلامية ، ويعنى الرسول بالناحية العسكرية وتستطيع القوات الاسلامية ملاقاة مشركي مكة في العام الثاني من الهجرة ، في معركة شهيرة في تاريخ الاسلام عرفت بغزوة **بدر الكبرى** ، وكان النصر فيها حليف المسلمين .

ثم اخذت غزوات الرسول وسراياه تتوالى في تتابع رقيب من الزمن ، وتدور المعارك بين جيش الاسلام من جهة ، وجيش الشرك والظلم والطغيان من جهة اخرى ، وقد حقق المسلمون سلسلة الانتصارات على كل اعدائهم بفضل تلك الروح القوية التي بعثها الرسول في قلوب المسلمين ، وامتدت الدولة الاسلامية في آخر عهده عليه السلام حتى شملت مكة والمدينة وما حولها ، وشمال الحجاز حتى مشارف الشام ، ونجران وعمان واليمن والبحرين ، ومناطق عديدة وسط شمال شبه الجزيرة العربية .

واهتم الرسول بالناحية الاقتصادية فجبى الاموال من مصادرها الشرعية ، كالزكاة ، والغنيمة ، والفيء ، والصدقات .. وقام بتوزيع هذه الاموال في مصالح المسلمين ، وكان هدف الرسول ـ كما هو هدف الاسلام ـ تحقيق العدل المطلق بين جميع الناس في ظل الحرية والاخاء والمساواة ، وانطلاقا من هذا المفهوم كان يقوم بنفسه بالقضاء بين الناس ، كما بعث بعض الصحابة لاداء مهمة القضاء ، فأرسل معاذا الى اليمن واستقل بقضائها .

من اجل هذا لا يمكن اعتبار دعوة محمد عليه السلام دعوة روحية فقط ، بل انها عند التحقيق دعوة اصلاحية لجميع الشعوب ، وثورة كبرى أحدثت تغييرا في الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، بالاضافة الى تغيير معتقدات العرب الدينية ، وقد ظل محمد عليه السلام وفيا لامته داعيا الى الاخاء والمساواة بين جميع البشر .

فما أحوجنا نحن المسلمين في تلك اللحظات الحاسمة الى تمثل سيرته حتى نتمسك بأسباب النصر كما فعل رسولنا عليه السلام حتى جاء الحق وزهق الباطل . ان الباطل كان زهوقا .

القاهرة : الدكتور محمد حيدر



– 4 –

قد فصلت آيات القرآن وبيانها فى السنة النبوية الطاهرة ، الأحكام الخاصة بالزواج وأصوله وقواعده، باعتباره قوام الأسرة ، وأساس سعادتها ، وأصل طهارتهـــا .

وقد أسلفت القول فى الحديث السابـــق عن الزواج ، وبينت بأن الشريعة الاسلامية أفرغـت على عقده صيغة الميثاق الغليظ ، وانها صورت امتـــزاج الطرفين فيه بقوله تعالى : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » . كما ركزته على عناصر المودة والرحمة والسكن وجعلته الخلية الاولى التي تتكون منها الاسرة ، وتتفرع عنها غصون الانسانية شعوبا وقبائل تتعارف وتتعاون. واريد ان ابين هنا بأن الشريعة الاسلامية اعتنت بجملة من الوسائل هي – اصول الزواج – التي من شانها اذا روعيت وحوفظ عليها ، كانت قوة فى الحياة الزوجية، وقوة فى استمرارها ، ووقايتها من التعرض للتدهور والانحلال ، ومنها : الخطبة والتعارف ، والاختيـــار والرضى ، والكفاءة ، والمهر .

الخطبـــة والتعـــارف :

الخطبة سبيل الى الزواج فى نظر الشـــرع ، والتعارف خير عمن يقاسمه العيش حلوه ومره ، ليكون كل من الزوجين على بينة من أمر صاحبـــه . ويقف الناس من خطبة العروس والتعرف عليها مواقف شتى، فمنهم الذي يحظر على الشباب رؤية العروس او على الفتاة رؤية خاطبها زاعما انه ادرى بالمصلحة ، فيمنع ابنته من ان يراها مريد الزواج بها ، ولا يقنع بحال من الاحوال اذا حاول امرؤ اقناعه ، بأن رؤية المخطوبـــة والتعرف عليها ، حكم الشرع وامر الله ، وانه ما أحل ذلك الا لفائدة وخير كثير ، ولكنه يرفض ذلك فى اباء ، معتقدا ان فى هذا عرضا لابنته كما تعرض السلعة على مشتريها ، ان هذا الراي فيه كثير من الاجحاف بحق الزوجين ، فان فى مفاجأة كل منهما لصاحبه دون ان يسبق بينهما تعارف ما ، أو رؤية ما ، تعريض الحياة الزوجية للانحلال اذا قدر للقلوب ان تتنافر، وللضمائر الا تسكن ، فمن الانصاف لكليهما ان يرى صاحبه حتى يكون على بينة من امره لئلا يشعر بغبن فيما بعـــد اذا ظهر له ما يرضيه من صاحبـــه . وتجـــاذب الارواح وائتلاف النفوس ، واتفاق الميول. كل هذا أساســـه الرؤية وتبادل الراي ، ومبعثه تعرف هذه الميـــول واتجاه تلك الرغبات . ولو وضعنا امام اعيننا دائما ان الزواج شركة روحية دائمة ، لادركنا الى حد ما قيمة هذه الرؤية وأثرها فى الخطبة ، وان ذلك رفع لشأن المرأة فلا بد من رضاها ، فهي اذن مختارة غير مكرهة، ومن حق المختار ان يستبين ما هو سائر فيهمن طريق، ولادركنا كذلك ان التهاون فى هذا تهـــاون بالربـــاط المقدس الذي جعله الله عماد الكون وأساس العمران.

ومن الناس من يرى ان مجرد الرؤية لا يكفي فى اختيار المراة المتمناة ، وتعرف اخبارها وصفاتهـــا ، وانما لابد لمعرفة ذلك فى رايه من الخلطة الطويلة ،

والعشرة السافرة ، مهما احاط بها من اخطار . واذا كانت الطريقة الاولى فيها ما فيها من الغلظة مما يقضي على الاسرة في مبدا امرها، فان في هاته شرا مستطيرا، فان ما نقراه او نسمعه بين اليوم والآخر ، او ما نراه من الصور في البيت والشارع والمنازه الشيء الكثير من حوادث الخاطبين والمخطوبات التي كثيرا ما تؤذي بالشرف والكرامة ، وكثيرا ما تسبب اعراض الخاطبين عن المخطوبة ، فان الشباب يقبل على فتاة ويعدهـا بالزواج، ثم يكاد يباشرها مباشرة الازواج، ويستحل منها ما حرم الله، ولا يخفى ما في هذا من انتكاس خلقي وضيع ، وارتكاس اجتماعي فاشل ، تكون نتيجته ان الشباب ينال من الفتاة في غفلة الرقيب وميتة الضمير ما تبقى بعده حزينة الابد ، لانه سيدعها بعد ذلك وقد انف منها محتقرا لها ، واخذ يعد العـدة للايقـاع بفريسة اخرى .

ومن الناس من يدين بنظام (الخاطبة) فطالما راينا ضحايا هذا اللون من التفكير الذي ينتج عنه غالبا غير المطلوب ، فياتي للزوج بفتاة لا تتصف بشيء عما يريد ، وبالفتاة بزوج ليس فيه مما تنتمي قليل ولا كثير، والسبب في ذلك ان اساس هذا اللـون ، المبالغـة والتهويل ، فلا يصح الاخذ به والاعتماد عليه ، بل لا بد معه من الرؤية الواضحة . على ان الاسلام لا يمنع ان يرسل الشاب من النسوة من يخطب له ، اذا كان يثق بهن ثقته بنفسه ، فان من يرسلها حينئذ ستكون وكيلة عنه في كل ما يجب من المراة ، وقد بعث الرسـول صلى الله عليه وسلم ام سليم الى امراة لتخطبها له .

وما دام الأمر في الخطبة والتعارف على هذا الوضع الشاذ من الخوف والمبالغة والمغالاة ، فقد شقت الشريعة الاسلامية حفاظا على بناء الاسرة طريقا يرضي الشرف والكرامة ، ولا يهمل الغرائز والطبائع والميول، بل ينظر الى كل اولئك في عدل وانصاف ، فقد اباح الشارع الحكيم للرجل ان ينظر الى المراة ويكرر النظر اليها اذا كان يريد الزواج بها ، بل حثه على ذلك لمـا فيه من التاكد مما يدعوه الى طلب يدها . روي عن المغيرة بن شعبة انه خطب امراة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : «انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما» اي تحصل الموافقة والملاءمة . وعن جابر رضي الله عنه ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر منها الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » . قال جابر : « فخطبت جارية فكنت اتخبا لها حتى رايت ما دعانـي الى نكاحهـا فتزوجتها » . وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل اراد ان يتزوج امراة : « انظرت اليها ؟ قال : لا ، قال : اذهب فانظر اليها » . ولما قدم المهاجرون الى المدينة قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « ان في أعين نساء الانصار حببا فلا تتزوجوهن حتى تنظروا اليهن » . وقد قصد الشارع بهذا الاحتياط لبناء الاسرة على اسس مستقرة وعلى رضى احد الطرفين بالآخر ، وبقسطه من الحسـن . وقد جوزت الشريعة الاسلامية النظر الى معظم جسد المراة ولا يحتاج ذلك الى اذنها ، فقد اختبا جابر حتى راى المراة التي يرغب في زواجها ، وقد كشف سيدنا عمر بن الخطاب عن ساق ام كلثوم بنت علي كرم الله وجهه لما بعث بها سيدنا علي لينظرها ، لانه ان كرهها قبل الخطبة تركها من غير ايذاء ، وعلى العكس من ذلك بعد الخطبة اي ان يرتبط معها بذلك الرباط الوثيـق وهو عقد الزواج .

هذا هو ما اباحته الشريعة الاسلامية وجوزته ، والذي منعته وحظرته ، المعاشرة المطلقة والخلـوة بالمراة مع عدم حضور ذي محرم من اقاربها ، ولا يضير الاجتماع بمحضر اسرتها والحديث اليهـا لمعرفـة اخلاقها وحسن سلوكها والبحث عن حالتها الاجتماعية، لانه لا حجر على حرية الاختيار التي هي الاساس في الخطبة ، ثم اي سمو اعظم من هذا السمو ، وبخاصة وقد احل للمراة ان ترى من خاطبها ما تحب مثل مـا يرى منها ، فمن اراد ان يتزوج زواجا شرعيا قائما على رغبته في الاحصان والعفاف وبناء الاسرة الدائمة المطمئنة ، فعليه ان يحطم التقاليد ويكسر الاغلال ، والا يستمع الى ذلك الهراء الذي اتخذه الناس دينا ، وعليه الا يخرج عن تعاليم الدين الاسلامي ، ولا تطغى عليه شهوته فيقع في المحظور .

والخطبة لها قيمتها الكبرى في الاسلام ، ولا ادل على ذلك من تحريمه لخطبة المراة المتزوجـة ، لان معنى ذلك دعوتها الى مفارقة زوجها وتشتيت الاسرة التي بنياها معا ، واذا خطب احد امراة ولم يعقد عليها بعد ، فلا تجوز خطبتها كذلك لغيره ، الا اذا كان قـد عدل عنها ، يدل لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عقبة بن عامر الذي رواه احمد ومسلـم : « المومن اخو المومن فلا يحل للمومن ان يبتـاع على بيع اخيه ، ولا يخطب على خطبة اخيه حتى يـذر » . واخرج البخاري والنسائي عن النبي صلى الله عليـه وسلم : « لا يخطب الرجل على خطبة اخيه حتى ينكح او يترك » . والنهي هنا للتحريم . وهذا تشريـع في

ارقى درجات السمو، واعلى منازل الادب فيه رعاية الحرمات ، وما يجب على المرء نحو غيره من المسلمين.

ولا يغيب على البال أن هذه الفترة التي تسبق الزواج هي اسعد فترة في حياة الانسان لانها تعتمد على الخيال كثيرا ، وتغمرها الاماني والاحلام ، ومن الخير ان يطيل المرء هذه الفترة التي بين الخطبة وبين يوم الزفاف ، وذلك لان للزوج آمالا كبارا فهو يريد لزوجته الصفات التي تحتل تفكيره حين يفكر في الزواج وهو في الغالب لا يجد تلك الاوصاف التي يرجوها متحققة ، فعليه ان يتنازل عن بعضها ، ومن السهل ان يجد بديلا منها ، وكذلك تامل المراة في الرجل صفات شبيهة بتلك الصفات التي تودها الا انها قد لا تجدها كلها ، فيجب والحالة هذه الاستغناء عما يمكن الاستغناء عنه فلا بد اذن لكل من الرجل والمراة من التحقق بنفسه من هذه الصفات ، وخير وسيلة الى ذلك اطالة مدة الخطبة حتى يكونا على يقين من اخلاق كل منهما عند ارادة البناء والدخول في الحياة الزوجية ، وبذلك تذهب فورة العاطفة ويجد العقل مجاله الطبيعي في التفكير والاختيار . ولا شك ان فسخ الخطبة ان لم يرض كل عن صاحبه اهون من المشاحنات المنزلية التي لا تلبث ان تنقلب الى نوع من الحرب العائلي المقيت مما يجعل الاسرة تعيش في جحيم وسعير ، وخير من الطلاق آخر الامر . ومن الخير للزوج الا يكون لينا سهلا في هذه الفترة ، بل من الانصاف الا يكتم ما يريد من نهج وما يبغي من خطة ، وعليه ان يظهر على حقيقته صرارا على ما يبغي، وحرصا على ما يريد .

الاختيار :

والدين الاسلامي يضع أصولا لاختيار الزوجة المرجوة والمراة المبتغاة ، لانه يعلم ما في الطبائع البشرية من مغالاة في مطالبها ومجافاة للحق ، أساسه اختلاف المشارب ، اختلافا يجعل بينها احيانا هوة سحيقة وبونا شاسعا ، فهذا رجل يريد ان يجعل زوجته اسيرة ارادته ، تبقى رهينة البيت ، اسيرة العادة والتقاليد ، اذا قال اجابت ، واذا دعا لبت ، وهذا آخر يرى مطامعه في زوجة طليقة من كل قيد ، حرة الى ابعد مدى ، لا تقف في مدنيتها عند حد ، ولا تنتهي في آمالها الى غاية ، تجالس هذا وتجادل ذاك . ثم لا يبالي بعد هذا المطلب بشيء ، كما ان الناس تفاوتوا أيضا منذ القديم في دواعي اختيارهم لزوجاتهم ، فمنهم من يختارها لجمالها ، ومنهم من يختارها لمالها، ومنهم من يختارها لحسبها، ومنهم من يختارها لدينها وخلقها ، فكيف اذن تجتمع هذه الآمال ، وتلتقي تلكم الرغبات والمطامع ، وتهذب وتشذب حتى يكون منها القانون الذي يضمن السعادة للاسرة او بالاحرى الاصول الواضحة النهج البينة المعالم فيستفيد بها من يبغي الزواج؟ انه لابد من مراعاة هذه الرغبات دون شك حتى تستقيم للبيت سعادته ، وتتوافر له رفاهيته فكيف السبيل الى ذلك ؟ لقد تكلفت الشريعة الاسلامية بذلك حيث اذ لاءمت بين تلك المطامع او الفت بين تلك الرغبات . وجمعت من كل ناحية خيرها ، فاذا بارشادها في هذه النواحي جميعها اقوم ارشاد ، واذا بنصحها اجمل نصح واحسنه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « تنكح المراة لمالها وحسبها وجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » . فهذا اخبار من الرسول الكريم ، الذي يدعو الرجال الى التزوج احد هذه الاربع . وقد دل الحديث على ان المراة المتدينة يعتبر الحصول عليها مغنما وكنزا يستحق ان يوصي النبي بالظفر به بقوله : « فاظفر بذات الدين » . وذلك لان المراة الصالحة تعرف واجب ربها وواجب زوجها وواجب اولادها ، ثم هي متاع الدنيا ولذاذة الحياة ، وما اروع قوله صلى الله عليه وسلم في ذلك : « انما متاع الدنيا المراة الصالحة اذا نظر اليها الرجل سرته، وان غاب عنها حفظته » . كما نبه الى خطورة ترك الدين بقوله : « تربت يداك » ، اي ان لم تظفر بذات الدين تربت يداك ، وهذه اما كناية عن الفقر ، أو عن تلوث الشخص ان تزوجها غير متدينة ، لانه اما ان تحمله بطيشها على التبذير فيفتقر ، او ان تتمرغ في الرذيلة لضعف دينها وخلقها فتدنس عرضه .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم اختيارها لغناها او لجمالها وحده اذ يقول : « لا تزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لاموالهن فعسى اموالهن ان تطغيهن على الدين ، ولامة سوداء ذات دين افضل » . فاختيار المراة لجمالها او مالها من غير نظر الى عفة ودين امر محفوف بالخطر ، كما ان اختيارها للحسب وحده ، او مع اي غرض آخر سوى الدين والخلق قد يكون سببا في التفاخر على الزوج وتنغيص عيشه ، فعلى الشاب أن يجعل الدين والخلق اساس الاختيار ، فاذا ضم اليه الجمال او العلم او الحسب ، فقد زاد خيرا ، وان جمع ذلك كله في شريكة حياته فقد اختار امراة مثالية اجتمعت فيها

مباهج الحياة وأسباب السعادة وراحة النفس . والحسب هو الفعل الجميل للمرء وآبائه ، وهو احد مفاخر المراة منذ القديم ، ولا يزال له القوة الدافعة والسحر الغالب ، فاذا كانت المراة من آل بيت عرفوا بالمكارم فان ذلك امارة على أنها كأصلها . قال صلى الله عليه وسلم : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » . وقال : « اياكم وخضراء الدمن ، قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله ، قال : « المراة الحسناء في المنبت السوء » . ولا شك ان اصلها يفيدها فانها تترفع عن مخالفته في سلوكها ، وتربي أولادها على سنة اهل بيتها .

وينبغي كذلك اختيار المراة من اسرة غريبة ، اي ليست قريبة للزوج فان ابن الاخيرة يخلق في الغالب نحيلا ، وذلك لضعف اشتهائها بسبب الألف ، بخلاف الاولى فان اشتهاءها والرغبة فيها اقوى لعدم الالف ، ولعدم الاشتراك القريب في الدم ، قال صلى الله عليه وسلم : « اغتربوا ولا تضووا » . ولقد اثبت الاطباء بابحاثهم العلمية تلك الحقيقة التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا .

وتفضل البكر الثيب لخلو قلبها من رجل آخر ، وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم جابرا رضي الله عنه على الزواج من البكر بقوله له : « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك » . وذلك حين اخبره انه تزوج ثيبا ، فاذا وجدت اسباب ترجحها على البكر كانت اولى منها ، فقد اقر النبي جابرا لما اخبره انه تزوجها لترعى اخوته الصغيرات لوفاة امهن .

فهذه هي الاصول الواضحة لاختيار الزوجة الصالحة ، فمتى راعى الشباب هذه الاصول عند ما يريد الزواج فانه سيقدم للاسرة الابن البار ، وللمجتمع الجندي المخلص .

وكما انالدين الاسلامي يحض الرجل على أن يختار زوجته من ذات الدين والخلق ، فانه قد اعطى هذا الحق ايضا اولي المراة وحضه على ان يختار لها الزوج الصالح المتدين ليعيش الزوجان متجانسين سعيدين ويشب اولادهما في جو من الوفاق الروحي وتقوى الله تعالى فيكونوا في مستقبلهم على منهجهما خلقا ودينا ، فان اختاره لها فاسقا فقد اخطأ في حقها وقطع رحمها ، قال صلى الله عليه وسلم : « من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها » . وقال « النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته » . وقال رجل للحسن : « خطب ابنتي جماعة فمن ازوجها ؟ قال : من يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها » فان زوجها وليها من فاسق كان آثما .

وينبغي ان يختاره مستقيما ، فكم من شاب يمتاز بالغنى والثراء والمنصب والجاه ، ولكنه عند ما يجد الجد لا يكون له في مجال الحياة نصيب ، وانما يعنيه من الحياة لذائذه ومتعه ، وينصرف الى هذا تاركا وراءه بيتا في حاجة الى بعض هذا المال ، ولكن لا نجد مجيبا ولا سميعا ، فعلى الولي ان يختار الشاب الذي يومن بالبيت ايمانا عميقا ، ويجعله في مقدمة ما يعنى به ، وان يوفر له جهده باذلا في سبيل ذلك كل ما يستطيع من صرف النظر عن مقدرته المالية ما دامت هذه المقدرة تعينه على تكوين بيت سليم ، لا مبالغة في مطالبه ، ولا مغالاة في نفقاته .

وينبغي ان يختاره ذا نسب ، فكما ان العرق دساس في الزوجة ، فهو كذلك في الزوج ، فان صفات الوالدين ترثها الذرية عنهما ، وهذا مبدأ مقرر عند علماء النفس كما أنه معروف في طبائع البشر ، قال تعالى حكاية عن قوم مريم حين جاءتهم بعيسى من غير زوج : « يا اخت هارون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا » . يعنون انها عليها السلام من نسب عريق في الصلاح فكيف تأتيهم بعيسى وهي غير متزوجة يريدون بذلك رميها بالسوء .

وينبغي كذلك ان يختاره وليها ذا حسن ووسامة ان امكن ، فكما أن الرجل يختار زوجته ذات حسن فكذلك العكس ، فان قسم الله لها زوجا ذميما ، فعليها أن ترضى به ما دام صاحب دين وخلق كريم كما يرضى بها الزوج ان كانت كذلك . قال الاصمعي : « دخلت البادية فاذا انا بامراة من احسن الناس متزوجة رجلا من اقبحهم وجها ، فقلت لها اترضين ان تكوني زوجة لمثله ، فقالت يا هذا : لقد اسأت في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ، أو لعلي اسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي ، افلا ترضى بما رضي الله لي فاسكتتني .

فهذه هي أهم الاسباب التي يتلمسها الناس في اختيار الزوجات والازواج ، والتي اقرتها الشريعة الاسلامية ، فعلى كل من الرجل والمراة الا يغتر بالمظهر يبرق فيغشي البصر ، ويكذب الواقع ، ويصرف عن الحقيقة ، بل ينظر قبل كل شيء الى اللباب والجوهر الذي هو الاساس في طول العشرة وبقاء الحياة الزوجية .

الرضى :

لم تكتف الشريعة الاسلامية فى وسائل تكوين الاسرة وبناء الحياة الزوجية على التعرف والاختيار ، وانما اوجبت بعد ذلك تمام الرضى من الطرفين ، لان فى ذلك تجاذب الارواح ، وائتلاف النفوس واتفاق الميول ، فلا بد اذن من الرضى لان كلا من الزوجين مختار غير مكره ، ومن حق المختار ان يستبين ما هو سائر فيه من طريق ، لا ان تعصب عيناه ثم يقال له سر فانت مختار ، وليست الموافقة فى نظر الشريعة الاسلامية خاصة بالرجل فقط ، وانما هي من حق المراة ايضا ، فلها أن توافق أولا توافق ، ما دامت تقلب حكم العقل فى الحالين ، اذ لا يكلفها الاسلام عسرا من أمرها ، ولا شططا فى حياتها ، ولا يأخذها فى هذا الامر الخاص بها بالعنف ، فليس فيه اكراه لها على زوج لا ترضى عنه ، ولا قهر على رجل لا تحبه ، ولا توافق عليه ، لان طباعها لا تتفق وطباعه واخلاقها لا تتناسب واخلاقه ، ورضاها يحصل بالقول والاشارة او غيرهما مما يدل على قبولها ، وقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لما قيل له : ان البكر تستأمر فتستحي « سكوتها اذنها » . فكيف يجوز للاب ان يزوج ابنته بغير رضاها الى من يريد هو ، وهي أكره الناس فيه وهو أبغض شيء اليها ومع هذا ينكحها اياه قهرا ويجعلها أسيرة عنده .

وكما امرت الشريعة الاسلامية بأن يأخذ الولي راي المخطوبة فى شريك حياتها ، امرته كذلك ان يأخذ راي امها التي هي ادرى الناس بأحوالها ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «آمروا النساء فى بناتهن» . كما صح عنه: «ايما امراة تزوجت بغير اذن وليها فزواجها باطل وكررها ثلاثا ». وهذا ما يتفق مع قوله تعالى فى شؤون الاسرة : « وائتمروا بينكم بمعروف » . وقوله : « عن تراض منهما وتشاور » . فلا شك ان الشارع يرغب فى قيام رباط الاسرة على أساس من رضى الزوجين واقربائهما ما امكن .

وبهذا الوضع تحفظ الشريعة الاسلامية للاب سلطته الابوية ، وتصون للبنت ادبها مع تمكينها من الاعراب عن رغبتها . وبهذا الوضع ايضا لا نرى ابا يستبد بسلطان الابوة فى تزويج بنته دون تعرف رضاها ولا رضى امها ، ولا نرى فتاة تخرج عن سلطان ابيها وامها وترتبط بزوج لا يعرف اهلها شيئا عنه ، وكلا الامرين قد يؤدي الى فتن لا تقف عند حد : تتمرد الفتاة على الزوج الذي اكرهت عليه ، فتقيم امها حربا شعواء على الاب والزوج معا ، فيفسد البيتان وتشقى الاسرتان ، وربما يتملك الاب الغضب لكرامته فيفتك بابنته ، او بمن اختارته زوجا لها دون امره . فحفظا على كرامة المراة وسلامة سمعة الاسرة رغبت الشريعة الاسلامية فى ان يكون زواج الرجل والمراة عن تشاور كل منهما مع أبويه وحتى مع أقربائه ، وذلك ادعى للسلام العائلي، واطيب لحسن العلاقات بين ذوي الارحام ، وذلك ما يدخل فى تقوى الارحام التي حث عليها القرآن الكريم بجانب تقوى الله : قال تعالى: « واتقو الله الذي تساءلون به والارحام » .

الكفاءة :

ولم تقف الشريعة الاسلامية عند هذه الوسائل السابقة فى بناء الاسرة من التعرف والاختيار والرضى وانما طلبت شيئا آخر ، هو فى الكثير الغالب ضمان لقوة الالفة وحسن العشرة ويسر تبادل الراي والاقتناع والموافقة ، ذلك هو ان يكون الزوج كفئا للزوجة فى الفضائل التي يعتز الناس بها فى حياتهم الاجتماعية . كأن يكون مناسبا للمراة فى دينها وحسبها ونسبها ، وحالها ، ومالها .

وقد منعت الشريعة الاسلامية زواج الكافر بالمسلمة كتابيا او غيره ، وذلك لان القاعدة الشرعية تقتضي اتباع الاولاد لابيهم فى الدين والنسب ، فلا يمكن السماح بوسيلة تجعل اولاد المسلمة تابعين لاب كافر ، والفسق بالجوارح ينبغي اجتناب صاحبه لانه يؤثر على الحياة الزوجية واخلاق المراة ، وقد ثبت فى الحديث الشريف السابق : « من زوج كريمته من فاسق وهو يعلم فقد قطع رحمها » . والكفاءة فى الحال هي سلامة الزوج من العيوب كالبرص والجنون وسائر العيوب التي توجب فسخ النكاح ، واما الكفاءة فى المال فهي ان يكون قادرا على المهر والنفقة ، فالغنى ليس بشرط فى الكفاءة ، بل مطلق القدرة على الانفاق هو الشرط المعتبر ، فاذا كان الرجل عاجزا عن السعي او يسعى من وجهة يدركها منه معرة كالذي يتكفف للناس ، فان الاب يمنع من تزويجها له .

فالكفاءة التي هي حق خاص بالمراة او الولي هي فى صالح الزوجة وصالح اسرتها اكثر مما هي فى صالح الزوج واسرته ، وقد قصدت الشريعة الاسلامية بذلك شيئا مهما جدا ، فما من شك فى انحطاط مكانة الزوج من مكانة الزوجة ، يجعلها دائما تنظر اليه بعين

الاحتقار ، وتتلقى فى شأنا من الناس نظرات النقد والتعبير . ومن هنا تأبى عليها نفسها ان تخضع لرايه ، او تنزل على مقتضى قوامته وسلطانه ، هو زوج فى نظر نفسه وله حق الازواج وذليل فى نظرها فلا تمنحه ذلك الحق ، فتختلف الحياة ، ولاجل ذلك حذرت الشريعة الاسلامية من الوقوع فى هذا ، واوجبت التنبه والاحتراس منه قبل ان يستفحل الخطب ويدخل الزوج على زوجته .

المهر :

لقد اوجبت الشريعة الاسلامية على الرجل عند الزواج ان يبذل للزوجة مهرا سماه الله صدقة ، قال تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » . وهاته الصدقة هي منحة تقدير تحفظ على الزوجة حياءها وخفرها يتقدم بها الزوج معبرا عن تقديره اياها وعن رغبته فى اتمام الزواج بها ، وفى هذا حجة على الذين يعتقدون ان الاسلام لا ينظر الى المادة وانما ينظر الى الروح فقط، وانه لا يكتفي بالصلة الروحية بين الرجل والمراة وانما هو يعزز هذه الصلة بالمهر بالشيء المادي ليرضي الغرائز ، ويشبع الى حد ما ، فهم الاحاسيس ، فان فى النفس البشرية نزوعا الى المادة ، يختلف باختلاف استعدادها للخير وقبولها له ، فللمال سلطانه القاهر على النفس الانسانية ، يمتلك احاسيسها ، ويسيطر على عواطفها . واننا لندرك بعد هذا ، السر فى تشديد الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمر الصداق ايا كان قدره ، وذلك حين قال لمريد الزواج وليس ميسورا : « التمس ولو خاتما من حديد » . ولا يسيطر على قلب المراة ويخلب لبها مثل المال ، فهو وسيلتها للزينة والحلي ، وطريقها الى المتعة واختلاب الباب الرجال ، واجتذاب قلوبهم وامتلاك افئدتهم .

ان الصداق مشروع لتقوية الرابطة بين الرجل والمراة ، وكأنه دليل قوي على ان الرجل يهوى المراة ويريد البناء عليها ، وانه لهذا ضحى فى سبيلها بالمال حسب الطاقة وجهد الاستطاعة واذا احست المراة ان الرجل ضحى فى سبيلها بالمال الذي هو فى نظرها فى المكان المرموق ، اخلصت للرجل واقبلت عليه وكان هذا أحرى أن يؤدم بينهما .

وقد صور بعض خصوم الاسلام المراة المسلمة ـ فيما يتعلق بتشريع المهر ـ بالمراة القابلة للبيع والشراء، ولم يفهموا الحكمة من المهر بانه نصيب الرجل فى بناء الحياة البيتية ، وان هذا الالتزام من جانبه وحده لما فرض عليه من قوامته على المراة ولما فرض فيه ـ بحكم الطبيعة ـ من انه المكافح فى الحياة ، فالمراة فى اوربا بحكم العرف عليها ان تؤسس لخاطبها بيت الاسرة المقبلة التي ستتكون منها مبدئيا ، فكون المراة تتحمل تاسيس الاسرة وهي دون الرجل فى القدرة على المكافحة فى الحياة قلب للوضع الطبيعي ، ذلك ان طبيعة الحياة تقضي ان يدفع الرجل الصداق، لا أن تدفعه المراة ، فمن شأن الرجل الكد والسعي ، والجد والعمل ، وتحمل المشاق مهما تتابعت ، والاهوال مهما ادلهمت . ومن شأن المراة اللين ، والعمل فى محيط مملكتها الهادئة الوادعة ، والاشراف على ذلك المصنع الذي يخرج الاولاد ، وتكليفها ان تدفع هي المهر انتكاس لطبيعة الحياة ، وانعكاس لقضية الوجود . فالاسلام لا ينظر الى الزواج على انه عملية تجارية فيها بيع وشراء ومزايدة فى السعر كما اعتقده خصومه ، بل ينظر اليه على انه رابطة تعاونية مقدسة لتاسيس الاسرة السعيدة . وان الرجل بقوامته على المراة هو الذي يدفع المهر المفروض عليه فى الاسلام .

وقد حثت الشريعة الاسلامية بكثير من الارشادات النبوية على يسر الصداق وخفته ، قال عليه الصلاة والسلام : « من بركة المراة سرعة تزويجها ويسر مهرها». وقال: «خير النساء احسنهن وجوها وارخصهن مهورا». اما العادة السارية الآن عند البعض من اشتراط المهور الفاحشة لبناتهم، والتي سببت احجام الشباب عن الزواج لعدم استطاعتهم تلبية تلك النفقات الباهظة التي لا يستطيع تاديتها صاحب الدخل المحدود ، فهي مما يخالف روح القرآن الذي ورد فيه : « ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا جاءكم ممن ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » . فقد ذكر (ص) الخلق والدين ولم يذكر المال ، ونبهنا الى اننا اذا لم نفعل ذلك ، تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ، وهذا ما نشاهده اليوم بين الشباب الذي انغمس فى المحرمات ، لعدم قدرته تلبية عادات المجتمع المخالفة لروح الاسلام .

والواقع ان التشديد على الازواج بالغلو فى المهر كما شاع ذلك بين الناس ليس من مصلحة الفتيات ولا من هناءتهن فى حياتهن الزوجية ، فالزوج الذي يستدين بسبب زواجه كثيرا ما يصاب بانقباض النفس

وضيق الصدر ، وكثيرا ما يقترن ذلك بنظرته الى من كان سببا في شقائه بالدين المؤرق ، هذا زيادة على ان ارهاق الراغبين في الزواج يجعلهم ينصرفون عنه الى الانحراف ، فيبقى الفتيات عوانس او منحرفات ، وشر ذلك على المجتمع اشد من شر الحروب والامراض .

وكما توصي الشريعة الاسلامية اولياء الفتيات الا يبالغوا في صداقهن ؛ توصي الراغبين في الزواج الا يطلبوا أثاثا معينا ، والا يسألوا عما جاء به أصهارهم من أثاث ، ولا عن شؤون الزوجة المالية ، فان ذلك مكروه كسابقه ، ومخل بالمروءة والكرامة . قال الثوري : « اذا تزوج الرجل وقال اي شيء للمرأة فاعلم انه لص » .

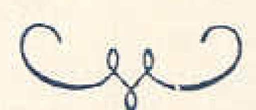
فالصداق اليسير والأثاث الخفيف هو من السنة النبوية ، وعلى ذلك درج السلف الصالح ؛ قال صلى الله عليه وسلم : «اعظم النساء بركة أيسرهن صداقا» وقال : « خير الصداق ايسره » . وكان سيدنا عمر بن الخطاب يقول : « ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من اربعمائة درهم؛ ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي وداعة السهمي على درهمين ، مع انه كان من اغنياء التابعين ثم حملها اليه وأدخلها من الباب وانصرف ، ثم جاء بعد سبعة ايام فسلم عليها .

ومن هنا كان من الوصايا التي تلحق بالتعرف والاختيار والرضى والكفاءة . يسر المهور وعدم المغالاة فيها ، وبه تشرح الصدور وتقوى الالفة وتطيب الحياة .

هذا هو ما تراه الشريعة الاسلامية من الوسائل التي يجب مراعاتها قبل الاقدام على عقد الزواج تركيزا له على الاسس القوية المتينة، وبعدا به عن اللبنات الرطبة التي لا تلبث ان تذوب فينهار البنيان ، ويتلاشى الامل .

يتبع

تازة : العربي الفساسي



إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم..

للأستاذ عبد الفتاح إمام

الوطن في عرف الاسلام اوسع افقا ، وابعد مدى من أن ينحصر في دائرة البقاع التي ولد فيها المسلم ، فنشأ وترعرع على خيراتهـا ، ودرج على ترابهـا ، وانطبعت في خياله وذاكرته معالمها ومشاهدها ..

فهذا شعور فطري ، واحساس بدائي ، يتولد مع الطفولة ، ثم لا يلبث ان يتسع افقه ، وينفسح مداه كلما نضج العقل ، وزاد الوعي ..

فاذا اكتمل عقل المؤمن، وتبصر قوله تعالى: «انما المؤمنون اخوة » تطلع الى هذه الاخوة ، التي تبعث فيه القوة والغبطة ، وتملأ نفسه عزة وكرامة ، لانها تجمع المسلمين في اطار من المحبة والتعاون ، والعطف والحنان ، مهما نأت ديارهم ، وتباينت جنسياتهم ...

فالوطن الاسلامي هو الدنيا باسرها ما دام فيها مسلمون ، هو كل أرض يعيش عليها جماعة تعتنق الاسلام، وتحيي امجاده، وفضائله، لا فرق في ذلك بين شمال وجنوب ، ولا بين شرق وغرب ، ومن هذا الشعور ينبثق الفداء ، وتقوى التضحية بالنفس والنفيس ...

وفي زمن المعتصم ، اغار الروم على عمورية ، ودخلوا بلدة تسمى « زبطرة » ولما ارادوا ان يأسروا امراة مسلمة فيها نادت « وامعتصماه » وبلغه هذا النداء ، وكان في يده كأس فلم يشربها ، وامر من فوره بتجنيد الجيش وغزو عمورية ، وقام بجيش جرار استجابة لهذا النداء الذى هز اريحيته، وحرك فيه شعور الاخوة الصادقة ..

وقد اشار عليه المنجمون بأن هذه الفترة من الزمن غير صالحة للخروج الى الحرب ، لانه ظهر نجم يشير الى النحس والهزيمة ، فلم يأبه لزعمهم ، ولم يذعن لحسابهم ، بل خرج للقتال قائلا : « سيغلب سعدي نحسكم » ولم يهدأ له بال حتى اجلى الغاصبين، وفك قيود تلك المرأة بنفسه قائلا لها قولته المشهورة: « ها هو المعتصم قد لبى نداءك أيتها الشريفة » .

وهكذا تم له النصر والظفر على الاعداء ، لانه يسير على هدى القرآن وتعاليمه ، وشرح الله صدره للغزو وهو يقرأ قوله تعالى : « فاذا عزمت فتوكل على الله » ...

وقد حكى ذلك ابو تمام في قصيدته التي مطلعها:

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في
متونهن جلاء الشك والريب

الى ان قال :

لبيت صوتا « زبطريا » هرقت له
كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

لقد بعث الرسول العظيم محمد صلى الله عليه وسلم في امة هامدة جامدة، ومجتمع فاسد ، بين قوم غلاظ الاكباد قساة القلوب ، فاخذ يعالج مشكلات هذا المجتمع ، ويحل عقده ، حتى صفى الامة العربية من شوائب الجاهلية واوضارها ، وهذب اخلاقهـا ، وقوم اعوجاجها ، ونقى طباعها، من الادناس والارجاس، ونفخ فيهم من تعاليمه وآدابه ما ملأ قلوبهم شفقة ورحمة ، بعد غلظة وقسوة ، فظهرت طباعهم ، ورقت قلوبهم ، فكانوا يبكون لما يصيب أحدهم من أحداث الدهر وشدائده، ويتعاونون على الخيرات ، ويتسابقون

الى الحسنات والمبرات « اشداء على الكفار رحماء بينهم » .

وسرعان ما دخل الناس فى هذا الدين افواجا افواجا ، وخفقت راياته فى المشرق والمغرب ، فكون هذا الرسول العظيم امة بهرت العالم ، ولفتت انظار المشرقين والمغربين بعلومها وبطولاتها وسعادة مجتمعها ، وبلغت هذه الامة من المجد والعزة ، والجلال والكمال منتهى ما تصبو اليه الانسانية من عدالة ورحمة، وشرف وسؤدد ، وكانت حياتهم فى تلك العصور مضرب الامثال عبر الاجيال ، حيث سلكوا السبيل الذي رسمه لهم الله تعالى على لسان نبيه الامين صلى الله عليه وسلم ، وتمسكوا بتعاليمه الرشيدة فتجنبوا المشكلات ، ولم يتعثروا فى سيرهم ، بل استطاعوا ان يعبروا قنطرة الحياة فى يسر وسهولة ، حتى اذا وجدوا فى طريقهم مشكلات عالجوها عن طريق هذا الدين الذي فتح لهم آفاقا جديدة من العلم ، ففتق عقولهم وانار بصائرهم ...

والبشرية الآن تتخبط فى اودية من الحيرة ، وتعيش فى ظلمات من القلق والاضطراب ، حيث انهارت قواعدها ، وتهدمت نظمها التي بنتها على ما انتجته العقول ، وما هيأته لهم المادة ، فتنكبوا طرق العدالة الاجتماعية ، واطلت الدكتاتورية براسها ومبادئها الشاذة ، فشقيت الانسانية ، وتعقدت المشكلات ، وفشلت المؤتمرات ، وانحلت الروابط ، واندلعت الثورات ، وتمزقت المعاهدات ، واصبح العالم الآن فى حاجة ملحة الى قيادة حكيمة ، وسياسة رشيدة ، ونظم ثابتة ، تأخذ بيده الى حياة قارة ، وعيشة مطمئنة ، تسودها العدالة والمساواة ، وبرفرف على ربوعها علم الحرية والمحبة والاخاء ...

لقد سئم العالم حياة التناحر على المادة ، والتنافس فى سبيل الحصول عليها ، ظنا منهم انها الوسيلة الى السعادة والسيادة والهناء ، فاذا بهم يرونها « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءهم لم يجده شيئا » فأخذوا يعضون اناملهم ، ويقرعون السن من ندم ، ويقولون هل الى خروج من سبيل ، لانهم ما جنوا بعد طول عناء الا الشقاء ...

ان هذا العالم المعذب الذي شقي بنتائج علمه ، اصبح فى فراغ روحي ، ووجد نفسه أمام مشكلات اجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية معقدة ، وقف علماؤه ورؤساؤه ومفكروه حيالها موقف العجز واليأس، حيث لا يعرفون لها حلا ، ولا يجدون لها علاجا ..

وسيأتي اليوم الذى يعترفون فيه ــ أن قريبا او بعيدا ــ بأن هذه المشكلات وتلك العقد لا تحل الا عن طريق الدين الاسلامي الحنيف ، وكتابه الشريف ، « الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » لانه اوضح الحلول ، ووضع القواعد الثابتة لكل ناحية من نواحي الحياة ...

وحسبنا ان كثيرا من العلماء والفلاسفة ــ الذين لم يعتنقوه بعد ــ قد شهدوا بصلاحية هذا الدين لكل زمان ولكل جيل ، وان فى تعاليمه ما يسعد البشرية جمعاء ، وما يرشدها الى طريق السلام ، ويصونها من التردي فى مهاوي الهلاك والضلال ، لو طبقت تلك التعاليم على اصولها من غير انحراف عنها ، ولا تبديل فيها ...

يقول شيدر « عميد كلية الحقوق بفينيا » :

ان البشرية لتفخر بانتساب رجل « كمحمد »اليها .

وقال برناردشو :

« ما اشد حاجة العالم فى عصره الحديث الى رجل « كمحمد » يحل مشكلته القائمة بينما يتناول فنجانا من القهوة » ...

وان فى القرآن ما يبعث العزة والامل الفسيح فى نفس المؤمن ، وما يدفعه الى المجد والشرف ، فالمؤمن اذا قرا قوله تعالى « كنتم خير امة أخرجت للناس»، شعر بمكانته فى هذا الوجود، وغرس هذا الشعور فى نفسه السيادة الكاملة ، فيسعى جهده للمحافظة عليها ، والتأهل لحمل اعبائها فيفتديها بدمه وروحه ، لانها سيادة ربانية ، كتبت لهذه الامة فى عالم الازلية ، وتلك منقبة لا تنالها امة من الامم مهما بلغت من الرقي والنهوض .

وقد وضع الاسلام منهاجا كاملا شاملا يكفل للناس افضل النظم للحياة العامة ، فاذا ساروا على هديه استطاعوا أن يتجنبوا المشكلات ، وان يحلوا كثيرا من الامور المعقدة التي عجزت عن حلها النظم الوضعية ، بل وكانت سببا فى شقاء الانسانية وعذابها.

واننا معشر المسلمين لو سلكنا الطريق الذي سلكه اسلافنا ، وتمسكنا بتعاليم ديننا ، لسارت الامم فى ركابنا ، واقتدوا بنا ، ونهجوا نهجنا ، وطلبوا الينا أن نعالج مشكلاتهم ، ونضع القوانين والنظم لحياتهم، وصدق الله العظيم « ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم » .

القنيطرة : عبد الفتاح امام



– 13 –

ب ـ مفهوم الجهـاد فى الاسلام :

ان للفتح الاسلامي نظامـا يختلـف عن انظمـة البشر كلها، انه يمتاز بالاناة والروية والخير والعطف، ذلك ان السلام من المباديء الاساسيـة فى المنهـج الاسلامي ، لهذا عمل الاسلام على تعميق ابعـاده فى النفوس ، وارى من المناسب أن اسوق بعض الفقرات مما قلته عن الســلام فى مقالـي المنشــور بمجلـة « الامانة التطوانية » التى احتجبت بعد أن ســدت فراغا ثقافيا هاما تحت عنوان « بعض مظاهر السلام فى الاسلام » :

« الاسلام دوحة وارفة الظلال ، فينانة الاغصان حلوة الثمار ، يتمتع بها كل من استظل بها من حرارة الهجير ، وفى ظلالها راحة لا تعاد لها راحة ، راحـة العقل والجسم والنفس ، وليس هذا خيال شاعر ، وانما هو واقع ملموس ، ينفيه من فى قلبه مـرض ، ويعترف به من لهعقل سليم واع .

الاسلام هو ذاك ، حمامة الخير والامن والسلام، جعله الله آخر الاديان ليجتث جذور الشر الكامنة فى النفس البشرية ليقودها الى النور ، والفضيلـة ، لذلك كان من مبادئه السامية التعايـش السلمـي ، واعتبار الاخوة الانسانية وحدة متماسكة لا تنفصم ، على أساسها يعمل البشر لاقامة حياة فاضلة لحمتها وسداها التعاون والاتحاد ، ولولا حرصه على ذلـك كل الحرص ما جعل شعار المسلم كلمة « السلام » يلهج بها كل يوم مرات عديدة ، ويرددها فى خاتمـة كل صلاة .

وليست هذه الدعـوة المباركـة أمرا يتنافـى والطبيعة الانسانية بالعكس ، ان الانسان فى مسيس الحاجة الى مساعدة اخيه ضد ما يمكن ان يقف فى وجهه سدا منيعا لعمارة الكـون ، وجعـله صالحـا للمعايشة ،وما اولئك الرسل والانبياء عليهم السلام الذين توافدوا على الدنيا الا شاهد على ان الله تعالى هدفه الاسمى هداية الناس الى طريق واحد يسيرون عليه متعاونين لغاية جميـلة مشرقـة هي الاعتصـام بحبل الله جميعا ، والالتفاف حول مبدا المحبة الذي يحتضن فى اطاره سعادة الفرد المنشودة ، وعلى هذا الوتر الرنان يعزف القرآن الكريم قولـه مؤكـدا ان الانسانية من اصل واحد وان اتحاد الاصـل يفـرض تعاضد الفروع « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (1) . والله ـ كما مر ـ يحب السلام ومن اسمائه الحسنى السلام » (2) .

---

(1) سورة الحجرات آية 13 .
(2) العدد 13 ـ السنة 1 ـ 2 ذي القعدة 1390 ـ 31 ديسمبر 1970 ص 16 .

وان استقصينا قرآننا الكريم في حديثه عن السلام وجدناه يتحدث عنه في آيات عديدة كلها تلتقي رغم اختلاف البناء اللفظي لها عند الظلال التي توحي به كلمة السلام ، وهي : الامن والاستقرار والاطمئنان ، الامر الذي ينبه الحس البشري الى ان هذا الدين الكريم دين يبغي السمو النظيف في العلاقات الانسانية ، ولنستمع الى هذه التوقيعات الالهية تترى في روعة مؤلفة مناخا مضيئا من الصفاء والامان : « ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا » (3) « تحيتهم يوم يلقونه سلام » (4) ، « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم » (5) « والله يدعو الى دار السلام » (6) ؛ « لهم دار السلام عند ربهم » (7) « لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ، الا قيلا : سلاما سلاما » (8) .

وبما ان نظام الاسلام فريد من نوعه في تشريعاته الاخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فانه استعمل احيانا مصطلحاته الخاصة التي تناسبه في طرافته وتفرده تجنبا من ان تتفق مع المصطلحات التي اقرتها المناهج الجاهلية الارضية قديما وحديثا ، ومن بين هذه الاستعمالات استعماله كلمة «الجهاد» بدل كلمة «الحرب» التي ارتبطت في مفاهيم الانسان بالرغائب الشخصية ، والمآرب الذاتية (9) على حين الجهاد فكرة تختلف جوهريا عن ذلك اذ تعني في مضمونها العام بذل الجهد والسعي وتعني في الفتح رفض الوضع الفاسد – كما مر سابقا – رفضا باتا ، واقرار وضع صالح يقوم على عقيدة التوحيد ، وما تفرع عن التوحيد من مبادىء تناولها برنامج الاسلام العملي من اجل كفالة حياة زاهرة للمجتمع البشري كله من غير استثناء في كل المجالات .

اما « الحرب » التي يعلنها الاسلام على جبروت البشر فانها لا تتحقق الا بعد الدعوة الى الدخول فيه او دفع الجزية ، وان لم يرضخ العدو الى ذلك جاء دور القتال وامير الجيش لا يمكنه بحال من الاحوال ان يخرج عن هذا القانون ، وان بدأ القتال قبل الانذار فانه يؤدي ديات نفوسهم كما يرى الفقهاء (10) وسيأتي بعض هذا عما قليل .

ورغم اعلان الحرب ، فان الاسلام وضع لها نظاما يخفف من ويلاتها ، فمن ذلك وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قوله « انطلقوا باسم الله ، وبالله وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا غنائمكم ، واصلحوا واحسنوا ان الله يحب المحسنين » .

يا لهذا الدين الطيب حتى الحرب وهي ما هي تتحمس فيها النفوس ، وتذهب ضحيتها الارواح وتسودها الاهوال والمهالك وتخوض غمارها الابطال يصولون ويجولون ، هي في نظر هذا الدين الرحيم ينبغي ان يعمها الاحسان والشفقة .

هذا من نحو ، ومن نحو آخر ، شريعة الاسلام تحث المسلمين على اكرام اسارى الحرب ، وتعتبر معاملتهم بالحسنى برا ، وذلك يتمثل في قوله تعالى: « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا. انما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » (11). كما تتيح للافراد والجماعة من الجانب المحارب ان تدخل في أمان المسلمين وهو ما يسمى بنظام الامان ، وهو مستمد من قوله تعالى : « وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه ما منه » (12) .

فأين هذا مما نراه اليوم في القرن العشرين – قرن العلم والنور كما يزعمون – من تقتيل وتشريد واعتداء على الحرمات ، واغتصاب

---

(3) سورة النساء آية 94 .
(4) سورة الاحزاب آية 44 .
(5) سورة الرعد آية 23 ، 24 .
(6) سورة يونس آية 25
(7) سورة الانعام آية 127 .
(8) سورة الواقعة آية 25 ، 26 .
(9) انظر الاستاذ ابا الاعلى المودودي في كتابه الجهاد في سبيل الله ط . دار الفكر الحديث – لبنان – ص 11 .
(10) انظر الاستاذ السيد سابق . فقه السنة ج 2 ص 646 ط بيروت 1391 هـ .
(11) سورة الانسان آية 8 ، 9 .
(12) سورة التوبة آية 6

استبداد ؟ واكبر برهان على ذلك حوادث الغدر والاجرام التى تنصب على اخواننا المسلمين فى الفيلبين من طرف المنظمات الارهابية المسيحية ، والهيئات الصهيونية العالمية ، وما يعانيه كذلك اخواننا فى فلسطين والاراضي المغتصبة بالاضافة الى ما تتجرعه الانسانية فى طول الارض وعرضها من عذاب الفراعنة الجدد من الاستعماريين والاقطاعيين.

واذا كانت هذه هي طريقة الاسلام المثلى فى تطبيقاته العملية فى الجهاد ، فكيف امتدت الفتوحات الاسلامية امتدادها الرائع ؟ اجيب عن ذلك مبرهنا عن ان هذا الدين ما رفع السيف الا لضرورة ازاحة العقبات عن طريق الدعوة لاعلاء كلمة الله فى الارض ، وتسليم مقاليد الحكم ليد مؤمنة من غير اعتبار جنسية او عنصرية او اقليمية اذ ان جنسية المسلم عقيدته سواء كان عربيا ام اعجميا .

مر بك آنفا حديثنا عن ان الفتح الاسلامي لا يمكن ان يتحقق الا اذا سبقته الدعوة او فرض الجزية او القتال ، واما غير هذا فيعتبر حيفا وتعديا ، وليس ادل على ذلك من ان المسيحيين من العرب ظلوا يتمتعون بحقوقهم كاملة ، وما الجزية التى كانوا يدفعونها سوى مقابل لحمايتهم ورعايتهم من طرف الدولة الاسلامية ، والدليل القوي على اندحار العراقل امام الدعوة العالمية .

والامة القبطية فى مصر قبل الفتح الاسلامي عاشت فى جو خانق من الاضطهاد والتعذيب، مما جعلها ترحب بالفتح الجديد وتنتظره على احر من الجمر، وفى هذا الصدد يقول السير توماس ارنولد: « كان بعضهم يعذب ثم يلقى بهم فى اليم ، وتبع كثير منهم بطريقهم الى المنفى لينجو من ايدي مضطهديهم ، واخفى عددكبير منهم عقائدهم الحقيقية وتظاهروا بقبول قرارات مجمع خلقدونية ، وقد جلب الفتح الاسلامي الى هؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها قبل ذلك بقرن من الزمن وقد تركهم عمرو بن العاص احرارا على ان يدفعوا الجزية ، وكفل لهم الحرية فى اقامة شعائرهم وخلصهم بذلك من هذا التدخل المستمر الذى انوا من عبئه الثقيل فى ظل الحكم الروماني » (30) الى ان يقول «وليس هناك شاهد من الشواهد يدل على ان ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم فى الاسلام على نطاق واسع كان راجعا الى اضطهاد او ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين (14) .

ولسنا نعلم دينا سماويا كان او ارضيا عامل اعداءه المعاملة الخيرة الطيبة كالاسلام ، وتجلى ذلك فى اكرامه المسيحيين وتقليدهم وظائف هامة فى الدولة مثل القديس يوحنا الدمشقي الذى كان مستشارا للخليفة الاموي عبد الملك ، لذلك وجد فيه من يعيش تحت ظلاله النور الحق ، والرسالة الخالدة التى حققت له سعادة لا تعاد لها سعادة ، واخوة متينة لا تنفصم عراها فاعتنق الكثير منهم الاسلام عن ايمان راسخ ، وعقيدة سليمة لا عن طريق الاجبار والقوة كما يدعي المستشرقون من بينهم جولد تسهير الحاقد الخبيث (15)، وخذ على سبيل المثال الشعب السلجوقي والمغولي الذى اخضع الاراضي الاسلامية لحكمه ما لبث ان ارتضى لنفسه الاسلام دينا ، وهو الحاكم المغلوب وخذ على سبيل المثال ايضا الدولة الاسلامية فى دور شبابها فى الشرق والغرب ، لو كانت تريد نشر دينها على اسنة الرماح ما وقفت فى وجهها اية قوة فى الارض ، وما بقيت فئة تحت نفوذها دينا آخر يخالف دين الدولة الرسمي ، وخذ على سبيل المثال ايضا الدولة الاسلامية فى دور شبابها فى الشرق والغرب ، لو كانت تريد نشر دينها على اسنة الرماح ما وقفت فى وجهها اية قوة فى الارض ، وما بقيت فئة تحت نفوذها تمارس دينا آخر يخالف دين الدولة الرسمي ، وخذ على سبيل المثال ثالثا هذه الملايين التى احتضنت الاسلام فى الهند والصين والملايو وجاوة وجزر الهند الشرقية وافريقية الوسطى وروسيا وبولندا وغينيا ، هذه الملايين هل فارقت عباداتها الجاهلية بقوة السيف ؟.

والحقيقة ان الاسلام انتشر فى هذه البلاد عن طريق التجارة والطرق الصوفية كالقادرية والتيجانية والسنوسية واولئك كانوا عزلا من السلاح الا من الايمان والرغبة فى الدعوة (16) .

---

(13) الدعوة الى الاسلام تعريب الدكتور حسن ابراهيم حسن وآخرين ص 123 ط مصر 1970 .

(14) نفس المصدر السابق ص 124 .

(15) انظر كتابه العقيدة والشريعة فى الاسلام نقله الى العربية الاستاذ محمد يوسف موسى وآخران ص 34 ط 2 — مصر .

(16) انظر تفصيل ذلك عند حسن ابراهيم حسن فى كتابه انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ص 42 وما بعدها ط مصر 1964 .

وتحكى فى هذا الصدد قصة طريفة حدثت بين عالم عربي يسمى الشيخ عبد الله وبين (الراجة) (الملك) ، ملك قويدة فى شبه جزيرة الملايو ، وذلك سنة 1501 م سال العالم العربي الملك عن ديانة البلاد فأجابه ديني ودين رعيتي ورثناه عن الاقوام القدامى، وهو عبادة الاصنام فقال الشيخ : اما سمعتم عن الاسلام وصاحب الرسالة محمد عليه السلام الذى نسخ كل الاديان ، وهكذا ظل الشيخ يشرح له مباديء الاسلام وتعاليمه الى ان اقتنع فأمر بجمع الاصنام وكان بعضها من الذهب والفضة ثم احرقت وبعد اسلام الملك اسلم اهل بيته ووزراؤه وشعبه (17)

وحكاية سمرقند التى يقصها علينا البلاذري دليل ملموس على سماحة الاسلام الخصبة المزهرة ، ومثل حي كريم للفاتح المسلم ، وصورة جد طيبة ورائعة لمنهج الله الانساني الرحيم العادل ، ومفادها ان القائد قتيبة بن مسلم دخل سمرقند واحتلها من غير ما دعوة الى الاسلام او الجزية او الى القتال ، فما كان من اهل سمرقند الا ان رفعوا ظلامتهم الى الخليفة عمر بن عبد العزيز ــ وناهيك به من حاكم مسلم رعى شريعة الله خير رعاية متجردا عن الاهواء ، هادفا الى بناء مجتمع اسلامي سليم بعد ان نخر جسمه السوس والعفن ــ فامر عامله بتنصيب قاض يفصل فى القضية ، وفعلا نصب قاضيا يسمى جميع ابن حاضر الباجي ، وكانت النتيجة أن حكم القاضي بخروج المسلمين من البلد وبدعوة القائد اهل المدينة الى المنابذة ، ثم باعلان الحرب ، وحينذاك هب اهل المدينة على بكرة أبيهم الى الدخول فى الاسلام (18)، وكم وكم من هذه الصور المثلى يحفل بها تاريخ الاسلام فى صراعه الطويل مع الجاهلية .

اذا لم يكن انتشار الاسلام بالسيف ولا بالقوة ولا باية وسيلة من وسائل القمع والارهاب منذ انبثاق فجره الى أن انعقدت ألويته على ربى العالم ، وان كنا قد رأينا صداما عربيا وقع فى فتوحاته فما ذلك الا لاعتداء او محاولة اعتداء قام بها العدو المتربص ، او تصدى قادة الشر للدعوة ومنعها من السير قدما الى الامام فى حين ان الامة الاسلامية مكلفة فى اي وقت أو زمن بتبليغ الرسالة الالهية الى كل ارض ــ كما سبق الحديث عن ذلك ــ بالطرق السلمية لمن هادن وبالطرق الاجبارية لمن يعوق مسيرتها المباركة ، لان كلمة الله لابد أن تعم البشر ، وحينذاك للانسان الحرية المطلقة فى اختيار مذهبه الديني ومن شاء فليومن ومن شاء فليكفر .

اما الامة الاسلامية اليوم فلا يمكن ان يتهيأ لها تحقيق هذا المبدا لكونها تخلفت عن الركب الحضاري لظروف اخذت بخناقها وافقدتها رشدها ، وليس لها الآن الا نوع آخر من الجهاد هو التسابق الى العمل فى كل ميدان فى اطار الكتاب والسنة ، اذ ذاك سنعيد السيادة ونقوم بما تفرضه علينا عالمية الاسلام « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا»(19)

واذا لم يكن هناك ارهاب ولا قسر فى فتوحات الاسلام ، فبماذا نعلل ظاهرة التفاف الناس حول هذا الدين واعتناقهم له جماعات وفرادى قديما وحديثا. الاجابة نوجزها فيما يلي :

ان طبيعة الشريعة الاسلامية ، طبيعة حية تتعامل مع الانسان فى لحظات هبوطه ، ولحظات ارتفاعه وتاخذه برفق ، وتعتبره مخلوقا مهما فى هذا الكون الهائل ، وتضمه اليها بعطف لتنتشله من سفحه ، وتصعد به الى قمة القمم التى ينبغي ان يقتعدها بصفته خليفة فى الارض مكلفا بمهمته العليا ، ومعنى هذا انها مسايرة لفطر البشر بما فيها من اهواء مختلفة ، ومعالجة فى الان عينه مشاكله بطريقتها الحكيمة المتمثلة فى ايجابيتها وواقعيتها ، وفى هذا يقول تعالى وهو اصدق القائلين مبينا ميزة هذا الدين « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » (20) .

هذا هو السر الذى غاب عن كثير من الناقمين على الاسلام ، وشهادة الله على ان اكثر الناس لا يعلمون ، وان علموا فان الضلالة تعمي بصيرتهم فلا يفقهون شيئا .

ــ يتبع ــ

تطوان ــ محمد المنتصر الريسوني

(17) انظر الاستاذ مصطفى الشكعة فى كتابه : اسلام بلا مذاهب ص 81 ط دار القلم 1961 .
(18) فتوح البلدان ص 593 حققه عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع
(19) سورة النور آية 55 .
(20) سورة الروم آية 30



شعيب عليه الصلاة والسلام ـ احد انبياء اربعة عرب ، ذكرهم الشيخ حسن العطار فى بيتين لطيفين يقول فيهما :

وكل اسماء النبيين العلا
فى عجمة لها انتظام وولا

واستثن منها اربعا ستسرد
هود شعيب صالح محمد (1)

عليهم ـ جميعا ـ افضل الصلاة والسلام . والقرآن الكريم هو الوثيقة الوحيدة التى ذكرت « عادا » قوم هود ، و « ثمود » أصحاب صالح ، فاما قوم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالناس اجمعون ، من بعثته الى يوم الدين ، فهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ مرسل للناس كافة .

فاما قوم شعيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمدين ، فالقرآن الكريم لم يسمهم ، وقد ذكر انهم اهل مدين اصحاب الايكة المشركون بالله العابدون لغيره ، المطففون الكيل القاطعون الطريق ، ولم اجد ـ لسنوات عدة ـ شيئا عنهم فيما كتبه المفسرون او اصحاب قصص الانبياء ، حتى اذا يسر الله لي ان اكتب بحثا فى « عقيدة العرب فى الجاهلية واثرها فى ادبهم » بدات تتجمع بين يدي خطوط كانت هادية لامرهم ، بتوفيق من الله وحده سبحانه .

— * —

ان شعيبا ـ عليه الصلاة والسلام ـ النبي العربي ـ لابد ان يكون مبعوثا فى قوم عرب ، بذلك تقضي حكمة الله ، اذ يقول : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » (2) فان اداة الداعية لسانه ، وقوة اقناعه تابعة لقوة منطقه ، فقومه ـ اذا ـ عرب لهم نفس اللسان . وشعيب ـ اذا ـ احد المدينيين ، عاش حياته فيهم ، وتمكن من العلم بشئونهم ، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ من بطن قوي بمدين يتمتع فى قومه بالعزة والثروة ، وفى القرآن الكريم بيان ذلك على لسانه : « قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينةمن ربي ورزقني منه رزقا حسنا » وهم يقولون له : « ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز ، قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ، ان ربي بما تعملون محيط » (3) .

وشعيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يبعث الا الى امة بمدين فقط ، فلم يبعث الى غيرها ، وقد

---

(1) حاشية العطار على شرح الازهرية ص 57 ط الخيرية 1309 هـ .
(2) سورة ابراهيم الآية 4
(3) سورة هود الآيات 88 ـ 91 ، 92 .

وفق الله سبحانه الامام عماد الدين ابا الفداء اسماعيل ابن كثير الى بصيرة هادية في بيان ذلك عند تفسيره لقوله تعالى «كذب اصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون ... الآيات » (4) فبين ان اهل مدين هم اصحاب الايكة ، قال : « هم اهل مدين على الصحيح ، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم ، وانما لم يقل هنا اخوهم شعيب ، لانهم نسبوا الى عبادة الايكة ، وهي شجرة ، وقيل : شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها ، فلهذا لما قال : « كذب اصحاب الأيكة المرسلين » لم يقل : اذ قال لهم اخوهم شعيب ، وانما قال : اذ قال لهم شعيب ، فقطع نسب الاخوة بينهم للمعنى الذى نسبوا اليه (اي عبادة الأيكة) وان كان اخاهم نسبا . ومن الناس من لم يفطن لهذه النكتة ، فظن ان اصحاب الايكة غير اهل مدين ، فزعم ان شعيبا عليه السلام بعثه الله الى امتين ، ومنهم من قال : ثلاث امم . (5) اهـ

— * —

وان في تحديد زمان بعثته — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام معينا ثرا في الطريق الى كشف القبائل العربية التي قطنت مدين ، واستقبلت رسالة شعيب فآمن بها من آمن منهم ، وكفر بها من كفر ، فان فريقا منهم آمن كما تدل على ذلك الآية الكريمة الواردة على لسانه : « وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » (6) .

لقد بعث عليه الصلاة والسلام في فترة من الزمن تقع بعد مبعث لوط وقبل مبعث موسى صلوات الله عليهم اجمعين :

فأما مبعثه بعد لوط ، فقد ورد في القرآن الكريم صريحا على لسانه ، اذ انذر قومه فقال : « ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح أو قوم هود او قوم صالح ، وما قوم لوط منكم ببعيد » (7) .

ولوط كان معاصرا للخليل ابراهيم — على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ، فقد جاء في القرآن الكريم منهما معا — اعني الخليل ولوطا — قوله تعالى : «ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين». وفي القرآن الكريم « فآمن له (اي لابراهيم) لوط ، وقال اني مهاجر الى ربي ، انه هو العزيز الحكيم» (8)

فعصر الخليل — اذا — هو عصر لوط ، ومعظم المنقبين يعيثون تاريخ ابراهيم في زمن متوسط بين اوائل القرن الثامن عشر واواخر القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ويجعلونه معاصرا لدولة الرعاة في مصر ، ودولة السموريين في العراق ، والقلة منهم تجعله في راس القرن العشرين من قبل الميلاد (9)

كذلك ليس بين يدي المفسرين الذين يعتبرون شعيبا معاصرا لموسى عليهما الصلاة والسلام حجة على ذلك ، فمبعثه — عليه الصلاة والسلام — كان قبل موسى . يدل على ذلك القرآن الكريم ، فان الحق — سبحانه وتعالى — بعد ان ذكر في سورة الاعراف الانبياء : نوحا وهودا وصالحا ولوطا وشعيبا قال — سبحانه : « ثم بعثنا **من بعدهم** موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها ، فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » (10) .

وموسى — عليه الصلاة والسلام — كان مبعثه في القرن الخامس عشر من قبل الميلاد على وجه التقريب (11) ، فشعيب — اذا — عاش حياته بمدين

---

(4) الشعراء الآيتين 176 — 177
(5) انظر تفسير ابن كثير للآية 176 من سورة الشعراء .
(6) سورة الاعراف الآية 87 .
(7) سورة هود الآية 89 .
(8) سورة الانبياء الآية 71 ، وسورة العنكبوت الآية 26 .
(9) انظر لعباس محمود العقاد — كتابه (ابو الانبياء الخليل ابراهيم ص 222 و 70 ، 71 كتاب اليوم اغسطس 1953 .
(10) سورة الاعراف الآية 103
(11) انظر للدكتور محمد عوض محمد — المسالة الصهيونية في نظر العلم ص 11 — مطبوعات الجامعة العربية .

فى فترة تقع بين القرن السابع عشر والسادس عشر من قبل الميلاد . (12)

— * —

واذ قد أتينا على تحديد الزمن الذى تقع فيه الفترة مبعث شعيب — على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام — فواجبنا ان نكشف عن سكان « مدين » فى هذا العصر ، وطبيعي ان سكان منطقة بعينها تستمر — فى ظروفها الطبيعية — اجيالا كثيرة، و «مدين» فى هذا العصر لم تكن تلك المدينة الصغيرة او القرية المستقرة فى الجنوب من « سيناء » بل كانت مملكة تنبسط على جنوب سيناء الى شرق العقبة ، فتحتل جزءا كبيرا من المنطقتين .

لقد كان الكشف عن سكان هذه المنطقة يكاد يكون مستحيلا ، حتى اذا اذن الله — سبحانه — فكشفت رموز الكتابة البابلية والاشورية (13) ، بدأت تتقشع كثافة الضباب التى حالت بيننا وبين التعرف على اوائك السكان ، فان القوة التى تمتع بها اولئك السكان اغرتهم متعاونين مع مملكة «دومة الجندل» بمساعدة البابليين ضد الاشوريين ، فجرد الاشوريون عليهم حملات حربية سجلوها فى آثارهم، واستطاعوا اخضاع « دومة الجندل » ولكنهم عجزوا عن مطاردة بقية العرب الذين يعنينا الكشف عنهم ، ورب ضارة نافعة ، فانهذا الكشف — نفسه — سجل — بصورة مباشرة — مدى عنت بني اسرائيل من كتبة « العهد القديم » فى تعمدهم عدم الكتابة عن هؤلاء العرب ، وبخاصة لانهم ، اي العرب ، اذاقوهم مر الهزيمة .

سكن هذه المنطقة « مدين » وما جاورها فى هذا العصر — ذراري اسماعيل بن ابراهيم — عليهما الصلاة والسلام ، وسجلت آثار الاشوريين ذلك، كما ذكرت بعض اسماء ملوكهم مثل : اويطع وخزاعيل وامتدت أملاكهم من « حويلة » شرق نهر الاردن على رأس سواحل الخليج الفارسي بأعالي الحجاز الى شور بشبه جزيرة سيناء . كذلك امتد نفوذهم فى الشمال الى جنوب لبنان ، وتوزع هذا الملك بين عدد من ابناء اسماعيل عليه الصلاة والسلام .

وبالرغم مما بذله كتبة العهد ، من الحرص على التنكر للاسماعيليين ومحاولاتهم المستميتة لمحو كل اثر يدل عليهم كي يتمكنوا من حصر النبوة فى بني اسحق عليه الصلاة والسلام — كانت الحقائق اقوى منهم ، فاعترفوا — كرها — بملكية الاسماعيليين لمدين ، وبملكيتهم لدومة الجندل (14)

وكان طبيعيا — مع اتساع هذه الرقعة التى تملكها العرب — ان تختلف فيها وثنيتهم بين عبادة الاصنام وعبادة الشجر، وقد استمر ذلك فيهم حتى ظهور الاسلام ، فنلاحظ من اوثانهم ما هو شجر خالص كذات انواط (15) ، وما يجمع بين الشجر والصنم كالعزى ، فقد جاورها ثلاث سمرات هى التى بترها خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (16).

كان من اصنام الاسماعيليين التى تعبدوا لها فى هذه القرون الخالية الاصنام : دبلات Diblat وديجا Daja ونوخيا Nuhaia وابريللو Ebirillu وعثة قرمية Atar Kurumaia (17)

---

(12) نستخلص ذلك نظرا من الآية (ثم بعثنا من بعدهم) مع تاريخ موسى عليه الصلاة والسلام .

(13) انظر مقدمة « بلاد ما بين النهرين لمؤلفه : ل ديلابورت » الكتاب رقم (35) من سلسلة الالف كتاب ط. النموذجية .

(14) للاستاذ عباس محمود العقاد — كتابه « ابو الانبياء الخليل ابراهيم » ص 126 فى ملكيتهم من العراق الى البحر الاحمر ، وانظر للدكتور جواد علي موسوعته : « تاريخ العرب قبل الاسلام » 1 / 285 الى 293 و 2 / 320 الى 322 والعهد القديم — التكوين الاصحاح 37 — 26 ، 27 ، 28 ، 36 ، ومنه الاصحاح 25 / 13 .

(15) انظر لابي الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي المعروف بابن سيده كتابه المخصص 13 / 104 ط. اولى .

(16) انظر « العزى » بالجدول التفصيلي بكتاب الاصنام لابن الكلبي مطبعة دار الكتب المصرية — القاهرة 1384 .

(17) دكتور جواد علي 2 / 322 ، طبعة اولى

والقرآن الكريم شاهد صدق على عبادة فريق منهم للشجر ، وهم أهل مدين اصحاب الأيكة الذين بعث فيهم شعيب — صلوات الله وسلامه عليه —

ولقد كان وقوع ذراري اسماعيل — عليه الصلاة والسلام — فى الوثنية تطور حتمي لاندفاعهم ضد الدين الحنيف الذى توارثوه عن ابيهم اسماعيل عليه الصلاة والسلام، يقول ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي : « ان اسماعيل بن ابراهيم (صلى الله عليهما) لما سكن مكة وولد له بها اولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، واخرج بعضهم بعضا ، فتفسحوا فى البلاد والتماس المعاش (كذا) .

وكان الذى سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له ، وهم — بعد — يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على ارث ابراهيم واسماعيل (عليهما السلام) .

ثم سلخ ذلك بهم الى ان عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الاوثان ، وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم (18) » .

وفى صحيح البخاري رضي الله تعالى عنه — عن بقاء عبادة الشجر فى العرب حتى ظهور الاسلام — ما اورده على لسان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه — يقص ما كانوا عليه فى الجاهلية لترجمان كسرى : « ونعبد الشجر والحجر » (19) .

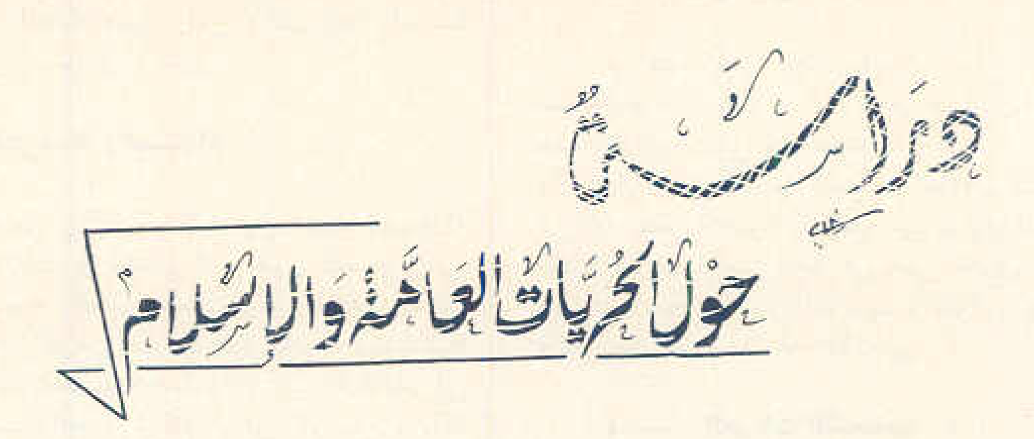
— ❊ —

ان من نتائج هذا البحث المقررة ان شعيبا عليه الصلاة والسلام من ابناء اسماعيل ، فهو ورسول الله محمد خاتم النبيئين والمرسلين يجمعهما اب واحد هو اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهم اجمعين.

القاهرة — علي الخطيب

(18) الاصنام لابن الكلبي ص 6 .
(19) صحيح البخاري 4 / 118 مطابع الشعب ، القاهرة 1378 هـ







لقد رغبت في تخصيص هذه الدراسة للحريات العامة بصفة عامة وفي نظر الاسلام بصفة خاصة ان أسهم بدوري مع المساهمين في الدراسات القانونية وخاصة منها دراسات القانون العام ، كما اسهم في التعريف بمبدا الحريات العامة وكشف النقاب عن مداول هذه الحريات لاسيما وقد أصبح تعبير الحريات العامة متداولا لدى الخاص والعام دون ان يكون محتواه واضحا في الفكر بقدر ما يجري المصطلح على كل لسان وفي كل منتدى ، وقصدي جلاء الريب وانحسار اللبس والغموض .

وساقتصر في هذه الدراسة الموجزة على موضوعين من موضوعات الحرية العامة العديدة تاركا الموضوعات الاخرى الى فرصة قابلة بحول الله ، والموضوعان هما كما يلي :

أولا : تطور الحريات العامة وأنواعها :

1 ــ تطور الحريات العامة :

ان الحريات العامة جزء لا يتجزأ من حقوق الانسان ولم تكن معروفة لدى المجتمعات القديمة كما تعرفها مجتمعاتنا المتمدنة ، فقد كان الرق معمولا به ونظام الطبقات شائعا وكان الحق مع القوى في جميع الاحوال ــ ورغم هذه الوضعية التى تعتبر فى نظر الحضارة الحديثة وضعية مزرية وغير لائقة بكرامة الانسان فقد كانت هناك تقاليد واعراف تضمن للانسان ولو بصورة ضعيفة بعض الحقوق التي يمكن ادماجها نسبيا في اطار الحريات العامة .

وتلو مرحلة التقاليد والاعراف اتت مرحلة القانون والتشريع فقد اقر القانون الروماني تدريجيا حرية التملك وحرية الاتجار وحرية التقاضي بصورة عامة وخفف من القسوة في معاملة المجرمين تلك القسوة التي كانت منبثقة عن النظر الى العقوبة على انها مجرد انتقام وهي ابعد ما تكون عن المدارس الحديثة التي اصبحت تتجه نحو اصلاح المجرم وتطهيره نفسيا قبل التفكير في الانتقام منه وايقاع العقوبة عليه .

وفي ظلال هاتين المرحلتين اللتين عاشتهما الانسانية شقية آونة وسعيدة اخرى كانت الانظمة الاجتماعية تقع تحت تأثير الديانات السماوية التى كانت تنبجس انوارها من حين لآخر وبين فترة واخرى فتأتي بقواعد اخلاقية واجتماعية وقانونية لصالح البشرية كلها ، وختام هذه الرسالات رسالة الاسلام . هذه الرسالة السامية التي اسفر انتصارها عن تحرير الفرد من نير العبودية وضمان مختلف الحريات له حتى اصبح يتفيأ ظلا لها الوارفة وينتشق من عبقها الطيب وحتى اخذت الدساتير الوضعية تستلهم الحريات العامة من هذه الديانة السمحة .

وهكذا صرنا نلاحظ في العصر الحديث ان اول ما يهتم به المشرع عند وضعه لدستور أمة معينة

النص على ضمان الحريات العامة وما ذلك الا لكـون مبدا الحريات العامة اصبح ركيزة لا غنى عنها واساسا لا بد منه فى وضع اي دستور .

ب ـ الحريــة والمساواة :

من البديهي أن الطبيعة لا تعترف بمبدا المساواة المطلقة بين الناس ، فالناس لا يولدون متساوين فى القوتين الجسمية والعقلية فهناك اقوياء وضعفاء واذكياء واغنياء كما ان الفرص المتاحة لهم مختلفة ومتباينة وبالتالي ليست متساوية مما يؤدى الى اختلافهم فى وسائل الكسب والعيش وتفاوتهم فى الارباح . واذا كانت الحرية هي محور نشاط الافراد فى اطار الانظمة « الليبرالية » فان كل نشاط حر يؤدي بطبيعتــه الى بروز ظاهرة اللامساواة بين الافراد المنتمين الى هذا النشاط او ذاك حيث تختلف مواهبهم واستعداداتهم وتتفاوت بالتالي دخولهم تفاوتا يشبهه علماء الاقتصاد بهرم ذي قاعدة واسعة تمثل قمته دخــول الطبقــة الفقيرة وقاعدته دخول الطبقة الموسرة . فنجد طبقة غنية واخرى فقيرة وثالثة متوسطة تقع بين طرفيــن متباعدين .

واذا كان من مميزات النظام الليبرالي ضمـان الحريات العامة فهذا صحيح الى حدما حيث تنعـدم اصالة هذه الحريات نظرا لانعدام المساواة الفعليـة بين الافراد ونظرا للضغوط التى تنتج من تملك وسائل الانتاج ورؤوس الاموال فى أيدي طبقة محصورة العدد . وبالمقابل فان النظام « الجماعي » يسير نحو تحقيق المساواة الفعلية بصورة واسعة النطاق ، ويلاحظ عليه انه يقيد الحريات العامة وبالخصوص حريات الشخص الفردية وحرية الرأي والتعبير ، ومن هذا يبـدو أن بغية تحقيق المساواة تؤدي الى انتقاص الحريــات . وفى هذا الصدد يقول السيد « جاك فيل » ان الشعوب تريد المساواة فى الحرية فاذا لم يمكنها الحصول على المساواة فى الحرية فانها ترغب فى المســاواة فى الاسترقــاق .

وفى اعتقادي ان التطرف فى الملاحظة على هذا النظام او ذاك بعيد عن الواقع والصواب ، ومن الخير للكاتب السياسي أن يهدف الى تحقيق التوازن بين مبدا الحرية ومبدا المساواة ويسعى جهده لانارة الطريق وفتح المجال امام المجتمعات الانسانية لكي تتفتــح وتزدهر فى ظل هذين المبداين الساميين .

ج ـ انواع الحريات العامــة :

فى هذه الفقرة نحاول ايضاح انواع الحريــات العامة وعرضها بقليل من الا يجاز حيث ان الهدف من هذه الدراسة ليس هو التعمق فى البحث القانونــي والتحليل الوافي لطبيعة الحريات العامة وانما هو كامن فى القاء بعض الاضواء الكاشفة على مدلول الحريــات العامة وترتيبها حتى تاخذ فى نفس القارىء وذهنــه صورة واضحة ، بينة التقاسيم والالوان ، وعلى ذلك فالحريات العامة مصنفة كالآتــي :

1 ــ الحريات الشخصية :

ان الحريات الشخصية تعتبر اساس الحـريات الاخرى لانها مرتبطة بالشخص وحياته وكرامته وهي اصيلة وطبيعية عند الانسان وجعلها الرومان حقـا طبيعيا من بين بقية الحقوق الطبيعية الاخرى . وقد احتفظ التاريخ لعمر الفاروق بقوله المأثور فى شان الحريات الشخصية فى هذه الصيغة الرائعة « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » .

وينبثق عن الحريات الشخصية حقان اثنان :

الأول: حق الفرد فى التنقل من مكان لآخر دون ان يتعرض لاي عدوان او مضايقة او تفتيش الا فى الحدود التي ينص عليها القانون .

والثاني : حق الفرد فى الامن ومحتواه ان يكون للفرد الحق فى التمتع بالامن فيما يخص شخصه وعرضه وامواله بحيث لا يجوز حبس لإنسان او توقيفه او اضطهاده او تجريمه الا وفق الاجراءات المنصـوص عليها فى القانون .

وقد ضمن القانون الحريات الشخصية باقراره مبدا عمومية القاعدة القانونية وتجردها ومبدا استقلال القضاء ، فالناس كلهم سواء امام القانون .

وتعتبر المسطرة الجنائية والقانون الجنائــي ضمانتين هامتين للحريات الشخصية اذ ينصان على معاقبة كل من سولت له نفسه التعدي على الغير سواء انصب هذا العدوان على الشخص نفسه او على عرضه او مــالــه .

2 ــ حريــة السريــرة :

وتتمثل هذه الحرية فى حقين: **الاول** حق حرمة المنزل ــ فالمنزل هو المسكن الذى ياوي اليه الانسان

ليستريح فيه ويعيش بين ارجائه في جو تسوده الطمانينة والسكينة بعيدا عن تطفل الغير . وقد نصت القوانين على معاقبة كل من يخرق حرمة منزل غيره ومنع على الشرطة دخوله الا باذن من وكيل الدولة ووفقا للاجراءات التى ينص عليها القانون .

والثاني حق حرمة المراسلات ــ فللمرسلات حرمة وحرية لا يجوز بحال من الاحوال خرقهما ولا الاعتداء عليهما ولا يجوز لغير من توجه اليه الاطلاع عليها وان فعل استحق العقاب ، وفى هذا الصدد تنص اغلبية الدساتير على هذا الحق وضمانه لكل الافراد .

3 ــ حرية الجمعيات والاجتماع والمظاهرات:

تتخذ هذه الحرية مظاهر ثلاثة : المظهر الاول ، حرية انشاء الجمعيات سواء كان الهدف منها حماية حقوق المهنة لجماعات الممتهنين ، وهي ما تسمى بالنقابات أو كانت تهدف الى تحقيق مصلحة اجتماعية او ثقافية وهي ما تسمى فى العرف بالجمعيات . وان كانت تتبنى برامج سياسية واقتصادية خاصة بها وتسعى الى تحقيقها تسمى بالاحزاب . ولتكوين هذه الجمعيات وانشائها قواعد خاصة ينص عليها القانون ويوجب احترامها كتقديم القوانين الاساسية للجمعية كيفما كان نوعها الى السلطات المختصه مع لائحة باسماء اعضاء المكتب الى غير ذلك من القواعد التي تنظم هذه الحرية .

والمظهر الثاني يتمثل فى حرية الاجتماع حيث يكون من حق الافراد تنظيم اجتماعات خاصة أو عامة كالحفلات والمحاضرات ، ويحتم القانون المنظم لهذه الحرية ابلاغ السلطة المحلية بوقت ومكان انعقاد الاجتماع وخصوصا اذا كان عاما ، كما لا يمكن انعقاده حتى توافق السلطة المختصة عليه لان القانون يسمح لهذه السلطة برفض السماح بعقد الاجتماعات التي من شانها ان تمس بالامن العام وتخل بالطمانينة الواجبة للافراد والجماعات .

والمظهر الثالث يبرز فى حرية تنظيم المظاهرات وغالبا ما يخضع القانون حق التمتع بهذه الحرية لنظام الاذن السابق من السلطات المختصة وموافاتها باسماء المنظمين للمظاهرة وكل ما يتعلق بهواياتهم حتى يتسنى لها أن تقوم بالتدابير اللازمة لامن وحماية المتظاهرين .

4 ــ حرية العقيدة والراي والتعليم :

ان الانسان بحسب هذا النوع من الحريات حر فى ان يفكر كيفما يشاء غير انه لا يحق له أن يفرض تفكيره على الافراد الآخرين وينتج عن هذه الحرية الفكرية حرية العقيدة على اختلاف انواعها وحرية ممارسة العقيدة وما تستوجبه من شعائر وطقوس دون الاخلال بالامن العام .

كما ان الانسان وفقا لهذه الحرية حر فى ابداء رايه والتعبير عن خلجات نفسه بالتحدث فى المجالس وبالقاء الخطب والمحاضرات فى الاندية العامة او بنشر هذه الآراء على صفحات الجرائد والمجلات والكتب على حد سواء . وعليه فحرية الصحافة والطباعة والنشر تختلف انواعه هي وليدة حرية الراي. الا ان القانون الذي منح هذه الحرية للافراد والمنظمات قيدها ايضا بعدم المس بالامن العام وعدم الاخلال بكرامة الافراد ــ وفى اطار هذه الحرية ضمن القانون الملكية الادبية والفنية والصناعية والتجارية ، وعاقب كل مخالف فى هذا الميدان .

وتعتبر الاذاعة والتلفزة من وسائل ابداء الراي لكن فى غالب الاحيان تشرف الدولة على هذا الجهاز وتحتضنه بنفسها .

وفى اطار حرية التعليم تخول الدولة لمواطنيها حق ممارسة التعليم الذي يرتضونه لانفسهم وهكذا نجدها تسمح للاقليات الدينية والاجنبية بانشاء مدارس حرة ، ونجدها فى بعض الاحيان تساهم فى تمويل هذه المدارس وتمدها بالمعونة والتوجيه التربوي اللازمين لها . واستوجبت حرية التعليم مجانيته فى مختلف اطواره وجعله فى متناول الجميع حتى اصبح حقا طبيعيا مثل حقنا فى استنشاق الهواء .

5 ــ حرية العمل والتملك والتجارة والصناعة

وبالاضافة الى الحريات السابقة التي خولت للافراد وضمن القانون المساواة فى التمتع بها توجد حرية العمل وتتمثل فى حق كل فرد فى العمل ولضمان ممارسة هذه الحرية توضع على الدولة اعباء ثقيلة فيما يخص توجيه الاقتصاد والتدخل فى اغلبية المرافق الاقتصادية وحتى التي يعود اختصاصها لنشاط الافراد ــ واذا كان تدخل الدولة قويا فى هذا الميدان فان ذلك يمس بحرية التجارة والصناعة كما يمس بحق

الملكية الفردية ــ وهذا ما يشاهد بصورة طبيعية في البلدان الاشتراكية حيث تفهم حرية العمل فهما خاصا اذ ليس من حق الفرد ان يختار نوع العمل الذي يريده ولا من حقه أن يرفض نوعا آخر من العمل بل عليه ان يكون رهن اشارة الدولة لتوجهه نحو العمل الذي تراه مفيدا ومجديا للمجتمع ، ويؤيد هذه الملاحظة العلامة ابن خلـــدون .

وبصفة موضوعية فان حرية العمل يراد بها ان لا يحصر العمل في فئة معينة من المجتمع كما كان عليه الحال في نظام الطوائف المهنية ، ويوضع في متناول الجميع وحسب استعداد الافراد وميولهم وتوفرهم على الشروط الكفيلة بانتمائهم لاحدى المهن الحرة كمهن المحاماة والطب والصيدلة والهندسة مثلا . ويبقى من واجب الدولة منع الاحتكار في هذه الميادين ــ وعلاوة على ذلك فقد ضمنت قوانين العمل باغلبية الاقطار حرية العمل كما ضمنت للعمال عدم استغلالهم وارهاقهم من طرف مستخدميهم ، كما ضمنت هـــذه القوانين حق الاضراب للعمال حفاظا على مصالحهم حتى يعيشوا في مستوى يليق بكرامة الانسان .

واذا كان الانسان يتمتع بحرية العمل وضمانات العمل فهو حر كذلك في ان يتملك ما يشاء بالطــرق المشروعة وبصورة لا يضر بها الآخرين ــ كما ان لـــه الحرية في ممارسة التجارة التي يرغب فيها مجانبـــا الاحتكار ومحافظا على الاسعار التي يحددها القانون ــ وله الحرية ايضا في صناعة بضائع ينتفع بها الغيـــر ملتزما بنصوص القانون .

ثانيا : **الحريات العامة والاسلام** :

هناك كثير من المغالاة والبعد عن الحقيقة والواقع التاريخي فيما يذهب اليه فقهاء الغرب من ان الحريات العامة لم يكن لها وجود قبل الثورات التي قامـــت في اوربا وأن حقوق الانسان لم تكن سوى ثمرة للائحة الحقوق التي اعلنت في بريطانيا يوم 13 فبراير 1689 واول اعلان فرنسي للحقوق بعد ثورة 1789 ثم نص الاعلان العالمي لحقـوق الانسان الذي اعلنته واقرتـه الجمعية العامة للامم المتحدة سنة 1948 . فالاسلام كعقيدة وتشريع سبق هذه الثورات والاعلانات كلها . فتعاليمه السامية اتت لتهذيب النفوس وطبعها على العدل والحرية والمساواة ــ ولا يمكن لفقهاء الغــرب طمس هذه الحقيقة المتلالئة نورا واشعاعا مهما كانت محاولاتهم ، يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ومرشد الى المثل السامية التي كانت مصدر الهام وايحاء لكثير من المفكرين الغربيين . ويـــرى الغربيون خطا ايضا أن ظهور الدولة بمفهومها الحديث مقترن بعصور نهضتهم وهم يجهلون او يتجاهلون تاريخ الامة الاسلامية . فمن البديهي ان هذه الامة عرفـــت نظام الدولة منذ نشأتها وكان النموذج الاصيل لها في عهد النبي وعهد الخلفاء الراشدين حيث كان محمــــد عليه السلام نبيا ورئيس دولة في آن واحد .

واذا كان الاسلام لم يات بقانون الحريات مفصلا كما نعرفه في عصورنا الحديثة فقد جاء بالرغم عن ذلك بمبادىء عامة اخلاقية واجتماعية واقتصادية وقضائية لتنظيم المجتمع تنظيما تسوده الحرية والمســـاواة والاخاء والعدل بين الناس في سائر الميادين .

فقد جاء في حماية الشخص وحماية حرياته الآي الكريم : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » والآيات « ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون » « واذا حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين » ، واقوال الرسول عليه السلام : « لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفســـه » « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ».

وفي حرمة السكن اتى الآي الكريم (ولا تجسسوا) وقول الكتاب المبين : « يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكـــم ارجعـــوا فارجعوا هو ازكى لكم » .

وفي القصة التالية الطريفة نرى مدى اصالــــة الحريات الاسلامية وطابعها الاسنى : روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مر في احدى جولاته الليلية ببيت سمع فيه صوت رجل وامراة رابه ، فتســـور الحائط لينظر فاذا رجل وامراة ومعهما زق خمـــر . فقال عمر يا عدو الله اكنت ترى الله يسترك وانت على معصية ؟ فقال الرجل يا أمير المومنين انا عصيت الله في واحدة وانت في ثلاث فالله يقول « ولا تجسسوا » وانت تجسست علينا . والله يقول : « وآتوا البيوت من ابوابها » وانت صعدت من الجدار ونزلت منـــه ، والله يقول : « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم » وانت لم تفعل ــ وهكذا لم يجد عمر سبيلا لعقابه فاستتابه .

وفيما يخص حرية العقيدة والراي اتت الآيـــة الكريمة « لا اكراه في الدين » والآية الداعيـــة الـــى

المجادلة وتبادل الرأي بالحسنى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » .

وفيما يخص المساواة فقد جعل منها الاسلام مبدا من مبادئه الاساسية فحض على تحقيق هذه المساواة بين افراد البشرية فى كثير من المواضيع فلتحقيق المساواة الفعلية من الناحية الاقتصادية حض على توزيع المال واستثماره فى مختلف المشاريع حتى لا يبقى دولة بين الاغنياء ، وفى هذا الصدد يقول الرسول عليه السلام : « ايما اهل عرصة اصبح فيهم امرو جائعا فقد برئت ذمة الله منهم » .

وكان الخليفة الاسلامي الاول ابو بكر الصديق يسوي بين الناس فى العطايا . وكان بعض المسلمين فى عهده يريدون مزيدا من العطاء نظرا لمنزلته فى الاسلام فيجيبه ابو بكر : « اما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما اعرفني بذلك . وانما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه وهذا معاش فالاسوة فيه خير من الاثرة » .

وفى هذا الصدد احتفظ التاريخ لعمر بن الخطاب بقول ماثور « لو استقبلت من امري ما استدبرت لاخذت من الاغنياء فضول اموالهم فرددتها على الفقراء » .

نستخلص من هذا ان التعاليم الاسلامية والمبادىء التي سارت على نهجها السوي مختلف الانظمة الاسلامية الاصيلة دعت الى حريات اوسع مما تعرفه الان من حريات عامة ، وعملت على تحقيق هذه الحريات فى اطار مجتمع اسلامي له اصالته الخاصة به تلك الاصالة التي نراها فى السعي الى التوازن بين الحرية والمساواة والتوازن من خصائص النظام الاسلامي ومميزاته الرئيسية وصدق الله الكريم: « ماترى فى خلق الرحمان من تفاوت » .

هذه لمحة خاطفة وارتسامة سريعة عن الحريات العامة والاسلام ابتغيت بها الاسهام فى بعث التعاليم السمحة والاشارة الى اشراقاتها التي لا تعرف النفاذ ونفحاتها العطرة على مر العصور ومختلف الحقب .

الرباط ـ محمد حمود





– 5 –

.. **وطرف الحذاء** . الطراف في اللسان المغربي الدارج ليس هو الاسكاف صانع الاحذية والخفاف ، وانما هو عامل بسيط يعالج الاحذية ويصلح ما تمزق منها بجاود اخرى يستعملها لهذه الغاية ، فمن اين جاءت هذه الكلمة وما مكانها فى العربية ؟ اوردت المعاجم الكلمة هكذا : طرف بعينه اطبق احد جفنيه على الآخر .

وطرف الخيل بتضعيف الراء رد اوائلها على اواخرها ، واطرف طابق بين جفنيه ، والذى يعرف مهنة الطراف عندنا وكيف يطابق بين جلد قديم وآخر جديد كما يطابق الانسان بين جفنيه ، وكيف يجمع بين سابق ولاحق ليعيد الحياة الى الحذاء من جديد كما ترد صدور الخيل على اعجازها . لا يسعه الا ان يعترف بسلامة هذا الاستعمال العامي المعبر عن معناه ادق تعبير .

واكاد اعتقد ان كلمة الطراف هذه متولدة من لفظ الطراف على وزن كتاب وهو البيت يصنع من الجاود وصانعه هو الطراف كالحداد والبناء وليس ما يمنع من مجاوزته نطاق اختصاصه ليتولى اصلاح الاحذية وترقيعها ما دامت الجلود المادة الاولى فى عمله .

وضمس : اكثر ما تدور هذه الكلمة على السنة لاعبي الورق عند افتتاح كل دور اذ يقوم اللاعب باخفاء الاوراق وتغطية بعضها ببعض قبل توزيعها على اللاعبين ، والكلمة من الفصيح الذى ما زال يعيش على السنة العوام وردت فى المعاجم هكذا : ضمسه مضغه مضغا خفيا وعملية اللاعب وهو يخفي الاوراق ويخلطها بين أصابعه اشبه بالمضغ الخفي الذى لا يستلفت الانظار ، وما اظن اخواننا فى الشرق يعرفون هذه الكلمة أو يستعملونها بهذا المعنى .

والضامة : هي ايضا لعبة اخرى يقبل عليها الكثير من الناس والضامة فيها هي بيدق اللاعب الذى يستطيع أن يقتحم خطوط صاحبه ليحتل حصنا من حصونه فيصبح ضامة بعد أن كان بيدقا اي انه يصير حاجة مهمة يعتز بها اللاعب ويعتمد عايها .

كلمة نسمعها كثيرا من هواة هذه اللعبة فنحسبها عامية ولدت يوم ميلادها ، ولكنها عربية سليمة كما تنطق بذلك كتب اللغة . فالضامة لغة هي الحاجة ، اي حاجة للانسان يهمه الاحتفاظ بها والحرص عليها . ولسنا نعرف بالضبط التاريخ الذى اقترنت فيه الكلمة باللعبة الشائعة . ولا اعرف احدا تساءل عن هويتها ومنبتها .

ومفط من اكثر الكلمات شيوعا ودورانا فى عاميتنا لو ان كاتبا معاصرا استعملها لأثار من حوله ضجة تجعله موضع الهزء والاستخفاف ، وعذر الخاصة فى هذا فساد الرؤية عندهم لهذه الكلمات العامية وترفعهم عنها حتى لو صحت عندهم عربيتها والكلمة عربية معناها : مدد الشيء وطوله والمطاوع

منه تمغط اي تمدد وهذا ما تستعمل فيه عند عامتنا . ومن صفته عليه السلام لم يكن بالطويل الممغط : اي المتناهي في الطول .

وكرفسه : كلمة اخرى ظلت العامية محتفظة بها عبر القرون التي عاشتها الفصحى قد يترفع عن استعمالها احيانا متأدبو العوام لانها اكثر ما تستعمل في وصف مواقف العنف والمشاجرات ، فعندما يتغلب شخص على غريمه فيصرعه ويذله يقال عنه انه كرفسه : اي بلغ في اهانته وتحقيره اقصى منال، اما عند اخبارهم عن فساد صورة الشيء وتشوهها فالمستعمل عندهم تكرفس ونفس المعنى تثبته المعاجم لهذه الكلمة اذ تقول :

كرفس البعير : ضيق عليه وبالغ في تقييده ، وتكرفس : انضم ودخل بعضه في بعض .. ولا شيء انكى للبعير وابلغ في اذلاله من تقييده والتضييق عليه من حريته فاذا اذللت انسانا وضيقت عليه فقد كرفسته !

هود بالتي ... التهويد عربية معناه التدني والتقرب كما في الآية الكريمة : (انا هدنا اليك) وفي قول زهير :

سوى ربع لم يأت فيها مخافة
ولا رهقا من عابد **متهود**

وورد اللفظ ايضا في معنى السير الرفيق المتباطيء كما في حديث عمران بن حصين اذا مت فخرجتم بي فاسرعوا المشي ولا تهودوا كما تهود اليهود والنصارى أي لا تسيروا سيرا وئيدا متثاقلا .. واكثر ما تستعمل العامة هذه الكلمة لمن كان في مكان عال وطلب منه النزول برفق وبالتي هي أحسن فينادى عليه أن هود بالتي ...

درم وزاد : اكثر عامتنا تستعمل هذه الكلمة لمن يمشي في عجلة لا يبالي بمن يصيبهم في سيره همه ان يمضي الى غايته ، والاستعمال عربي صميم هجره الناس واختفى الا من السنة عامتنا ، ورد اللفظ في المعاجم هكذا : درم الشيخ والصبي مشيا في عجلة وخطى متقاربة .. والدرام من كان مشيه سيئا رديئا . فهل تستطيع انت وانا بعد الآن ان نصف ذلك الرجل الذي يسير سادرا في الشارع لا يحترم الناس ولا قوانين السير مع الناس بانه درام ؟!

خمـج : خمجت الفاكهة من باب طرب فهي خامجة اذا انتنت وفسدت .

وخمجت اخلاقه ساءت فهي اخلاق خامجة ! ويلتقي الاستعمال العامي هنا بالعربي فلا يختلفان في شيء .

ولهـوج : لم يفت العامي وهو وصاف بفطرته ان يصف ذلك الاكول الذي يبتلع طعامه في شره وعلى عجل من غير ان يحكم مضغه كانما هو في سباق مع الزمن فهو يلهوج ما يلتقمه في غير اناة ولا مهل . هذه الكلمة التي ينطقها العامي في الريف والمدينة على السواء فتحسبها دارجة ودخيلة على العربية هي منها في السويداء والصميم . فلهوج الطعام لم يحكم مضغه ، ولهوج الامر لم يبرمه . ولهوج الشواء لم يحكم شيه ، وحديث او راي ملهوج غير محكم . وتبحث عن هذه الكلمة وامثالها فيما تقراه من كتب اليوم فلا تجد لها ظلا لان ميل الكتاب الى تبسيط اللغة وتناول السهل والناعم منها ضرب حجابا كثيفا على كثير من الكلمات التي كان لها في عهدها الزاهر اشراق واي اشراق !

وسرطـه سرط اللقمة او زرطها ابتلعها يتفق الاستعمال العامي والفصيح في قلب السين زايا كما انقلبت الصاد في الصراط سينا وزايا .

ترع البـاب : من النادر ان تجد في العامية كلمات عربية حولت عن معناها الى ضده فالتحويل قد يحدث للكلمة عن الحقيقة الى المجاز وقد يحدث في صيغة الكلمة بزيادة فيها او نقص من بنيتها .

وترع الباب بالتشديد معناه عربية اغلقه ولكن العامة اذ تستعمل هذا اللفظ تقصد به الفتح لا الاغلاق ـ فالباب المترع عندهم المفتوح وليس المغلق .

وتفتـى : تفتى الرجل اذا تصابى وفعل فعل الاحداث والفتيان وهذا المعنى العربي هو ما تقصده العامة باستعمالها لهذه الكلمة تقولها عن الرجل يعمد الى الاشياء الفتية فيتصيدها وينعم بها وليس هو في حدودها او مستواها .

يتفتى وليس اسخف من شيـ
ـخ تولت ايامه يتفتى !

وحشم منه : قد يظن ان هذا التركيب العامي غير فصيح فخواص الناس لا يعرفون الا

احتشم منه ثم هم لا يستسيغون مجاراة العامة فى ما تلوكه السنتهم لانهم يعتقدون مسبقا ان العامة لا تنطق الا ملحونا ومحرفا .. وحشم منه العامية معناها العربي انقبض واستحيا فاذا اخجل انسان آخر قالوا حشمه، ويقع المعنى العامي تماما على ما ورد فيه اللفظان عربية .

(التقمشش) : ما هذا التقمشيش ؟ فهذه الكلمة التي تحسبها عامية ينحو الناس عندنا باللائمة على من يقتر على نفسه شر تقتير ويهين نفسه ولا يكرمها فيتعيش بالدون ويقنع بكل حقير حرصا منه وبخلا بالمال فمن اين جاءت هذه الكلمة وكيف تحدثت عنها معاجم اللغة ؟

جاء فى هذا الكلمة : تقمش الرجل اكل ما وجد وان كان دونا ، وقماش الناس أراذلهم ، والقمش الرديء من كل شيء ، واذا كان اللفظ العامي محولا بعض الشيء عن التقمش فلان ذلك هو الاصل فى العامية التي تحتفظ احيانا بصيغة الكلمة وقد تحولها احيانا لتخضعها الى لهجاتها وطرائف نطقها .

المفشوشة ! فش القربة فتح فاها فخرج ما فيها من هواء هذا الاستعمال الفصيح هو نفس ما تستعمله العامة فى وصف مثل هذه الحالة وتزيد فتصف الشخص الذى كان فى حالة هيجان وغضب ثم فارقه غضبه وهدأت ثورته انه الآن مفشوش كأنما كان من قبل فى حالة انتفاخ .. ولست ادري لماذا لا نرى بين الاعلانات لافتة لاصلاح العجلات المفشوشة!

والفشوش ! اما الفشوش ويقلب دورانه على السنة النساء فتقصد به العامة تدليل الطفل والمبالغة فى ترضيته الى حد افساده واضعاف شخصيته ، واللفظ وان لم يرد بهذا المعنى فى الفصيح الا انه موجود فى معنى لا يبتعد كثيرا عما استعمله فيه عامتنا . فقد جاءت كلمة الفشوش عربية للاحمق الضعيف الراي . ولما كان تدليل الطفل سلوكا تربويا غير صحيح لا يتكون فيه الا طفل احمق ضعيف الراي جامح الاهواء استعمل الكلمة فيما يؤول اليه الامر على نحو : اني اراني أعصر خمرا . اي عنبا يؤول الى خمر . ولمن يستكثر على العامة هذه التصرفات البلاغية أقول أن قواعد البلاغة على تشعبها انما جاءت لتخدم المشاعر الانسانية وتحلل المواهب البيانية عند الناس على اختلاف طبقاتهم واستعداداتهم . ولن ينكر احد ما يتوفر عليه العوام من طاقات بيانية تضيق عنها قواعد البلغاء والبيانيين احيانا ..

السفط بفتح الفاء وعاء كالقفة او الجوالق يصنع عادة مما تصنع منه القفة لحفظ الزجاج وطيب النساء واظن ان هذه الكلمة لا وجود لها فى غير فاس حيث كان بها صناع يعملون هذه الاسفاط .

وما الطف شاعرا اندلسيا يقول :

كيف الحياة مع الحيات فى سفط ؟

تطوان ـ محمد الحلوي

سوانح ولوارح في الأدب

للمرحوم الدكتور زكي المحاسني

عندما اقلتني الطيارة فى مسيرها من دمشق الى « فينا » صيف العام الماضي فى رحلة انفقت عليها من مالي الذى ادخرته ، وكنت ارى الى لدات لي ورفاق ، والى انداد بلغوا الامصار الاوروبية والاميركية ولم ينفقوا من مالهم فى سبيل رحلاتهم الا ما اشتروا به هداياهم . فقلت ان عيني لم تريا الديار الغربية ، وان كانتا رأتاها فى الكتب والسينما والتلفزيون والصور الكثيرة . وان حياة الوهم والخيال على متعتها تشوق الجد لعله يحيط بها ، اللمس والحس والذوق وتسريح النظر ، وقديما قال شيخنا الجاحظ هذه العبارة الشافية :

— ليس يشفيني الا المعاينة .

كانت الطائرة تجد بنا تحليقا فوق بحر « ايجه » فرايت جزر الاغريق التى اطلعت عباقرة الدهر القديم فى الفكر والحكمة ، وترامى ناظري فوق أثينا على (الاكربول) فقلت : يا لله لقد طفت اعمدة الهيكل على وجه الجبل ، وكان أهلوه القدامى قد عبروا به آماد السماء ، ولا يزال حتى اليوم الفكر الانساني مدينا لهم بالتألق والتصور والتعميق .

ولم تجاوز هاتيك الجبال الشم ذوات الافياء الملتفة حواليها حتى جزنا الى سماء البر الاوروبي فانبثقت تحت نواظرنا واتسقت سجادات الاهية لم تنسج مثلها طهران ولا مرت عليها الأيدي اللدن من بنات شيراز واصفهان ، بدت حدودها وقدودها، وكأنها اسطورة رسمت بريشة مفن سحار ، اطاعت بنانه الاصباغ ، ولم تكن الا صبغة الله خضراء بيضاء فى مصفرة محمرة من جداول الزرع ، فى حقول النبات ، طافية بالازاهير .

ولقد حار طرفي فى اجتلاء محاسنها ، فكنت اطل من نافذة الطيارة لاتسقط موضعا ليس فيه نبت او لون او طريق او بناء ، فلم اجد ارضا بورا ، ولا سهلا مهجورا . ولو كان لي عينان من « زرقاء اليمامة » او نظرة من نظرات « حزام » لتبينت الانسان فى الرجل والمراة ، يدب على هاتيك الأرضين يغمرها بالنسل ويملؤها بالعمل ، ويعيش بفكره وشعوره ، وقد مرت على ارضه حربان عوانان منذ استهلالة القرن العشرين حتى اليوم ، فدفن احزانه فى الفؤاد ، وعاش ملء وجوده باسما للحياة .

وهتفت مضيفة الطائرة ، بعد ان عطرت الجو بأنسها وابتسامها ، وسحرت القلب بجمالها وقدها، وقد قربت البعاد ، واختصرت بسحرها الآماد :

— اشرفنا على فينا ...

فيا عروس الفناء ، سابية الرواء ، وحاضرة المجد الاوروبي ، ما اجمل الصباح فيها وما احلى المساء ..

لقد هبيت فى البكور فانحدرت من الفندق وقرينتي « وداد سكاكيني » لنصابح الحديقة الكبرى

التي كانت مكبة من الفندق ، وقد جزنا اليها في يسر منعطفات الطريق .

ما ابدع ما شاهدت في حديقة لوبرز الفردوس لكان لها في دنيا الفنانين خدينا .

واذا نساء حواقل بالزرع والانبات ، شابات فواتن وكهلات حكيمات ، مطرقات ، يلملمن اوراق الشجر يضعنها بعجل دائر ، وانابيب للسقاية تلقاءها تدور لوالبها بفعل الآلة ، لا تعمل فيها يد انسان ، فهي تسقي الزرع في دائرة مرسومة لها ، وعلى عدوة منها آلة مثلها تدور كدورتها تنشر الماء رذاذا وتنمش النبات في اشتات تلاوينه متفتحا لشعاع الصباح مثلما تفتحنا ونحن ندلف اليه .

وبين يدي الحديقة وفي بهرتها ، بركات تطفو بالماء ينسكب عليها الماء من نوافير طافرات ، جلست اتاملها واشبه بها عزيمة الانسان، وهو يقفز ، ومهما يعل فلا بد له من ان يعود الى امه الارض . وقد نزلت في خاطري فكرات شعريات من تلك النوافير، ظلت تختمر في خيالي وجسدي حتى جلست مثل هذه الجلسة امام نافورة « جنيف » فصنعت يومئذ قصيدة ارسلت بها الى صديقي اديب الشرق الاستاذ (البير اديب) بيروت .

لكن الذي اختلب شعوري في حديقة « فينا » هو ما شاهدت وقربني من جدار لا يحد مداه النظر، قام على جانب الحديقة متخذا من غصون الشجر وتلافيف اللبلاب المزدهر المراح بيد النسيم ، حلته التي كلما بليت جددها الربيع ، وعلى بساط الحديقة دوائر من الازهار والريحان ومربعات ومسدسات ابدعتها يد الانسان ، وكان امامنا طائفة من الزنبق تتمايل على سوقها تمايل الاحباب بالحنو والتوله . ومن يدري فربما نظرت اليها بعين عمر الخيام او خيال المعري فشاهدت محشرا للمعاميد من بني الانسان طلع في مطالع الزهر وهو يبث الشعر .

وفيما نحن مستغرقان في هذا التامل يهتف في الحس وتسمعه أذن النفس ، اذا بنا نرى بين اقدامنا حيوانا صغيرا يتقلب وكانه عرفنا فالفنا . او جاء مسلما علينا .

ما أشد دهشتي مما عاينت ، وقد كاد لبي يذهب لبعد الغرابة فيما ارى .

سنجاب نزل من الشجرة التي كانت خلفنا وجاء يجول متمهلا بين اقدامنا ، يلعب ويبحث عن حب ياكله ، وقد انعطف ذنبه المكوف فوق ظهره منفوش الشعر واذناه مرهفتان وانفه متجه بالشميم نحونا . وبرقت عيناه الصغيرتان بالمودة ، وكانت حلته سمراء داكنة .

لقد غالبتني الدهشة اذ لم يمكني في حياتي سنجاب ان اراه مليا ، فلقد رأيت سناجيب تقفز امامي قفزات الجن ، وكانها السهام المنطلقة ، فما تمكنت يوما ان اشاهدها حية مكثبة مني . ولو في اعالي الشجر أو أبعاد الارض ، لكن سنجاب فينا الاليف الحبيب جاءني ملاعبا مداعبا ، فتركته يمرح امامي ، داخلا تحت المقعد وخارجا ، لالقاه بعيني وسمعي وحسي كله .

وحين لم يجد معنا ما نطعمه ، اذ لم نتخذ اهبة لتلك المفاجاة ــ انصرف عنا . ولست اجهل ما كانت خواطره في ضيوفه الشرقيين .

وحل مكانه ما هو أدهش ، عصافير دوبريه صغيرة كالعصافير التي في بلادنا ، تجيء لتقف على قدمي وهي تسقسق حولي . والعصافير التي نعرفها منذ خلقنا ملاى بالفزع ، لا يكاد ظل انسان يقرب منها حتى تطير مرتاعة ، وما عرفت احدا استطاع ان يمسك بعصفور امساك اليد . ولعل تلك العصافير النمساوية جاءتنا مسترفدة ، كذلك السنجاب ، فلم تجد لدينا رفدا .

وظللت اعجب في مسير زوراتي للامصار الاوروبية بالفة الحمام للناس ، يقف على رؤوسهم وعلى اكتافهم ويستريح على ايديهم فيطعم من بذور يشتريه الناس له وقد شاهدت في « لندن » بميدان « الطرف الاغر » الوفا من هذه الطيور الاليفة ، ورايت شعبها الهادىء الودود في صحون كنيسة القديس بطرس بروما ، وادهش ما عاينت من اسراب الحمام ما ملأ بلاط الفناء امام كنيسة « سان مارك بفينيسيا » . هناك كنت أذري البذور للطيور فتتجمع حولي حتى سدت على القدمين، لقد كانت اليفة هادئة تدور يمنة ويسرة امامي وتهفو الي رافعة مناقيرها الحمر لتتلقف حبي وكانت الوان ريشها سماوية ، وقل فيها البياض .

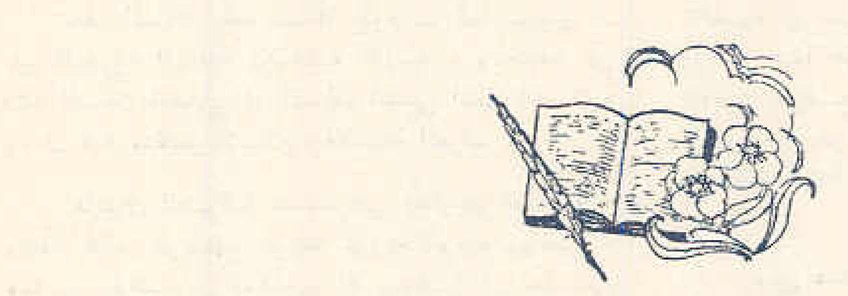
وكان معنا شاب شرقي احب ان يمزح مع واحد من هذه الطيور ، فامسك به وعصر جناحيه ولوى عنقه ، فتملص الحيوان الصغير المسكين من

قبضة يديه ، وطار ، وعيني ترافق طيرانه ، وعلا في مطاره حتى حط على الحصان النحاسي الذي ورثته فينيسيا من عاديات روما ووضعته على جبين كنيستها الكبرى بحذاء السقف الشاهق ، وهنالك لبثت اشاهد الحمامة الهاربة من الانسان المادي وقد نفضت جناحيها واستعادت امنها وقد تخيلتها تتنفس نفسات الحرية التى كادت ان تسلب منها ، ولم تهبط مرة ثانية طول وقفتنا في صحن « سان ماركوس بفينيسيا » . والتفت لأرى ذلك الفتى الذي ازعج الحمام عن مجاثمه ، فرايته يسعى ليمسك بالطيور ويعصرها بين يديه .

لقد عرفت ما دار في خاطر سنجاب فيينا وعصافيره بوهمي ، والقي في اعماق سمعي ما كانت تقوله تلك الحمامة وهي على الحصان النحاسي فوق جبين المعبد الشاهق .

وعدت من رحلتي وانا ذاكر لأبي عثمان الجاحظ ، فقد كان يهوى مشاهدة الحيوان ، وتشوقه الطيور ، وكانت له مساجلات مع الحمام . انه درس نفسه وعرف اسرار مرحه وانسابت في مسارب سمعه نغمات هديله . لقد كنت انقل الجاحظ معي في تلك المشاهد ، فقد عرف في شؤون العصافير ، وكتب عن الطيور بما يحير الالباب ، على مسيرة الاحقاب .

دمشق ــ الدكتور زكي المحاسني



التصوف الإسلامي

ودور الزهد في نشأته..

للدكتور محمد عاطف العراقي

اولا : تمهيـــد :

اذا كانت الحضارة الاسلامية العربية قد قدمت لنا مجموعة من المتكلمين والفلاسفة ، فانها قد قدمت لنا ايضا نمطا آخر من المفكرين ، يختلف المسلك الذى يتبعونه عن المسلك الذى سار فيه متكلمو العرب وفلاسفتهم .

هذا المسلك يعد مسلكا يقوم — كما سنرى — على التجربة الباطنة الداخلية القلبية ، ويختلف عن ذلك المسلك الجدلي او المسلك العقلي الذى اختاره وسار فيه متكلمو الاسلام وفلاسفة العرب .

فاقوال الصوفية تعتمد على تجاربهم الخاصة ، ولهذا كانت طريقتهم طريقة فردية ذوقية روحية . فما من مذهب من مذاهبهم الا ويمكن ان يعد على وجه ما ثمرة لما خضع له صاحبه من رياضات ومجاهدات وما تعرض له من احوال ومقامات .

وهذا يعني أن لهؤلاء الصوفية عالم خاص بهم، اذ قد يذهبون الى آراء لا يذهب اليها غير الصوفي، نظرا لما يعتريهم من احوال لا يعايشها غير الصوفي، بحيث كانت لغتهم ليست اللغة الحسية المحددة الدقيقة ، بل هي لغة الرمز والاشارة .

واذا كانوا قد آثروا الرمز والاشارة على التصريح والعبارة ، فان سبب ذلك يكمن فى ان تلك المشاهدات والمكاشفات لا يمكن ان يعبر عنها بالالفاظ والعبارات من ليس منهم .

هذا يعني — فيما يقول الغزالي فى المنقذ من الضلال — انهم ارباب الاحوال لا اصحاب الاقوال . انهم يصلون الى هذه الاحوال بالالهام . وهذا ما لا واسطة فى حصوله بين النفس وبين الباري ، وانما هو — فيما يقول الغزالي ايضا فى رسالته اللدنية — كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب فارغ لطيف. او هو فيما يقول التهانوي فى (كشاف اصطلاحات الفنون) يقع بطريق الفيض ، اي بلا اكتساب وفكر ، بل هو وارد غيبي ورد من الغيب ، ولا يحصل به العلم لعامة الخلق ، لكن يحصل به العلم فى حق نفسه .

ومن هنا لا تخضع المعرفة الذوقية عندهم لمقولات العقل ولا لغة المنطق ، لان لها لغتها الخاصة ومنطقها .

هذا ان دل على شيء ، فانما يدل على انهم اي الصوفية يرفضون منطق ارسطو ومقولاته العقلية . دليل هذا ما نطالعه فى شرح حكمة الاشراق ، اذ نطالع تفضيلهم للانوار الاشراقية للوصول الى الله . فاصحاب المعلم الاول — كما جاء فى شرح حكمة الاشراق — تعد حكمتهم ضعيفة القواعد وباطلة المعاقد ، وانهم — اي المتأثرون بفكر ارسطو — اذا كانوا قد رفضوا الحكمة الذوقية ، فان مرد ذلك اشتغالهم بالفروع

دون الاصول ، ولذلك حرموا من مشاهدة اللـه . اما الصوفية فقد وصلوا الى معاينة الله لا بفكر ولا نظم ودليل قياس ، بل بانوار اشراقية متتالية .

يوضح ذلك ويؤيده ما تجده فى « اللمع » للطوسي وفى « التعرف » للكلاباذي . فالله عندهم لا يعرف بالعقل . قيل النوري : بم عرفت الله تعالى؟ قال : بالله . قيل : فما بال العقل ؟ قال : العقل عاجز لا يدل الا على عاجز مثله، وهو لا يعرف الله الا بالله .

والعلم الصوفي يعتمد على العبادة والزهد وخاصة فى نشاته الاولى . يقول ابن خلدون فى بداية الفصل الذى يعقده عن التصوف فى مقدمته : « هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة فى الملة . واصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية . واصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة . وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف . فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة » .

ثانيا : حول لفظ الصوفي ومعناه :

اختلفت الآراء حول اشتقاق كلمة « الصوفي ». واذا رجعنا الى ابي بكر محمد الكلاباذي فى كتابه « التعرف لمذهب اهل التصوف » ، وجدناه يعدد هذه الآراء حول سبب التسمية ، أي لم سميت الصوفية بهذا الاسم .

فقد قالت طائفة : انما سميت الصوفية صوفية لصفاء اسرارها ونقاء آثارها . وقال بشر بن الحارث: الصوفي من صفا قلبه لله . وقال بعضهم : الصوفي من صفت لله معاملته ، فصفت له من الله عز وجل كرامته . وقال قوم : انما سموا صوفية لانهم فى الصف الاول بين يدي الله جل وعز بارتفاع هممهم اليه واقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه . وقال قوم : انما سموا صوفية للبسهم الصوف . وقال قوم : انما سموا صوفية لقرب اوصافهم من اوصاف اهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول صلى الله عليه وسلم !

وكلمة الصفة ــ فيما يقول نيكولسون ــ اشارة الى ان اصل التصوف متصل باهل الصفة ، وهو اسم اطلق على بعض فقراء المسلمين فى صدر الاسلام كانوا ممن لا بيوت لهم ، فكانوا يأوون الى صفة بناها الرسول خارج المسجد بالمدينة .

ونود ان نشير الى ان الاقرب الى الصواب فيما يبدو لنا والذي اتفق عليه كثير من الباحثين ، ان هذا اللفظ ، لفظ الصوفي مشتق من الصوف. واذا كان القشيري يقول : « ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس، والظاهر انه لقب، ومن قال اشتقاقه من الصفاء او من الصفة فبعيد عن جهة القياس اللغوي ، وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا بلبسه » . اذا كان القشيري يقول هذا، فان مجموعة من المؤرخين والمؤلفين ترى ان هذا اللفظ مشتق من الصوف . فابن خلدون فى مقدمته (ص 1063 مجلد 3) يقول : والاظهر ان قيل بالاشتقاق ، انه من الصوف ، وهم فى الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف .

معنى هذا فيما يقول الكلاباذي ــ أن من لبسهم وزيهم سموا صوفية ، لانهم لم يلبسوا لحظوظ النفس ما لان مسه وحسن منظره ، وانما لبسوا لستر العورة ، الغليظ من الصوف . ثم ان الصوف فيما يقول ابو نصر السراج ، لباس الانبياء ورمز الاولياء والخاصة ، كما يظهر من اخبار الصوفية وآثارهم .

هذا بالاضافة الى ان المسلمين فى القرنين الاولين للاسلام كانوا يلبسون الصوف ، وبخاصة من سلك منهم فى حياته طريق الزهد ، وانهم كانوا يقولون لبس فلان الصوف بمعنى تزهد ، فلما انتقل الزهد الى التصوف ، قالوا ، لبس فلان الصوف بمعنى اصبح صوفيا . فيحكي الكلاباذي أن لباسهم كان الصوف ، حتى أن بعضهم كان يعرق فيه فيوجد منه ريح الضأن اذا اصابه المطر .

هذا وقد اطلقت مجموعة من الاسماء على الصوفية . ويعرض الكلاباذي لهذه الاسماء واسباب اطلاقها على الصوفية . فلخروجهم عن الاوطان سموا غرباء . ولكثرة اسفارهم سموا سياحين . واهل الشام سموهم جوعية لانهم انما

يتناولون من الطعام قدر ما يقيم الصلب للضرورة ، كما قال النبي (ص) : بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه . وسموا فقراء لتخليهم عن الاملاك . قيل لبعضهم : من الصوفي ؟ قال: الذي لا يملك ولا يملك، يعني لا يسترقه الطمع .

وقد يطلق على بعض الصوفية نورية . اذ ان من ترك الدنيا وزهد فيها ، واعرض عنها صفى الله سره ونور قلبه . قال النبي (ص) : اذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح قيل وماعلامة ذلك يا رسول الله ؟ قال . التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله » . فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان من تجافى عن الدنيا نور الله قلبه . وقال حارثة حين ساله النبي (ص) ما حقيقة ايمانك ؟ قال : عزفت بنفسي عن الدنيا فاظمات نهاري واسهرت ليلي وكأني انظر الى عرش ربي بارزا وكأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون والى اهل النار يتعادون . فاخبر انه لما عزف عن الدنيا نور الله قلبه فكان ما غاب عنه بمنزلة ما يشاهده . وقال النبي (ص) من احب أن ينظر الى عبد نور الله قلبه فلينظر الى حارثة . فاخبر انه منور القلب .

هذا عن لفظ الصوفي . اما عن وصف التصوف وتعريفه ، فنجد الكلاباذي في كتابه : « التعرف » يورد بعض اقوال الصوفية عن التصوف. منها : سئل سهل ابن عبد الله التستري من الصوفي؟ فقال :من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع الى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر .

وسئل أبو الحسن النوري ما التصوف ؟ فقال: ترك كل حظ للنفس. وسئل الجنيد عن التصوف، فقال: تصفية القلب عن موافقه البرية ومفارقه الاخلاق الطبيعية واخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واستعمال ما هو اولى على الابدية والنصح لجميع الامة والوفاء لله على الحقيقة واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشريعة .

وقال يوسف بن الحسين : لكل أمة صفوة وهم وديعة الله الذين اخفاهم عن خلقه ، فان يكن منهم في هذه الامة ، فهم الصوفية . قال رجل لسهل بن عبد الله التستري : من اصحب من طوائف الناس ؟ فقال : عليك بالصوفية ، فانهم لا يستكثرون ولا يستنكرون شيئا ، ولكل فعل عندهم تأويل ، فهم يعذرونك على كل حال .

ثالثا : الزهد ودوره في نشأة التصوف الاولى :

الباحث في نشأة التصوف يجد لزاما عليه الاشارة الى الزهد واثره في نشأة التصوف . اذ ان التصوف في بدايته كان يتسم بالزهد ، أي ترجع نشأته في الاسلام الى حركة الزهد ، وذلك قبل ان تطغى عليه اتجاهات جديدة تتمثل في الدراسات النظرية والكلام في وحدة الوجود وغير ذلك من عناصر فلسفية .

يقول نيكولسون في معرض دراسة لاصل التصوف ونشأته الاولى وتطوره : لقد احتفظت حركة الزهد العظيمة بطابعها الاسلامي الى حد كبير ، بالرغم من ان فيها بعض النواحي الخارجة على روح الاسلام . وربما كان من أهم صفاتها الاحساس الديني العميق والشعور الغامر بالضعف الانساني والخوف الشديد من الله والتفويض التام له والخضوع لارادته .

وهذا الزهد والاقبال على العبادة يجعل المتصوفة يختصون بمواجد واحوال ومقامات . يوضح ذلك ما يقوله ابن خلدون في مقدمته . فهو يقول : فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة ، اختصوا بمواجد مدركة لهم . وذلك ان الانسان بما هو انسان انما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك . وادراكه نوعان : ادراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم وادراك للاحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والصبر والشكر وامثال ذلك . فالمعنى العاقل والمتصرف في البدن ينشأ من ادراكات وارادات أحوال ، وهي التي يميز بها الانسان . وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من الادلة والفرح والحزن عن ادراك المؤلم او المتلذذ به والكسل عن الاعياء . وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لابد وان ينشأ له عن كل مجاهدة ، حال هي نتيجة لتلك المجاهدة . وتلك الحالة : اما أن تكون نوع عبادة فترسخ وتصير مقاما للمريد، واما ان لا تكون عبادة وانما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور او نشاط او كسل أو غير ذلك . والمقامات لا يزال المريد يترقى فيها من مقام الى مقام الى أن ينتهي الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة . قال صلى الله عليه وسلم : ومن مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة. فالمريد لابد له من

الترقي في هذه الاطوار . وأصلها كلها الطاعة والاخلاص ويتقدمها الايمان ويصاحبها وتنشأ عنها الاحوال والصفات نتائج وثمرات ، ثم تنشأ عنها اخرى واخرى الى مقام التوحيد والعرفان . واذا وقع تقصير فى النتيجة او خلل ، فليعلم انه انما اتى من قبيل التقصير فى الذى قبله . وكذلك فى الخواطر النفسية والواردات القلبية . فلهذا يحتاج المريد الى محاسبة نفسه فى سائر اعماله ، وينظر فى خفاياها؛ لان حصول النتائج عن الاعمال ضروري ، وقصورها من الخلل فيها كذلك . والمريد يجد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على اسبابه . فظهر ان أصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الافعال والتروك والكلام فى هذه الاذواق والمواجد التى تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاما ويترقى منها الى غيرها . ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات فى الفاظ تدور بينهم ، اذ الاوضاع اللغوية انما هي للمعاني المتعارفة ، فاذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف، اصطلحنا على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه . فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذى ليس يوجد بغيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه . وصار على الشريعة على صنفين : صنف مخصوص بالفقهاء واهل الفتيا وهي الاحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات ، وصنف مخصوص بالقوم فى القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها » .

هذا مايقوله ابن خلدون . ولعل ممن يمثلون زهاد المسلمين ونساكهم ، الحسن البصري ورابعة العدوية . فقد روى الجاحظ من كلام الحسن البصري ما يلي : « رحم الله عبدا كسب طيبا وانفق قصدا وقدم فضلا ، وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله وضعوها حيث امر الله ... الا ان هذا الموت قد اضر بالدنيا ففضحها ، فلا والله ما وجد ذو لب فيها فرحا . فاياكم وهذه السبل المتفرقة التي جماعها الضلالة وميعادها النار . ادركت من صدر هذه الامة قوما كانوا اذا جنهم الليل ، فقيام على اطرافهم يفترشون خدودهم تجري دموعهم على خدودهم ، يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم . اذا عملوا الحسنة سرتهم وسالوا الله ان يتقبلها منهم . واذا عملوا سيئة ساءتهم وسالوا الله ان يغفر لهم . يا ابن آدم ان كان لا يغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شيء يغنيك . وان كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك . يا ابن آدم لا تقل شيئا من الحق رياء ولا تتركه حياء .

ولكننا نود ان نشير الى ان القرآن الكريم اذا كان يبين حقارة الدنيا اذا قارناها بالحياة الاخرى ، وذلك فى قوله تعالى : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان . وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » .

نقول اذا كان القرآن الكريم يبين لنا حقارة الحياة الدنيا ، فانه يدعو ايضا الى التمتع بالحياة ، ولكن باعتدال لا باسراف ، وذلك فى قوله تعالى : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » وقوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

الغالب اذن على التصوف فى نشأته الاولى ، العبادة والزهد ومحاسبة النفس والخوف وايضا الكلام فى المحبة . اما الجانب الفلسفي فى التصوف الذى يغلب عليه المعرفة والرياضة الروحية والفناء ووحدة الوجود والحلول والاتحاد وغير ذلك من جوانب ، فلا نجدها فى النشأة الاولى للتصوف .

ولعل من خير الابيات التى قيلت فى الحب الالهي ، تلك التى تنسب الىرابعة العدوية . فهي تقول :

احبك حبين : حب الهوى
وحبا لانك اهل لذاك

فاما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمن سواك

واما الذى أنت أهل له
فكشفك للحجب حتى اراك

فلا الحمد فى ذاك ولا ذاك لي
ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

واذا كانت رابعة تتحدث عن الحب الالهي ، فانها اتخذت سبيلا الى ذلك ، العبادة وقيام الليل . فهي تصلي وتدعو وتقرأ بعض آيات القرآن وتتذكر الموت . فعبدة التى كانت تخدم رابعة تقول عنها : كانت رابعة تصلي الليل كله ، فاذا طلع الفجر

هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر فكنت اسمعها تقول اذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة : يا نفس كم تنامين والى كم تقومين ، يوشك ان تنامي نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور . قالت : فكان هذا دابها دهرها حتى ماتت.

وجاء فى كتاب طبقات الاولياء لعبد الرؤوف المناوي انها كانت تصلي الف ركعة فى اليوم والليلة فقيل لها : ما تطلبين بهذا ؟ قالت : لا اريد به ثوابا وانما افعله لكي يسر رسول الله يوم القيامة فيقول للانبياء : انظروا الى امراة من امتي هذا عملها .

ونود ان نشير الى ان هناك الكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التى تدعو الى قيام الليل والعبادة وتحث على الفكر والذكر ، منها قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » وقوله تعالى : « فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى ، ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وابقى ، وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لانسالك رزقا ، نحن نرزقك ، والعاقبة للتقوى » . وقوله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا».

ويقول الرسول : « عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم وهو داب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملقاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد » .

واذا كنا قد اشرنا الى ان الزهد قد اثر فى النشاة الاولى للتصوف ، فاننا نود ان نشير الى فهم الصوفية للزهد .

لو رجعنا الى الرسالة القشيرية لابي القاسم عبد الكريم القشيري ، والتعرف لمذهب اهل التصوف للكلاباذي ، وجدناهما يوردان الكثير من معاني الزهد، وذلك فى الباب الذى خصصاه عن الزهد . فمن معانيه :

1 ـ ان تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن اخذها .

2 ـ النظر الى الدنيا بعين الزوال لتصغر فى عينك فيسهل عليك الاعراض عنها .

3 ـ عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف .

4 ـ الزهد الثقة بالله تعالى مع حب الفقر .

5 ـ خلو اليد من الملك والقلب من التتبع .

6 ـ ان تزهد فيما سوى الله تعالى .

7 ـ الزهد فى الدنيا ان تبغض اهلها وتبغض ما فيها .

8 ـ الزهد فى الدنيا ترك ما فيها على من فيها .

يتبين لنا بعد ذلك كله ، كيف اختلف مسلك الصوفية عن مسلك كل من المتكلمين والفلاسفة . وكيف اختلفت الآراء حول اصل كلمة « الصوفي » وسبب تسميتهم بهذا الاسم . كما اتضح لنا اخيرا الدور الكبير الذى اداه الزهد فى نشأة التصوف الاسلامي .

القاهرة ـ د. محمد عاطف العراقي

نظرات حول المذاهب والمعتقدات

نشأة التصوف



التصـــوف قديـم

يتصور أكثر الناس في العالم الاسلامي المعاصر أن (التصوف) مرتبة من مراتب الايمان بالاسلام . كما أنهم يرون ان التصوف لم يكن معروفا قبل ظهور الاسلام ، وعلى ذلك فليس يخطر ببالهم أن التصوف مما تعرفه الملل والعقائد التي ينتحلها غير المسلمين .

ولقد كان مثل هذا المعنى شائعا بين المسلمين حتى في القرن الثامن الهجري حيث يقول ابن خلدون في مقدمته: « التصوف من (العلوم الشرعية) الحادثة في الملة » . وبذلك نراه قد نزعه من اي اصل له خارج الاسلام . وقد شاع هذا المعنى كذلك بسوء القصد بين بعض المستشرقين الذين اعتبروا (التصوف) من أصل اسلامي ، وانه افضل درجات هذا الدين . ونظروا في التمييز بينه وبين الاسلام كما لو كانوا ينظرون الى الفروع المزدهرة — وهي التصوف — ممتدة فوق الاصل الخشن الصلب — وهو الشريعة الاسلامية . غير أنهم لا يتركون التحدث بعد ذلك عن هذه الوشائج القوية التي تجمع بين التصوف والمعتقدات الاخرى غير الاسلامية . فالمستشرقان (نيكلسون) و (ماسينيون) يقرران ان المتصوفة (الاسلاميين) اخذوا بعض نظرياتهم وطقوسهم وتعاليمهم من النصرانية ، مثل لباس الصوف وحلقات الذكر ، ونظرية (الحب الالهي) .

كما أخذوا من الثقافة اليونانية (الافلوطينية) نظريات : الاشراق والمعرفة والحبور . ويرى (برون) و (جولد زيهر) وغيرهما ان الصوفية تأثروا بالبوذية والهندية تأثرا كبيرا في مثل استعمال (المسابح) واقامة الاضرحة ، وفي مثل نظرية (الفناء) بل لقد تعاظم الصوفية عندهم في الاقتباس من البوذية ، والتمثل بها ، حتى خلعوا على بعض شخوصهم ، وهو (ابراهيم بن ادهم) قصة بوذا نفسه ، وغير ذلك كثير .

والحقيقة أن التصوف قديم حتى من اليهودية والنصرانية ، وقد نشأ في العقل والعقائد بنشأة الانسان . واذا كانت التسميه التي صاغها سكان البلاد الاسلامية لحالة (التصوف) تختلف عما صاغته البلاد الاخرى لهذه الحالة نفسها ، فان الاشتراك في المعنى وفي الدوافع والظواهر ، تضع هذه التسميات كلها تحت عنوان واحد ، هو من وجهة نظرنا عنوان (التصوف) .

روافد التصوف :

وعندما نحاول البحث في نظائر التصوف واشباهه عند الامم الاخرى خلال الازمان الغابرة والحاضرة ، ندخل في سلسلة غامضة لا آخر لها من التعقيدات اللفظية ، والتصورية والمذهبية ، سواء في الشرق أم في الغرب ، ولكننا على الدوام نجد في هذه السلسلة تلك الدوافع والمظاهر الواحدة التي تشترك فيها هذه المذاهب الصوفية كلها . والتي

تجعلها قوانين علم الاحياء والطبيعيات تحت قانـون الاسرة الواحدة فى علم العقائد والمذاهب .

ففي تاريخ الشرق القديم والحديث نجد هـذه العقائد التي انشأها رجال خرجوا بكثير من التعاليم والتوجيهات الصوفية من امثـال (كونفوشيـوس ، وبراهما وبوذا) وغيرهم ، ممن تركوا فى الهند والصين واليابان هذه الديانات القديمة المتشاكلة اللون والطريقة والوجهة والاسرار : مثل البوذية والكونفوشيوسية فى الصين . والشنتوية فى اليابان، وهي عبادة الطبيعة ، والبراهيمية واليوجية فى الهند، والزرادشتية والمانوية والمزدكية فى فارس .

ولقد تجمع من شتى هذه العقائد مذهب غامض محوط بالاسرار الهيكلية ، والاغراض الهادمـة هـو المذهب (الغنوصي) الذى تولى بعض فلاسفة اليونان وهم : (بزلبدس) ، (فلنتينوس) و (مرقيـون) ، تجديده فى الصيغ الفلسفية اللازمة لرواجه ، ومزجوا فيه بين الكثير من المذاهب الفارسية والسريانية ، والافلاطونية الفيثاغورية والرواقية وبين النصرانيـة واليهودية . والمذهب الغنوصي هذا ، وهو اشبه برواسب البحر الطامي للعقائد الشرقية والغربيـة ، تتجه غايته الظاهرة الى محاولة ادراك (المعارف العليا) والتمتع بها من طريق (الكشف) مستخدما فى ذلك كثيرا من الطلاسم والسحر ، وهذا هـو المحيـط الوهمي الذي تصب فيه كافة روافد التصوف .

التصـوف فى الغـرب :

وفى تاريخ الغرب المتوسط والحديث ، وهـو بالطبع متأثر بتاريخ الشرق ، نجد سلسلة من المذاهب الصوفية التي صبغتها ظروف الحياة الاوربية بصبغتها، فاخرجتها على نسق الهيئات والجمعيات السريـة ، التي تعمل فى الظاهر لتحسين احـوال الشعـوب المهضومة ، ثم تستتر وراء ذلك لتحقيق نزواتهـا المكبوتة فى التدمير وبذر المخاوف والانتفاع من كل ذلـك .

ونبدا بذكر جمعية « فرسان المعبـد » التـي تمخضت عنها الحروب الصليبية فى أوائـل القـرن السادس الهجري والتي انتهى أمرها بالخـروج من النصرانية الى مبادىء وثنية سافرة ، وقرر اعضاؤها أن يعيشوا من الصدقات ، وقد افتضح امر تهتكهـم وكبائرهم بعد ذلك بقرن ، ولقد قيل فى ذلك انه بينما كان (الاسماعيلية) فى الشرق يجتهدون فى تدمير الدولة الاسلامية باكاذيبهم ، كان (فرسان المعبد) فى جهة الغرب يعملون على محو تعاليم النصرانية وتحقير طقوسها . ثم نشأت من جمعية المعبد هذه جمعيـة اخرى باسم (الصليب الوردي) وتوصف فى تاريخها بانها ذات نزعة (روحية) وغاية (هدامة) وكذلـك جمعية (الشعلة البافارية) التي اقامهـا مؤسسهـا (فيسهاويت) على نظم (الباطنيـة) فى المراتـب السرية واخضاع كافة طبقات الشعب المتعادية لغرض واحد مجهول من وراء اغراض متعددة متناقضة .

و (الماسونية) تلـك الجمعيـة التى لا تـزال موجودة ، وهي من اشد الجمعيات تعقيدا بحسب ما احيطت به من الاساطير ، وتعتمد في نشاطهـا على تعاليم (الكابالا) وهي كلمة عبرية بمعنى (التقاليـد) وهي عبارة عن الموروثات اليهودية التـي لا يعلنهـا اليهود فى معتقد سافر ، لانها خليط مـن الفلسفـة والتعاليم الروحية والشعوذة والسحر والايحاء الثوري وفي رايي ان (الماسونية) او (البناء الحر) وامثالها اشبه بالغدد المرضية التي تعمل فى العالم وتسكـن بحسب المؤثرات الخارجية عليها . وهي ذات افرازات تحمل دائما مادة واحدة لا تتغير ، وان تغيرت الوانهـا وصفاتها الظاهرة للحواس ، وهي قريبة الشبـه فى الغرب بمذهب (الغنوصي) فى الشرق .

هذه الجمعيات وخطرها :

ومعظم هذه الجمعيات الصوفية العنيفة التـي تنبعث منها الآراء والحركات والجماعات الخفية لها هذه الخصائص (الحربائية) فى التلون التلقائي الظاهري ، مع ثبات المادة والغرض وهي بذلك تمد عصور الانحلال فى امم العالم شرقا وغربا ، بافكار وخواطر وتحركات صوفية ، تشغل بال الناس طويلا ، وتهد كيانهم ، حتى يوافيهم عصر البعث والنشور ...

لم تنته هذه المذاهب الصوفية القديمـة فى الغرب ، بل تحدرت من مسارب القرون الوسطى حتى شغلت ساحة العصر الحديث ، ودخلت فى كل تلافيف الحياة الاوربية ، وكان لادوات السرعة فى نشر الافكار والايحاءات ، وفى تطاير الناس من مكان الى آخر أثر كبير فى تحكم نزعات هذه المذاهب فى أوقات قصيرة. واصبح فى استطاعتها الحصول على تأييد المجموعات الكبيرة من الناس علانية ، من داخل ذلك الخفاء الذي تلوذ به ، وتدبر تدابيرها فيه . واذا كنا ندع الآن هذا

الاثر الصوفي في تدعيم الجمعيات والاحزاب السياسية الكبيرة ، فان في الاستطاعة تمييز موجات ذات ألوان صوفية غامرة تموج من فوق هذه الاغوار المظلمة السحيقة في بحر الحياة الاوربية ، وتتلاعب بها الرياح ذات اليمين وذات الشمال ، فتتلهى بها الجماهير وهي واقفة على الشواطيء . تلك هي موجات الصوفية الادبية والفنية ، التي تحفل الصحف والكتب برسومها ورموزها ، وتعاليمها السهلة الجذابة ، وأمانيها المبهمة البعيدة المسكرة ، من غير تكاليف باهظة ، او مجهودات فعلية . فهذه الشبكة من الصحف والكتب تؤلف مراكز عصبية لهذه المذاهب الصوفية السطحية التي يتم اثرها بالمراسلة ، والرؤية ، والارشاد البسيط ، فتؤلف جمهورا صوفيا معقد التكوين ، متعزز الحواس ، مستور الاطماع ، قابلا الحركة في مختلف الاتجاهات المتعارضة بحسب نوع الايحاء وقوته ، وهذا هو ما يسمونه بقوة (الرأي العام) .

مسميات جديدة لحركة التصوف :

وتنحصر المذاهب الصوفية الجمهورية هذه في بعض كلمات سهلة مختصرة بعناية من بقايا المعتقدات الشرقية والفلسفات القديمة ، وينتهي معظمها بالمقطع (ايزم) و (ايزم في اللغة اللاتينية) بمعنى (يتبع) ومن اشهر بنات (ايزم) هذه في الصوفية الاخلاقية (الايديالیزم) اي المثالية . وفي الصوفية العقلية (الراشونالزم) أي المعقولية ، وفي صوفية التربية (البراجماتزم) مثلا ، وهو احدث آرائهم لتعليم الصبيان ، وفي الصوفية الجنسية (السادزم) وهو حالة تعذيب المراة المعشوقة وكذلك (النودزم) وهو مذهب العري يزعمون به قتل الشهوة وتصحيح البدن . وفي صوفية الادب والفن (الناتورالزم) وغايته الاقترات من الطبيعة كما يتصورونها ، ثم (الريالزم) وهو في توهمهم محاولةالتزام الواقع كما هو . واشهر هذه (الايزمات) المستحدثة في هذا العصر (السريالزم) وهو ذو تعريف معقد ، يزعم فيه أصحابه انه حالة الاداء المباشر لمحتويات العقل الباطن ، ويفسرون بذلك مظاهر التشويه والتعقيد والخلط التي تلابس (السريالزميين) في رسومهم القبيحة ، وكتاباتهم الرمزية .

والحقيقة التي اراها ان (السريالزم) ليس مستحدثا الا في التسمية ، وانه ليس مذهبا قائما بذاته ، وانما هو حالة صوفية تسبق فيمن اشتد الضغط عليهم ، وساء توزيع التعويض الشهوي فيهم – حالة انتظامهم في حركات سياسية منظمة للتدمير والتخريب والسيطرة .

ومسالة العقل الباطن ليست الا المجال المناسب للسريالزميين ، لوضع شفرة السريالزم موضعها من الاداء البصري أو الصوتي او العصبي ، حتى يتبادلوا بها رسائلهم الخاصة خلال فجوات المجتمع الذي يعيشون فيه، والذي يعتقدون انه قد تهيأ بالظلم البالغ وعدم التوازن الاقتصادي ، لضرورة الانقلاب الكلي ، او للتمامل والتقلب – على أقل تقدير من احد جنبيه الى الجنب الآخر . ويلاحظ في كتابات السريالزميين نفس الانصهار الذي يلاحظ في كتابات الرهبان والاحبار القدماء . غير ان الفارق هو ان هؤلاء الرهبان السريالزميين الاحداث قد ترهبوا مكرهين في دبر المصانع والآلات ، والحياة السريعة الطاغية ، وضاعت اصواتهم المشقوقة الخائرة في طوفان هذا الدوي المرعد ، فامسكوا ببقايا اقلامهم في جوف الظلمات التي لعنوا بها ، وهي متاهات الاقبية والسراديب الرطبة ، ورسموا برؤوسها بدمائهم تمائم وطلسمات وشعوذات وتألمات الصوفية السريالزمية .

والآن فلننظر الى الزمن القديم والحديث ، في الشرق والغرب ، وفي الدنيا الجديدة نفسها التي فاضت فيها هذه المعتقدات في طوفان الاجناس ، فسنجد حركة صوفية هائلة تشمل طرفي الارض . وفي هذه الحركة يلوح اولئك الالوف او الملايين من جنودها الذين ينخرطون فيها من تلقاء انفسهم ، وقد اتفقت أهواؤهم ، وان اختلفت ازياؤهم ولهجاتهم واتجاهاتهم . فهذا (الشوذي) العابد الطبيعية في الشرق الاقصى ، هو بعينه (الدرويش) الغريب الاطوار في الشرقين الخائرين الاوسط والادنى وهو هو (البوهيمي) الافاقي المتربص ، المنطوي على ادق الاسرار ، مجتازا سهول اوربا المثلوجة ، متدثرا بظلامها فمن هؤلاء الهائمين الذين لا يتلاشون ، ولا يستقرون في خضم الحياة البشرية المتدفقة تتبعث آلاف الصور في السلوك الصوفي عبر الازمان والامكنة، حاملة نفس الاطوار والغايات وان اختلفت الالوان والاسماء والتصورات . على انه ثمة مكان واحد في الارض ، لم يخرج منه صوفي قط ، هو : الجزيرة العربية ، واذا امكن ان نقارن بين هذا الاعرابي المتجمع الذي تنشق عنه مفاوز الصحراء المحرقة ، وبين ذلك الدرويش المتواجد الذي ترمي به ظلال الاراضي اللينة الخصيبة ، او ذلك الحكيم الصيني الوقور الذي استعاض عن ضرورة الحركة بضرورة السكون ، او

ذلك الرجل البوهيمي الاخر ، القوي الالتفات للذائذ الحياة المحمل بأسرار الالم والمرح ، الذي يتشمم المغامرات الخفية الفوضوية ليقهر بها متاعب حياته ــ لامكننا ان نميز بجلاء بين طريق هذا الاعرابي البسيط المجاهد المعتدل ، وبين مذاهب هؤلاء الاخرين ، بتعقيداتها ــ وظلماتها ، وكثرة توالدها، وعدم وفائها بشيء مما انساقت فى الظاهر اليه .

تعريـــف التصـــوف :

التصوف العالمي تعريفه بحسب الزمان والمكان والضرورة ، واذا كان التصوف فى حقيقته شيئا واحدا ، فان الفوارق الوحيدة بين شتى مذاهبه وطرائقه ومسالكه تنحصر فى العنوان والزي ، واسماء المراتب ، ومصطلحات الطريقة ، ويتحدد ذلك كله بدافع كل حركة صوفية على حدة . ومن الممكن حصر هذه الخلافات جميعها مع شدة تباينها فى كلمتين اثنتين جوفاوين هما : « المعرفة » و « الحب » فمن المعرفة خرجت الفلسفات الذهنية واللاهوتية والميتافيزيقية التي لا آخر لها ، ولا رجاء فيها .

ومن « الحب » خرجت عناوين المبادىء (الانسانية) العامة ، ومناهج الاصلاحات والانقلابات البشرية ، وطقوس التدهور الجسدي ، ومبررات تحلل الفطرة فى السلوك وفقدان القصد فى التمتع بطيبات الحياة .

على أن هذه النظرة الشاملة للتصوف ــ على انه « سلوك عالمي » لا تحده حدود الطرق والمذاهب المتنوعة التي يتالف منها ــ لم تكن قبل اليوم من ممكنات اولئك الذين بحثوا التصوف والفوا فيه او ارخوا له ، ذلك لان جميع من كتبوا فى التصوف قد فعلوا ذلك وهم بعض رباثبه . سواء كان ذلك بتبعيتهم لطريقة اخرى تختلف شكلا ومصدرا وتعريفا ، وان كانت لا تختلف غاية واخيلة وموضوعا . واما اولئك الناجون الذين لم يعرفوا التصوف بحكم المكان الذي نشاوا فيه ، فكانوا باستكمالهم شرائط صحة الحياة منصرفين الى اداء الحياة نفسها والى تعريفها بأعمالها واعبائها وثمراتها .

وقد ظهر فى اوقات قليلة ان التفت بعض دعاة الاصلاح بين المسلمين الى أن التصوف الذي تسرب الى العالم الاسلامي قد نخر بناء الاسلام الظاهر ليدخل اليه بعناصر العقلية الوثنية، مستمدا اياها من مصادرها الخارجية الكثيرة ، ومهمتنا اليوم ان تتمم هذا المجهود الصادق . فالعالم المعاصر الذى استطاعت أدواته ووسائله ان تمكن للعين الاوربية المتلصصة من الاستطلاع فى خفايا تاريخنا واحوالنا ، واسرار نهضاتنا ، هو بنفسه الذي يعيننا بهذه الادوات نحن المسلمين ــ على رد هذه الزيارة الاستطلاعية للشرق والغرب معا ، فتحت يدنا الان من وسائل الاطلاع على شتى حوادث التاريخ ، وتموجات العقل ، وتقلبات المذاهب ، واصطراع الرغبات ، ما يجعلنا بالمقارنة وبالتجربة نستخلص الراي الذى نراه فى قوانين السلوك والاعتقاد التى تدور عليها رحى النضال الحي فى حياة الامم التي نراها ، والتي يرتبط مصير مجهودنا الحيوي بها .

ونحن نعيش مع هذه الامم عيشة التبادل والتجاوب والتعاقب ، فى داخل هذا الجسم البشري الواحد ، الذي لا فكاك لنا من حدوده وقوانينه وارتباطاته ، او من المقدور لنا فى آخرته وغايته ومستقبله .

وعندما نبدا فى تعريف هذا التصوف العالمي ــ لا الاسلامي فقط ــ نستهل النظر فى حدود هذا التعريف بالنظر فى حياة الانسان الاول . فآدم عندما ظهر فى الارض ، وقدرت عليه الحياة بها ، كان انفعاله بعناصر هذه الحياة كاشفا له عن طريقه فيها ، وعن استوائه فى سلوكها .

وكانت علامة الاستواء عنده ان تنطبق النهاية فى طريقه على البداية فيه . اي ان يبدا على الفطرة وينتهي عندها . وبذلك تتحقق له بالموت على فطرته بداية جديدة صحيحة فى عالم الآخرة الزاخر ، فلا الارض تستهلكه فى هذه الرحلة باخلاده اليها ، ولا السماء تستخفه بتحيره فيها بعيدا عن معترك الارض وحقيقة الحياة ، عاجزا عن أستكمال نماء الحواس ، واقتضاض خواتيم النعم .

حقيقـــة الفطـــرة :

واما الفطرة فى الانسان فهي الخير ، واما الخير فهو العدل ، واما العدل فهو وضع الشيء فى موضعه بلا زيادة ولا نقص . ولما كان وضع الشيء فى موضعه بالنسبة لكافة تصرفات الانسان هو الحالة الصحيحة الواحدة فى الحياة ، وما عداها من شتى الاوضاع مخالف للخير والعدل والفطرة ، فان اقتدار الانسان على هذه الحالة الصحيحة يأتي فى حالة واحدة نادرة من بين ما لا آخر له من الحالات الاخرى . وذلك لان

هذه الحالة الكمالية الخيرة تتطلب اقصى القــوة على العقل . ولما كان العقل نتيجة عمل الحواس فان القوة عليه تتطلب تمام اليقظة والضبط فيها ، حتى يتم بذلك انطباق عمل الانسان على ادراكه ، وانطباق ادراكه على حاجته، وبهذا وحده يتم له العدل، او يتم له الخير، او تتم له الاستقامة على نهج الفطرة وسلوكها .

ويقابل هذا أن كل التصرفات التي يعجز فيهـــا الانســان عن وضع الشيء في موضعه ، في مختلــف حاجات جسمه ونفسه ، واولاه وآخرته لا تحتاج منه الى نفاذ البصر ، ووضوح الهدف ، وقوة التوجه .

والمجهود الايجابي الوحيد انما هو هذا الــذي يتوجه به انسان يقظ الفطرة لادراك درجة العدل في حياته . وفي هذه الحالة وحدها يكون للعقل والارادة مجالها الواسع في حياة الانسان ، وعندمـــا يحقــق الانسان بعقله وارادته غرض حياته ، يكون بذلك قــد بلغ بالعقل لا بالتوهم منطقة الاحساس بنعم الله التي لا تحصى ، وبحكمة الحياة التي تحصر ، وهذا الاحساس الواقعي لا الوهمي هو وحده المؤهل الوحيد للايمان بالله ، وهو وحده الدافع المعقول الطبيعي غير المتكلف لالتزام الواجبات والحدود التي يتقيد بها المؤمن نحو الله ويتعبد بها اليــــه .

ولقد يتضح بذلك ان في مقابل العدل ــ وهـــو الحالة الواحدة المؤهلة للايمان الفعلي ، والتحقيــق الفطري ــ اوضاعا كثيرة لا آخر لها ، يظلم الانسان فيها نفسه ، اي يعجز عن وضع نفسه ومطالبها وفطرتها في الوضع المناسب لها في هذه الدنيا .

وتضيع صورة العدل في وزن الاشياء واستعمالها واستثمارها ، ومثل هؤلاء الناس وهم كثرة كثيرة لا يستطيعون الاعتراف بعجزهم والتسليــــم باخطائهم ، وهم لا يستطيعون كذلك الانفلات من نواميس الفطرة التي نشأوا عليها ، ومن الحاحها في ان تردهم الى افلاكها ومداراتها ومناهجها .

والنتيجة انهم يتصورون حدوث ما لم يحدث من هذا العدل الواجب في حياتهم ، ويتغافلون عمـــا حدث من هذا الظلم الفعلي لانفسهم .

واخيرا في ضوء الحقيقة البسيطة نستطيع ان نقدم تعريف الحالات الصوفية التي تتدافع بها هــــذه الجموع البشرية الغفيرة المتحللة عن فطرتها ، مع شدة التشوق الى هذه الفطرة ، والحسرة عليها في العبارة السهلة الفاصلة الآتية :

« التصوف في مختلف حالاته هو انقطاع أسباب الوصول الى الله ، ثم توهم الوصول اليه بلا وصول ».

التوحيـــد والتصـــوف :

قامت رسالات الرسل على التوحيد ، وكانــت دعوتهم اليه بسيطة ظاهرة ، استمع الناس اليها ، او اجتمعوا عليها تحت ضوء الشمس ، وفي وضح النهار، بلا طقوس ولا اسرار . وكان اساس هذا التوحيــــد : العمل والكسب ، لا التأمل والاستغراق في الفكـــر ، والاقبال على اعباء الحياة لا الفرار منها ، ولم تكن هذه الدعوة لكسب الحياة مطلقة السراح بلا ضابط ، فكانت توجيهات الرسل تنصب دائما على هدف واحد هو : « العدل في الحياة » اي كسب المستطاع من حقائقها بلا تقتير ولا اسراف ، وهذا هو الطريـــق الفطـــري المستقيـــم .

والاصل في الانسان الاهتداء بفطرته الى الطريق السوي ، طريق الخير والعدل ، وان امتحان الانسان في هذه الحياة يقوم على تعرضه في كل لحظة للانحراف عن هذا الطريق المستقيم ، أو الى التوقف دون السير فيه. اي ان حالة التوحيد في النفس تكون دائما جوابا عمليا على ما تتصدى به الحياة للانسان من طرق زائفة فاتنة ، او عقبات براقة تغريه بالتوقف او الانحراف . وهذا الجواب يكون دائما بالنفي ، اى ان الحياة تتفرج في مسالكها عن طريق العدل الواحد بين الوف الالوف من طرق الظلم ومنعرجاته ، فتكون معرفة النفـــس لطريقها الفطري في هذه المتاهات ، انها تنفي جميع الطرق الظالمة لتثبت بذلك معرفتها واهتداءها للطريق الواحد للعدل ، فهي تقول مثلا : (لا طريق للعدل من بين جميع الطرق الا هذا) كما تقول : (ولا طريق للحق الا هذا) وكما تقول : (لا طريق للحياة الصحيحــة الا هذا) . ومن هنا نعرف اهم اسرار النفي في اثبات التوحيد في شعار الاسلام الجامع وهو: «لا اله الا الله» اى ان المسلم لا يشعر باسلامه الا حين ينفي جميـــع الطرق والتصرفات المؤدية الى الآلهة الزائفة والمعبودات الوهمية ، ليندفع بفطرته السليمة اليقظـــة الى الله الواحد الحق ، الذي لا اله غيره .

وقد اشرقت دعوات التوحيد على افـــق الحياة البشرية من مكان واحد هو الصحراء ، فلما ظهر محمد خاتم الرسل كانت غرة رسالته هذه العبارة المشتملة على الحقيقة التوحيدية النهائية وهي : (اشهد ان لا اله الا الله ، واشهد أن محمدا رسول الله) ثم بقيت هذه

الشهادة من بعده الى اليوم ، مسموعة بين ملايين المسلمين فى شتى بقاع الارض . فهل كان استمرار هذه الالفاظ فى مئات الملايين من الناس دليلا على استمرار معانيها فيهم . وبقاء مسئولياتها واعمالها بينهم ؟ كلا ببداهة النظر .

اذن فما الذي حدث ؟ وما الذي يقوم به هؤلاء الناس من الاعمال بجوار هذه الشهادة التوحيدية التي اصبحوا وهم يقدسونها ويدورون حولها فلا يقربونها .

قطعت رسالات الرسل فى حياة البشر مرحلة طويلة قبل ان تستكمل صورتها وشريعتها وغايتها فى الاسلام ، وقبل ان تظهر فى حركة التوحيد العملية العالمية الايجابية التي نهض بها العرب المسلمون .

وفى هذه المراحل التي ظهر فيها الرسل والانبياء من آدم الى محمد ، كانت رسالات الرسل لا تكاد تنتهي حتى تبدأ دعوات المتصوفين ، فالتصوف فى جميع مذاهبه خرج من الدعوات الدينية بعد انتهاء طورها العملي . وبذلك لا يمكن ان ننفي ان التوحيد الذي هو محور دعوات الرسل هو بعينه المحور الذي تدور من حوله المذاهب والنحل والمعتقدات الصوفية . ولكن الفرق هو ان رسالات الرسل تدور حول (حقيقة التوحيد) وان مذاهب المتصوفة ونحلهم تدور حول (صورته) ويبدو ذلك واضحا فى المقارنة بين الدعوة التوحيدية الاسلامية فى طورها العملي فى عهد الرسول ومن بعده ، وبين هذه الدعوة نفسها فى طورها الصوفي الذي بدا فى البلاد المفتوحة بابتداء القرن الثاني للهجرة .

ففي الطور العملي بتطبيق الشعور الصحيح بالتوحيد على افكار والفاظ واعمال توحيدية صحيحة .

وفى الطور الصوفي بتطبيق الشعور الوهمي بالتوحيد على الفاظ وأعمال لا تؤدي اليه . وهذا الفرق الهائل بين العمل بالتوحيد وعدم العمل به هو مشكلة الاعتقاد فى هذه الحياة ، وهو الذي يحدد بين الناس حدود الصواب ، والخطا والحق والباطل ، والعدل والظلم ، والايمان والوثنية .

فما لم يكن الشعور بالتوحيد شعورا صحيحا لم يكن العمل به عملا صحيحا . وهكذا تحكم اعمال الناس بجلاء على صحة شعورهم بالتوحيد او خطئه ، وعلى قوة يقينهم بالله أو قوة توهمهم له .

ونحن من ذلك نفسر هذا الاسراف فى مظاهر العبادة عند المتصوفة ، ونعلل كثرة اشتغالهم بالالفاظ التوحيدية، والمعاني الالهية ، وذلك يقطع ايضا بأنهم يتوهمون التوحيد ، ويحكم بعدم قيام حقيقته فى انفسهم ، وان قامت صورها الكثيرة تتراءى لهم فى احلام فطرتهم النائمة .

ونرى ان التوحيد عند المتصوفة هو الاثبات المباشر ، فهم يتجهون الى الله كأنما هو فى مكان معين ، ويسبحون بخواطرهم نحوه كأنما سيقطعون الطريق على ظهور الخواطر والتاملات حتى يبلغوا مقامه سبحانه، وعند ذلك يحطون رحالهم ويستريحون . وهذا هو عين البعد عن الله .

فقول القائلين من المتصوفة : (هو الله) وانكارهم النفي فى ثبات وحدانيته ، يفيد الزعم بتمام معرفتهم له على وجه التحديد فى الزمان والمكان ، من غير عمل عادل مستمر يحدد طريق هذه المعرفة ، وهذا هو اصل التجسيم ، واصل البعد ، واصل الخمول ، وهذه الاصول وامثالها بعيدة بنتائجها عن مجال التوحيد الصادق .

والاثبات فى معرفة الله هو الخلاف الاول بين اهل التصوف وبين اهل التوحيد ، الذين يعرفون ربهم فقط بنفى ما لا يبلغ بهم اليه .

وأما الخلاف الثاني فهو فى وجود الظاهر والباطن عند اهل التصوف ، ووجود الظاهر فقط عند اهل التوحيد ، فالموحدون يستمدون ايمانهم مما يقع تحت حواسهم من نعم الله ، وحقائق الكون ، ونواميس الحياة . وهم بعد هذا الايمان يتعاملون بحواسهم الظاهرة فى هذا العالم الظاهر لهم ، على النهج الواحد الذى اطمأنت اليه نفوسهم . فليس التوحيد عندهم اذن غير هذا (المجال الظاهر) سواء فى البرهان عليه او فى العمل به .

واما المتصوفة فلا يتجاوز التوحيد فيهم منطقة التفكير والتامل والتخيل ، وذلك يجري فى باطن الانسان لا فى خارجه ، وفى هذا العالم الخاص من الفكر الباطني يصنع المتصوف صورة الهه ، ويتخيلها على هواه بلا ضابط ، ولكنه بحواسه الظاهرة يعيش فى عالم خارجي مع الناس، لا يستطيع الانفصال الكلي عنه.

وهنا تضطره ضرورة التعامل فى حياته الى الفصل بين عالميه ، ليحتفظ بهما كليهما ، ما دام غير مستطيع ان يوحد بينهما ، ومن هنا كان لا بد من (الرموز) فى الحياة الصوفية . بينما لا نجد رمزا

واحدا فى حياة اهل التوحيد او فى معقولاتهم ، ولماذا يكـــــون ؟ .

واما الخلاف الثالث بين اهل التوحيد واهـــل التصوف ، فهو فى ان الموحدين يشعرون بتوحيدهم عند الاعمال التي يقومون بها ، بينما المتصوفة يعملون الاعمال غير التوحيدية، ثم يشعرون بعد ذلك بالتوحيد، فالموحد حين يعترضه المال والحق ينفعل بتوحيده الصحيح فينفي المال ويختار الحق ، وكذلك يفعل حين ينفي الذل والبقاء ويختار الحرية والموت ، وحين ينفي أرض الهوان والملق والخصب ويهاجر الى ارض الشظف والعز والاباء .

اما المنفعل بتصوفه فهو يقبل المال من غيـــر وجهه (اولا) ثم يتذكر الحق بعد ذلك ويتكلم فيه . وهو يستمسك بحياة الذل ويعض عليها اولا ، ثم يبكي بعد ذلك زهدا فيها . ويتمنى الموت فى سبيل الله ، وهو يرسب فى ارض الهوان يلتقط فتات العيش خائفا من الموت والاستشهـــاد .

وواضح من هذا ان الكلام فى التوحيد بعد الوقوع فى العمل المعارض له لا يفيد شيئا سوى استمـــرار هذا العمل ، والاسترسال فى هذا الكلام . وهما نقيضان متعارضان ، لا يجتمعان فى غير أهل التصوف اجتماع الظاهر والباطن عندهم فى وقت واحد ، فيكون الظاهر هو التوحيد ، والباطن هو هذا العمل غير الصالح .

وعلى ذلك فالتصوف بهذا المعنى أساسه الخوف من الحياة ومن الموت ، وتعاليمه متجهة دائما الى ايجاد حالة من النسيان من طريق تركيز الذهن فى التفاهات، او احاطة الادراك بلفائـــف وعوائـــق من الاوراد والمحفوظات التي لا يعيها العقل ، وانما يصنع مـــن تكرارها على الدوام غلافا سميكا من اللاوعي والذهول يتقي به (المريد) مخاوف زمنه ، كما تتقي القوقعة ــ بلا وفاء ــ تحت غطائها الواهي من الكلس الهش .

القاهرة ــ محمد احمد هنطش



عندما نضع ابن خلدون بين الكتاب المسلمين ، فنحن لا نعني بذلك انتماءه الى عالم الاسلام جغرافيا او تربية ، بقدر ما نعني ان ثقافتـه مستمدة من الاسلام وانها ترديد لكثير من الآراء والمفاهيم الاسلامية التي اعتمد عليها فأصاب حينا واخطأ حينا آخر .. ولهذا فنظرية العصبية « وهي اهم ركيزة في التفكير الخلدوني » لها اصولها الاسلامية. فقد استعملها ابن خلدون بمفهومه الاجتماعي بعد أن انتزعها من الآية القرآنية . (ونحن عصبة) ،وعصبة منكم) ولم يكتف بالنقل اللغوي بقدر ما استفاد من مفهومها الاجتماعي وما توحي من ابعاد نفسية واجتماعية لانها تعني التلاحم وكأنها عصابة الراس، أو عصب الجسم ..

ولنقارن بين مفهوم العصبية عند ابن خلدون ومفهومها عند ابن الازرق الذي شرح نظريات ابن خلدون واصبغ عليها فهمه الخاص لابد أن نرجع الى الباب الثاني من مقدمة ابن خلدون الخاصة بالعمران البدوي والامم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال ..

ويتكلم ابن خلدون في الفصل الاول عن اجيال البدو والحضر حيث يرى انها طبيعية . لان اجتماع الاجيال انما هو للتعاون على تحصيل المعاش والابتداء بما هو ضروري قبل الكمالي ويقرر ابن الازرق نفس النظرية في كتابه بدائع السلك حيث يقول في السابقة الاولى من المقدمة الاولى : « ان الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم ضروري ، فالانسان لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية ليحفظ وجوده وبقاء نوعه » . ويقرر ابن الازرق ان من العوارض الطبيعية لهذا الاجتماع امورا خمسة وهي البدو ، والتغلب ، والحضر ، والمعاش ، واكتساب العلوم . ويحلل ابن الازرق في السابقة الثالثة موجب انقسام العمران الى بدو وحضر « لان للتعاون مقصدين الاول يتقرر حسب الضروري ، وهو البدو ، والثاني يتجاوزه الى التكميلي وهو الحضر ، غير ان البدو سابق زمنيا على الحضر ومادة له ايضا » . وليس هناك من خلاف بين ابن خلدون وابن الازرق الا عمل الثاني في التقسيم والاختصار . اما في تحليل طبيعة البدو والحضر فان ابن خلدون يرى ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر بينما يرى ابن الازرق ان في تحليل ابن خلدون شيئا من المبالغة في اتهام اهل الحضر بمعاناة فنون الملاذ ، وعوائد الترف والعكوف على الشهوات « فتلوثت انفسهم بكثير من مذمومات الخلق » ولهذا فان ابن الازرق يرد عليه بقوله : ومع ذلك فللحضري من الفضل على البدوي ما لا يخفى .. وانما هذا باعتبار ما يعرض من الشر بالقصد الثاني ..

ويتفق ابن الازرق مع ابن خلدون في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضر ، لانهم تعودوا الاعتماد في المدافعة عن النفس على الولاة والحماة وصار لهم ذلك خلقا طبيعيا، لان الانسان ابن

عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه .. بينما يلخص ابن الازرق في السابقة السابعة الفصل السادس المتعلق بمعاناة اهل الحضر للاحكام حيث انها **مفسدة للناس** وذاهبة بالمنفعة ويرى ابن الازرق ان الغالب ان الانسان انما هو في ملكة غيره وحينئذ فأحكام هذه الملكة انواع : (الاولى) : عادلة وهي لا تغير ما في النفس من شجاعة و (الثانية) : قاهرة ، وهذه كاسرة وذاهبة بقوة المنعة . و (الثالثة) : جائرة ، وهي بلا شك مذهبة للبأس . و (الرابعة) : تعليمية ، وهي تؤثر بعض الشيء لما في التربية من تأثير ، ويخص ابن الازرق اشارة ابن خلدون لتربية الصحابة (باعتذار) بان ذلك لم ينقص من باس الصحابة لان وازعهم من انفسهم لا بتعليم صناعة ولا تأديب تعليمي .. والواقع ان ابن خلدون يمتاز عرضه بقوة الاسلوب والجدل العلمي وتقصي العلل والاسباب والاعتماد على سرد المظان بينما ابن الازرق يمتاز عرضه بالسهولة والوضوح وحسن التقسيم وبساطة التركيب ، ولا غرابة في هذا الاختلاف بين الكاتبين لان الاول كان رائدا معلما ، والثاني كان استاذا شارحا ومعقبا .

وعندما يذكر ابن خلدون في الفصل السابع ان سكنى البدو لا تكون الا للقبائل اهل العصبية ويرى في الفصل الثامن ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه ، فان ابن الازرق يذكر في السابقة الثامنة ان سكنى البدو لا تتم الا للقبائل ذوي العصبية ايضا لان الظلم واقع من النفوس البشرية بالطبع ، الا ان يصد عنه وازع ، ولذلك لابد للبدو من عصبية مشتبكة لتشتد شوكتهم لما جبل في القلوب من الشفقة على ذوي الرحم والقرابة . ويشرح ابن الازرق معنى الالتحام بالنسب بصلة الرحم الطبيعية ، وما في (معنى النسب) بالولاء والحلف ..

ويذكر ابن الازرق في السابقة العاشرة ان الرياسة على اهل العصبية لا تكون فيغير نسبهم ، ويساير ابن خلدون في الفصل الثاني عشر بنفس الموضوعية غير انه عندما يعرض ابن خلدون تورط بعض الرؤساء في انساب ينزعون اليها لفضلها لا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من القدح في رياستهم كادعاء زناتة وادعاء بني زيان فيزيد ابن الازرق في السابقة العاشرة قوله (قلت ، والى الآن ما زال ذلك يدعى لهم ، ثم يقول (انصاف) ولقد بلغني عن يغمراسن بني زيان مؤثل سلطانهم انه لما قيل له ذلك انكره وقال بلغته الزناتية : اما الملك فنلناه بسيوفنا لا بهذا النسب ، واما نفعه في الآخرة فمردود الى الله ، واعرض عن المتقرب له بذلك ..

وهكذا فان ابن الازرق يلخص دائما ابن خلدون ويوضح عبارته ومقصده ويعلق عليه فكان بحق تلميذه وشارحه ...

الرباط ـ الحسن السائح



أثر الكتاب في حياتنا الثقافية

للاستاذ عيسى فتوح

اول ما يلفت نظر الزائر في بلاد اوروبا واميركا عندما يستخدم القطار او اية وسيلة نقل اخرى ، عكوف الركاب كبيرهم وصغيرهم على القراءة ، فهم لا يكادون يضيعون ثانية من هذا الوقت الذي يستغلونه ، ويجدونه افضل مناسبة لمطالعة الصحف اليومية ، ولو كانت المسافة التي يقطعونها بين البيت ومكان العمل قصيرة لا تستهلك كبير وقت ، أما المسافات الطويلة فيتغلبون عليها بقراءة الروايات والقصص وغيرها .

والذي يدهشنا اكثر هو انتشار المكتبات العامة ، الثابت منها والمتنقل وتعدد الدور التي تبيع الكتب .

واهتمام الدول في اصدار طبعات شعبية لبعض الكتب الثمينة حتى يتمكن كل انسان من اقتنائها ومطالعتها .

كثيرا ما نتساءل : ما سبب عكوف سكان اوروبا واميركا على المطالعة وانصرافنا نحن العرب عنها ؟ علما بان انتشار وسائل الاعلام الحديثة من اذاعة وسينما وتلفزيون اكثر بكثير مما هو عندنا ..

الواقع ان الطفل عندهم منذ ان يفتح عينيه على الحياة يجد نفسه محاطا بكل الوسائل التي تشده الى الكتاب ، ذلك لانه يندر أن نجد بيتا خاليا من رفوف الكتب والمجلات الادبية والعلمية والثقافية التي توسع آفاق الانسان ، وتجعله يعيش ماضي هذا العالم وحاضره ومستقبله بالاضافة الى ما في المطالعة من متعة وسعادة لا تضاهيها اية متعة وسعادة اخرى .

ان متعة الكتاب دائمة ، فنحن نستطيع الرجوع اليه في اية لحظة نشاء : في الليل والنهار ، جالسين او واقفين او ماشين ، أو على الطعام .

ان القراءة مهارة تشبه السباحة والرقص والرياضة ، وبمجرد ان نلم بفنون القراءة ، ونعتاد على ممارستها ، فان سرعتنا فيها لا بد أن تنمو ، كما لابد ان يزيد فهمنا لما نقرأ ، ومن الامور الهامة في حياتنا ان نكون قادرين على القراءة الجيدة ، وبذلك نحرز نجاحا في اعمالنا ، وفي الفنون المتعلقة بكياننا كبشر .

كثيرا ما يكتفي المتخرجون من الجامعات بالمعلومات التي تلقوها خلال سني دراستهم فيقفون عندها دون طلب في الزيادة ، بحجة ان امور الحياة لا تدع لهم مجالا للقراءة ، ولكنهم نسوا ان الفكر بحاجة الى غذاء يومي كالمعدة ، والا تحجرت اذهاننا ، وتصلبت معلوماتنا ، وتقوقعت افكارنا ، خاصة وان الحياة تقدم لنا كل يوم بل كل ساعة شيئا جديدا بحكم سنة التطور ، ومتابعة الانسان البحث والتنقيب في شتى المجالات ، جديدا في العلم وجديدا في الاختراع ، وجديدا في الفن وجديدا في الادب وسواء كنا اطباء ، ام محامين ، ام مدرسين ، ام مهندسين ، ام جنودا ، ام موظفين ، فاننا بحاجة

ماسة الى القراءات اليومية الدائمة ، فى ساعات الصباح الباكرة ، حيث يكون الذهن نشيطا وصاحيا، وبعد تناول طعام الغذاء قبل القيلولة ، وفى الليل عندما يخيم الصمت وتلف السكينة الكون ، قبل ان نسلم اعيننا للنوم هاديء عميق ، اذ لا شيء يحمل النوم اليها مثل الكتاب الذى يجب ان يبقى تحت الوسادة ، او فى متناول ايدينا ، ونحن نضطجع فوق اسرتنا فى ساعات الليل الاخيرة .. انها لحظات لا احلى ولا اجمل ، فقد نام كل ما فى الكون ، وهدأت الحركة ، واختفى الضجيج الذى يثيره الصغار فى الداخل ووسائط النقل فى الخارج .

اننا هنا نجد فى الخلود الى الكتاب لذة هائلة ما بعدها لذة .

ولاننسى اننا كلماقرانا حصلنا على مزيد من المعلومات ، واليوم الذى لا نزيد فيه حصيلتنا الفكرية يجب ان لا نعده من حياتنا ، وكلما نمت قدراتنا على القراءات المثمرة . ويصف الجاحظ الكتاب بقوله :

« الكتاب نعم الذخر والعقدة ، ونعم الجليس والعدة ، ونعم النشر والنزهة ، ونعم المستقبل والحرفة ، ونعم الانيس ساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل .. والكتاب وعاء مليء علما ، وظرف حشي ظرفا ، واناء شحن مزاحا وجدا ، ان شئت كان ابين من سحبان وائل ، وان شئت كان اعيا من باقل ، وان شئت ضحكت من نوادره ، وان شئت عجبت من غرائب فرائده ، وان شئت الهتك طرائفه ، وان شئت اشجتك مواعظه ، ومن لك بواعظ مله ، وزاجر مغر وبناسك فاتك ، وبناطق اخرس ، وببارد حار .. فمتى رايت بستانا يحمل فى ردن ، وروضة تقلب فى حجر ، وناطقا ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ، ولا ينطق الا بما تهوى، آمن اهل الارض واكتم للسر من صاحب السر، واحفظ للوديعة من ارباب الوديعة » .

ثم يبين الجاحظ ان الانسان ينسى الكلمة ، اما الكتاب فلا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام ، وهو الذى يطيعك فى الليل كطاعته لك بالنهار ، ويطيع فى السفر كطاعته فى الحضر ، ولا يقبل بنوم ، ولا يعتريه كلال السهر ، وهو المعلم الذى ان افتقرت اليه لم يخفرك ، وان قطعت عنه المادة، لم يقطع عنك الفائدة، وان عزلت لم يدع طاعتك ، وان هبت ريح اعاديك لم ينقلب عليك ، ومتى كنت منه متعلقا بسبب او معتصما بادنى حبل كان لك فيه غنى من غيره ، لم تضطرك وحشة الوحدة الى جليس السوء ، ويكفي الكتاب فضلا انه يمنعك من الجلوس ببابك والنظر الى المارة نظرات فيها شيء من الفضول .. وهو عنده افضل من القصور المبنية بالحجارة لانها تهدم والكتاب لا يهدم .

هذا الكتاب الذى وصفه لنا الجاحظ فى القرن التاسع الميلادي أصبح فى القرن العشرين مهددا بالاهمال ، يعلوه الغبار فوق رفوف المكتبات ، قل من ينقب عنه، رغم ما فيه من مادة جذابة مشوقة، واخراج أنيق ، وطباعة مغرية لان التلفزيون والسينما والاذاعة وصحف الاخبار اليومية والمجلات الرخيصة المائعة راحت تنذره ، فهب الكاتب الفرنسي جورج ديهاميل للدفاع عنه مبينا واقعه الاليم بقوله :

« الكتاب مهدد مستقبله لا بالمكروب ، بل بانصراف جماهير البشر عنه ، فهل هذا لان الجماهير الآن اقل حبا للاطلاع منها فى القرن الماضي ، او لانها اقل تعطشا للمعرفة ؟ لست اقول شيئا من ذلك ، ولكني اقول ان الجماهير البشرية اخذت تشبع شيئا فشيئا حاجتها الى المعرفة دون الرجوع الى الكتاب ، فالرجل المتوسط فى الاعم الاغلب لا يجد وقتا متسعا، ولا مالا كثيرا ، ولا عزما مثابرا ليرضي حاجاته الروحية ، فقدرته على الانتباه والاطلاع قد استغرقتها اليوم عدة آلات قوية الاثر ، نافذة الاستهواء كالراديو والسينما تشغل من يوم الى يوم مكانا اكبر لا فى وسائل تسلية رجل القرن العشرين فحسب ، بل وفى عناصر تكوينه الظاهرة ، اذ تختلط الاخبار بالمعارف ، والتسلية بالعلم اختلاطا مخيفا فى نفس الرجل المتوسط » .

ويعلن جورج ديهاميل قلق قادة رجال الفكر فى العصر الحديث من هذه الظاهرة الخطيرة ، ويخشى كما يخشون من ان الانسانية ستحتفظ بتراثها لا فى المكاتب بل على اسطوانات من « الباغة » او فى اشرطة من الفراء .

والسؤال الذى يحير ديهاميل هو : هل الباغة والفراء آمن على نقل معارفنا واصلب مقاومة من الورق ام لا ؟ وهل من الخير لمستقبل عبقرية البشر أن نحل محل الكتاب — صديق الوحدة — عددا من

الادوات الصالحة صلاحا خطرا لان تخلق عقلية القطيع التي يخلقها الراديو والسينما والتلفزيون ؟..

ما الفرق بين ثقافة الراديو والتلفزيون وثقافة الكتاب ؟ بكلمات نجيب :

الاولى ثقافة عابرة آنية سريعة لا تستقر في اعماق النفس ، والثانية هادئة مطمئنة فيها قابلية الرسوخ وامكانية الاستقرار .

قاريء الكتاب يقف في كل حين ليفكر او ليحاول ان يعود فيتناول الفقرة من جديد ، يقرؤها مرة ثانية وثالثة ورابعة بل وعاشرة ، وهذه الطريقة لا تتفق وفنون الحركة ، فاننا عندما نسمع سيمفونية أو نشاهد تمثيلية لا نستطيع ان نعود اليها ، في حين ان الكتاب يمكننا من التفكير تفكيرا ضروريا ، فان كان الكتاب جيدا عدنا الى قراءته من جديد ، والنظر عن قرب في بعض التفاصيل .

كثيرا ما نسمع تمثيلية من الراديو ، او نشاهدها على شاشة السينما او التلفزيون ثم يصادف ان نقراها هي بالذات في كتاب ، فنجد فارقا عظيما بين اللذة البطيئة الهادئة التي حملها الينا الكتاب ، واللذة العارضة التي عبرت افق نفسنا ثم انطفأت بانطفاء المشهد او بانقطاع الصوت .

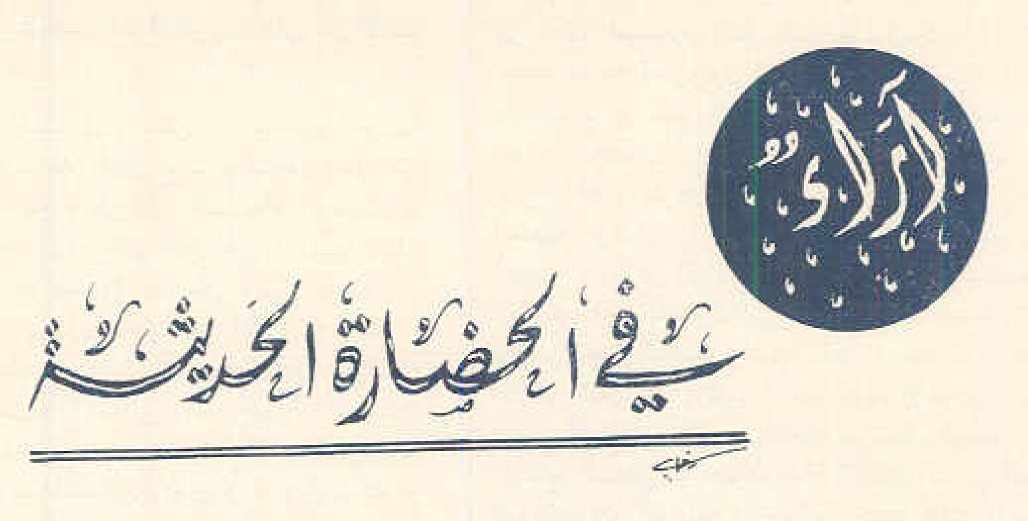
من المحتمل ان نعود بعد سماع الراديو او مشاهدة الفيلم الى الكتاب لاستدراك الجزئيات والتفاصيل التي لم يتح لنا ان نعيها بسبب انصرافنا الطاريء الى حاجة ما .. لكن هذا الاحتمال ضعيف ، اذ ان في طبيعة الراديو الجارفة ــ التي تشبه تدفق النهر ــ ما لا يساعد على التفكير ، اي على الثقافة الحقيقية ، فهو والسينما يقدمان اشياء مسرفة في الكثرة ، لا نشعر معها برغبة في ان نحقق او نختبر او نكمل ، بل ولا في ان نفهم ، وانما ناخذ منهما ما ناخذ خطفا وكيفما اتفق ، واما ما يفوتنا فليفت ، وليس هذا من منهج الثقافة ..

ان ثقافة الراديو والسينما والتلفزيون تطبع الناس جميعا بثقافة واحدة معينة لا تكاد تختلف من فرد لآخر ، أما الكتاب فهو يغذي الفردية المحررة ، فالرجل عندما يقرا انما يختار مادته ، وهو اذ يختارها يفلت من القوى التي تحاول ان تطويه تحت مذهب ما ، والراديو على العكس ، اداة لروح السيطرة ، فهو لا يطهر الانسان ، ولا يصرفه كالكتاب الى الوحدة المقدسة .. انا لا اقول ان تتركوا الراديو والسينما والتلفزيون ، بل اعتزلوها كل يوم ساعات لتقرؤوا او لتفكروا ان اراد كل واحد منا ان يجد روحه وان يقويها .

كلمة اخيرة اقولها لهواة هذا الثلاثي الشاغل هي ان الكتاب يجب ان يسكن معنا في بيوتنا ، وان نعتبره واحدا من افراد اسرتنا ، لا غازيا معتديا ولا ضيفا من ثقلاء الظل ..

يقول امين الريحاني : « ان بيتا يحوي مكتبة بقصد العلم لا بقصد التزيين لهو بيت يشرف صاحبه وأمته » .

دمشق ــ عيسى فتوح



تحليل: الأستاذ الغزالي الزنايدي

حدث أزمة الحضارة الحديثة بلفيف من المفكرين، وعلى راسهم كتاب اوربا الغربية، الى التفطن الى خطورتها المتزايدة واغراضها المستفحلة، وشاع بينهم روح التشاؤم والقلق، واستبد بهم قاتم المخاوف على مصير الجماعة البشرية في ظل حضارة الآلة، فانبروا يحللون جوانب هذه الازمة، ويضعون لها الحلول قبل أن تفضي الى تقويض دعائم الحضارة.

من أولئك الكتاب اسفلد شبنغلر Oswald Spengler احد فلاسفة التاريخ الالمان.

وهو يرى في كتابه « اضمحلال الغرب » الذي نشر سنة 1922 م ان التاريخ لم يفهم حتى الآن فهما صحيحا تحت تاثير تقسيمه الى قديم ووسيط وحديث، فهذا التقسيم لا يفيد الغربيين في تحديد وتقييم المكانة الحقيقية للاحداث التاريخية التي اثرت في اوربا الغربية وطورتها منذ عهد الامبراطورية الرومانية، وذلك في نطاق التاريخ العام للانسانية.

ان انتقاد شبنغلر لهذا التقسيم راجع الى ما يتضمنه من تسليم بان تطور التاريخ عبارة عن اضطراد بسيط في خط مستقيم، ثم ان هذا التقسيم غير متناسب الاجزاء حتى ان فترة التاريخ الحديث لا تفتأ تمتد بما ينضاف اليها من عصور جديدة بلا نهاية محتملة، علاوة على أن من شأن ذلك الا يسمح بتقييم الحضارات الكبرى الاخرى للصين والهند وفارس مثلا، كما انه يحدد مساحة التاريخ ويضيق مسرح وقائعه، كل ذلك، لتكون اوربا الغربية قطبا ثابتا، لا لشيء الا لان المؤرخين الاوربيين يعيشون على ارضها، بينما الحضارات العظمى الاخرى التي عمرت آلاف السنين ما عليها الا ان تكون توابع تدور حول حضارتهم وتنساق عبر تيارها، فاذا جاز هذا لهؤلاء المؤرخين، أفلا يحق لاحد الصينيين ان يكتب تاريخا للعالم ويضعه على نسق جديد يلقى من حسابه الحروب الصليبية وعصر النهضة وفريدريك الاكبر؟

ان شبنغلر ينعت موقف اوربا من التاريخ بأنه « المذهب البطليموسي » وهو يعارضه ويقترح بدله موقفا آخر هو « الاتجاه الكوبرنيكي » في المجال التاريخي، وهكذا عوضا عن تصور حضارات العالم مجرد ملحقات تسير في فلك اوربا الغربية بوصفها مركزا للاحداث العالمية، يتحتم دراسة كل حضارة على حدة، على اعتبار أن الحضارات القديمة عوالم مستقلة، ذات كيان دينامي، وانها حازت احيانا من القوة والعظمة والضخامة ما لم تحرزه الحضارة الاوربية ذاتها، وعلى كل، فليكن اتخاذ بعض المفاهيم كالانسانية، واقصى سعادة لاكبر عدد من الناس، والتقدم الاقتصادي، والحرية، معيارا للحكم على حقب التاريخ.

وذلك الخطأ من فهم التاريخ لا يقتصر على مجال التاريخ السياسي وحده، بل يعمم الى المجالات الاخرى، وهنا ينبه شبنغلر الى ان العلوم والفنون والنظم الاجتماعية لا تمضي صعدا في خط بياني، وفقا للقيم والاختيارات المتعارف عليها، ليس هناك فن واحد او علم واحد او نظم اجتماعية واحدة، بل

ان لكل ثقافة فنونها وعلومها ونظمها التي لا صلة لها البتة بمثيلاتها في الحضارات الاخرى ، وان كان الاسم جامعا فيما بينها .

ان الجنس البشري ، ينظر اليه في كافة المجالات الاخرى — عدا التاريخ — بوصفه واحدا من الكائنات العضوية الحية على ظهر البسيطة ، ويجب ان نفحص بنفس المنظار المجال التاريخي ، وتبعا لذلك يغدو المؤرخ حرا بلا قيد ولا عنان عبر مدارج الحضارات ، بعد ان كان مجبرا على الدراسة وفقا لقوالب محددة قبلا تعسفا ، واللازم أن تحل مقولة «المصير» في التاريخ الانساني مكان مقولة «العلية» وان تنعت الحضارة بما تنعت به حياة الكائن الحي فلها بداية ونمو ونضوج فاضمحلال وزوال ، ويكون تاريخ العالم ، بناء على ما يفضي اليه تحليل شبنغلر ، عبارة عن مجموعة من الحضارات المتوازية ، كل واحدة منها الى جانب الاخرى ومستقلة عنها كظاهرة منفردة مقفلة على ذاتها .

على اساس هذه النظرية يقيم شبنغلر تنبؤه عن الحضارة الغربية المعاصرة ، ومحاولته أصلا تنصب على تقدير الوضع في اوربا الغربية وامريكا ، في الفترة المتراوحة بين سنة 1800 وسنة 2000 م ، وهو يروم الوقوف على حالة مشابهة لها في الحضارات الاخرى . وينتهي الى انها توازي المرحلة الهيلينية في الحضارة اليونانية — الرومانية القديمة ، وان ذروة هذه الفترة وهي الحرب العالمية الاولى تناظر الانتقال من العصر الهيليني الى العصر الروماني . ان العالم الروماني يطابق العالم الغربي من حيث القوة الذاتية التي ترتبط بها اوثق ارتباط النهاية المحتومة للكائن العضوي ، على الرغم من اختلاف التفاصيل السطحية بينهما . فثمة تطابق يثير العجب بين حرب طروادة والحرب الصليبية وبين ارسطو وكانط ، واثينا وباريس ، والاسكندر ونابليون ، حتى نصل اخيرا الى المدينة العالمية والاستعمار .

وتتميز هذه الفترة من التاريخ الاوربي الغربي ، كما تميزت نظيرتها في التاريخ اليوناني — الروماني ، بانها انتقال من مرحلة الحضارة الى مرحلة المدنية ، والتمييز بين هذين المفهومين تمييز بين مرحلتين متتاليتين عضويتين : المدنية هي المصير المحتوم للحضارة ، وتلك خطوة حاسمة نحو النهاية والموت .

وقد تم هذا الانتقال من الحضارة الى المدنية في الغرب في القرن التاسع عشر للميلاد حيث تركزت التيارات العقلية الهامة في 3 او 4 مدن عالمية استوعبت في ذاتها المضمون الكلي للتاريخ ، فبدلا من « العالم » قامت مدينة انطروبول تتجمع فيها روافد الحياة والاشعاع من شتى الاصقاع والبقاع حيث الحسر المد وذوت الحضارة . وظهور المدينة العالمية يحمل في ثناياه حلال النزعة العالمية بدلا من الوطن ، واللادينية العلمية عوضا عن العاطفة الدينية ، والمجتمع مكان الدولة ، والامر الواقع محل التقاليد ، والحقوق الطبيعية دون الحقوق التي تكتسب بالمنافسة والصراع ، واخيرا جعل النقود بوصفها مقدارا مجردا مقابلا للارض الخصبة والقيم الاقتصادية الاخرى ، حتى اصبح كل مثل اعلى في الحياة مرتبطا بالنقود . وهذا الوضع يضاهي ما حدث غداة الانتقال من الحضارة اليونانية الى المدنية الرومانية حيث كانت الرواقية الرومانية تشترط دخلا معينا للمشتغل بها .

ان العصر الحاضر عصر مدنية لا حضارة ، وبالتالي فان عددا من امكانيات الحياة يصبح في حكم المستحيل ، لم يعد هناك مجال امام الشعوب الغربية للفتوح الكبرى في مجال الفن الموسيقي ، وقد استنفدت امكانياتها في الفنون المعمارية ، ولا سبيل في وجهها الا سبيل التوسع ، وعلى الاجيال المقبلة منها ان تتخلى عن تلك الآمال العراض ، وتكرس جهودها في الصناعات العملية لا القصائد الغنائية ، وان تهتم بالسياسة لا بنظرية المعرفة ، وان تتجه صوب البحر بدلا من فرشاة الرسم ، وليس لديها ما هو افضل من ذلك ، ويعترف شبنغلر ان عصرا تسود فيه النزعة العلمية الخالصة ، وينعدم فيه الانتاج الفني والفلسفي ، وتسيطر عليه النزعة اللا دينية المميزة للمدينة العالمية لهو بحق عصر تدهور واضمحلال .

هكذا يتنبأ شبنغلر ، بناء على تحليله للتاريخ البشري ، بمصير المدنية الغربية ، بعد ان بدا له في عشرينيات هذا القرن ان هذه المدنية عاجزة عن حل مشاكلها ومستنفدة لكل طاقاتها وحاملة بين طياتها عوامل اندثارها وزوالها . واهم ما نأخذه على شبنغلر هو ما تنطوي عليه نظريته من دعوة الى اتخاذ موقف سلبي بل موقف تأييد ازاء الاحداث التاريخية ، لان الفرد او المجتمع في زعمه لا يملك تغييرا للاوضاع المعاصرة له ، فهي مفروضة عليه فرضا ، والمحتم اما ان يرغب فيها او لا يرغب في شيء على الاطلاق ! ثم ان القياس بالمماثلة لا يعتد به ، واذا صح ما زعمه من وجود منطق خفي عضوي للتاريخ فانه لم يبرر الضرورة التي يقيم عليها هذا المنطق الا المقارنة بين حياة

الكائنات العضوية والحضارات بوصفها كائنات عضوية، فكأن شبنغلر يجيز ذلك التفكير القديم الذي يتصـــور العالم كله حيا بل ويدرج ضمنه حتى التاريخ الانساني، ثم هو يغض الطرف عن أهمية الاتصال والاحتكاك بين الحضارات المختلفة حتى لم تنفصل ابدا على عكس ما يتوهم ، وانه ليتمادى في هذا الزعم حتـــى أدى بـــه المطاف الى انكار الاتصال والوحـــدة بين العلـــوم والثقافات، ودعى ان كل علم فهو يصدر عن حضارة معينة ، فخلط بين الذاتي والموضوعي ، وتنبؤه عن اندثار الفن والفلسفة والآداب لا يتفق وما نشاهده الان من ازدهار وتقدم في هذه المجالات ذاتها ، وعلى ايـــة حال فان شبنغلر شاهد ممتاز استطاع ان يرصد عن كثب بعض مظاهر الازمة التي تعانـــي منهـــا المدنيـــة الغربيـــــة .

اما المـــؤرخ الهولنـــدي يوهـــا ويزينغـــا Johan Huizinga فقد عرض موقفه من الحضارة الحديثة في كتابه « في ظلال الغد » سنـــة 1936 م ، وهذا الكتاب يعتبر انعكاسا مباشرا للاوضاع الدولية القلقة ابان هذه الفترة ، ففي آسيا كانت اليابان تتاهب لغزو الصين بعد اعتدائها على منشوريا ، وفي اوربا كان هتلر يعيد كما يشاء صياغة معاهدة فرساي على أساس سياسة الامر الواقع فاحتل اقليم السار ثم بدا يستعد للتوسع في مناطق اخرى ، بينما كان موسوليني يباشر الحملة الحبشية ، وكانت اسبانيا على شفـــا الحرب الاهلية ، هذا من جهة ، ومن جهـــة اخـــرى تفاقمت الاعراض الاجتماعية للازمة التي استحوذت على اوربا في فترة ما بين الحربين الكونيتين الاولى والثانية ، فالم الكساد الاقتصادي بالعالم باســـره ، واجتاحت البطالة جموعا غفيرة من العمال ، وتفاحشت الاضطرابات في ميادين العمل والانتاج المختلفة .

يقابل ويزينغا بين الانزلاق الســريع نحو الكارثة من جانب ، وسيطرة الانسان المتزايدة على الطبيعـــة ورغبته الواعية في تحسين احوال العالم والبشر من جانب آخر ، هذا التعارض بين قدرة الانسان النامية على التحكم في الظروف البيئية المحيطة بـــه ، وعلى تحقيق آماله في السعادة الشاملة والسلام العالمي . وبين المجرى الفعلي للاحداث ، والتهديدات المتزايدة بالحرب ، والتفكك الاجتماعي ، هذا التعارض هو نقطة الانطلاق في دراسة ويزينغا لمصير الانسان المعاصر . وويزينغا غير فاقد الامل في انتعاش الحضارة الاوربية الحديثة ، انه يرى ان البشر لم يسبق لهم ان كانوا على مثل هذا الوعي بواجبهم في التعاون للمحافظـــة على رفاهية العالم وحضارة الانسان ، ولم يسبق ان مجد العمل كما يمجد الآن، والتغلب على ماســـاة اوربـــا يستلزم فقط سبر اغوارها وتحديد مداها ووقعها .

ان الازمة الحضارية مفهوم تاريخـــي يمكـــن ان يتسم بالموضوعية خلال التقدير التاريخي ومقارنـــة الحاضر بالماضي ، وهناك فترتان تميزتا بتغير شديد الوطأة شبيه بما نعاني منه الحضارة الراهنة ، هما مرحلتا الانتقال من العصر الوسيط الى العصر الحديث، ومن القرن الثامن عشر الى القرن التاسع عشـــر .

الفترة الاولى شهدت تغيرات حاسمة، فخلال القرن السادس عشر اكتشفت كافة اجزاء الارض ، وعرف تركيب النظام الشمسي ، وانقسمت الكنيســـة على نفسها ، واشتد نفوذ الكلمة المكتوبة واتسع مـــداه باختراع الطباعة، وارتقت وسائل الحرب الى حد كبير ونما الائتمان وزادت الاموال ، وبعث التراث اليوناني وازدهرت الفنون .

والفترة الثانية ، وهي واقعة بين عامي 1789 و 1815 فيها انصرف الناس عن تعاليم الكنيسة ، ودبت الفوضى في أوصال القارة الاوربيـــة ثم تماسكـــت ، وتحركت الالات البخارية تبشر بعصر آلي جديـــد ، وتعاقبت الانتصارات الطبيعيـــة ، وزادت الفلسفـــة والموسيقى الالمانيتان من ثراء الفكر وسحر الحياة ، ونمت امريكا في المجالين السياسي والاقتصادي وان ظلت ثقافتها ضحلة .

ويبدو ان الكوارث في هاتين الحقبتين لم تكن اقل حدة منها في عصرنا ، ولكنا ان امعنا النظر تبينا ان الامر على خلاف ذلك ، ففي كلتا الفترتين : عصـــر النهضة وعصر الثورة الفرنسية ، بقي الامل والايمان اللذان يفتقدهما الآن الرجل الاوربي ، وفي كلتا الفترتين لم تهتز أسس المجتمع كما اهتزت اليوم وتصدعت ، وتغيرات التركيب السياسي في عصر الثورة الفرنسية لا تذكر بالقياس الى التغيرات التي طرأت منذ عام 1914 ويفضي التحليل بالكاتب بعد هذه المقارنة الى الاعتقاد بان العالم يقف على شفا انقلاب اشد وطأة واعمق اثرا من كل ما عرفته الانسانية عبر مجرى تاريخها الطويل .

ويتعمق ويزينغا في بحث اعراض ازمة الحضارة الحديثة في شتى مجالاتها ، في المجال السياســـي والاقتصادي يلاحظ ان معدات العالم قد وصلت الى حد من الاتقان والكمال ، بما في ذلك وسائل الانتـــاج والادوات الفنية بوجه عام ، ووسائل المواصلات والنقل

والدعاية وتعبئة الجماهير ، وجهاز التعليم والتنظيم السياسي ، بحيث اصبح بامكان القوى الاجتماعية المتسلطة على هذه المعدات ، كل في ميدانه ، ان تشكل خطرا على تناسق الجماعة ككل وتهدد توازنها ، وخصوصا في حالة ما اذا لم تكن موحدة تحت مبدا واحد تنضبط بمقتضاه .

وفي المجال العلمي نجد ان العلم قد حقق تقدما هائلا لا شك فيه ، كما نعثر فيه على مظهر اكيد للازمة والاضطرابات الحضارية ، فقد تقدم الفكر العلمي والفلسفي تقدما باهرا منذ القرن السادس عشر حتى الآن ، حيث لا يفتا العقل الانساني يتعمق المعرفة باساليب من الملاحظة والتعبير تتزايد وتكتسي دقة ونضوجا باستمرار ، ولكن التقدم عمقا واتساعا قد أفضى بالفكر الحديث الى ازمة لا يمكن التكهن بنتائجها، فالمعرفة الجديدة لم ترسخ بعد في الكيان الثقافي ولم تندمج وتتكامل ضمن تفسير كوني جديد متناسق ، بل يبدو ان النفاذ العلمي المضطرد الى اعماق الظواهر قد زعزع اسس التفكير : الحقائق القديمة يتمين العزوف عنها ، والمفاهيم العامة المستعملة في الحياة اليومية لم تعد تتلاءم مع الفهم الصحيح ، والعلية لم تعد ذات موضوع ، والقوانين الطبيعية تستخدم تجاوزا دون ان يرخص لنا العلم باعتناق فكرة صدقها المطلق ، والموضوعية في الاحكام تظل واجبنا ومثلنا الاعلى ، ولكن تحقيقها الكامل غير ممكن ، على الاقل في العلوم الاجتماعية والدراسات الانسانية .

ان العلم وقد شرع في تحقيق امكانياته الهائلة للسيطرة على الطبيعة وتوسيع مدى المقدرة الانسانية بفضل تغلغله الى كنه الظواهر ، قد تدهورت وظيفته الاجتماعية من حيث هو وسيلة لتوجيه الحياة الانسانية ، فان الاكتشافات العلمية الحديثة المعجزة لا يمكن أن ترفع كثيرا من المستوى الثقافي العام ، لاستعصائها على افهام الناس ما عدا اولئك القلة الذين اكتشفوها ، ولذا اصبح الانسان المعاصر لا يلتمس في العلم فلسفة للحياة ، وكان اهم أثر لذلك هو انحطاط الوعي الثقافي والمناقشة العلمية ، وتدهور روح النقد وضعف الاحكام الموضوعية ، وانحراف الوظيفة الاجتماعية للعلم ، كلها اعراض تشير الى ازمة ثقافية خطيرة وتعتبر نذر سوء ، ولكن هذا ليس باصل الداء .

ان ممثلي الحضارة الحديثة يمكن ان يعترضوا على هذا الراي بحجة انهم لا يرومون معرفة قائمة على الاختيار والنقد تسيطر على تصرفاتهم وتوجه سلوكهم؛ ان ما يهدفون اليه ليس ان يفكروا ، بل ان يعيشوا وان يعملوا ، وهنا نضع ايدينا على سر الازمة الراهنة للحضارة ، انه الصراع بين المعرفة والوجود ، على هذا التناقض اقام كيركجوود في القرن التاسع عشر فلسفته الوجودية التي اعانته على التمسك بايمانه بقوة ، ولكنا نعي بعده بقليل ان هذا الايثار للوجود قد انتهى بكثير من المفكرين الى الالحاد واليأس والعدمية ، او الى تقديس وتمجيد الحياة الارضية ، فآمن نيتشه بان المعرفة الحق محجوبة عن الانسان التعس ، وفسر ارادة الحياة بانها ارادة القوة والتفوق وفند المذهب العقلي ، هذا وفي الجانب الآخر ، جرد اشياع المذهب العملي مفهوم الحقيقة من خاصية الصدق المطلق ، وفسروها تفسيرا نسبيا بانها ما يفيد معتنقيها .

تلك ازمة الحضارة ، ويتعين الا يرجى الخلاص عن طريق تدخل المنظمات الاجتماعية ، سواء كانت هي الامة او المدرسة او الحزب او الهيئة الدينية أو غيرها ، فان اسس الحضارة لا يمكن تقويمها او تدعيمها بهذا التدخل ، وانما يحصل الخلاص بفضل تطور داخلي في الفرد نفسه ، يجب ان يتغير ويتقوى الكيان الروحي للانسان. وهنا يقترح اورتيغا أن يفرض على الذات نظام جديد يتضمن سيطرة على النفس من جهة، وتحبيذا معقولا للقوة واللذة ، انه الاذعان لكل ما يؤمن الفرد بسموه ، هذا هو « التطهر » ، تطهر الافراد الضروري لتاسيس الحضارة المطهرة ، هو تلك الحالة النفسية التي يصفها الاغريق القدامى ازاء المأساة بانها سكينة القلب حيث يغالب الرجاء اليأس ويمازج الامان الخوف ، وتسمو الروح عند ادراك معنى عميق للاشياء، مما يعد الفرد للاستجابة الى نداء الواجب والضمير وتقبل المصير ، ويحرره من الانفعالات العنيفة ، ويقود النفس الى السلام والرضا .

هكذا ينتهي ويزيننا من عرضه لامراض المدنية الحديثة بأن يلبس مسوح الوعاظ ، ويضع حلا لا يستند الى النزعة العقلية الانتقادية التي يتباكى على افتقادها في العصر الحاضر ، ويدعو صراحة الى بعث انماط عتيقة من السلوك والاعتقاد ، والتقابل الذي يضعه بين الفكر والوجود او بين المعرفة والحياة مصطنع وزائف؛ اما ان العلم فقد وظيفته الاجتماعية التربوية فهو ما لا نوافق عليه ، صحيح اننا لا نعرف دقائق بعض النظريات العلمية المعاصرة كنظرية النسبية ، ولكن هذا لا ينفي تأثرنا بالعلم ، باعتباره النموذج الامثل للمعرفة الانسانية في العلوم الطبيعية والاجتماعية ولا ينال من

ايماننا بأن المنهج العلمي وحده هو الجدير بالتطبيق في مجالها ، اما الاعتراف بقوى ادراك الانسان المحدودة فهذا أدعى الى فخره . وعلى اية حال ، فقد كان ويزينفا في آرائه تلك ، مرآة صادقة للازمة التي عايشها وواعيا لأبعادها كل الوعي .

يشترك شبنغلر وويزينفا في خطأ اساسي هو انهما عانيا ازمة الحضارة المعاصرة معاناة سلبية انعكست على موقفهما التشاؤمي من مصير الحضارة الانسانية ، صحيح انهما قدما شواهد واعراضا لهذه الازمة ، ولكنهما لم يفكرا في عللها ، ولم يحاولوا ان يضعا حلولا لها مستمدة من الواقع ومن التفسير العلمي لهذه الازمة ، ويزينفا على الرغم من تفاؤله الظاهري بالدور التاريخي الموكول الى الاجيال المقبلة في عملية « التطهير » ، لم يقع على الاسباب الحقيقية للازمة ، ولم يحدد طريقا واضحا للخروج منها . وشبنغلر يقف منها ــ كما بينا ــ موقف المستسلم ويقبلها بوصفها ضرورة تاريخية لا مفر منها وينتهي الى الدعوة الى الرضا بالامر الواقع، وهو بذلك كمن يبرر ــ عن غير قصد وعلم ــ قيام الطغيان النازي في المانيا مقدما قبل ظهوره بعدة سنوات ، ويصم العناصر الثورية بالنفاق والاحتيال . ونحن نؤمن ان الحضارة الصناعية ، بما حققته من سلطان للانسان على الطبيعة، وبما حبته من امكانيات هائلة تعود عليه بالخير والرفاهية ، لا بد وان تجلب افضل النتائج واطيبها لو اتيح لها ان تتجه الى خير الجماعة البشرية برمتها، بدلا من ان تكون وقفا على مصالح بعض الافراد والمؤسسات والدول كما هو الحال في عالم اليوم ، ان السر الحقيقي للازمة يكمن في الاحتكار والاستعمار ، واننا لنعتبر الازمة الحضارية المعاصرة مرحلة مؤقتة وزائلة ، شريطة ان تتحفز الهمم وتعبأ الطاقات لنشر العدل الضروري في الارض ، وتخليص الحضارة الحديثة في براثن عقد الماضي لتكون مصلحة البشر اجمعين هي العليا .

الرباط : العربي الزنايدي





تخضع شخصية الانسان لتأثير البيئة التي يعيش فيها منذ حداثته ، فتؤثر بيئة الشخص في شخصيته من ناحية ميوله وصفاته الخلقية وعاداته واتجاهاته النفسية ... فضلا عن تأثيرها في شخصيته من ناحية عاطفته ومهارته وثقافته، لذلك اتجهت الدول الحديثة الى **اصلاح البيئة الاجتماعية في شتى صورها** لتصل بذلك الى تكوين شعوب ناضجة يتمتع افرادها بشخصيات معتدلة المزاج .. متفقة الميول ... مهذبة العادات ... على جانب كبير من المهارة والثقافة وفي مستوى معقول من العاطفة والارتقاء النفساني !

ولقد تبين ان بيئة الانسان في الدول الحديثة ليست تعني حالة المجتمع الذي يعيش فيه فحسب ، لان اوضاع المجتمع العامة ... أو بيئة المجتمع العام ينبسط تأثيرها على المواطنين جميعا ، فضلا عن ان الانسان في المجتمع الحديث يمر باطوار مختلفة كطور الطفولة ... واليفاعة ... والشبيبة ... وهو في هذه الاطوار لا يتأثر باوضاع المجتمع العامة بطريقة مباشرة ... وانما الذي يتأثر بهذه الطريقة المنزل الذي يعيش فيه ... وبيئة المدرسة التي يتلقى علمه وتربيته فيها ...

فالفرد في الدولة الحديثة اذن يعيش في بيئته الصغرى التي تتمثل في البيت ، والمدرسة منذ حداثته حتى يبدأ حياته العلمية في دور الشبيبة ... وهو فضلا عن تأثره بهذه البيئة الصغرى يتأثر كذلك باوضاع بيئة المجتمع العام بطريقة غير مباشرة في حداثته ... وبطريق مباشر اذا ما صار عضوا عاملا في الامة التي ينتمي اليها ...

ومن هنا اتجه المصلحون التربويون في العصر الحاضر الى تركيز اهتمامهم في تلك البيئة الصغرى التي يمر فيها المواطن في المرحلة الاولى من حياته... والتي تتمثل في البيت والمدرسة والمعهد والجامعة.. وتركوا للمصلحين الاجتماعيين والسياسيين امر اصلاح بيئة المجتمع بوجه عام وتوجيه أوضاعها التوجيه الذي يتفق مع امكانيات البلاد ومقتضيات الاصلاح التربوي والتعليمي ... ليتجه الاصلاح العام الى خلق شعب ناهض يتمتع بنوه بالشخصية النابضة ! .

وبيئة البيت هي البيئة الاولى التي يتنسم فيها الانسان نسمات الحياة ، وقد دلت دراسات الباحثين على ان الصفات التي يتسم بها الطفل ، والطابع الذي يطبع به ... والشخصية التي تتكون له في اعوامه الاولى في بيئة البيت ، تظل عالقة ومقترنة به ... ومن الصعب بعد ذلك تغييرها أو تعديل اصولها ... ومن هنا كانت بيئة البيت جديرة بالفحص والدراسة قبل كل شيء ... وتترتب عليها نتائج تكوين شخصية الفرد من شتى النواحي باستثناء ناحية المعرفة والثقافة التي يتلقاها الفرد في بيئته الثانية : بيئة المدرسة أو بيئة بيوت العلم والمعرفة على وجه العموم .

وعلى الرغم من **أهمية البيئة المدرسية بالنسبة لشخصية المواطن** الا ان بيئة البيت اهم تأثيرا وأثرا..

وذلك لان الطفل يتلقى فى بيته اشخاصا يرتبط بهم بروابط عاطفية كابيه وامه واخوته ... وهذه الروابط العاطفية هي المؤثر الاول الذي يعمل فى تفسية الطفل وشخصيته ، ويبنى فيها الاصول الاولى التي يرتكز على اساسها غيرها من الاصول فى مراحل حياته المختلفة !

ويبدو كل هذا واضحا اذا نظرنا الى الحالة التي يكون عليها هؤلاء الاشخاص الذين يلقاهم الطفل فى سنيه الاولى من اب ، وام واخوة ، واخوات ... فالمفهوم ان الابوة والامومة مثلا هما السند الذي يستند عليه الطفل ، والملجا الذي يلجا اليه ... وهما مبعث العطف والحنان ... ومناط الطمانينة التي تنبعث فى حياة الطفل ... فاذا ظهر على وجه الحياة وفقد احد هذين السندين او كليهما بسبب من الاسباب كالوفاة والطلاق مثلا ... فالمفهوم ان الطابع الذي يطبع به تكوين مثل هذا الطفل ، والاساس الذى تبنى عليه شخصيته سوف يكون مغايرا تماما للاساس الذي ترتكز عليه شخصية طفل عاش فى كنف والديه وشعر باطمئنانه الى جوارهما وحسن معاملتهما له .

وقد اوضح الباحثون كذلك **أثر الاخوة والاخوات فى تكوين الطفل** ، لان من شأن وجوده معهم واختلاطه بهم قيام علاقة ورابطة عائلية تربطه بهم ... ومن هنا تتلون شخصية الطفل وتتأثر بعلاقته بهم ... ويتحدد على هذا الاساس اساوبه فى السلوك وطبعه فى المزاج واخلاقه بوجه عام من حيث ميله الى التعاون معهم او معاكستهم ، او الغيرة منهم ، او تقليدهم ، واقتياده بهم وانقياده لهم !

وليس الافراد الذين يقابلهم المواطن فى حياته الاولى هم وحدهم الذين يؤثرون فى تكوينه ... بل الواقع ان بيئة المنزل تؤثر فيه من حيث الحالة العامة التى تكون عليها البيئة ، فضلا عن اثر المعاملة التى يلقاها من والديه واخوته فى تكوين شخصيته ... كما تؤثر فيه ايضا العلاقة القائمة بين والديه من حيث كون الوئام يسود المنزل ... أو ان المنزل على العكس من ذلك تكثر فيه الخلافات بين الزوجين والشجار بين الاخوة والاخوات ...

وتضيف الدراسات الاجتماعية التى أجريت فى هذ المجال الى كل ذلك تأثير **الحالة الاقتصادية التي تكون عليها بيئة المنزل** من ثراء او فقر ... فقد أثبتت هذه الدراسات اثر التدهور المادي فى تكوين شخصية الطفل من ناحية التركيب الجسماني بسبب نقص التغذية ومن ناحية الضعف الصحي لامتيازه فى العادة بنقص التغذية وعدم القدرة على العلاج ، ومن ناحية عدم حصول الطفل على وسائل الراحة والتسلية ... الامر الذي يدفعه الى محاولة ارضاء غرائزه فى هذا الشأن باللجوء الى الطرق الملتوية ... ومن هنا يبدا الاجرام عند الطفل ... !

ويضاف الى ذلك ايضا اثر **الجو التربوي والثقافي الذي يسود بيئة المنزل** من حيث اشتمالها على مقومات الثقافة والتوجيه الحديث كالكتب ... والصحف ... والمجلات ... والاذاعة ... والتلفزة ... ومن حيث اهتمام اصحابها بالرحلات ومشاهدة الافلام ... ومن حيث كثرة تحدثهم ومناقشاتهم وطريقة اجابات الكبار منهم على اسئلة الصغار فيهم !

ويتضح من هنا الاساس الذي يجب أن يبنى عليه اصلاح هذه البيئة الاولى فى حياة المواطن ... كما يتضح الاتجاه الذي يجب ان يميل اليه هذا الاصلاح .

ويتلخص هذا الاساس وذلك الاتجاه الذي يجب ان يميل اليه المصلحون انه يهدف فيما يهدف اليه رفع المستوى المعيشي للشعب فى المجتمع كما أثبتت التجارب ذلك .. لان رفع هذا المستوى من شأنه ان يوجد لنا بيئة منزلية مهيأة من الناحية المادية والثقافية والعائلية لاستقبال الطفل ... فتعده الاعداد التربوي الحديث الذي يكون ابعد الاثر فى بناء شخصيته المستقبلة التى تساهم فى نهضة البلاد بسموها ، وخلقها ، وصحتها ، وثقافتها ... ولا شك أن اعداد الامهات وتوجيههن حجر اول فى هذا الاساس ، لان بيئة البيت التي تضم الام الجاهلة الضعيفة لن تستطيع ان تخرج مواطنا يصلح للمساهمة فى بناء مجتمع ناهض يريد ان تكون له مكانته وسط سواه من المجتمعات ..!

وتتأثر الشخصية ببيئة المدرسة التي تعلم فيها المواطن وتربى، **وبيئة المدرسة فى هذا التأثير نوعان:**

— فثمة مدارس تقتصر على تعليم الاطفال المعارف والدروس دون اهتمام بالتربية والتوجيه ... وهذا الصنف يقتصر دوره على التكوين العلمي فى ادمغة الاطفال ..

— وثمة مدارس لا تقتصر على تلقين المعرفة وتحفيظ المعلومات بل تتعدى ذلك الى تربية شخصية الطفل وتهذيب مزاجه وخلقه ، وتوجيه ميوله ... وهذا النوع يخرج للمجتمع شخصيات صالحة !

ومن الجلي أن هذا النوع الثاني من المدارس هو الواجب التطبيق والانتشار لان الابحاث الاجتماعية والدراسات التربوية اثبتت ان حشو ذهن المواطن بالعلوم والدروس لا يفيد كثيرا في سني حياته الاولى بقدر ما تفيده التربية الصحيحة والتهذيب الخلقي والاجتماعي ...

وهذا هو السبب في ان غالبية الشبان المتعلمين في البلاد المختلفة يعانون مشكلات نفسية خطيرة تعصف في الكثير من الاحيان بحياتهم أو بصحتهم وبمستقبلهم عموما ، وتوجيههم توجيها ضارا بالامن والنظام في المجتمع ... وذلك لان تربيتهم اقتصرت على حشد المعلومات والدروس في امخاخهم منذ حداثتهم ... وحشد الراس بالمعلومات والمعارف يكون جليل الاثر ، ولا شك في مجال العمل والحياة العملية ... ولكن الحلقة المفقودة في هذا المجال هي ان الراس ما هو الا عضو واحد في الجسم الى جوار سواه من الاعضاء ...

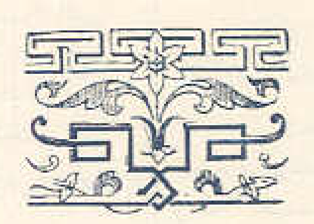
ان الشخصية الكاملة في الانسان هي جماع امور متعددة منها **الجسم ومنها المشاعر ومنها النفسية فضلا عن الرأس المفكر** ... والانسان ، وان كان في حاجة الى ملء راسه بالعلوم كي يفكر ... فهو في امس الحاجة ولا شك الى تهذيب نفسه وتربية شخصيته العامة واصلاح خلقه كي يكون عضوا عاملا ، صالحا في الحياة التي تضمه وسواه من المواطنين ..

الامر الذي يقتضيه ان يكون على جانب كبير من الشخصية والخلق المتين ليشق طريقه سهلا بينهم ، ويساهم مع كل منهم في بناء مجتمع صالح سعيد . ولا شك ان شخصية المدرس لها كبير الاثر في شخصية المواطن لانها تكون في نظره اثناء سنيه الاولى **المثال الحي والنموذج الصحيح** الذي يحتذيه في حركاته وسكناته وصفاته وعاداته ..

لذلك فمن المهم بمكان في سبيل اصلاح البيئة المدرسية **اعداد شخصية المدرس الصالح** في هذه البيئة بحيث تكون بحق المثال الحي والنموذج الذي يهتدي به المواطن ، فيطبع بطابعه ويتسم بسمته ..

وشخصية المدرس لن تكون بحال صالحة في هذا الشان اذا اقتصرت على الالمام بالكثير من العلوم والبراعة في استقصاء الدروس ... وانما تكون كذلك اذا اجمعت الى كثرة العلم ، خلقا كريما .. وروحا مهذبة ... ونفسية نابضة ... وميلا الى التربية والاعداد والتكوين والتوجيه والتهذيب والاصلاح ! . فاصلاح بيئة البيت الذي يعيش فيه المواطن ... واصلاح بيئة المدرسة التي يتلقى فيها علومه من العوامل الكبرى التي تكون أسمى وأرقى الافراد والجماعات والطوائف والشعوب ! .

سلا ــ عثمان بن خضراء





للأستاذ: عبد القادر زمامه

433 – الكمــوج ...!

وجدت في كتاب الغصون اليانعة لابن سعيد ص 69 من الطبعة الاولى . في ترجمة هديل الاشبيلي:

جاء طالب متخلف وقال له يوما : يا استاذ ، ما الكموج .. ؟ فقال : واين رايت هذه اللفظة .. ؟ فقال: في قول امرىء القيس .

« وليل كموج البحر ارخى سدوله » .

فقال نعم : الكموج : دويبة من دواب البر تحمل الكتب ولا تعرف ما فيها ... !!

434 – قد رفع الله عنك البرد ...!

ووجدت في كتاب الغصون اليانعة لابن سعيد في نفس الترجمة المشار اليها .

«وخرج يوما من المسجد الذي يقريء فيه فوجد سائلا . وهو يرعد بالبرد ويصيح :

— الجوع . والبرد . يا مسلمين ... !! فاخذ بيده . وحمله الى موضع فيه الشمس وقال له :

— صح بالجوع ... ! فقد رفــع الله عنــك البــرد ... !!! »

435 – رثــاء صديــق ...!

وجدت بخط ابي العباس النميشي رحمــه الله هذه القصيدة الشعرية يرثي بها صديقــه محمد بن ادريس قرتوت السلمي الذي وفاه أجله بمدينــة الجديدة في ريعان شبابه . رحمه الله :

ابكي عليك غريب الدار والوطــن
لاننا اسوة في تلكــم المحـــن

ابكي عليك وما في الحي من احــد
يبكي صديقا اذا ما لف في الكفن

ابكي عليك بعين طالمــا لمحــت
فيك الصديق السليم الصدر من احن

ابكي عليك وان شط المزار فما
بعد الديار مريحا هم ذي الحــزن

لا عذر للعين ان شحت بادمعهــا
وللفؤاد اذا ما انفــك عن شجــن

وكيف تبخل عين بان ناظرهــــا
او ينجلي هم قلب فاقد السكــن

خنت الصداقة ان لم ابك منتحبا
خلا وفيا وايــن الخـل في زمــن

عرفته حافظا لعهد الاخلاء على
ما بيننا من تنائي الجسم والبدن

ثم ايها الخل في مثواك منتهجــا
فقد تحققت ما في العيش من محن

لا تاسفن على دنيا يعيــش بهــا
حر الضمير حليف الهم والشجن

وارقب من الله العفو من زلــل
فهو الكريم العميم الخير والمنن

436 ـ الخـربيــش ... !!

وجدت فى رسالة لطيفة أرسلها الــي أحــد الاصدقاء المطلعين ـ حفظه الله ـ جاء فيها :

« لخربيش بالخاء المعجمة . والراء المهملــة ويجمع على خرابيش .. يدل هنا فى قصور الصحراء على البيت الذي يتعلم فيه الاطفال كتاب الله العظيــم وهو فى مقابل ما يسمى فى بعض المدن المغربيــة باسم (المسيد) .. ! ويطلق ايضا على البيت الــذي يسكنه الطالب الوارد على القرية من جهة اخرى قصد حفظ القرآن الكريم او درس بعض كتب العلم .. ! »

437 ـ كراء الارض بما يخرج منها ... !

وجدت فى كتاب المزايا لابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد السلام الناصري ... ! عند كلامه على قضية كراء الارض بالجزء ...

« فنظر الامام ابن ناصر فى هذه المسالة . تبعا للبخاري . وعمل الاندلس اسد ... سيما والضرورة داعية الى ذلك ... !

واهل البلد من قبله لا يعرفون الا الكراء بالجزء .! سرى اليهم من عمل سوس ... ! التابــع لعمــل الاندلس ..!! فأبقى ما كان على ما كان ..!! »

438 ـ من اسرارها ... !!!

وجدت ابا علي اليوسي فى المحاضرات ص 64 ينقــل هــذا :

« حكى الامام ابو بكر بن العربــي فى ســراج المريدين على الشيخ الفضل الجوهري انه بات بجواره ذات ليلة اصحاب الآلات فشغلوه عن ورده بما هم عليه من لهوهم وباطلهم ، فلما اصبح وجلس فى مجلســه قال : انه بات بجوارنا البارحة قوم ملأوا مسامعنــا علما وحكمة ... !!!

قال أولهم : لي .. لي .. لي ... !!

فقال الآخر : لي ولك .. لي ولك .. لي ولك ..!

فقال الآخر : كــذا ...

ومثل ذلك بمتناظرين . وجعل يقرر ذلك حتى قضى المجلس كله بأنواع الحكم واللطائف والاسرار .!

وهذا من اعجب ما يتحف الله به أولياءه . فقد غيبه الله عن صورتها الباطلة . واشهده سرها الباطن فيهــا ... !!!

وفى كل شيء له آيــة
تدل على انــه الواحــد

439 ـ ســم ساعــة ... !!

وجدت ابن ابي أصيبعة ترجم فى كتابه عيــون الانباء فى القسم الثالث عشر من كتابه . لطبقــات الاطباء الذين ظهروا فى الاندلس والمغرب . ومــن جملتهم « اسحق بن عمران طبيب مشهور ... ! وعالم مذكور ... ويعرف بسم ساعة »

440 ـ الصويرة و السويرة

وجدت فى كتاب « الشموس المنيرة » المطبوع بالرباط سنة 1935 م ص 10

« ويكتب لفظ الصويرة بالصاد والسين ... ! ولم نعثر على مرجح لاحد الحرفين ... !! »

ووجدت فى كتاب « ايقاظ السريرة » المطبوع بالدارالبيضاء سنة 1961 ص 19 :

« يكتبها عامة الناس اليوم وخاصتهم بالصــاد والعلماء والموثقون القدماء من اهلها وغيرهم من العلماء وارباب الاقلام الافاقيين .. ! الاقدمين كانوا يكتبونها بالسين ... ! والامر فى ذلك واسع ... !!! »

441 ـ كبقرة بني اسرائيل ... !

وجدت فى كتاب « رايات المبرزين وغايــات المميزين » لأبي الحسن علي بن سعيد الاندلسي المطبوع فى مدريد سنة 1942 م ، ص : 60 .

« نزهون بنت القلاعي . لها نوادر مشهورة وهي التي قالت لابن قزمان الزجال . وقد راتــه بغفــارة صفــراء ... !

اصبحت كبقرة بني اسرائيــل ... ! ولكــن لا تســر الناظريــن ... !! »

442 ـ جند من جنود الله ... !

وجدت فى كتاب (سنن المهتدين) تاليف ابي عبد الله محمد بن يوسف المواق الغرناطي المتوفــى سنة 897 هـ المطبوع على الحجر بفاس ص 3 .

« وحدثني شيخنا المنتوري بسنده الى ابي العباس ابن العريف . قال كنت في مجلس استاذي ابي علي الصوفي اقرا عليه الحديث . فقرا يوما الحديث ثم اغلق الكتاب وجعل يحكي حكايات الصالحين ، فوقع في نفسي كيف يجيز الشيخ ان يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويحكي الحكايات .....؟

قال : فما تم لي الخاطر حتى نظر الي الشيخ شزرا وقال : يا احمد . الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب العارفين من عباده .. !! »

443 ـ بين الزمانيين ... ؟

ووجدت في كتاب سنن المهتدين لابي عبد الله المواق المتوفى سنة 897 هـ . المطبوع على الحجر ص 8 من الملزمة 15 :

« حكى ابن الفخار عن ابن الشاط . انه كان اذا مر به نحو « وهمز ان افتح لسد مصدر »

يقول :

في اي وقت انكسرت القدر ... ؟

افي زمن الصحة ... ؟

أم في زمن الكسر ... ؟

ام في زمن بين الزمانيين ... ؟ !!! »

444 ـ ريف البربر ... !

وجدت في كتاب (اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها) ، وهو كتاب يظهر انه كتب في القرن الرابع الهجري . ومؤلفه غير معروف ... طبع بمدريد سنة 1867 م .. ص 62 .

« سنة ست وثلاثين ومائة اشتد الجوع ... ! فخرج اهل الاندلس الى طنجة واصيلا وريف البربر .. ! ممتارين ومرتحلين . وكانت اجازتهم من وادي بكورة شذونة ويقال له وادي برباط ... »

445 ـ على هذا الزبلح ... !

وجدت في كتاب اللمحة البدرية للسان الدين ابن الخطيب ص 48 . في ترجمة ثالث ملوك بني الاحمر بغرناطة :

« انشده يوم قعوده على سرير ابيه ثاني يوم وفاته احد الشعراء . في غرض التعزية والتهنئة قصيدة اولها :

على من تنشر اليوم البنود

وتحت لواء من تسري الجنود ..؟

فقال ابن الاحمر :

على هذا الزبلح الذي ترى قدامك ... ! يعني نفسه ... فاستظرفها الناس وخجل الشاعر ... !!»

وقد ذكر الحافظ ابن حجر ج 4 ص 86 من كتاب الدرر الكامنة هذه النادرة في ترجمة محمد بن عبد الله ابن الحاج المالقي الشاعر ... ! وجعله هو صاحب القصيدة ... !

446 ـ انما نلناها بسيوفنا ... !

وجدت في كتاب العبر لابن خلدون ج 7 ص 149. ط . بيروت .

« وقد قال يغمراسن بن زيان ابو ملوكهم لهذا العهد . لما رفع نسبهم الى ادريس كما يذكرون ... !

فقال برطانتهم ما معناه ...

ـــ ان كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله ... ! واما الدنيا فانما نلناها بسيوفنا ... !!! »

447 ـ الميدانـــي ...!

ووجدت في كتاب الغصون اليانعة لابن سعيد ص 17 من الطبعة الاولى :

« وهذا كما قال الملك الاشرف لبعض الشعراء وقد مدحه بقصيدة فيها ابيات سلخ الفاظها ومعانيها من شعر غيره :

ـــ اما تستحيي ان تنشدني لنفسك ما احفظه لغيرك ... ؟

فقال يا سلطان ! قد يقع الحافر على الحافر .. !! فقال . نعم .. ! ولكن للميدان كله ... لا ... ! فضحك جميع الحاضرين من اهل الادب وصار ذلك الشخص عندهم يعرف بالميداني ... !!! »

448 ـ قربت مسافته وعزمنا له ... !

وجدت الشاعر صالح بن شريف الرندي أورد هذه الابيات لشيخه ابى الحسن سهل بن ملك وقد قالها فى مدينة سبتة ... !

لما حللت بسبتة قتب النوى
والقلب يامل ان تحول حاله

ابصرت من بلد الجزيرة مكنسا
والبحر يمنع ان يصاد غزاله

كالشخص فى المرآة تبصر شكله
قربت مسافته وعز مناله

449 ـ السالمة ... !

وجدت فى كتاب (تحفة الاحباب فى ماهية النبات والاعشاب) المطبوع فى باريس سنة 1934 م

« اشفاقش : هو السالمة .. ! ويقال لها : المفصحة ... ! لانها تفصح لسان من اكلها .. ! خاصيتها تؤلف بين اثنين فى المحبة معروفة ... ! يعرفونها « كذا أهل الاندلس بالسالمة ... !! »

450 ـ أدب النفس ... !

لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ... !

وجدت فى كتاب العواصم من القواصم للامام ابى بكر بن العربي المعافري ص 120 ج 1 . من طبعة الجزائر :

« اخبرني الفقيه الطرطوشي . اخبرني الباجي . انه كان يوما بباجة احمد بن هود ينتظر اذنه فجالسه ابنه الملقب بالمؤتمن . وكان يتفلسف .. ! وجاذبه ذيل الحديث .. ! فقال له :

— هل قرات ادب النفس لافلاطون ... ؟
قال له الباجي ... :

— انما قرات ادب النفس لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ... ! » .

فاس : عبد القادر زمامة

نعتذر الى القراء الكرام عن الخطا الذي وقع فى الوجادة رقم 425 من العدد الماضي .

فهناك : ط . ليون . والصواب : ط . ليدن .

وهناك : البربر . والصواب : البرير « بالياء »

ديوان المجلة

فخذ الكتاب بقوة وبحكمة...



الله اكبر ، فوق كل قرار ! — يا قاهر الاقدار بالاقدار !

ومسخر الفلك المدار ، كأنما — يجريه طوع مشيئة الاحرار !

ومرافق الروح الامين محملا ! — في خافقيه غوامض الاسرار !

فكان رب الدار ، جل جلاله — رصد العناية طوع رب الدار !

وكأنما (الحسن) الخليل ،، تهابه — نار الخليل ،، فيزدري بالنار !

والنسر ـ في كبد السما ـ لا ينحني — لبغاث طير ،،، ارذلين صغار !

والليث يغشاه ابن آوى في الثرى — وتهاب صولته سماسر عار !

والطود، لا يخشى (صخيرات) الحصى! — والموت لا يهتم بالاحجار !

وحرارة الايمان يخبو دونها — وهج الخطوب ، وجاحم الاخطار !

واذا العناية حالفت رسل الهدى!، — جرت المقادر طوع حكم الباري !

(واللطف، والتوفيق) اكبر حافظ — يزجي شراعك ، دون اي عثار !

يا حجة القهار ... امرك قصة — من معجزات الواحد القهار

بهرت خوارقها عقول ذوي النهى — ومضت تفتح مغلق الابصار !

واستخلصت منها البصائر عبرة — هتكت بها ـ وهتكت ـ اي ستار !

كم عشت كالصوفي .. يحسن ظنه — بالناس .. وهي طبيعة الاخيار !

(بشر) اذا ذكرت، فاحذف (باءه)، — وحذار من (شر) الذئاب حذار !

وخذ الكتاب بقوة ، وبحكمة — واشدد يديك بصفوة الابرار !

المغرب الجبار ، ارض طهارة — عصفت بكل مخادع غدار !

شرفت أرومته ، واخلص طبعه ... وزكا بروح (محمد) المختار !

وسما به (حسن) فاحسن صنعه ... ومضى يقود جحافل الانصار !

يا أرض ميدي بالزعانف، وابلعي ... من خان عهدك ، أوسعي لضرار !

وتقبلي مني الصلاة زكية ، ... تترى .. على مهج هناك حرار !

العارجين الى جوار (محمد) ... عند (ابن يوسف) سيد الاحرار !

واليك ـ صناع البقاء تحيتي ... ومشاعري ، وخوالد الاشعار !

الرباط ـ مفدي زكرياء



هنيئاً لك العيد يا ابن النبي

للشاعر: محمد بن علي العلوي

على قمة المجد والشهب ... رفعت المكانة للمغرب
وشدت المفاخر شامخة ... تسر الاشاوش من يعرب
واعليت رايتنا في الوجود ... وبوأتها هامة السحب
راينا على يدك المعجزات ... تذكرنا بزمان النبي
وراق لنا الجود والمنجزات ... تتابع في عهدك الطيب
تخطيت نحو العلاء بنا ... قرون الزمان مع الحقب
ففتت بعهدك المنتنا ... تعبر عن حبنا المختبي
وسرت لذلك منا القلوب ... وكادت تطير من الطرب
والهمتنا أن نصوغ الجمان ... بهاء المفاخر والمذهب
فصغنا العقود نحيي بها ... كريم الارومة والنسب
نهني المليك بمولده ... ونهوى رضاه مدى الاحقب
فعش يا مليك البلاد ودم ... لتاج مضيء وشعب ابي
فما في بلاد الانام جهود ... تداني جهودك يا ابن النبي
بنيت السدود ترد السيول ... وتنشي الحدائق من مجدب
وصيرت موطننا جنة ... ننال بها منتهى الارب
يجوب الهزار خمائلها ... وتزهو الازاهر في المعشب
بذلت الجهود لها فغدت ... تميس وتختال في القشب
واوليتها الحسن فانتزعت ... كريم الثناء من المعجب

وابعد نورك عنها الظلام ... كما تفعل الشمس بالكوكب

سلكت بنا كل نهج قويم ... فما زاغ الا خؤون غبي

واجليت عنا جيوش الضلال ... وانقذتنا من يد الاجنبي

فما للدخيل على ارضنا ... نفوذ ولا قيد مغتصب

وابقني وطرفاية رفرفت ... بجوهما راية المغرب

وبالامس كان اللقا في الجنـ ... ـوب يبشرنا بالغد الاطيب

تعانق فيه لاجل الحمى ... مليك عظيم وشعب أبي

فابصرت العين عند اللقاء ... ولاء البنين وعطف الاب

وبالامس اوليتنا شرفا ... يدوم مدى الدهر والحقب

راينا الوفود واقطابها ... تشد الرحال الى المغرب

وكان الرباط مقر اللقاء ... ومأوى الافارقة النجب

وكنت الرئيس لمؤتمر ... ونعم الرئيس لمنتخب

هنيئا لنا بك يابن الرسول ... هنيئا لك العيد يابن النبي

ولو امكن المستحيل وجاز ... لهناك الجد من يثرب

فاس : محمد بن علي العلوي



في أعقاب الاعتداء الصهيوني الغاشم
على جنوب لبنان الشقيق

وا عرباه..

على المحارم تستباح..!

للشاعر محمد محمد العلمي

(لبنان) يا مهد الشهامة والبطولة والكفاح ،
(لبنان) يا غصن السلام ، وقبلة السياح ،
يا جنة تزهو بألوان الازاهر والاقاحي ،
يا بهجة المشتاق ، يا روض التآخي والسماح ،
يا نسمة تسري ، فتحكي رقة الحور الملاح ،
يا نغمة القيثار ، تخطر كالمليحة في الوشاح ،
ما بال قلبك مثخنا يوم الملاحم بالجراح ؟!
واللاجئون الاوفياء تلمسوا سبل السراح
أيهان اهل الحق في جو اغتراب وانتزاح ؟!
ويعيش في اوطانهم شذاذ آفاق شحاح ؟!
اين الضمير العالمي ، فقد طغى هول السفاح ؟!
والحق يسكت حين ينطق بالهوى حد السلاح ،
والكون من فرط المظالم تائه ، سكران ، صاح !!

*

جال العداة ، فأحرقت نيرانهم شتى النواحي
نسفوا الجسور ، وقتلوا الاطفال في تلك الضواحي
لا يرحمون العزل ، بل ذبحوا الألوف من الاضاحي

(ميونيخ) يبدو ثأرها ، في منتهى الالحاح
والشؤم في أهل الشقاق والاغتصاب والاجتياح
يتنمرون ، فما عليهم من ملام أو جناح !
هزاوا بكل وساطة ، وجنوا على كل اقتراح
وتمردوا ، اذ اعرضوا عن كل وعظ وانتصاح
زرعوا العداء ، فلم تفد طرق اللقاح
وتجاهلوا منا التئام الشمل في الأفراح والأتراح !
هم يفسدون ، فيخساون ، وينجلي نهج الصلاح
كم ضيقوا ، والله يأتي بانفراج وانفساح
و (القدس) فيها (المسجد الأقصى) تسربل بالرماح
حاشا وكلا ! لم يكن ذاك الحمى بالمستباح !
لا يستوي من كان في نهج الصلاح، ومن تأصل في الطلاح
والشرق في الكيد المدبر لم يجد من مستراح !
حرب صليبية يعانيها ، متوعة المناحي !

*

واحسرتاه على المحارم تستباح بجراة السفاح !
واضيعتاه ! فقد اهينت هيبة الحق المباح !
ولقد تمادى الظالمون ، فأوغلوا في كل ساح !
والفتك شرعتهم ، فلا يخشون اسباب افتضاح
هم قلة ، يغزون اطراف الروابي والبطاح
ويعربدون بنشوة الغارات في الظرف المتاح
لا من يقاومهم ، فيجنون المغانم في انشراح !
نشروا المنايا والرزايا ، في اغتصاب واكتساح !
شربوا الدماء ، كأنهم يحسون كأس الراح

*

ومن الخليج الى المحيط يشدنا لفح النواح
نحتج ، والحق الذي نحميه يبدو ، في اتضاح
ونضج بالشكوى فلا من مستجيب للصياح
في مجلس الأمن ، الادانة تكتسي شكل المزاح !

تلك المهازل قد ألفناهـا مـرارا فـي البـراح !

حبـر علـى ورق ، وجهـد ضـاع ادراج الريـاح !

ونصاعة التاريخ ، تحفـظ قـوة الحجـج الصحـاح

من تلكم الأمجـاد يأتينـا نـداء مـن (صـلاح) (1)

والنسر كيف يطير للعليـاء ، مكسور الجنـاح ؟!

انا فتحنا ـ يا ولتاه ! ـ لخصمنا سبـل النجـاح !

لم نتعـظ ، فتخـاذلت عزماتنـا يـوم النطـاح !

نضـب المعيـن كأنـه لم يجـر بالمـاء القـراح !

*

يا ايها الاخوان فى (لبنـان) ، يا أحلـى صـداح !

فى (المغرب الاقصى) صـداكم فى الغدو ، او الرواح

وجراحكم فى قلبنـا تشكـو بالسنـة فصـاح ،

فنعـاف فى بأسائكـم طـعـم التـاسي والمـراح !!

منكم اليكم وحدة الأهـداف ، والأشبـاح والارواح !

*

هل من ضميـر مشـرق ، يأتـي الينا بالصبـاح ؟!

ان اتحاد الصـف عربـون السيـادة والفـلاح

والنصـر آت ، والفـداء يثـور مكبـوح الجمـاح

مثـواه فى اعماقنـا ، فـوق الثنـاء والامتـداح !

تمضـي بقافلـة المصيـر ، ولا نصيـخ الى النبـاح

عاشت (فلسطين) ، فعند خلاصها كمل ارتياحـي !

وبشائـر الآمـال تظهـر فى عرائسهـا الصبـاح !

غنـى لها قلبـي ، وهـام بعطـرهـا الفـواح !

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي

---

(1) المقصود صلاح الدين الايوبي ـ قدس الله روحه ـ



بقلبي حب للوجود واهله … ولله والانسان والحيوان !

أحس كأني في الوجود موزع … الود كمخلوق بكل كيان

شهدت السديم البكر والكون مغلق … قديم ، وعقلي حاضر وجناني

وعشت به انفتح المبين وقد جرى … دم وشعاع فيه يضطربان

خيوط اقتحام في روائع ظلمة … تفيض بسر نابض وبيان

قصيدة من ــ ياكون انت معبرا … عن الروح في فن وفي جيشان ؟

تصورني الدنيا ، فهل كنت غائبا … خيالا ــ فجادت ريشة بدهان ؟

فما الجهر بعد الهمس الا حقيقة … تداولها حالان مختلفان

وما الموت الا الليل ينساح بعده … قيام مع الأشباح ليس بوان

فلست حديث العهد ان عشت طارئا … أليس دمي في الكون ــ منذ زمان ؟

اينبهم التاريخ وجها ــ فلا يرى … سوى قبس محاولك ودخان ؟

أعانق كونا طيفه طيف عاشق … فلي جسد منه . ولي شفتان

اقبله يوما فيوما كأننا … صديقان بالاعماق مرتهنان !

نديما خلود ، والكؤوس كبيرة … وقد ملئت من قدرة وحنان

جديران ان نحيا بيوم وليلة … هما افقا عمر ، هما قدران

زها الورد والريحان في حضن روضة … فهل سقيت خمرا بغير دنان ؟

جرى الماء يسقي قدرة مستكنة … على جثث تحيا من الفيضان

يقول ارجموا . ان الحياة اعادة … ويا قلب ! قلب الكون لست بفان !

وعاصفة هبت فقالت مجيبة ... انا الصمت، ذاع الصمت فى الهيجان!
وبحر حكى بالموج ماضي دهره ... فحاضره ماضيه بين توان
يقلب فى الآفاق اغوار ذاته ... لآلئه فيها نجوم اماني

*

اليك انتسبنا ايها الكون امة ... تراب وروح – كيف يمتزجان ؟
حملناك ؟ ام انت الذى قد حملتنا ... جماجم تحوي الفكر . فهي مبان !
هي الروح فكر . والجمال ارادة ... فما اعظم الانسان حين يعاني !

*

اذا الشجر المكسو مال بحمله ... ثمارا ، فعقلا يحمل الغصنان
نظام حبيس فى الشكول منسق ... وشوق من الأعماق فى غليان
جميعا. شتيتا. حاضرا. او مغيبا ... فما الكون – لولانا – سوى الدوران
بلغنا به ما كان يهوى بلوغه : ... ارادة تغيير ، وعمق معان
نسجله فكرا ، وفنا ، ونلتقي ... بحب وشعر منه يختلجان
وترصده تلك القلوب . فانها ... مراصد – تحصي الكون فى الخفقان!

طرابلس – لبنان : سليم الرافعي

القط العنيد !..

للشاعر المدني الحمراوي

بليت بقط له حيلة … عليه مخايلها بادية
له هامة اثقلت جسمه … وجثته بعدها وافيه
طويل عريض كاطماعه … وبطنه اوعب من خابيه
يجر اذا ما مشى ذيله … كحبل له فضلة ضافية
له سحنة عنونت خبثه … فانه فى خبثه داهيه
مواؤه ينكره مسمعي … ويزعج بالرنة النابيه
اذا ماء خات فتى موجعا … يئن لعلته القاسيه
وعيناه لا تطرفان ، وان … زجرته مال الى ناحيه
ويبدي جراءة مستاسد … اذا ما راى اكلة زاهيه
يكاد يهاجم من حوله … ويخطف لحما من الآنيه
يمد يدا كالعصا ، طولها … ذراع ، مخالبها عاريه
ويفتح ـ من شره مفرط ـ … فما يشبه الكوة الخاويه
فيفزع صبيتنا كلهم … ويلتمسون لهم واقيه
فكم خمش الوغد اطرافهم … وصال بنفخته العاتيه
وكم خطفت يده منهمو … طعاما بخفته الضاريه
فيستنجدون عليه بنا … جهارا ، واعينهم باكيه
فان جئته ناويا ضربه … تفلت فى وثبة عاليه
وفر الخبيث الى مأمن … على شرفة حولنا ساميه
يراني وابصره ماسحا … بكفه خده والناصيه
فأغتاظ اذ لم ينل نقمتي … ويسخر من غضبتي الحاميه
فان عدت عاد على اثري … ونفسه فى نشوة راضيه

يراقبني حاذرا ضربة   تعاوده من يدي ثانيه

ويظهر – من خبثه – غفلة   ليخدع ذا فطنة واهيه

فيوهمني انه نائم   وان علائقنا صافيه

فاظهر اني بحيلته   خدعت ، واني على عافيه

فأعرض عنه ولكنني   اروغ الى غرة آتيه

فان قلت ان الذى شئته   تاتي وجئته من زاويه

واخفيت سوطي عن عينه   وخلته في غفلة ساهيه

تفطن حالا الى مقصدي   واقلت من ورطة دانيه

ولكن اذا ما مضت مدة   يعاود سيرته الماضيه

فياتي ، كأن الذى قد مضى   مداعبة بيننا جاريه

فاطرده ، ثم ياتي الى   فتاتي ، فيرقد كالرابيه

الى ان اعاود ازعاجه   فيمضي الى دمنة خاليه

وكم من مرار تصيدته   ففاجاته ضربة شافيه

وخاتلته مرة بعد ما   تذرعت بالحيل الكافيه

نزعت عن العين منظارها   وثوبي نزعته والطاقيه

وغيرت ما كان يعرفه   لعلي اظفر بالطاغيه

وجئت اراوغه خلسة   وأبدي له همة وانيه

ولكنه ماكر قد درى   بأمري فدار على الساريه

فداورته فجرى واتبا   وخلف منه يدي عاريه

وصار يعاكسني جهرة   ويبدي معاشرة جافيه

فاعلنت في وجهه – اذ ابى   فراقي – محاربة باقيه

حرمته من فضلتي كلها   واقطعته بقعة نائيه

واغلقت بابي في وجهه   فما مل من حربي الكاويه

وصار يساجلني نقمة   على جلدي اصبحت قاضيه

ينجس بابي ويبقي به   بقايا فرائسه الداميه

وينبش سطل القمامة ان   راى العين عن فعله لاهيه

فيا له من ماكر لم اجد   علاجا لنقمته الباغيه

سارحل اذ لم اجد مخرجا   يريح ، ولا حيلة هاديه

الرباط – المدني الحمراوي

ضمن السعادة والصعود لأرضه

لشاعر موريطانيا

المختار بن حامد

في المغرب العدل الوطيد عتيد ... والمجد فيه طارف وتليد
والامن منسرح عليه وافر ... والخير فيه كامل ومديد
يا حبذا هاد ومهدي ومأ ... مون ومنصور هناك رشيد
ضمن السعادة والصعود لارضه ... فالشعب فيها صاعد وسعيد
النصر والتمكين والتاييد ... واليسر والتعمير والتمديد
للعاهل الحسن اسمه والوسم ذو ... معه وليد حسنه وبريد
حسن جلال منه فيه هيبة ... تعنو لروعتها الملوك الصيد
حسن على اسس الجدود سلوكه ... وبناؤه للمجد والتشييد
حسن لدولته وشعب بلاده ... سعي حميد من لدنه مفيد
حسن على تلك الرعية عطفه ... وبيانه للعدل والتوكيد
حسن كذاك وقاره وسكينة ... فيه على عز مداه بعيد
حسن سخاء منه لم ين في الندى ... والجود يبديء دائما ويعيد
حسن كذلك طبعه وخلاقه ... كل الانام له بذاك شهيد
وكتاب ترتيب المدارك شاهد ... والمصحف الحسني والتمهيد
فليهنأ الحسن المفدى انه ... في العدل والعمل المفيد مجيد
عدل مجيد جده الحسن الرضى ... وسميه الحسن الحفيد مجيد
اقواله حكم وفي افعاله ... لدريس آثار الهدى تجديد
عم الحديث بفضله اندائنا ... والفقه والقرآن والتوحيد

فتنافس البلغاء فى أمداحه … وتزاحم التسجيع والتقصيد

عزا بنثر كالنظام تقطعت … أسلاكه فانساب منه فريد

وعدت فى آثارهم اقتصها … واجادة فى المدح كنت اريد

وابى نضوب الفكر عن تجويده … ان العيي يؤوده التجويد

لكن لعيد العرش تنفتح اللها … فرحا بهذا العيد نعم العيد

فيثور مدح جلالة الحسن الرضى … منثوره ويثور منه قصيد

ويسوغ فى افكارنا انشاؤه … ويسوغ فى الآذان منه نشيد

نواكشوط : المختار بن حامد





الله فى قلبي ، وفى عيني ..   فى الأفق الكبير، وفى الدنا، والكون

بل كل شيء فيه ربي حاضر   واراه فى نفسي ، وخلق الجن

فىالروض، والجبل الكبير، وفىالورى   والماء يجري فى الثرى ، والمزن

فى الطير والحيوان، فى الصحراء ..   فى الجنات يكثر خيرها ، فى البدن

فى زهرة عجز الورى عن صنعها   فى نجمة ، فى ربوة ، فى الغصن

فى نملة فكرت فيها ـ عابدا لله ـ   .. قد بهرت كبار الذهن

فى نحلة قد اخرجت عسلا لنا   فيه الشفاء ، وصالح للبطن

فى البحر فيه عجائب وخلائق   فى البر فيه مشاهد للعين

فى الصبح اسفر ضاحكا متفائلا   يدعو الورى بضيائه للأمن

فى الليل يغشى، والنجوم هدى لنا   والبدر يحكي قصة ، ويغني

يا ايها الانسان انت مكرم   بالعلم كرمك الاله ، وحسن

بالوحي كي ترقى لافضل قمة   دينا ودنيا ، آمنا فى عدن

فاعبد الهك دائما ، وانظر له   بالقلب والوجدان ، بل بالعين

الرباط ـ محمد الأزهري



من المعروف ان ادماج الرياضة البدنية ضمن المواد الدراسية، صار تقليدا عالميا فى التعليم الحديث، انطلاقا من اوائل القرن العشرين ، ويهمنا – الآن – استكشاف معطيات هذه الرياضة فى التعليم القديم ، وبالضبط فى مغرب ما قبل العشرين ، وفى هذا الصدد سنتوفر على نصوص واشارات ولو انها قليلة، لتكشف عن ماضي المغرب فى هذا الميدان ، وهذا ما تقدمه هذه الدراسة حسب النقط التالية :

– دمج الرياضة البدنية فى التعليم الموحدي .
– الرياضة البدنية لصبيان الكتاتيب المرينية .
– الرياضة البدنية أيام الشرفاء :

– لعب الكرة
– المسابقة على الاقدام
– لعبة يوم العنصرة
– اهمية يوم الخميس كفرصة لالعاب التعليم المغربي القديم
– ثلاث مؤلفات موضوعية .

— * —

وقد كان عبد المومن الموحدي اول من تنبه الى ادراج الرياضة البدنية ضمن المواد الدراسية ، ولحسن الحظ فان مؤلف كتاب «الحلل الموشية» (1)، يحافظ على الملامح الرياضية فى المدرسة الموحدية ، وهو يذكر تربية عبد المومن لصغار الطلبة الذين يسمون بالحفاظ . ويقول فى هذا :

« ... وكان يدخلهم فى كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر ، فيجتمع « الحفاظ » فيه وهم نحو ثلاثة الاف كأنهم ابناء ليلة واحدة – من المصامدة وغيرهم ، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريده ، فيأخذهم يوما بتعلم الركوب ، ويوما بالرمي بالقوس ، ويوما بالعوم فى بحيرة صنعها خارج بستانه مربعة ... ويوما يأخذهم بان يحذقوا على قوارب وخوازيق صنعها لهم فى تلك البحيرة ، فتادبوا بهذه الآداب ، تارة بالعطاء وتارة بالادب ».

وبعد عصر الموحدين يقع فراغ فى المصادر يمتد الى اواخر العصر السعدي ، ولا يستثنى من هذا سوى توجيه يرجع الى الفترات الاولى من المائة الهجرية الثامنة ، وهو صادر عن العبدري (2) فى صدد التعليم الاولي بالكتاتيب القرآنية حسب الفقرة التالية : « وينبغي ان يوذن له : « الصبي » بعد الفراغ من المكتب أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب ، بحيث لا يتعب فى اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعليم دائما يميت قلبه ، ويبطل فكره وذكاءه ، ويبغض اليه ذلك ، وينغص عيشه حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه راسا » .

(1) ط. تونس – ص 114 .
(2) « المدخل » المطبعة المصرية بالازهر – ج 4 ص 298 ، واصله عند الغزالي فى الاحياء ، المطبعة العثمانية المصرية – ج 3 ص 63 .

وكما أشير له سالفا فان الغموض سيخيم على سير الرياضة البدنية التعليمية الى اواخر الفترة السعدية ، وهنا ـ فقط ـ تاخذ المصادر المعنية بالامر في الظهور ، لتتكاثر مع العصر العلوي تاثرا بعوامل القرب الزمني ، وستفتح هذه المستندات من جهتها ، آفاقا نستطيع معها ان نتعرف على ملامح الرياضة البدنية التى كان الطالب المغربي يمارسها ذلك ، وينقص عيشه حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه راسا » .

وكما أشير له سالفا فان الغموض سيخيم على سير الرياضة البدنية التعليمية الى اواخر الفترة السعدية، وهنا ـ فقط ـ تاخذ المصادر المعنية بالامر في الظهور، لتتكاثر مع العصر العلوي تاثرا بعامل القرب الزمني ، وستفتح هذه المستندات من جهتها ، آفاقا نستطيع معها ان نتعرف على ملامح الرياضة البدنية التى كان الطالب المغربي يمارسها خلال عصر الشرفاء ، وهي الفترة التى سنتناولها حتى آخر هذه الدراسة .

ومن الجدير بالملاحظة ان الدولة فى عصر الشرفاء لم يكن لها اشراف على هذه الرياضة من قريب او بعيد ، وانما صارت تستمد نشاطها من التقاليد الطلابية .

ومن جهة اخرى فان هذه الالعاب الرياضية لم تكن تتخلل المواد الدراسية بالشكل المتعارف في التعليم الحديث ، وانما تقع فى العطلة الاسبوعية : يوم الخميس على الاكثر ، وعند المناسبات السنوية : فى الشعبانية ، وعطلة الربيع ، ويوم المنصرة .

وقد تطورت الرياضة فى نفس الفترة ، وشملت بعض العاب القوى ، والكرة ، والالعاب المائية ، والرماية .

— * —

وبالنسبة الى رياضة الكرة ، يبدو من الاشارات الباقية ان لعبها كان يتميز بطابع النظام ولو الى حد ، فكان بفاس ملعب طلابي خارج باب الجيسة (3) ، وصار للعب الكرة انظمة مدونة عرفت منذ اواخر المائة الهجرية الحادية عشرة على الاقل ، فلرياضة الكرة تقاليد الزامية ، واخرى مستحسنة او قبيحة، واربعة محظورة (4) ، ومن القوانين الالزامية :

ـ تنظيم اللاعبين وتقسيمهم بالعد او التقدير الى معسكرين .

ـ نظافة ارض الملعب .
ـ تعريتها عن البناء والشجر
ـ بعدها عن العمارة بالعرف
ـ تحديد ساحة اللعب دون طول مفرط .
ومن التقاليد المستحسنة :

ـ توجيه الضربات كأنها للفريق الايمن والهدف انما هو الفريق الايسر .

ـ التصفيق ضد من يرتكب مخالفة ، وقد كان التصفيق آنذاك يقوم مقام الصفير فى الالعاب الحديثة .

ـ جلوس المتفرجين خارج وسط الملعب .
ومن المحظور على اللاعبين :
ـ التزام قذف الكرة الى طرف الملعب .
ـ التقاء اللاعبين بالرجلين ساقا لساق .
ـ استخدام الدفع والوكز .

ـ حصر اللاعب للكرة برجله ويضرب بالاخرى منافسه .
ـ خشونة الخطاب فى الرد على منافسه (5).

— * —

وبعد رياضة الكرة نشير الى العاب طلابية اخرى ، ومنها المسابقة بالجري على الاقدام ، وهي تستلزم شروط لعب الكرة ، غير ان المتقابلين لا يتعدى عددهم العشرة والعشرين (6) .

---

(3) « تحفة الاخوان . ببعض مناقب شرفاء وزان » لحمدون الطاهري ، المطبعة الحجرية الفاسية ـ ص 199 .
(4) هذا يوخذ من « مختصر الافاريد » ، الطبعة الآتية الذكر ـ م 1 ، ص 8 .
(5) « المصدر الاخير » عند نفس الصفحة .
(6) نفس المصدر والصفحة .

وثالثا : عملية التراشق بالمياه بواسطة انابيب معدة لهذه الغاية ، وكان الطلاب يشتغلون بهذه اللعبة في ساحات المدارس بمناسبة يوم العنصرة (7) .

— * —

والآن ماهي مناسبات استعمال الطلاب لهذه الالعاب ؟ وقد كانت هذه المناسبات متعددة ، ويأتي في طليعتها العطلة الاسبوعية عند يومي الخميس والجمعة ، ثم ثلاث عطل سنوية :

— بمناسبة آخر شعبان، وتعرف بالشعبانية او شعبانة .

— مع استراحة الربيع .

— ويوم العنصرة عند 24 يونيه حسب التقويم الجريجوري .

ونخصص — الان — كلمة عن اليوم من العطلة الاسبوعية ، وكان في التعليم المغربي القديم ، بمنزلة يوم الاحد في التعليم الحديث . وحسب المصادر المعروفة فان ذكر يوم الخميس كمناسبة عطلة اسبوعية ، يبتدىء من اواخر المائة الهجرية الثامنة ليتسلسل بعد ذلك .

فقد جاء عن العبدوسي : عبد الله بن محمد بن موسى المكناسي ثم الفاسي : انه كان في صغره يشتغل كل يوم خميس بحفظ بضعة احاديث نبوية ، وكانت وفاته عام ثمانية واربعين وثمانمائة (8) .

وهذا معاصره ابن جابر المكناسي : محمد بن يحيى الغساني وهو يمجد نفس اليوم ويقول فيه :

يوم الخميس يوم بشر وفرح
وحاجة تقضى ونيل وفرح (9)

وسيأتي بعده ابن غازي: محمد بن احمد العثماني المكناسي ثم الفاسي ، المتوفى عام تسع عشرة وتسعمائة ، وكان يجعل يوم الخميس فترة استراحة ، ومن غريب شانه في هذا اليوم ، انه انتدب بعض أصحابه ليسجل له — اسبوعا — احداث الاسبوع المحلية بما فيها من القيل والقال ، حتى يقرأ ذلك يوم الخميس الذي يتفرغ فيه من اعمال التدريس (10) .

وقد علمنا أن وفاة ابن غازي كانت اوائل المائة الهجرية العاشرة ، وفي نفس القرن يتحدث الحسن الوزان الفاسي : « ليو الافريقي » عن عطلة القراءة الاسبوعية في فاس ، ويذكر عن تلاميذ الكتاتيب وطلاب المدارس : انهم كانوا يعطلون يومين في الاسبوع (11) ، ولا شك انه يقصد بيومي الخميس والجمعة .

وبعد هذا سيأتي ذكر الخميس كيوم لعب ونزهة ،فقد كان ابن عرضون : محمد بن الحسن ، ورفيقه احمد بن محمد الشريف الشفشاوني ، اعتادا — زمن دراستهما بفاس — ان يخرجا كل يوم خميس الى ضواحي نفس المدينة ، رغبة في ترويح النفس ، وترجيع الاوتار ، والاستماع الى غناء البلابل ، وكانت وفاة ابن عرضون عام اثنى عشر والف (12) .

وبعد هذا يتصاعد الحديث عن يوم الخميس ، نزوعا الى الاستراحة والمرح، ففي مدينة مراكش : كان محمد بن سعيد المرغيتي في مجلس درسه عشية يوم الثلاثاء فأنشد :

الا يا نسيم الاربعاء الذي سرى
عشيتنا امهل يسائلك طالب

---

(7) نفس المصدر — م 1 ، ص 6 ، وورد — ايضا — ذكر لعب الطلبة بهذه المناسبة في « كناشة » الفقيه محمد بن محمد بن علي ابن سودة المدعو النحول بالمكتبة الاحمدية ، ورقة 62 ب ، وفيها يثبت سؤالا وجوابا في نفس النازلة ، وكان السائل هو قاضي فاس : احمد بن عبد الملك العلاوي ، والمجيب هو شيخ علمائها : بدر الدين الحمومي .
(8) « كناشة الشيخ زروق » مخطوطة خ . ع . ك 1385 ، مع « جذوة الاقتباس » ط . ف — عند ترجمته ص 238 .
(9) نظم المراقبة العليا في تعبير الرؤيا — مخطوطة خاصة .
(10) « التراتيب الادارية » — ج 1 ص 364 .
(11) «حياة الوزان الفاسي وآثاره» المطبعة الاقتصادية بالرباط — ص 88 .
(12) « صفوة من انتشر » ط . ف — ص 136 — 137 .

ثم قال لطلبته اجيزوا ، فقال ولده محمد :
لعلك عن يوم الخميس مخبر

وقال سعيد العمبري :

فشوقي اليه حاضر وهو غائب (13)

وفي مدينة فاس يذكر الزياني عن ابي حفص الفاسي انه كانت له عادة لا تتخلف في زمن الربيع : يذهب مع طلبته للنزهة كل خميس (14) ، وكان قبل ان يخرج معهم يقول لهم : اتركوا هنا التلمذة وانا اترك المشيخة حتى تعودوا (15) ، ومن شعره في يوم الاربعاء حيث كان مقدمة ليوم الخميس :

ما زال يوم الاربعاء يميل بي
نحو الصبا ويهيج لي افراحا
بينا الفتى المكدود في اشغاله
بالجد يدرس كتبا او الواحا
وعوامل الافكار منه نواصب
اذ هب روح نسيمه فارتاحا
واهتز روض نشاطه لهبوبه
متماديا في ذاك عمت صباحا (16)

واخيرا : هذا ابو العباس احمد بن المامون البلغيثي يمجد يوم الاربعاء لما كان بشيرا بيوم الخميس ، وهو يقول في هذا :

وما زال يوم الاربعاء يلذ لي
وفيه لقصد النفس كل مرام
تتوق اليه النفس من كل طالب
كانه عيد الفطر بعد صيام (17)

والى هنا سنذيل هذا العرض بتقديم ثلاث مؤلفات تربوية مغربية من موضوعات عصر الشرفاء، وهي تتناول — من بين مواضيعها — تحليلات او اشارات عن الرياضة الطلابية في التعليم المغربي القديم .

وسياتي في طليعة هذه المؤلفات : الكتيب الصغير الذي يحمل اسم « مختصر الافاريد » ، لمؤلف من مدينة تازا مجهول الاسم ، وكان يعيش عام سبعين والف هـ حسب تاريخ الفراغ من التاليف .

والكتاب يهتم — على الخصوص — بحياة فريق الطلاب المجاورين بالمدارس العلمية، ويتناول — حسب الاعراف المرعية بينهم — آداب سلوكهم في الحياة اليومية ، ومع الرفقاء ، وازاء الاساتذة ، وفي معاملات العموم .

والى جانب هذا يهتم الكتاب بالحياة المرحة للطالب ، ويخصص لهذه الغاية بعض الابواب والفصول لتتناول الموضوعات التالية :

— العابا طلابية بريئة
— انظمة لعب الكرة
— نزهة شعبانة
— طريقة اللعب بالشطرنج
— تعريف باصول الطبوع للطرب الاندلسي .

وهو يحتذي المختصر الخليلي في تعبيره وايجازه وتلميحاته ، وبهذا جاء ضعيف الديباجة ، غير انه — في اسلوبه — يفيض فكاهة ونكتة ومرحا .

وقد تكرر طبع هذا الكتيب بالمطبعة الحجرية الفاسية ، وتحمل الطبعة الاولى تاريخ عام 1300 هـ، في 11 ص من الحجم المتوسط .

اما المؤلف الثاني : فهو المنظومة الرجزية التي تحمل اسم « سراج طلاب العلوم » ، من نظم العربي بن عبد الله بن ابي يحيى المساري ، المتوفى اوائل المائة الثالثة عشرة للهجرة ، والارجوزة مرتبة حسب الموضوعات التالية :

(13) « الابتهاج بنور السراج » للقاضي احمد بن المامون البلغيثي ج 1 ص 262 .
(14) « الترجمانة الكبرى » نشر وزارة الانباء — ص 57 .
(15) « الابتهاج بنور السراج — ج 1 ص 275 .
(16) « المصدر الاخير » — ج 1 ص 262 .
(17) « نفس المصدر » — ج 1 ص 262 .

ـ مقدمة فيما يستعان به على طلب العلم .
ـ ما يبتدأ به من العلوم
ـ اعارة الكتب والنساخة .
ـ آداب يوم الخميس .
ـ آداب المدارس .
ـ آداب الرتبة واحكامها .
ـ آداب كيفية القراءة .
ـ آداب كيفية الاقراء .
ـ آداب التلميذ مع الشيخ .
ـ خاتمة فى آداب الشيخ .

وهذه المنظومة هي التي شرحها القاضي احمد بن المامون البلغيثي الفاسي ، المتوفى عام ثمانية واربعين وثلاثمائة والف للهجرة ، وجاء الشرح يحمل اسم « الابتهاج بنور السراج » ، حيث نشر بمصر من عام 1319 هـ فى جزءين وهو يمثل المؤلف الثالث والاخير من الكتب التربوية التى نختم بها هذه الدراسة ، والله ـ سبحانه ـ ولي لتوفيق .

الرباط ـ محمد المنوني

فاس مدينة الشعر والشعراء

للأستاذ عبد الكريم التواتي

- 2 -

ادريس الازهر وتشييد مدينة فاس :

انتقل ادريس الاكبر الى جوار ربه راضيا مرضيا ، فى ظروف ، كان من الصعب جدا . لولا حنكة راشد ابي السعد ، وشدة اخلاصه لآل ادريس، ان تتم فيها البيعة لادريس الازهر ، الذى لما يزل حينئذ فى بطن امه .

واذا كانت بعض الروايات التاريخية تشير الى ان ادريس الاكبر خلف مع هذا الجنين ابنا آخر يدعى عمران . فان هذه الروايات نفسها تؤكد ان هذا الابن الثاني، كان زاهدا فى الدنيا، عزوفا عن الخوض فى شؤونها ، كارها لغير ما يجعلها معبرا سليما للدار الاخرى الشيء الذى جعله يتخلى عن ولاية عهد أبيه ويطلب من راشد كفالة شؤون أخيه الجنين. فقد نقل صاحب سلوة الانفاس عن النبذة المختصرة كيف انه « لما توفى ادريس الاكبر ترك ولدين ادريس، وعمران ، وقيل ان ادريس ولد بعد وفاته وكان عمران رجلا صالحا مستجاب الدعوة ، دعا له والده بدعوة صالحة فاجاب الله دعاءه فيه .. وجعل عمران لراشد النظر فى امر اخيه ادريس » (سلوة الانفاس ج 1 ص 70) .

والروايات التاريخية لا تقف عند هذا الحد ، فيما يتعلق بذرية ادريس الاكبر ، ففى الدر النفيس فى مناقب المولى ادريس ، يشير مؤلفه الى ان ادريس الاكبر خلف أيضا بنتا ، تدعى فاطمة، وانها زوجت لابن اخيه ،محمد بن يحيى صاحب الديلم ، وان المحدث الاثبتي الحجازي عبد الله كان من ذريتها .

وفى اشارة لنا سابقة ، لم نستبعد ان تكون لراشد ، يد فى تثبيت دعائم سلطة ادريس الجنين ، ثم الصبي ، ثم اليافع .. رغبة فى الحكم من وراء ستار ، وقد يكون عمله البذرة الاولى فيما شاهدته بلاطات خلفاء الاسلام شرقا وغربا ، اذ عمل من هذا القبيل ، ليس الوحيد من نوعه فى تاريخ الدول لقد حاول ابن ابي عامر ، بواسطة صبح ام هشام الملك الاندلسي الصبي ، ان يسيطر على الحكم ، فتم له ما اراد ، وكم لهذا المثل من نظير ، واغتيل راشد كما اغتيل قبله سيده ادريس ، وبايعاز من المسودة العباسيين ، وعلى يد عملائهم حكام القيروان .. وحل محل راشد ، أبو خالد يزيد بن الياس العبدي وقيل ان هذا الرجل هو الذى تولى اخذ البيعة الرسمية لادريس من البربر وبخاصة من قبيلة اوربة ، وتسكت الروايات التاريخية عن نهاية مطاف أبي خالد ، اذ لا نرى له فيما تم بعد من احداث وجودا ، ولا نسمع له ذكرا ..

ووجد ادريس نفسه بعد اغتيال راشد وجها لوجه امام المسؤوليات الجسام التى عليه ان يضطلع بها لوحده ، مسؤوليات تقعيد سلطانه ، على أسس جديدة ، تراعي متطلبات الاقوام الجدد الذين اخذوا يدخلون فى دين الله أفواجا ، ومتطلبات اولئك

الوافدين من عرب الاندلس وافريقيا ، ولا شك ان اكثرية هؤلاء كانت من مناوئي النظام العباسي ، ومن المتربصين به الدوائر ، ومن طلاب مغانم الدنيا ، والطامعين فى الخوض فى الماء العكر لان الظروف كانت ظروف توائب على الحكم ، وتهافت على السلطان ، ومسؤوليات الدعوة والتبشير ، اذ كانت جل القبائل البربرية المستوطنة هذا الوطن ما تزال – او جلها – على دين الوثنية والمجوسية والبوذية ، ومسؤوليات الكون على حذر من أعداء الدولة الناشئة، فقد كان بنو الاغلب فى تونس – ولم يصلوا الى الحكم هناك الا عن طريق قيامهم باغتيال مناوئي المسودة العباسيين – يتربصون بها الدوائر ، وقد اوردنا فى اشارة سابقة الابيات الشعرية التى كان يتوعد فيها ابن الاغلب ادريس بعد نجاح مؤامرته لاغتيال راشد .

ويبدو ان الملك اليافع ، استطاع ، بفضل التربية القوية والمتينة التى اخذه بها راشد ، ان يواجه كل تلك المسؤوليات بقوة وايد ، وان يتغلب على ما اثارته فى وجهه من صعاب ، فقد رايناه ، يواصل فتوحاته وغزواته ، داخل الرقعة التى تحمل حاليا اسم المغرب الاقصى ، وخارجها ..

بل واستطاع ان يهتم اكثر بمتطلبات الدولة الناشئة من حيث ايجاد الظروف الاجتماعية الصالحة لها ، وايجاد المكان اللائق بهذا الملك الاخذ فى التصاعد والقوة والانتشار . ومن هنا فكر ادريس الازهر فى البحث له عن عاصمة جديدة ، بعد ان اصبحت عاصمة ابية غير قابلة للتطور السريع الذى تتطلبه الاحداث . وضاقت بكثرة الوافدين عليها من كل صوب وحدب ومن البربر والعرب .

وقرر نهائيا احداث عاصمة جديدة ، وانطلق هو بنفسه يبحث عن المكان الصالح لها ، من بين الاقاليم المغربية الخاصعة لنفوذه طبعا .. وانتهى اختياره اول الامر – وهذا ما تثبته الروايات التاريخية – الى أصطفاء قمة جبل زلاغ المطل على فاس من شمالها ، ماخوذا بروعة المناظر الطبيعية الآسرة ووفرة الغابات الكثيفة ، ومقدرا مناعة القمة حربيا واستراتيجيا ، اذ تشرف على جميع الشعاب والسهول والاودية الوطيئة الواقعة تحتها ، فامر بأن تشاد بسنده مما يلي الجوف اي شمال المدينة الفاضلة ، وعاصمة المستقبل .. وشرع فى البناء ، واخذت معالم المدينة تبرز ، ولكن ما أن حل موسم الامطار ، حتى جرفت السيول ما شيد ، وهدمت ما بني ، وتعرض كل شيء للانهيار ..

ولم يفت هذا الانهيار فى عضد ادريس ، ولم يزعزع عزمه على اختيار البقعة الصالحة الآمنة المطمئنة ، فقرر – بعد اصدار التعليمات بالاقلاع عن بقعة زلاغ – العودة الى وليلي لمباشرة مهام الدولة وتسيير دفة شؤونها، على انه عاد بعد قليل ينقب عن المكان الصالح ، وكان المساء دائما هو محط الاختيار ، ومهوى الانظار ، فما ان وقع نظره على بسيط شبور حتى فكر جديا فى اختياره دار اقامة ، خاصة والبسيط يقع على الماء وعلى قرب حامة حرزم التى كانت تدعى يومئذ حامة « خولان » .

ولكن الخوف من سيول الوادي ومدوده . وقد تكون الامطار الموسمية المتهاطلة ذكرته بمأساة زلاغ جعلته يقلع من جديد عن هذا البسيط رغم بداية اعمال حفر الاسس والبناء وعاد الى مدينة وليلي ، ليفكر من جديد فى هذا الامر الذى اهمه .

ولكنه فى هذه المرة ارتأى ان يكلف وزيره عمير بن مصعب بهذه المهمة .. قال التاريخ : فانطلق الوزير الشهم يبحث ، سالكا نفس الدروب التي سبق ان مر منها مليكه ، الى ان انتهى به المطاف الى فحص سايس ، وعلى عين ماء ، تحمل حتى الآن اسم هذا الوزير « عين عمير » وقد كانت تحمل أيام ورود هذا الوزير عليها اسم « عين مكودة » واناخ باصحابه على هذه العين ، وعلى أساس تقصي البقع المحيطة بها، ودراسة اجوائها ومناخها ، ومعرفة ابعادها .. وهداه البحث والتقصي الى اكتشاف منابع وادي الجواهر ، ووادي فاس والعيون المنتشرة حواليه ، والتى كانت تبلغ فيما يثبته التاريخ : ستين عنصرا .. وترسم مسيل الماء ومصبه فانتهى الى حيث توجد حاليا فاس ، وكانت البقعة يومئذ غيطة بين جبلين (زلاغ وتغات) ملتفة الاشجار ، مطردة العيون والانهار ، واذ راقته ، قرر ان يعرضها كمقترح على ادريس ، وقوبل المشروع بالارتياح ، وفكر فى اخراجه الى حيز التطبيق .

ولكن ملكية الارض ليست لادريس ، وادريس احرص الناس على صيانة الملكيات فردية خاصة او عمومية جماعية ، لانه فى كل حركاته انما يصدر عن نبع النبوة ، ومن اجل الدعوة لمباديء الاسلام ، ونشر العقيدة المحمدية جاء الى هذه البقاع .. ومحمد

عليه السلام يحذر من نيل تخوم الارض، او الاستيلاء على اراضي الآخرين بدون وجه شرعي، ولمجرد الشهوة والفرض، ولذلك فان المولى ادريس، حين قرر اختيار هذه البقعة ليبني عليها عاصمة ملكه، لم يقدم على العمل والتشييد قبل البحث عن اربابها وملاكيها ولكنه بحث عنهم واشترى منهم، واشهد عليهم بذلك ..

كان يقطن فاس وانحاءها قبائل بربرية زناتية، يعرفون بزواغة وبني يرغش وكانت بين تلك القبائل احن ومشاجرات، كان للاختلاف الديني بعض السبب فيها فقد كانت تلك القبائل تتمذهب مذاهب متباينة، مختلفة، وتدين بديانات متعددة ما بين اليهودية والمجوسية والنصرانية .. كما كان للتنافس القبلي كذلك بعض التأثير على اشتداد تلك الخلافات، ونشوب حروب بسببها. فكان عمل ادريس اذن ذا اتجاهين يهدفان لغاية واحدة، كان احدهما يهدف لهداية هؤلاء الاقوام الى عبادة الحق وتوحيد الخالق، وارشادهم الى الاسلام، وقد بلغ من هذ الشأو البعيد، اذ كان ما يتمتع به من دماثة اخلاق، وانصاف ومحافظة على الحقوق، قد هيأ الجو الصالح والمناسب لبذر افكار الاسلام فى ارواح وعقول القبائل البربرية، مماجعلها تقبل على الدين الاسلامي بكيفية جماعية وبدون حرب او قتال تقريبا، وكان ثانيهما يهدف الى اقناع هؤلاء المغاربة بأن فى استطاعتهم اذا حسنت نواياهم وخلصت عقائدهم، واخلصوا العبادة لله ان يعوضهم خير الدارين، ويبوئهم اعلى المنزلتين، وانهم يستطيعون ان يضارعوا بقية العالمين ان لم يفوقوهم .. وقد حقق المولى ادريس من الهدفين الغاية، وبلغ المتوخى وحقق الآمال فاسلم جميع البرابرة الواقعين فى هذه الانحاء، وبذلك سهل اقناعهم بضرورة الاسهام فى اقامة دعائم الدولة الناشئة. وكانت اللبنة الاولى للبرهان على ايمانهم بادريس وبما يدعوهم اليه من هداية الاسلام، ان باعوا له عن طواعية واختيار هذه الارض التى اقام عليها عاصمته فاس، وهكذا اشترى من ابناء (يرغش) عدوة الاندلس بالفي درهم وخمسمائة درهم، واشترى من بني الخير الزواغيين عدوة القرويين بثلاثة آلاف درهم وخمسمائة درهم، فبلغ مجموع ثمن الشراء ستمائة آلاف درهم وقد تمت الصفقة الاولى فى سنة 191 هـ وتمت الثانية بعد ذلك بسنة اي فى 192 وتولى كتابة عقد الصفقة بين ادريس والبربر ابو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي الانصاري.

وكانت اقامة ادريس أول الامر بعدوة الاندلس بجرواوة حيث كان ادار عليها اسوارا، وبنى بها الجامع المعروف، بجامع الاشياخ. وكان ذلك فى غرة ربيع الاول 192 هـ .. وبعد ثلاث سنوات، اختط عدوة القرويين، حيث بنى داره المعروفة الآن بدار القيطون، وقد كان يسكنها الى العهود الاخيرة الجوطيون من ولده .. ثم بنى القيسارية الى جانب المسجد الجامع، وادار الاسوار حوله، ثم امر الناس بالبناء .. وتشجيعهم على ذلك، اقطعهم كل ما استطاعوا بناءه قائلا لهم : (من بنى موضعا او اغترسه قبل تمام السور فهو له).

وعندما انهى بناءه خطب شكرا لله ودعا قائلا :

« اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة، ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وانما اردت ان تعبد بها، ويتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، وشرائع دينك، وسنة نبيك، ما ابقيت الدنيا، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير، واعنهم عليه، واكفهم مؤونة اعدائهم وادر عليهم الارزاق، واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق، انك على كل شيء قدير.

المولى ادريس الازهر الشاعر

استقر المولى ادريس بعاصمته الجديدة، فاس، وحلا له المقام واستطيبت الحياة، واستلذت المتعة، واستحوذت على مشاعره فكرة اضفاء الحال القشيبة، على هذه المدينة الناشئة، بناء وعمرانا، وحضارة وامنا، واستقرارا، وتتالت، آيات الحمد، ودعوات الشكر لله، وامتدت اكف الضراعة منه الى الله ان يحفظها وسكانها، وان يرعاها بعينه التى لا تنام، ويكلاهما برحمته والطافه وكانت هذه الصلوات المباركة التى ما انفك المولى ادريس يرفعهما الى السماء فى كل مناسبة، فى تعابير شعرية موسيقية، فيها من خلوص النية آيات، ومن صدق لدعوات بينات ومن الايمان بالله وحسن توفيقه عزمات.

وكان من ابتهالاته ـ وهو يباشر وضع الحجر الاساسي لهذه العاصمة العامية الفيحاء ـ هذا الدعاء: « اللهم اجعلها دار علم وفقه، يتلى بها كتابك، وتقام

بها حدودك ، واجعل اهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ، ما ابقيتها » ؟!

وقد استجاب الله دعاءه حقا ، فكانت فاس (دار فقه وعلم وصلاح ، وهي قاعدة المغرب وقطرها، ومركزها ، وقطبها ، وكانت بما جمعت من عذوبة الماء ، واعتدال الهواء وطيب التربة ، وحسن الثمرة، وسعة المحرث ، وعظيم بركته ، وقرب الخصب ، وكثرة عدده وشجره ، وبما فيها من منازل مؤنقة ، وبساتين مشرقة ، ورياض مورقة واسواق مرتبة منسقة ، وعيون منهمرة ، وانهار متدفقة متحدرة ، واشجار ملتفة ، وجنات دائرة بها محتفة .

وكانت بنهرها الذى يشقها نصفين ، ويتشعب فى داخلها انهارا ، وجداول وخلجانا ، فتتخلل الانهار ديارها، وخباءها ، وشوارعها، واسواقها ، وحماماتها ، وتطحن به ارحاؤها ويخرج منها وقد حمل اثقالها واقذارها ورماداتها .

وكانت بسكانها الذين هم احد اهل المغرب اذهانا ، واشدهم فطنة ، وارجحهم عقلا ، والينهم قلوبا ، واكثرهم صدقة ، واعزهم نفوسا ، والطفهم شمائل ، وكيفما تقلبت الاحوال فهم يسمون على اهل بلاد المغرب عملا وفقها ودينا ..

وكانت لكل ذلك منذ تأسيسها سنة 191 — 193 هـ ، وظلت كذلك حتى الساعة رغم تقلب الظروف ، وتبدل الاحوال، دار فقه وصلاح وعلم وشعر ، وظلت مصدر الهام لكثير من الشعراء والكتاب ، ورحم الله القائل :

يا فاس منك جميع الحسن مسترق
وساكنوك ليهنهم بما رزقوا

هذا نسيمك ، أم روح لراحتنا
وماؤك السلس الصافي ام الورق

ارض تخللها الانهار داخلها
حتى المجالس والاسواق والطرق

ورحم الله الشاعر ابا عبد الله المغيلي الذى سجل اشتياقه لفاس ، وقد كان غادرها قاضيا على مدينة ازمور ، فى هذه النفحات الشاعرة الخلابة :

يا فاس حيا الله أرضك من ثرى
وسقاك من صوب الغمام المسبل

يا جنة الخلد التى اربت على
حمص بمنظرها البديع الاجمل

غرف على غرف ، ويجري تحتها
ماء الذ من الرحيق السلسل

وبساتن من سندس قد زخرفت
بجداول كالايم او كالفيصل

وبجامع القروي ، شرف ذكره
انس تذكره يهيج تبلبلي

وبصحنه زمن المصيف . محاسن
فمع العشي ، القرب فيه استقيل

واجلس ازاء الخصة الحسنا ، به
واكرع بها عني قديتك وانهل

وظلت فاس لجميع الذين استظلتهم افياؤها الوارفة الظل ومرابعها التياهة الازهار والورود وارتووا من مياهها لفياضة الخيرات والبركات ، ظلوا على الدوام اسارى جمالها الاخاذ ، وسحرها الفتان ، وكرم وفتوة ابنائها البررة الميامين ، كما ظلت على الدوام مصدر كل خير ، وبعث كل يقظة ، ومشعل كل حركة اصلاحية بناءة ، وفى فاس اقول:

وفاس ، وبي شوق لفاس ، مرابع لنا
فى سماها وقفة ومآثر

بافيائها القت عرائس مجدنا
عصاها ، ففذتها صقور كواسر

اراقوا ما هم فدية لصروحها
وتاقت لها احشاؤهم والمحاجر

سقاهم هواها (جوهر) ساح طيبا
وعذب شيم دغدغته مناظر

واشربهم رب البرية حبها
فكلهم فى حبها الدهر سادر

وهام بها كل الاعارب ، انها
لارواحهم روح وراح وسامر

بها الضاد طابت موردا ومصادرا
ورنت بدين الله فيها المنابر

وفاس على مر الدهور ليعرب
وقاء ، وللدين الحنيف تآزر

على الحق والايمان والعدل والرضى
تواصى بنوها ، بالوفاء تجاهروا

لها يرفعون المجد ، والله شاهد
ووثق ما راموا : دما واواصر

وما فاس يا عشاق فاس مرابعا
ولكنها الفردوس بالطهر عاطر

هي الجنة الفيحاء طابت قطوفها
وعطرت الانسام فيها ازاهر

اذا ما شدا فى روضها الطير رنحت
قدود وماست بالحميا غدائر

بأفيائها الغنا ، صبايا وخرد
زهاهن حسن ربق الغنج ناضر

تود اذا ما ذقت طعم عناقها
لو انك فى احضانها الدهر سادر

وما ظلمهن العذب ، طعما ونكهة
زلال ، ولكن خمر ابابيل فائر

وما فاس الا فتنة وملدة
وسحر وانغام شدتها محاجر

سبى حسنها لب التقاة فهوموا
يرجون عفو الله ، والله غافر

وهل فى استطاعة ارض هذه بعض خصائصها ، واقل معطياتها ان تمر بها نفس مرهفة الاحساس ، تواقة للجمال ، نزاعة للماء والخضرة والحسن ، كنفس المولى ادريس الازهر ، ولا تدفعها الغياض الملتفة الاشجار ، والسهول المنبسطة الاردان الى التغني وترديد الاشعار .

ان كل الشواهد التاريخية تشير الى ان منطلق المولى ادريس فى اختياره هذه البقعة بعد طول بحث وعناء تقص ، انما كان الخصب والنماء والماء ، حتى لقد رأينا كيف خلبت لبه مناظر جبل زلاغ ، وسبائط سبو ، فبدا فيهما محاولته الاولى لاقامة عاصمته هذه ، ولولا المدود والسيول التى جرفت ما شيد وسمق، لما عدل عن ذينك الموقعين الى حيث تقع فاس الآن ، ونعلم كذلك بما اوردناه من نقول تاريخية عن كيف تم اختيار وزيره مصعب لهذه البقعة وان وجود واديها ، والستين عنصرا من العيون التى كانت تحتف بها ، كانا المرجع الاول والاساسي فى هذا الاختيار ..

ولهذا ليس من المقبول ان لا يكون انسان كالمولى ادريس لم تستهوه فاس ، ولم تدفعه لقرض الشعر .

الا انه من الواضح البين ان الظروف التى كان يحياها المولى ادريس ما كانت لتسمح بانشاد شعر عاطفي مشبوب او خامد ، خاصة ، وقد كان الرجل يواجه فى آن واحد تحديات مناوئيه العباسيين ، ومؤامراتهم المتكررة ، تلك التى اودت ، بحياة ابيه ثم بحياة راشد مولاه ، ويواجه ـ كما قلنا متطلبات ملكه الناشيء وسلطانه المتطلع للتفتح والارساء ، وما يقتضيه هذه الارساء من جهود وتضحيات ، ولهذا فاذا طلبنا من الرجل شعرا عاطفيا ، نكون قد انكرنا على الشعر احدى خصائصه ومميزاته ، وتلك هي تصوير الواقع المعاش ، وتسجيل التطلعات النفسية لقائله .

والمولى ادريس كان يعيش فى عصر لا منطق فيه الا للحروب والغزوات ، ولا مكان فيه لغير ابطال الميدان ، ومن هنا كان ما صح من اشعاره او نسب اليه ، انما كان ترديدا للمهام الحربية والبطولية التى كانت تشغل فكره ، وكانت مهام عصره .

ومما نسب للمولى ادريس من اشعار هذه الابيات :

اليس ابونا هاشم شد ازره
واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نشتكي مما يؤول الى النصب

ولكننا اهل الحفائظ والنهى
اذا طار ارواح الكماة من الرعب

واذا كان داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الجعفري قد نسب اليه هذه الابيات كما عند ابن ابي زرع فان فى حاشية الاستقصا ما يفيد ان الابيات من وضع ابي طالب انشدها فى خبر نقض صحيفة مشركي قريش الذين كانوا تعاهدوا فيها على مقاطعة النبي واسرته ، حتى يعودوا الى احضان العشرة الى آخر القصة المشهورة واسندت حاشية الاستقصا نقلها لكتاب « الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء » للامام القاضي سليمان الكلاعى (1172 ـ 1237 م) الذى ولد فى مرسية

واستشهد قرب بلنسية فى مواقعة يعقوب .. وهو مخطوط بباريز ...

ومما اسند الى المولى ادريس من شعر ، ولم يخالف فيه احد ، ابياتـه هذه التى كان انشدهـا ، تحذيرا لبهلول بن عبد الواحد المضغري احد عماله على المغرب الاوسط ، وقد ظهر منه ما يشير الى ان ابن الاغلب عامل المسودة العباسيين على افريقيا ، قد استهواه لنقض عهد ادريس، والانضواء تحت راية العباسيين ، يقول المولى ادريس :

ابهاول قد حملت نفسك خطـة
تبدلت منها ضلــة برشـــاد

اضلك ابراهيم من بعـد كـاره
فاصبحت منقـادا بغيـر قيـاد

كانك لم تسمع بمكر ابن غالـب
غدا آخذا بالسيـف كـل بـلاد

ومن دون ما منتك نفسك خاليا
ومناد ابراهيـم شـوك قتـاد

واذا كنا لم نعثر لادريس فيما بين ايدينـا من مراجع ، على غير هذه الابيات فليس معنى ذلك أن الرجل لم يكن قال غيرها ، خاصة اذا ادخلنـا فى حسابنا عصر الرجلة وما كان يتمخض فيه وعنه من احداث كانت من اسباب ضيـاع كثيـر من اشعار شعراء تلك الحقبة لا بالنسبة للمولى ادريس فحسب، ولكن ايضا بالنسبة للشعراء الفحول الذين عاصروه.

وهذه الجذاذة من شعر ادريس توضح الاتجاه الشعري لعهده ، عهد الحروب والغزوات والفتوح .

آراء اخرى عن اصل نشاة فاس وعن شاعرية ادريـــس الازهـــر

الحديث عن فاس ومؤسسها ، وما واكب ذلك من احداث ، حديث ذو شجون ، ما يكاد ينتهـي ، حتى يبتـديء ، وما كان لاحـاديث موجـزة ان تلم بكل الجوانب ، ولا ان تحيط بكل الابعاد ، وانما هي تماد من محيط ، ووشل من بحر ، وهذا مـا يؤكد الفكرة القائلـة بـان تاريخنـا : السياسـي ، والاجتماعي ، والفكري ، اي تاريخنـا الانسانـي ، والحضاري ، لما ينل بعد العناية اللازمة لتوضيحه ، وتمحيصه ، وتصحيحه ، وبلورته .

وقد كتب الي كثيرون ، ينبهونني الى نقاط ، خالوا تناسيتها او تغافلت عنها او ربما تجاهلتها عن احداث فاس ، وما صاحب تشييدها ، وما قيل عن المؤسس الحقيقي لهذه الحاضرة ولهؤلاء اقول : اني ما تجاهلت شيئا الا ما لم اعثر عليه فيما بين يدي من مراجع ..

فانا مثلا اذا كنت لم اتحدث عن الاقوال المروية عن الاصل فى تسمية هذه المدينة بفاس فلانها اقوال فيها كثر من الخرافات التى تتجافى والطرق العلمية الحديثة . او لا تتماسك أمام مجاهرها ، لان هذه الطرق لا تومن الا بالواقع المحسوس المدعم بالدلائل المجسمة ، ذلك لانه اذا صح للمؤرخ ان يستنتج افكارا من احداث تاريخية معينة ، او يستخلص عبـرا من مواقف خاصة ، فان عليه قبل ذلك ان يتثبت ممـا يرويه ، وان يدعمه بالحجج الناطقة ، وان يستعرض الاخبار امام محك التجارب ومجهر الحقائق .

ثم اذا كان جل مؤرخي الدولة الادريسية من المسلمين ، ينتهون فيما يخص تأسيس فـاس الـى نسبة هذا التاسيس لادريس الازهر .. فان المؤرخ الفرنسي الباحث (ليفي بروفانصال) الذى كان لمدة طويلة مشرفا على الخزانة العامة بالرباط والذى له عدة تآليف تاريخية عن المغرب والاندلس ، يذهب فى احدى محاضراته التي كان القاها ايام وجوده بالمغرب على راس هذه الخزانة ، الى ان الذى اسس فاسـا هو المولى ادريس الاكبر دفين زرهون ، ويعتمد فى رايه هذا بالخصوص على ما يدعيه من العثور علـى قطعات نقدية ضربت فى عهد ادريس الاكبر ، وهي فى نفس الوقت تحمل اسمـه ، ولكن هذا الادعـاء نفسه ، يحتاج الى تدعيـم ، نظـرا لانه ليـس مـن المستبعد فى تلك العهود ، ان يضرب الابن سكة باسم ابيه تيمنا ، خاصة وقد اسند الامر لادريس الازهر فى سن مبكرة ، كان احوج ما يكون فيها الى سنـد روحي ، فليس من المستغرب ان يقدم على ضـرب عملة جديدة ، بعد ان استقر به المقام بفاس ، وهى تحمل اسم ابيه ، وقد ثبت تاريخيا ان الموحدين ظلوا فيما يصدرونـه ، من نقـود يضربـونـه باسـم مؤسس دولتهم : المهدي ... على انه لا شيء ينفي احتمال كون اصل الادعـاء الذى اعتمـده الاستـاذ (ليفي بروفانصال) يحتاج هو الآخر الى دعم وحجج ثابتة .. وتذهب روايات تاريخية اخرى ـ نقلها ابن زرع والكتاني وغيرهما ـ الى ان عمـل ادريـــس

الازهر ، لم يعد الاحياء للمدينة القديمة التى كانت تدعى (ساف) وان البقعة كانت شهدت حاضرة قديمة قبل الوجود الادريسي بألف وسبعمائة عام (ابن ابي زرع ص 49) وتدعيما لهذه الرواية يذكرون (ان يهوديا كان يحاول حفر اساس لدار كان يهم بتشييدها ، فعثر فى مكان الحفر الذى كان اشجارا من الطخش والبلوط والطرفاء على دمية رخام ، على صورة جارية ، منقوش على صدرها بالقلم المسند : هذا موضع حمام عمره الف سنة ، ثم خرب فاقيم موضعه بيعة للعبادة ، وتمضي الخرافة فتقول: (ان راهبا صادف ادريس اثناء توسمه البقعة المختارة لاقامة عاصمة ملكه ، فسأله عن غايته ، وعندما اخبره ، بشره على عادة الخرافات ، بالنصر ، وان هذه البقعة كانت تدعى ساف ، وان ادريس اشار على اصحابه عندما سألوه عن الاسم الذى يطلقونه على هذه العاصمة بأن يسموها فاس ، باحداث هذا القلب الطفيف ، على الاسم الاصلي .

واذا لم يكن لنا نحن ان نرفض اصل الفكرة ولا ان نرفض امكان وجود امثال هذه الدمى ، بل ولا ان نرفض وجود كتابة عليها بالخط المسند الذى هو احد فرعي الخط الفينيقي المنحدر من الخط المصري ، ما دام الفينيقيون قد سبقوا الى استعمار هذه الانحاء قبل الوجود العربي بمآت القرون قطعا .. وما دامت الحفريات التى اجريت فى منطقة وليلي قصر فرعون ، قد اكدت وجود هذه الدمى ، وقد اتت عليها آلاف السنين ، وهي مطمورة ، الشيء الذي يحملنا على القول بأن توجه ادريس الاكبر ، الى وليلي بالخصوص ، دون بقية الانحاء المغربية كان يعني وجود مدنية فى تلك الاصقاع ، وان آثارها ما زالت باقية وانه ليس من المستبعد ان تكون دولة الاوروبيين هي بقية الدولة الرومانية او انها على الاقل قامت على انقاضها اقول اذ لم يكن من حقنا ان نرفض أصل الفكرة فليس من حقنا كذلك ان نجزم بها ، ما دامت الادلة الاثباتية تنقصنا.. وعسى ان تهتم وزارة الثقافة اكثر بمجال الحفريات .. وتنظيم الآثار ، وتنسيق المتاحف القائمة . رغم ضآلة محتوياتها ، اذا قيست بمختلف الحضارات الانسانية التى تعاقبت على هذا الجزء من المعمور ، ابتداء من الفينيقيين فالرومانيين ، فالونداليين ، فالبيزانطيين ثم العرب ، واذا كانت هذه الوزارة قد قررت اخيرا بدء حفريات بالبقعة التى كانت تقوم فيها حاضرة سجلماسة ذات التاريخ التجاري الزاهر فاننا نأمل ان تتابع الحفريات فى وليلي ، وفى كل مكان يظن به وجود معالم لمآثرنا وحضارتنا ، وخاصة على شطوط نهر ملوية فى المغرب الشرقي ، حيث نشرت الصحف اخيرا نبأ العثور على بقايا آثار فى نواحي تافوغالت وابركان ، ولان عملا من هذا القبيل سينير الكثير من النقاط الغامضة ، فى تاريخ حضارة هذه البلاد . ومهما تكن الحقيقة ، فان ادريس الازهر قد عمر فاسا ، وكون منها النواة للمغرب المسلم الذى شيد هذه الامبراطورية الاسلامية ، والتي اسسها ابناؤه لفترات من الزمان غير قصيرة ، ما بين الرقعة الممتدة من الاندلس شمالا الى تخوم افريقيا الاستوائية جنوبا ، ومن الاطلسي غربا الى مصر شرقا ، ضامة المغرب العربي الكبير بما فيه ليبيا .. مما يؤكد وحدة هذه الاراضي منشأ وتاريخيا ومصائر ، هذه الوحدة التى اعاد تدشينها ادريس ، حين اظلت رايته بعد المغرب ، اهم مناطق المغرب الاوسط وبخاصة تلمسان التى اقام بها ثلاث سنوات وبنى بها مسجدا جامعا ، كان فيه الى العهود الاخيرة منبر قيل انه من صنع ادريس وتوجد عليه كتابة تثبت هذه النسبة .. وكما حامت شكوك حول باني فاس ومؤسسها ، حامت ايضا شكوك حول تاريخ وفاة ادريس الازهر ، وحول مدفنه بالخصوص ، فاذا كانت الروايات التاريخية التى جمعت بعد القرن الرابع الهجري ، قد تضافرت على القول بأن ادريس الازهر دفن حيث توجد مقبرته ومزارته حاليا بفاس ، فان مؤرخين آخرين يذهبون الى التأكيد بأنه دفن بزرهون قرب ابيه ، وعلى رأس هؤلاء المؤرخين ، نجد التنيسي ، وصاحب أزهار الرياض ، ويرى آخرون انه توفى بافريقيا أي القيروان بحبة عنب شرق بها ... واختلفوا كذلك فى عدد ما خلفه من بنين وبنات ، وان اتفقوا على انه خلف من الذكور عدة ، اوصلهم بعضهم الى اثني عشر ولدا . هم : محمد – عبد الله – عيسى – ادريس – احمد – جعفر – يحيى – القاسم – عمر – علي – داوود – حمزة. وزاد ابن حزم : الحسن والحسين .. ثم اذا كنا اعتبرنا ادريس ضمن الشعراء الذين احتضنتهم فاس ، بل واعتبرناه اول شاعر بها .. فلأننا نرى اولا ان الشعر فى تلك العهود القريبة من الجاهلية وظهور الديانة الاسلامية . وخاصة فى المحيط العربي كان من الضروريات او من لوازم كل شخصية ، حتى انك لا تستطيع ان تستثني واحدا ممن لهم المام ما بالثقافة والفكر الاسلاميين من زمرة الشعراء وحتى اصبح

الشعر بداية ومنطلق كل العبقريات فى خريجي المدارس المسجدية ، ولاننا نرى ثانيا ان الشعر يومئذ كان يقوم مقام النثر وخاصة فى ميدان المراسلات والمساجلات بحيث ان الترسل به كان اكثر ظهورا من الترسل بالكلام المنثور ، وحتى اولئك الذين لم تسعفهم عبقرياتهم لانشاد الاشعار ، كانوا يرددون على افواههم ، متمثلين ، اشعار غيرهم ..

على اننا ، عندما ناخذ فى دراسة اشعار شعراء فاس سننظر بمجهر واقعهم ومفاهيمهم للمفهوم الشعري ، فاذا كان شعراء العصر الحديث ينادون بضرورة الالتزام ، شكلا ومضمونا ، ويرون ان التجديف بالشعر والالحان فى عالم الماورائيات هروب من الالتزام وتخل عن تحمل المسؤولية ، وانسياب الى آخر تعابير العصر الحديث فى الموضوع ، فان اولئك الشعراء الاقدمين بدورهم ، لا يكونون شعراء بالمفهوم العصري اذا لم تسجل اشعارهم اهتمامات عصرهم ، وآمالهم ، وما كان يراود خواطرهم وعقولهم .

وهذه الظاهرة ستعرض لنا فى جل مراحل التطور الشعري بل الادبي فى المغرب — شأن جميع الامم — فعندما كانت هناك انطوائية او انكفاء ذاتي ، كما سنرى لدى ابي علي اليوسي وابن الطيب العلمي وابن زاكور وغيرهم ، ممن خصصوا اجزاء مهمة من اشعارهم للتغني بالكرامات والاولياء والارهاصات .. لم يتمكن شاعر ما من التحرر المطلق من هذه الانطوائية، بل اننا نجد ادبا ممجوجا متكلفا ومرذولا لو نظر اليه بمقاييس زماننا ، وحلل على مقتضى قواعد نقدنا الحديث .

ولهذا فنحن سندرس اولئك القوم من خلال آثارهم وانتاجاتهم ، على ضوء ما كانوا يحيونه ويشعر به مواطنوهم ليومئذ .. فنحن مثلا ابتداء من القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين حيث اخذت معالم المدرسة الرومانسية تظهر فى المجالات الفكرية والادبية اعتقد الناس ان مفهوم كلمة الشعر.. تعني بالدرجة الاولى الغنائية والاخيلة المجنحة ، والعواطف الذاتية ، حتى اذا غزت معالم النهضة الصناعية الحديثة اوروبا، واحدثت طبقة البروليتاريا الكادحة والنقابات العمالية . وحولت الانسان هناك مع ضجيج الآلات البخارية الى شبه آلة صماء تحولت المفاهيم الشعرية والادبية، والفكرية، واصبحنا نرى من ينادون الى الالتزام بالواقع الجهم الكالح تصويرا واشادة او انتقادا .. حتى اذا تبلورت الاتجاهات الاقتصادية تمايزت ضروب الحياة ، رأينا هذا العديد من المدارس الشعرية التي سبق ان اشرنا الى بعضها فى احاديثنا عن رحلتنا مع الشعر العربي .

وكل هذا يفضي بنا الى حقيقة بسيطة ، هي ما يحاول الغيورون على سلامة الشعر الحديث ان يبرزوه ويدعوا اليه — وهي ان الشعر صورة للواقع المعاش ماديا ومعنويا ، وان ليس لشاعر ما ان يتملص نهائيا من واقعه ، او ان يظل على الهامش ، وان اختلفت التأثرات سلبا وايجابا وعمقا وضحالة .. ومن هنا كان ما رايناه. فيما اوردناه لادريس من شعر ومن ادراج اسمه ضمن قائمة الشعراء الذين احتضنتهم فاس ، صوابا ، ولو فى نظرنا على الاقل ، ولعل بهذا تكون قد اجبنا — على العموم — اولئك الذين تفضلوا فكاتبونا منبهين ، والذين لهم منا جزيل الشكر بدا وختاما ..

فاس — عبد الكريم التواتي

أبو الحجاج يوسف الثالث

ملك غرناطة الشاعر



للأستاذ أحمد العراقي

كنا قد نشرنا للاستاذ عبد القادر زمامة بمجلة دعوة الحق (1) عرضا عن مخطوطة اندلسية تحمل اسم « مظهر النور الباصر ، فى أمداح ابي الحجاج الناصر » لجامعها أحمد بن فركون ، وتضم هذه المخطوطة بعض أشعار أبي الحجاج يوسف الثالث ملك غرناطة ــ صاحب الديوان الذي حققه الاستاذ عبد الله كنون (2) ــ بالاضافة الى أشعار كثيرة قيلت فى مدحه ، وقد حمله الاستاذ احمد العراقي هذا على ان يقدم للقراء فصلا من بحث قام به عن هذا الملك دار حول عصره وحياته واثاره وشعره (3) ، وذلك رغبة من الاستاذ فى ان يطلع القراء على صفحة من الصفحات الاخيرة من الادب الاندلسي ...

المرحلة الاولى (؟ ــ 797 هـ)

فى كنف والده

1 ــ من هو ؟ وما هو أصله ؟ :

هو يوسف الثالث ابن يوسف بن محمد الغني بالله ، كنيته ابو الحجاج ولقبه الناصر . وهو ثاني عشر ملوك بني نصر (4) مؤسسي مملكة غرناطة آخر معقل اسلامي فى الاندلس ــ وحاملي لواء الاسلام فى ربوعها مدة تنيف على قرنين ونصف من الزمن (635 ــ 897 هـ)

وبنو نصر ــ هؤلاء ــ عرب خلص ، ينتهي نسبهم الى سعد ابن عبادة سيد انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعيم الخزرج على عهده (5) . وهم يعتدون بهذه النسبة الكريمة ويفتخرون بها ،

(1) دعوة الحق ، العدد العاشر ــ السنة الرابعة عشرة

(2) حققه ونشره سنة 1959 وصدر ضمن مطبوعات معهد مولاي الحسن بتطوان ، وقد أعيد طبعه بمصر سنة 1965 ؛ وهو يحمل اسم : ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث .

(3) أنجز البحث خلال السنة الجامعية 70 ــ 1971 .

(4) وليس ثالث عشر ملوكهم كما يظن الاستاذ عبد الله كنون (فى مقدمة ديوان ملك غرناطة) لان الغني بالله ثامنهم (كما ينص على ذلك ابن الخطيب فى اللمحة البدرية ص: 100) ويوسف هو رابع من جاء بعد الغني بالله .

(5) اللمحة البدرية لابن الخطيب ، ص : 21 .

وقلما ستغني مادحوهم عن الاشادة بها والوقوف عندها (6) .

2 ـ ميـلاده :

لا نعلم سنة ميـلاده بالتدقيـق ، فالمصـادر التاريخية التي بين ايدينا ضنينة من هذه الناحية ، فهي قد اغفلت ذكرها ولم تشر اليها بتاتا . لكن ، لا يستبعد ان تكون واقعة في غضون السنوات الاولى من بداية الربع الاخير من القرن الثامن للهجرة .

ولعله لا يجوز لنا ان نمضي بها الى ابعـد من هذا التاريخ لتوفر الاشارة الى السنة التي احتفـل فيها باعذار والده (السلطان يوسف الثـاني) وهي سنة 763 (7) . كما لا يجوز لنا ان نجعلها بعد هذا التاريخ بكثير ، لكون السلطان يوسف الثاني هـذا تولى الملك سنة 793 هـ واثناء حكمه القصير الذي لم يدم سوى ثلاث سنوات كان قد اختار لولاية عهده ابنه الاكبر وسميه : يوسف ـ صاحبنا ـ الذي كان ـ حسب ما يبدو ـ في سن تؤهله لتحمل المهام . ومما يدعم هذا القول هو ان اخا يوسف (الاصغـر منه) : الامير محمد كان هو الآخر في سن جعلتـه يتذمر من اختيار ابيه ليوسف دونه ، فحاول الثورة ضده وتراجع ، لكنه لما توفي ابوه استطاع ان يدبر ابعاد اخيه ويتولى الملك مكانه . ولم يكـن في هـذه الاثناء صغير السـن بالدرجـة التي تستلفـت نظـر المؤرخين فيشيروا الى ذلك على عادتهم .

واذا صح الذي ذهبنا اليه في تحديد سنـة ميلاده ، جاز لنا القول بأن عمر الامير يوسف عند وفاة والده كان حوالي 20 سنـة أو ينقـص عنـها قليـلا .

3 ـ نشأتـــه :

تفتحت عينا الامير يوسف على نور الحياة في دار الملك بالحمراء ، والمتربع على العرش يومئذ جده الغني بالله. وكانت الحياة التي تدور في القصر ـ آنذاك ـ والتي احاطت بنشأته وتكوين انطباعاتـه الحسيـة والذهنية : حياة مرحة لاهيـة وصاخبـة عنيفـة ، يستلفت نظرنا فيها هذان الوجهـان اللـذان يمكـن اعتبارهما نوعين متميزين من المؤثرات ، كـان لكـل منهما أثره البليغ في توجيه شاعرية الامير وتحديـد مجالاتها .

كان لهذه الحياة وجه مرح لاه ، فالامراء يحبون اللهو ويلذ لهم الانغماس فيه . فهم يعقدون المجالس للانس والطرب ويقيمون النزهات في عرصات وحدائق قصورهم ، يتعاطون الخمر بين حاشيتهم وجواريهم وغلمانهم . ويستمعون الى الموسيقى والغناء الجميل ، تقرض لهم الاشعار ، ويقرضونها هم انفسهم اذا تيسـر لهم ذلك ، ليعبروا عن الرغبـات والعواطـف التـي يثيرها محيطهم الحافـل بضـروب اللهـو والمتعـة والمـــرح .

وكان لهذه الحياة وجه آخر : عابس وجـاد ، فيه صخب وعنف تمليهما مقتضيات السيـاسـة في الداخل والخارج . فرحاب القصر وابهـاؤه تشهـد سلسلة من الخيانـات والمؤامـرات والاغتيـالات ، وتتجاوب فيها أصداء الانتصارات او الاندحـارات في المعارك الحربية المستمرة مع العدو . وهذه وتلك تملأ نفوس ساكني القصر بمشاعر لا تقل عمقا عن المشاعر التي يثيرها المرح واللهو ، وتضرم في القلوب نار الحماسة والشجاعة التي من شأنهـا ان تلهـب شاعرية الشعراء وتلهمهم القول .

ولقد كان لهذه الحياة بوجهيها اثـر بليـغ في نفس الامير يوسف . ونحن نلمســه بوضــوح فـي اشعاره ، فديوانه يضم غزلا كثيرا ويضم الى جانب ذلك شعرا حماسيـا وسياسيا كثيرا ايضا .

هذه صورة لوجهي الحياة التي كانت تدور في القصر والتي احاطت بنشأة الامير واثرت في تكوينه وتوجيهه ـ فيما بعد ـ وفي ظلها كان يتلقى تربيته وتعليمه الخاصين به كأمير . فالقصـر كان يوفـر للامراء الناشئين اسباب التربية التي من شأنها ان تعدهم لمهام القيادة والرياسة التي ينتظر ان تنـاط بهم في المستقبـل : فيسعـى الى تنشئتهـم علـى الفروسية وحمل السلاح ويوظـف لهم المسلميـــن والمربين الذين يسهرون على تأديبهم وتثقيفهم .

---

(6) راجع اشعار الوزير ابن زمرك التي قالها في مدح بني نصر فهي خير ما يتجلى فيه ذلك (ازهار الرياض ج 2 ـ نفح الطيب ج : 10)

(7) نفح الطيب ج 10، ص : 44 .

ولقد كان يوسف يحظى برعاية خاصة من طرف والده ، الذى كان يؤثره بالمحبة والثقة ، ويعهد فيه رجاحة العقل والشجاعة ، ويرى فيه الانسان الجدير بوراثة العرش من بعده . ولم ينس يوسف صنيع أبيه الجميل ازاءه ، فقد رثاه – بعد وفاته – رثاء ماتاعا اشار فيه الى اياديه الكريمة عليه وعنايته واهتمامه البالغين بشؤونه ، يقول : (8)

على ظلال من عناية يوسف
ودوني حسام للخلافة مرهف

تباكرني تترى عوارفه ضحى
وينتابني تسآله والتعرف

فلا همة للقلب فيها تهمه
ولا كلفة للنفس فيها تكلف

وحاجات نفس لم اراقب مكانها
فكان له منه الرضا والتعطف

4 – ثقافته :

انصرف الامير يوسف الى الدرس والتحصيل، وقد تخرج على جماعة ممتازة من العلماء ، اشار الى بعضهم في مقدمة كتابه الذى جمع فيه اشعار الوزير الشاعر ابن زمرك (9) فقد اخذ عن القاضي ابي محمد عبد الله بن جزي . وهو على قول المقري « اديب حافظ ، قائم على فن العربية ، مشارك في فنون لسانية .. جيد النظم مطواع القريحة .. وشعره نبيل الاغراض حسن المقاصد » (10).

واخذ كذلك عن « معلمه الثقة المجتهد » أبي عبد الله الشريسي ، وهو من تلامذ ابن الخطيب ومن مساعديه الاقربين ، امره بنقل كتابه (الاحاطة) من مسوداته . وقد كان مؤدبا لابناء السلطان ومعلمهم القرآن والسنة (11) .

واخذ ايضا عن قاضي غرناطة الخطيب الاستاذ ابي عبد الله محمد ن علي بن علاق المتوفى سنة 806 هـ (12) . وكذا عن ابي المهدي اخي ابي جعفر بن الزيات شيخ الفرقة الصوفية .

هؤلاء زمرة من اساتذة الامير ، نلاحظ فيهم وجود الاديب والفقيه والمربي ، وتحملنا هذه الملاحظة على القول بانه قد تهيات له ثقافة دينية وادبية وانه سار في تحصيله وتعلمه على الطريقة الاندلسية في التعليم التي كانت توفر للنشء تعلم القرآن والسنة الى جانب تعلم العربية والشعر وتجويد الخط (13).

وما ان شب الامير حتى تمكنت منه اريحية الادب فاخذ يطالع ويستوعب ويؤلف ويقرض ، وكفى به شهيدا على نفسه اذ يقول : « ولقد وقفنا من النثر والنظم للعرب ومن جاء بعدهم على موضوعات لا تكاد تحصى ، واستوعبنا على الاجمال والتفصيل من ذلك تأويلا ونصا . وصدرت عنا ناشئات في حجور العناية .. » (14) .

ب – المرحلة الثانية (797 – 811 هـ)

الامير يوسف سجينا

اختير الامير يوسف لولاية العهد من طرف والده – السلطان يوسف الثاني – وقد أثار هذا الاختيار حفيظة اخيه الاصغر منه الامير محمد ، الذى حاول ان يثور ضد ابيه ، لكنه تراجع واسرها في نفسه ، فلما توفي الوالد دبر امره مع الزعماء ورجال الدولة لاقصاء اخيه الاكبر عن العرش ، فقبض

(8) انظر الابيات في ديوانه ، ص : 144 .
(9) وهو كتابه (البقية والمدرك من كلام ابن زمرك) انظر نفح الطيب ج 10 ، وازهار الرياض 2 .
وسنبث في نسبة هذا الكتاب اليه عندما نتحدث عن آثاره .
(10) نفح الطيب ج : 8 ، ص : 54 .
(11) نفح الطيب ج : 9 ، ص : 314 و ج 10 ، ص : 142 .
(12) درة الحجال لابن القاضي رقم 776 – والضوء اللامع للسخاوي ج 8 ، ص : 196 .
(13) المقدمة لابن خلدون ، ص : 538 .
(14) مقدمة ديوان يوسف الثالث ، ص : 2 .

عليه وزج به في قلعة شلوبانية الحصينة : سجن الدولة الرسمي على عهد بني نصر (15)

وظل الامير يوسف سجينا طوال حكم اخيه ، الذي دام نحو اربع عشرة سنة ، وقد كان يعاني من شدة الحجر الذي فرضه عليه حتى يأمن منازعته اياه في الملك .

وطبيعي ان يشعر يوسف ـ بوصفه الابن الاكبر والوارث الشرعي للعرش من قبل والده ـ بانه قد سلب حقه المشروع . وبالفعل ، فقد كان يعي ذلك تمام الوعي في قرارة نفسه ، ويشكو من ابعاده عن الملك وسلبه مدخراته والائتمار عليه بعد اليمين التي اداها جهارا بالوفاء . وهذا ما يستفاد من مقطوعة نظمها بعد خروجه من السجن ، وقد عارض بها مقطوعة لابي العباس المريني ، قالها في ظرف مشابه لظرفه . يقول (16) :

ابعدونا تقلبا ابعدونا
طردونا من ملكهم طردونا
تركونا لما ركنا اليهم
ضحوة الركن جهرة تركونا
سلبونا بعض الذي قد منحنا
من عطايا جزيلة سلبونا
خلفونا بعد اليمين جهارا
ويحهم ما لهم لما خالفونا
حيث عدنا والعود احمد لكن
ان اساؤوا فاننا محسنونا

ومن الطبيعي كذلك ان يشعر يوسف بالغربة والوحشة والضيق ، ولشد ما كان يؤلمه ان يجد نفسه مقسما عن الحضرة وحمرائها والسبيكة فيها والمصلى : انها مغاني الماضي الجميلة التي كان ينعم فيها بالحياة الهنيئة السعيدة ، ويتمتع فيها بالرعاية والعطف في كنف والده وبين اهله واحبابه .

يقول من شعر يغلب انه قيل في السجن (والضمير فيه لابيه وقد كان يرثيه في الابيات السابقة) : (17) :

سأشكوه قومي حين راموا تنقصي
فقد قطعوا الحبل الذي كان يمرر
سلوه فان الدمع اعدل شاهد
وان خفوق القلب ما ليس ينكر
أيصبر عن نجد فؤاد متيم
وتنسى ليالي بالمصلى وتكفر
فان غبت عن نجد فليس بغائب
ضمير يناجي او فؤاد يفكر

ولعله كان يخاطب اخاه محمدا الذي ابعده وشدد عليه في الحجر ، عندما قال من نفس القصيدة مشيرا ـ فيما يبدو ـ الى الجفاء الذي كان يعامله به (18) :

اضمرتم غدرا لاظهاري الوفا
واظهرتم ضدا لما انا اضمر
الستم بنا التكلى اذا حان حيننا
وركنكم المهدوم حين يقدر
ابوكم صريح الاصل لكن اخاؤكم
لعلات سوء ليس فيهن خير

وهنالك اشعار اخرى يؤخذ منها ان صاحبنا كان يعاني شعورا بالضياع والوحشة والغربة والجفاء في المعاملة . لكن الاشارة الى مبعث ذلك غامضة ، يغلب عليها عدم الوضوح التام ، الامر الذي يحملنا على التزام التحفظ في اعتبار انها تدل على حالته ونوع المعاملة التي كان يتلقاها خلال اقامته في السجن .

ويجدر ان نشير انه مما لا شك فيه ان شاعرية الامير يوسف قد استيقظت في هذه المرحلة من حياته وانه قد بدا يقرض الاشعار خلالها . ولعل بعض هذه الاشعار مبثوث في ديوانه ، ويغلب ان تكون من هذه القصائد التي ينص على انها من اوليات نظمه ، والتي يغلب على مضمونها عدم وضوح دلالته التام ، الى جانب ما فيها من الاضطراب في الصياغة الذي يرافق عادة بداية ممارسة الشعر .

وقد بقي الامير يوسف في السجن الى سنة 811 هـ ، وهي السنة التي توفي فيها اخوه محمد.

ـ يتبع ـ

فاس ـ أحمد العراقي

---

(15) وشلبونية هذه (Salobrena) من اعمال ولاية غرناطة تقع في الجنوب على شاطىء البحر الابيض المتوسط . يقول ابن الخطيب عنها في اللمحة البدرية ص : 19 « اقليم شلبونية وفيه المعقل العظيم بشاطىء البحر فيه للسلطان قصور نبيهة وبساتين عظيمة » .

(16) انظر المقطوعتين في الديوان ، ص : 127 و 128 .

(17) ديوانه ، ص 67 ـ 68 .

(18) ديوانه ، ص : 69 .



تحررا من الوزن التقليدي بدأ التجديد في القافية فظهرت المخمسات في القصائد الدورية وهي ان يؤتى بخمسة اقسمة من وزن وقافية ، ثم بخمسة اخرى من نفس الوزن مع اختلاف القافية وهكذا الى نهاية القصيدة (1) ومثاله هذه المخمسة لابن جيان :

الله زاد محمدا تكريما
وحباه فضلا من لدنه عظيما

واختصه في المرسلين كريما
ذا رافة بالمومنين رحيما

صلوا عليه وسلموا تسليما (2)

وطلبا للتنويع والانطلاق من القافية الواحدة ، ظهر الشعر المسمط واشهره المخمسات، والشرط في الشعر المسمط ان تتكرر قافية القسيمة الخامسة التي تسمى عمود القصيدة ، اما الفرعية فللشاعر مطلق الحرية في اختيار عددها ، ومن هذه المسمطة لتميم بن المعز :

دم العشاق مطلول
ودين الحب ممطول

وسيف اللحظ مسلول
ومبدي الحب معزول

فبح يا أيها الكاتم (3)

فهل شروط المخمس في الشعر الدوري او المسمط التي ذكرنا متوفرة في قصيدة الاديب مالك بن المرحل في المدح النبوي ، اي انها مخمسة كما جاء في النفح (4) وكما وردت عند الاستاذ عبد الله كنون (5) .

اننا حين ننظر الى القصيدة على شكلها الذي وصلتنا عليه في المصدرين نجدها على الصفة الآتية :

لف اجل الانبياء نبيء
بضيائه شمس النهار تضيء

وبه يؤمل محسن ومسيء
فضلا من الله العظيم عظيما

صلو عليه وسلموا تسليما

وبالمقارنة لا نحصل على مخمسة وفق الشروط السابقة في الدوري او المسمط ، فلا المخمسة موحدة القافية ، ولا قافية القسيمة الخامسة منفردة ومختلفة عن الاقسمة الاربعة قبلها ؛ وبذلك تفقد القصيدة شروط المخمسة في الشعر او المسمط ، الا اذا كنا سنطلق هذه الصفة باعتبار عدد الاقسمة .

فما هو الشكل الاليق اذن لكتابة هذه القصيدة ؟ وضمن اي صنف من الشعر يمكن ادراجها ؟

---

(1) في الادب الاندلسي : الدكتور جودت الركابي ، ص : 292 .
(2) نفح الطيب : المقري ، ج 10 ، ص : 287 .
(3) من التوشيح : الدكتور عوض الكريم ، ص : 52.
(4) نفح الطيب : ج 10 ، ص : 305 .
(5) ذكريات مشاهير رجال المغرب ، كراس رقم 8 .

الجواب عن السؤال الاول ياتي بكتابة الاقسمة الثلاثة الاولى من كل مخمسة متتابعة وختمها بالقسيمتين الاخيرتين ذات القافية الموحدة هكذا :

الف اجل الانبياء نبيء

بضيائه شمس النهار تضيء

وبه يؤمل محسن ومسيء

فضلا من الله العظيم عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

باء بدا في افق مكة كوكبا

ثم اعتلى فجلى سناه الغيهبا

حتى انار الدهر منه واخصبا

اذ كان فيض الخير منه عميما
صلوا عليه وسلموا تسليما .. الخ

اما الجواب عن السؤال الثاني ، فياتي بالنظر الى القصيدة من جديد حين لا يبقى اي شك في انها موشح، كل بيت منه مكون من دور وقفل تختلف منه قوافي الادوار وتتحد قافية الاقفال ، وبذلك لا نجد اي حرج في تطبيق قواعد الموشحة عليها حسبما استخلصه ابن سناء الملك في كتابه دار الطراز على اعتبار انها موشح اقرع (6) .

فاذا تجاوزنا اوليات هذه الشروط الواجب توفرها في الموشح بمختلف اجزائه وانتقلنا الى الاوزان وجدناه يقسم الموشحات من ناحية وزنها الى قسمين : ما جاء على بحور الشعر ، وما خالف اوزان العرب ولم يخضع لعروض الشعر التقليدي ، فالقسم الاول يراه اشبه بالمخمسات ويعده مرذولا لا ينظمه في رايه الا الضعاف من اصحاب صنعة التوشيح .

اما القسم الثاني فيفرضه الغناء اكثر من الانشاد. وهو الكثير الشائع في الموشحات (7) ، فمن اي الاقسام تكون موشحة ابن المرحل هذه ؟

حين نمعن النظر في هذا الموشح ، نجده يسير على اوزان الشعر العربي ما في ذلك شك ، متخذا من بحر الكامل اطارا له ، اي انه من القسم الاول حسب تقسيم ابن سناء الملك ، فهل معنى ذلك انه مجرد مخمسة او من الصنف المرذول ؟ وبالتالي هل كان ابن المرحل وشاحا ضعيفا ؟ .

اما كونها موشحة ، فلا جدال في ذلك ، اذ يرى مصطفى عوض الكريم ان الموشح في ابسط صورة يمكن ان ترمز لقوافيه بترتيب الحروف هكذا :

ا ا ا
ب ب
ح ح ح
ب ب
د د د
ب ب

(وهذه بالضبط صورة الموشح الذي بين ايدينا) وامثلته كثيرة بين الموشحات (8) ، واحسان عباس بدوره يرى ان التاثر بين الشعر والموشح كان متبادلا، وان الموشح الشعري هو النقطة المتوسطة بين الموشحة الغنائية والقصيدة (9) .

اما عن فن التوشيح عند ابن المرحل، والى اي مدى وصل فيه ، فجوابه نجده : اولا عن صاحب كتاب توشيع التوشيح (10) الذي يذكر ابن المرحل من وشاحي المغرب ، حتى ولو لم يورد له موشحا واحدا.

ويتولاه ثانيا تلميذ ابن المرحل ، القاضي ابن عبد الملك المراكشي حين يقول عنه : كان مكثرا من النظم مجيدا ، واشتهر نظمه وذاع وكلف به العامة والخاصة وصار راسمال المستمعين والمغنين (11) .

وكان من الشهادتين تكمل الاخرى ، فلا تدع مجالا للشك في ان ابن المرحل كان وشاحا مشهورا على اعتبار ان الموشحات كانت من الكثرة والشهرة صارت معها راسمال المستمعين والمغنين ، وذلك كان غرض

---

(6) الموشح الاقرع اي الذي لا مطلع لـه .
(7) دار الطراز ص 33 نقلا عن (فن التوشيح) و (في الادب الاندلسي) .
(8) فن التوشيح : الدكتور عوض الكريم ص 57 .
(9) تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين ص : 246 .
(10) توشيع التوشيح لصلاح الدين الصفدي .
(11) مطبوعات كلية الآداب بالرباط سنه 1964 .

القسم الثاني من تقسيم الموشحات من ناحية الاوزان عند ابن سناء .

الى جانب ما سبق ، لا نعدم موشحات اعتمدت الاوزان الشعرية العربية لوشاحين مشهورين سلكوا فيها مسلك اديبنا الوشاح مالك بن المرحل ونهجوا سبيل نظمه كابن نباته فى موشحه على البحر الوافر(12)

الي بكاسك الاشهى اليا
ولا تبخل بمسجدها عليا

معتقة تدار على الندامى
كأن على ترائبها نظاما
من الراح التى محت الظلاما

أضاءت وهي صاعدة الحميا
فقلت عصير عنقود الثريا

ولم يمنع صاحب فن التوشيح من ادراجها ضمن مختاراته (13) فاذا استحق الوشاح التلميذ وموشحه هذه العناية البالغة ، فلا يجمل بنا نعت ابن المرحل بغير ما يناسب مكانة الاستاذ فى هذا الباب .

كما نجد موشحات اخرى لوشاحين اندلسيين مشهورين اتت قوافيها حسب تلك الصوره التي وسمها الدكتور عوض الكريم سابقا بالبسيطة ، من ذلك موشحة ابن الخطيب التي لم تغير طريقة كتابتها على صورة مخمس من نزع اسمها عنها وهي :

رب ليل ظفرت بالبدر
ونجوم السماء لم تدر

حفظ الله ليلنا ورعى
أي شمل من الهوى جمعا
غفل الدهر والرقيب معا

ليت نهر النهار لم يجر
حكم الله لي على الفجر (14)

فحين نعيدها على شكل موشح تصبح هكذا :

رب ليل ظفرت بالبدر
ونجوم السماء لم تدر

حفظ الله ليلنا ورعى
أي شمل من الهوى جمعا
غفل الدهر والرقيب معا

ليت نهر النهار لم يجر
حكم الله لي على الفجر

وهكذا الشان مع موشحة ابن باجة المشهورة فى ممدوحه ابن تافلويت :

جرر الذيل ايما جر
وصل الشكر منك بالشكر

خضب الزند منك باللهب
من لجين قد حف بالذهب
تحت سلك كجوهر الحبب

مع احوى واعذب الشنب
اودعت كفه من السحر
جامد الما وذائب التبر (15)

فكل من الموشحتين يحتفظ بقافية الاقفال الموحدة فى القصيدة واختلاف فى قوافي الادوار .

ولعل ان يكون فيما قدمنا ما يزيل البخس الذي يعيشه ادباؤنا نتيجة الاهمال وان يكون بمثابة لبنة من مجموع اللبنات التي تقدم للتعريف بالادب المغربي والخروج به من كهوف النسيان ودهاليز التقادم .

فاس : محمد العلمي حمدان

---

(12) جمال الدين محمد بن نباته الجذامي ولد بالقاهرة 686 / 768 كان من الشعراء المشهورين واديبا عالما .

(13) فن التوشيح ، ص : 234 (المختارات) .

(14) فن التوشيح ص 213 .

(15) فن الادب الاندلسي : ص 319 .

مؤلفات الشيخ زروق

عدد شروحه على الحكم العطائية

للأستاذ عبد القادر التكادي

من بين الاعلام الذين ظهروا على راس مسرح قادة الحركة العلمية والفكرية فى العالم العربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) العلامة ، المحدث ، الفقيه ، الرحالة الناقد ، الصوفي ، ابي العباس احمد بن احمد بن محمد البرنسي ، الشهير بالشيخ زروق ، المعروف بمحتسب الصوفية ، المزداد سنة (846 هـ — 1442 م) (1) بمدينة فاس الغراء ، والمتوفى عام 899 هـ — 1493 م) بزاويته الكائنة بتكرين من قرى مصراته ، من أعمال طرابلس الغرب ، صاحب التآليف العديدة ، التى قال فيها غير واحد من المؤرخين ، وفى مقدمتهم الشيخ ابو العباس أحمد بابا التنبكتي المزداد سنة (963 هـ — 1556 م والمتوفى عام 1036 هـ — 1627 م) (2) ما نصه :

« واما تآليفه فكثيرة، يميل فيها الى الاختصار، مع التحرير ، ولا يخلو شيء منها عن فوائد غريرة ، وتحقيقات مفيدة ، لا سيما فى التصوف ، فقد انفرد بمعرفته ، وجودة التاليف فيه .. » (3) .

ومن جملتها : شروحه على الحكم ، لابي العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري (709 هـ — 1309) (4) التى اختلف فى عددها كثير من كان له اعتناء بتآليفه ، منهم :

1 — ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن الحسن بن مصباح المعروف بابن عسكر (5) المتوفى فى وقعة وادي المخازن الشهيرة .

قال فى كتابه القيم « دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر » (39) :

---

(1) راجع ترجمته فى جذوة الاقتباس ص 60 والبستان 45 — 50 والضوء اللامع ج 1 ص 222 ، والمنهل العذب ج 1 ص 181 وشذرات الذهب ج 7 ص 363 وشجرة النور 267 ومعجم المطبوعات 965 والخزانة التيمورية ج 3 ص 121 ومشاهير رجال المغرب بقلم اديب المغرب الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون .

(2) راجع ترجمته فى « صفوة من انتشر من اخبار صلحاء الحادي عشر » ص : 25 ، والمحبي ج 1 ص 170 ، وفهرس الفهارس ج 1 ص : 76 . وآداب اللغة ج 3 ص 321 ، ودائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص : 458

(3) عن الجزء الثالث والعشرين من ذكريات مشاهير رجال المغرب ص 25 .

(4) الدرر الكامنة ج 1 ص 273 ، والرحلة العياشية ج 1 ص 357 ، وكشف الظنون ص : 675 ، وخطط مبارك ج 7 ص 69 ، ودائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص : 240، ومعجم المطبوعات ص : 184 والشرح السابع عشر على الحكم ص : 3 مخطوط الخزانةالعامة بالرباط المحفوظة تحت رقم 464 ق، داخل مجموع .

(5) راجع ترجمته فى الاستقصاء ج 5 ص 81 — 82 الطبعة الثانية .

« أخبرني شيخنا ابو محمد الهبطي (6) رضي الله عنه ، انه شرح الحكم لابن عطاء الله المعروف بتاج الدين ثمانية عشر شرحا ما بين مطول ومختصر »

2 ـ الشاعر الصوفي عبد المجيد بن علي الزبادي (1113 ـ 1163 هـ / 1 ـ 1702 ـ 49 ـ 1750) (7) قال في رحلته الحجازية المسماة « بلوغ المرام ، بالرحلة الى بيت الله الحرام » (8) (38) :
« .. وبقيه شروحه على الحكم وهي كلها نيف وثلاثون ، والذى كمل منها نيف وعشرون »

3 ـ ابو عبد الله محمد بن علي الخطابي الحسني الادريسي الصوفي (1202 ـ 1276 هـ / 1787 ـ 1859 م) (9) قال في آخر نسخة من الشرح السابع (10) اشتراها في آخر شهر المحرم سنة ثلاث وستين ومائتين والف (1846 ـ 1847) عن الطالب أبي محمد عبد الله بن احمد التازي ما نصه :

« وقد اخبرني من اثق به ان عدد شروحه تنيف عن الثلاثين المكمول منها ثمانية عشر » .

4 ـ ابو الثناء زين العابدين العراقي (1213 ـ 1798ـ1799) (11) قال في آخر نسخة من الشرح الثامن (12) مبتورة الاخير يتخللها خرق في الورقات : السادسة والسابعة ، والتاسعة والعاشرة، والخامسة عشر ، والثامنة عشرة : « ومما وقفت عليه بخط شيخنا السرغيني (13) رحمه الله ونفعنا بعلومه في آخر نسخة قديمة من « اعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين » ، « عدد تآليفه رحمه الله ورضي عنه تنيف عن الستين منها : شروحه على الحكم العطائية تسعة عشر » .

يبدو من خلال هذه الروايات التى ذكرناها ان ما كتبه عملاق هذا الجزء الاقصى من الوطن العربي الذى كان في مقدمة الركب الحضاري خلال العصور الوسطى والذى صار اليوم في طليعة الدول النامية بفضل العمل الجدي المتواصل من طرف رائده وملهمه وقائده جلالة الحسن الثاني ادام الله عزه ونصره وحكومته الموقرة ، في هذا المضمار لم يكتب لاحد من الباحثين الدارسين لتراثه الفكري ان اطلع عليه كله . ولعل السبب في ذلك يرجع الى عاملين اساسين هما :

ا : كثرة جولاته التى كان يقوم بها من حين لآخر في بعض اقطار العالم العربي قبل استقراره نهائيا بالقطر الليبي .

---

(6) توفي سنة (963 هـ / 1555 ـ 1556 م) وهو تلميذ مترجمنا ، راجع ترجمته في دوحة الناشر ص : 6 ـ 13 .
(7) راجع ترجمته في مجلة دعوة الحق عدد : 8 و 9 ـ 10 ، سنة 1966 م .
(8) توجد منها نسختان في الخزانة العامة بالرباط احداهما تحمل رقم : 1808 د والاخرى 398 ك وهي أصح .
(9) راجع ترجمته في المنهل العذب ج 1 ص 374 ، وفهرس الفهارس ج 1 ص : 68 ، وحاضر العالم الاسلامي ج : 1 ص : 277 الطبعة الاولى . وشجرة النور الزكية ص : 399 . والاعلام للزركلي ج 7 ص 192 .
(10) توجد منه نسخة جيدة في خزانة القسيس مكيل الاسباني القاطن حاليا ببرشلونة يرجع تاريخ نسخها الى أواخر المحرم سنة تسع والف بخط مغربي سريع جميل، وبهامشها تعاليق كثيرة ، من جملتها تعليق ورد في الورقة الاولى (ب) بخط ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن احمد التستاوتي جاء فيه ما نصه : « الحمد لله الذى من علينا بمطالعة هذا الشرح السابع لمحدث مغربنا سيدي احمد بن احمد بن محمد البرنسي نسبا الفاسي منشئا المصراتي مدفنا الشهير بزروق رحمة الله عليه اثر وصولي الى طيبة في السابع عشر من شهر شعبان الابرك عام احدى وعشرين بعد الالف . كتبه افقر العباد الى رحمة ربه (اسمه) صبيحة يوم الجمعة سادس شوال عام احدى وعشرين (شكله) .
(11) راجع ترجمته في السلوة ج 3 ص 33 ـ 34 .
(12) توجد نسخة منه في خزانتنا . خطها مغربي سريع متوسط عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ
(13) راجع ترجمته في النشر المثاني ج 2 ص : 259 ـ 263 .

ب : عدم انتباه مترجميه الى ما صرح به في بعض شروحه التى هي موضوع بحثنا فى هذه العجالة . من بينها :

1 ـ الشرح الحادي عشر (14) الذى الفه بفاس حسبما جاء في آخره : « وكان الفراغ من تعليقه تبييضا في اواخر ذي القعدة سنة احدى وثمانين وثمانمائة عرفنا الله خيره ، وخير ما بعده الى الأبد بمنه وكرمه . وكتب بخط يده الفانية احمد بن احمد بن عيسى البرنسي ثم الفاسي اصلح الله حاله بمنه وكرمه وذلك بمدينة فاس المحروسة وبالسبطريين من حارة جامع القرويين عمره الله بدوام ذكره آمين آمين آمين يارب العالمين » والذى تحدث عن ترتيبه فى نص قيم مستقل قبل الخاتمة جاء فيه بعد البسملة والتصلية :

« لم يبق بعد هذا الباب ، الا جامع الكتاب ، ومداره على ستة أبواب ، منها ثلاث مكاتبات وسؤال، ثم بابين فى المناجاة . فاما جملة الابواب قبل ، فخمس وعشرون بابا . اولها : من علامات الاعتماد ، الثاني : فى ارادة غير المراد ، الثالث : فى النقصان والازدياد ، الرابع : فى التوجه للحق أو للعباد . الخامس : فى الصحبة وما منها يستفاد ، السادس : فى احكام القلوب، السابع : فى الطمع الغير المحبوب، الثامن : فى الواردات ، التاسع : فى المطالب والتوجيهات ، العاشر : فى جزاء العمل ، الحادي عشر : فى احكام البلايا والعلل ، الثاني عشر : فى الاوراد ، الثالث عشر : فى المقصد والمراد ، الرابع عشر فى احكام العلل فى الاعمال ، الخامس عشر فى المدح والذم على الاحوال، السادس عشر : فى اسباب التنصل من الذنوب ، السابع عشر : فى احكام الولاية والعناية ، الثامن عشر : فى وجه الطلب للمطلوب ، التاسع عشر : فى ترك الطلب ، العشرون : فيما يتعلق بالكرامة من الادب ، الحادي والعشرون : فى احكام الالتباس ، الثاني والعشرون : فى احكام الانوار والانفاس ، الثالث والعشرون : فى الحقائق والاسرار ، الرابع والعشرون : فى المنافع والمضار، الخامس والعشرون : فى رفع الهمة والاستكبار وهو الباب المختتم بهذه الخاتمة والسلام » .

قال فيه اثناء ترجمته لابن عباد الرندي (733 ـ 792 هـ /1333 ـ 1390) (15) ما نصه : «وجملة التعاليق التى وقعت لنا عليه ستة عشر (16)، الكامل منها احدى عشر .

الاول : كتبته فى سنة سبعين وثمانمائة ببلدنا ثم سرق قبل تحقيقه وتصحيحه .

الثاني : كملته بتونس فى سنة أربع وسبعين وسماه شيخنا الزواوي (17) بـ : « تنبيه ذوي الهمم على معاني الفاظ الحكم » .

الثالث : وضعته بها فكمل فى اقل من هذا وسميته : « الطرر والحواشي » .

الرابع : كتبته بها فى سنة سبع وسبعين وحملت نسختي منها بطرابلس .

الخامس : كتبته بطيبة المشرفة وسميته بـ : « اللامعة الرسمية على الكلمات الحكمية » .

---

(14) توجد نسخة منه فى خزانة خاصة بخط تونسي جميل ، وقع الفراغ من انتساخها فى أواخر ذي الحجة عام خمسة عشر وتسعمائة على يد ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الصفاقصي . وتوجد ايضا نسخة منه فى الخزانة العامة بالرباط تحمل رقم 401 ج عارية عن تاريخ النسخ واسم الناسخ بخط مغربي مليح . عدد صفحاتها : 342 . مسطرتها : 20 ، مقياسها 200 / 150 .

(15) راجع ترجمته فى جذوة الاقتباس ص 157 نسخة خطية ، ووفيات ابن قنفذ ص 75 نسخة خطية. ونفح الطيب ج3 ص 178 ـ 138 الطبعة الاولى ، ودائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص : 220 ، ونيل الابتهاج ، بهامش الديباج ص : 279 ، ومعجم المطبوعات 157 ، والكتبخانة ج 2 ص 97 ثم ج 4 ص 256 ، ومجلة الاندلس سنة 1936 ص 1 ـ 71 بالاسبانية ، والاعلام للزركلي ج 6 ص 190.

(16) فى نسخة الخزانة العامة : سبعة وهو خطا

(17) هو ابو العباس احمد بن عبد الله الجزائري الزواوي صاحب اللامية فى علم الكلام التى شرحها الامام السنوسي (800 ـ 884 هـ / 1398 ـ 1479 م) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ج 1 ص 374 والدرر الكامنة ج 1 ص 273 ، والرحلة العياشية ج 1 ص 357 ، وكشف الظنون ص 675 ، وخطط مبارك ج 7 ص 69 ، والاعلام للزركلي ج 1 ص 153 .

السادس : وضعته بمصر فكمل مختصرا من غير نقل .

السابع : اردفته الذى قبله بمصر وهو اوسع منه فاخذ عني وقريء علي هناك وسميته بـ : « النكيتات الفهمية على الكلمات الحكمية »

الثامن : كتبته ببجاية فى سنة ثمان وسبعين فقريء علي وصحح ونحوت فيه نحو الذى بمصر تسمية وصناعة هي سبك الكلام بعضه ببعض حتى كأنه تاليف واحد .

التاسع: كتبته ببلدنا فى سنة ثمانين وثمانمائة.

العاشر : اردفته به فى سنة احدى وثمانين . وكان كتبه فى شهر رمضان فكمل بزيادة يومين .

الحادي عشر : هو الذى انا له واصف وارجو من الله عموم النفع به ، والتى لم تكمل خمسة (18) منها :

واحد بمصر ، والثاني بالمدينة المنورة (19) ، والثالث بطرابلس ، والرابع ببجاية ، والخامس ببلدنا، وفائدة الكل التى اختصت به ثلاث .

اولها : اظهار مناسبة الكلام حتى كأنه كلمة واحدة ، وذلك يظهر فضل بلاغته .

الثاني : التقسيم واظهار الحكم والعلل .

الثالث : فتح الباب فى فهم ما اغلقه الغير من فهم معانيه . والله سبحانه يفتح على من شاء وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما » .

2 ــ السابع عشر (20) الذى الفه بالقاهرة فى اواخر ذي الحجة عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة ، قال فيه بعد كلام طويل تعرض فيه لحياة ابن عطاء الله وحياة ابن عباد الرندي وعدد الذين تناولوا بالشرح والتحليل هذه الحكم ما نصه :

« وقد كنا كتبنا عليه مرارا عديدة كمل منها ، وان كان الاول منها بمدينة فاس سنة سبعين ، ثم سرق ، فكتبت الثاني بها وكملته بتونس ، ثم الثالث بتونس ثم الرابع : بالقاهرة ثم الخامس : بالمدينة المشرفة ، ثم السادس والسابع : بالقاهرة ايضا، ثم الثامن : بطرابلس ، ثم التاسع : بتونس ايضا ، ثم العاشر : ببجاية ، ثم الحادي عشر ، والثاني عشر : بمدينة فاس ، ثم الثالث عشر : كذلك ، وكذلك الرابع عشر : ثم الخامس عشر : ببجاية ايضا ، ثم السادس عشر : بالقاهرة ايضا ، ثم هذا هو السابع عشر ، وارجو الله ان يكون نفعه عاما وان يجعل حيث ما حل رحمة لعباده ، وبركة من بلاده ، وان يحميه من جاهل يتجاهل او حاسد يعرف الحق ويتجاهل انه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

---

(18) فى نسخة الخزانة العامة : ستة

(19) فى نسخة الخزانة العامة : « بالمدينة المنورة » بياض .

(20) توجد منه نسخة فى خزانة اسكوريال باسبانيا بخط مغربي جميل ، وهي من انتساخ ابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن عبد الملك اليملحي ، وقع الفراغ منها : « فى تاسع رجب الفرد عام خمسة والف بجامع الاندلس العتيق (بفاس) (فى الاصل خرق والزيادة حسب سياق الكلام) : على يد الضعيف الحقير الى عفو ربه (اسمه) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين . وتوجد ايضا منه نسخة فى الخزانة العامة بالرباط داخل مجموع يحمل رقم: 464 ق، بخط شرقي وسط، عارية عن تاريخ النسخ واسم الناسخ وفيها زيادات . وقد كتب على الوجه الموالي للغلاف من الورقة الاولى ما نصه : « الكتاب السابع عشر من شرح الحكم لابن عطاء الله الاسكندري ، تاليف الشيخ العارف بالله تعالى ابي العباس احمد بن امحمد (كذا) البرنسي الفاسي عرف بزروق نفع الله فى الدارين آمين آمين ، مالك العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير محمد بن احمد بن خفاجى بن منير غفر الله له وممن قرا فيه ودعا له وغفر له لمؤلفه شرحا ومتنا » . اما ما كتب بعد الختم فهو :

« اني سالتك بالله الذى خضعت ... له السموات فهو الواحد الباري
مهما تصفحته اغفر لكاتبه ... لعل كاتبه ينجو من النار »

3 ـ الثاني والعشـرون (21) الـذى كتبـه بزاويته عام سبعة وتسعين وثمانمائة جاء فى الورقة الثالثة / ب / ما نصه :

« وقد كنا اشرنا مرتين الى ما كتبنـاه على الحكم العطائيـة التوحيديـة الموهبيـة العرفانيـة (   ) (22) عبارته رائقة جامعة ، واشارتـه فائقة ناقمة ، مع صغـر حجمـه واتسـاع علمـه ، وسهولة فهمه ، وتناسب نظمه ، اذ كله داخل فى كله ، واوله مرتبط بالآخير من قوله ، فكل باب منه مكمل للذى قبله ، والذى قبله ايضا كانه شرح له، وكذلك كل حكمة وكلمـة ، وانما هـي كالتكملـة او المقدمة ، فأوله آخره ، وباطنه ظاهـره ، واوسطـه طرفاه ، وكله منتهاه ومبتداه (   ) (23) .

الاولى : فى الحادي عشر الذى اخـذ عنـي ببجاية سنة

الثانية : فى السابع عشر الذى قـريء عنـي بالمدينة المنورة فى شهر رمضان المعظم « الذى انزل فيـه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» عام خمسـة وتسعين بعد المائة الثامنة .

اما هذ الذى انا لـه واصـف فهـو الثانـي والعشرون (24) . وارجـو من الله عـز وجـل أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح والرشاد وان يجعـل نفع هذا التقييد عاما أين ما حل وسار ، وان يقيـه من شر كل مخلوق سيئاته حسناته ، حرامه حلاله ، ظلاله نوره جهله علمه . وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير آمين آمين آمين يا رب العالمين ، وصلى الله وسلم على اشرف المخلوقات على الاطلاق سيدنا محمد ابن عبد الله وعلى آله واصحابه اجمعين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » « الله لا اله الا هو ، الحي القيوم ، لا تاخذه سنة ولا نوم » « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسليـن والحمد لله رب العالمين » . وقد وافق الفراغ منـه صبيحة يوم الخميس سادس رجب الفرد عام سبعة وتسعين على يد مؤلفه احمد الضعيف بن احمد بن محمد البرنسي الفاسي شفاه الله ووقاه شر خلقه »

بعد هذه النصوص القيمة التى اوردناها والتى كشفت لنا النقاب لاول مرة عن عدد شـروح قطب المغرب بالضبط ، يجدر بنا ان نشير الى أن عدد المصادر التى اعتمد عليها فى هذا الصدد تنيف عن خمس وستين مصدرا حسبما صرح به فى الشرح الثانـي والعشريـن (106) ب ، حيـث قـال : « راجعين فى ذلك لما ينقل من معادنه وعدد 65 ، او يفتح الله به من كريم خزائنه ، تارة باللفظ ، وتارة بالمعنى ، وتارة بذمة المذهب على صحيح المبنى كل ذلك حسب الوسع والتيسير وطباق ما انتهى اليه فهمي القاصر ، وعلمي القصيـر ، مع الاعتـراف برتبة ابن عباد وأمثاله » .

ـ للبحث بقيـة ـ

الرباط : عبد القادر النكادي

(21) توجد منه نسخة فى خزانة خاصة بخط اندلسي لا باس به وهي من انتسـاخ ابـي ابراهيـم بن اسحاق بن احمد بن محمد بن عبد الكريـم التلمساني الطرابلسي . وقع الفراغ منها : « صبيحة يوم (الـ   ) (كذا) سادس جمادى الاولى عام تسعة وتسعمائة على يد الضعيف الحقير المفتقر الى رضوان ربه وعونه (اسمه) والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلىآله وصحبه « سبحـان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

(22) فى الاصل خرق حوالي ثلاث كلمات .

(23) فى الاصل خرق حوالي ست كلمات

(24) فى الاصل بياض والزيادة حسب سياق الكلام .



مفخرة من مفاخر رجالات المغرب المسلم

للأستاذ الحاج أحمد سعنينو

نسبـــه :

حدث ابو زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ابي محمد صالح رضي الله عنهم ، ان نسبهم قرشي من بني امية بني عبد شمس من ذرية عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه .

اما في بلاد المغرب فهو من عشيرة بني حي فخذ من افخاذ بني نصر من قبيل بني ماجر وبنو نصـــر جميعهم هساكرة .

قال ابن خلدون بني ماجر فريق من دكالة ، ان دكالة في ساحة الجبل « الاطلس » من جانب الجوف مما يلي مراكش ، الى البحر من جانب الغرب . وهناك رباط اسفي المعروف ببني ماكر من بطونهم كبيت بني امغار ، وبيت البوعناتيين ، وبيت المشترائيين، وبيت صنهاجة ، وبيت بني دغوغ ، وبيت رجراجة .

وقد ألف الاستاذ الكانوني في نسب هذا البيت الطاهر كتابا سماه :

البدر اللائح من مآثر آل ابي محمد صالح .

يقول المؤلف : في عهد دولة الموحدين ظهر العالم الصالح الداعية ابو محمد صالح الماجري المتوفى سنة 631 هـ (1) واولاده الشيوخ الائمة ، وتلامذته البررة الاطهار ، الذين آزروه وساعدوه في نهجه القويم ، وعلمه النافع .

---

(1) ويعد هذا العصر 580 ـ 658 من ازهر عصور المغرب الموحدي ، ويصفه المؤرخون بأنه انضر حقبة في تاريخ الموحدين ، فقد تميـز بالاستقـرار والهدوء، وانتشار الامن حتى كانت الظعينة تخرج من بلاد «نول» فتنتهي الى «برقة» وحدها لا ترى من يعترضها او يعرض لها ، ولا من يسومها بســوء كتاب الاستقصا ص 117

وتميز ايضا بالرخاء والرفاهية والبهجة . فكانت ايام المنصور كأيام ابيه يوسف عبارة عن اعياد واعراس ومواسم لم ير اهل المغرب اياما قـط مثلها ، كما يقول المؤرخ عبد الواحد المراكشي الذى عاش فيـه اهـ .

كانت الدولة الموحدية في اوج عظمتها وقوتها ، وكانت رقعتها تمتد من حدود مصـر الى التخـوم المجاورة للممالك المسيحية بالاندلس .

بيت ابا محمد صالح الماجري

يقول الكانوني في كتابه «اسفي وما اليه» صفحة 21 ـ هذا البيت الجليل القدر . عظيم المنزلة ، غني بكثرة رجاله وعظمائه ، وناهيك ببيت انجب : مثل الشيخ ابي محمد صالح الماكري صاحب رباط اسفي الشهير المتوفي سنة 631هـ واولاده الشيوخ الاجلاء الفقيه الامام الخطيب الورع ابو القاسم بن محمد الماجري ثم الازموري من أهل السابعة ، والاستاذ المقريء المفسر ، ابو القاسم بن محمد الماجري الازموري ثم الفاسي ، نزيلها المتوفى بها سنة 911 هـ والفقيه القاضي ابي عبد الله محمد بن الطيب الماجري العبدي قاضي اسفي وعبدة في صدر القرن الماضي، والاستاذ الفقيه الصالح النفاع الحاج محمد بن رحال الماجري النجاوي العامري ذو المدرسة الشهيرة ، والنفع العميم ، المتوفى سنة 1334 هـ وولديه الفقيهين الفاضلين ابي عبد الله السيد محمد الكبير ، وابي عبد الله السيد محمد الصغير حفظهما الله ويقول : لسان الدين بن الخطيب السلماني « في معيار الاختيار » رباط اسفي لطف خفي ، ووعد وفي ، ودين ظاهره مالكي وباطنه حنفي ، الدماثة والجمال ، والسذاجة والجلال ، قايلة الاحزان صابرة على الاختزان ، وافية المكيال والميزان ، رافعة للداء بصحة الهواء ، بلد موصوف ، برفيع ثياب الصوف . وبه قربة الشيخ ابي محمد صالح وهو خاتمة المراحل لمسودات تلك السواحل .

ويقول الكانوني في كتابه السابق الذكر :

كان للشيخ ابي محمد صالح رضي الله عنه زوايا ورباطات بالمشرق والمغرب، وهذا الرباط بآسفي هو مركزه الوحيد ، طار له الصيت في الافاق ، وشدت اليه رحلات الرفاق ، فكم تخرج فيه من الائمة الاعلام ، والشيوخ المرشدين العظام ، الذين كانوا نجوما يهتدي بهم الانام ، وقد ظلت هذه الزاوية بأسفي شاغلة فراغا كبيرا طيلة النصف من القرن السادس ، وكامل السابع ، والثامن ، والتاسع ، على رغم التقهقر الذى كان يسري اليها ضرورة سريانه في جسم الامة الاسلامية عموما ، وفي الامة الاسفية خصوصا حتى فاتح القرن العاشر الهجري كان سقوطها الاخير بانصباب « البرتغال » على هذا البلاد ، فانطمست معالمها وذهبت تعاليمها .

ويقول الكانوني في مؤلفه المذكور صفحة 95 والظاهر ان الزوايا في المغرب هي المواضع المعدة لارفاق الواردين ، واطعام المحتاج من القاصدين . واما الربط على ما هو عليه المصطلح في المشرق . فلم ار في المغرب على سبيلها ونمطها الا رباط سيدي ابي **محمد صالح** والزاوية المنسوبة لسيدنا **ابي زكرياء يحيى بن عمر بسلا غربي المسجد الجامع الاعظم،** ولم ار لهما ثالثا على نحوهما، في ملازمة السكان وصفاتهم، وشبههما بمن ذكر نفع الله بهم .

وهناك عشرة كتب ومؤلفات اخرى في التاريخ تشهد على وجود حياة دينية وصوفية ليس لها ارتباط كبير بمذهب الموحدين ، ونعني بها كتاب « التشوف » للتادلي الذى يقدم لنا 277 ترجمة لاولياء ومرابطين ومتصوفين الخ .. ونجد ضمن هذه المجموعة اسماء معروفة جدا مثل ابي الحسن ابن حرزهم ، ابي شعيب السارية ، ابي يعزى = ابي مدين = الرباطات = الرابطات مثل رباطات شاكر ، واسفي ، وتط ، كما يشير الى المدن التى كانت توجد بها حركة صوفية « كاغمات ، وازمور ، وسلا ، وفاس ، وغيرها .

هذه الكتب والمؤلفات الصوفية للتراجم فقط كثيرة العيوب ؟ لا تهتم في الغالب الا بحياة الاولياء الشخصية ، ولا تبين لنا ما يلزم من الوضوح المركز الذى كان يتمتع به هؤلاء الاولياء في المجتمع ؟ ومدى تاثيرهم في البلاد والمجتمع والعلاقة مع الحكم القائم ؟

وملخص القول ، ان هذه الكتب يكمل بعضها البعض ، دون ان تسد الثغرات المهمة وتجيب عن الاسئلة التى يطرحها الباحث في هذا العصر ؟

والتى يخرج به الباحث من هذه الدراسات هو التعرف عن الحياة الدينية في عهد الموحدين ولها ثلاث اتجاهات :

1) **الموقف الرسمي للدولة ،** وسنده مذهب محدد يحاول ان يفرض نفسه ونظرياته ، وكانه الدين الحق لا غير ، ولكنه كان موقفا مشوبا لا يخلو من مرامي سياسية ، ففي نظره الدين والسياسة يتكافآن، ويبرر احدهما الآخر ؟

2) **الموقف الواسع الانتشار** والذيوع في الاوساط الشعبية ، ويتباور في الاعتماد على المذهب المالكي الذى يفرض العصمة لما عدى الانبياء ؟ ويبرهن على ان دعوة العصمة للامام لا تجر الطريق للانتشار الا تحت نفوذ الدولة ومن يشايعها من الحكام

المغالطين المغرضين ؟ ولن يبلغ غايته في السعة والانتشار كما يريد ، بل هو في طريق الانهيار بمجرد تزعزع الحكم والحاكمين ، وهذا ما وقع بالذات .

3) **الموقف الثالث موقف التصوف والمتصوفين** من هذا المذهب الجديد ! انه موقف غريب مدهش ! لقد كان العصر عصر الولاية والصلاح والنفوذ للزوايا والرباطات ، ونجد نتائج هذا كله فيما بعد سقوط دولة الموحدين .

قال مؤلف كتاب « انس الفقير وعز الحقير » الشيخ سيدي احمد بن حسن القسنطيني عندما دخل مدينة اسفي : رايت هناك أحفاد الامام ابي محمد صالح . واكبرهم سنا وقدرا الشيخ الصالح المسن الحاج الشهير المعظم ابي العباس أحمد بن يوسف حفيد الشيخ ، عظيم القدر والجاه . كانت له وجاهة كبيرة عند ملوك عصره من المرينيين كالسلطان ابي الحسن المريني ، وولده ابي عنان وغيرهما . وكان يتولى امارة ركب الحاج الى بيت الله الحرام تلك الخطة المرسومة لسلفه . ويقول مؤلف كتاب « نفاضة الجراب » للمؤرخ الشهير لسان الدين بن الخطيب السلماني لما ورد لاسفي عشية يوم الثلاثاء 25 جمادى الثانية 761 هجرية : لما شارفنا أسفي ركب لمقابلتنا والترحيب بنا الشيخ المعظم سيدي أحمد بن يوسف حفيد ابي محمد صالح النائم في ظل صيته ، وأثير الناس من اجله : رجل آدم اللون ، قد تعجل الوخط منه ، ذو ذقن كث ، جالس السلطان ، وقاد ركب الحجاز الى ان قال : عرفتك ابقاك الله بقصدي ، وحركة رصدي ، لتعلم ان هذه الوجهة لقاؤك اقوى دواعيها ، وانجح مساعيها ، وبركة الشيخ نفع الله به تلاحظها وتراعيها ، والله عز وجل يوفيه مقصوده على بعد المكان ، مرجحا في الفضل طوق الامكان مطمئني القلب بذكر الله رطب اللسان الخ ..

مولد الشيخ رضي الله عنه ووفاته

حسبما ذكر في كتاب « المنهاج الواضح » لحفيده سيدي احمد بن ابراهيم رضي الله عنه ص 134 — ان تاريخ مولده سنة 550 خمسين وخمسمائة هجرية .

وتوفى ضحى يوم الخميس 25 ذي الحجة الحرام عام 631 هـ ودفن برباطه باسفي مسقط راسه ومسكنه وعشه ، درس بالمغرب في اول امره عن الفقيه الورع الصالح ابي عمران موسى بن هارون السفطوري الماجري ، والفقيه الجليل ابي عيسى المغيطي ثم انه رضي الله عنه رحل لبلاد الاسكندرية من القطر المصري ، ولازم دروس العلامة الشهير ابي الطاهر اسماعيل بن مكي بن عوف الزهري نحو 20 سنة واخذ أيضا عن ولديه ابي النجح وابي محمد عبد الوهاب السلمي ، ومحمد الكركري ، والفقيهين الاخوين الحضرميين احمد بن محمد ، ومحمد الكرخي ، كما اخذ هناك عمن جمع الى الفقه التصوف محمد عبد الرزاق الجزولي ، ومحمد المغاوري وابي عبد الله السلوي وغيرهم من العلماء الناسكين والفقهاء السالكين .

مشيخته رضي الله عنه

اما مشيخته في التصوف فقد نقلها شرف الدين البوصيري الشهير حيث يقول : ان شيخه الذى كان يعتمده هو شيخ الشيوخ في عصره وامام المحققين في دهره ومصره ، وابو مدين شعيب ابن الحسين القلجيري الاندلسي ، عن ابي الحسن علي بن حرزهم ، عن ابي بكر بن العربي ، عن ابي حامد الغزالي ، عن امام الحرمين ، عن ابي طالب المكي ، عن ابي قاسم الجنيد ، عن ابي السرى المغلس السقطي ، عن ابي فيروز الكرخي ، عن داوود الطائي ، عن ابي حبيب العجمي ، عن الحسن البصري ، عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه .

هذا سنده في المشيخة :

وقد قيل أنه كان يتعبد « بجبال لبنان » ، واتصل بعدة شيوخ كرام هناك ، ثم ظهر اعتكافه وقنوته ومجاهدة النفس اللوامة في المغرب ، حيث انه رحمه الله ورضي عنه أدرك القطبانية على يد الرجل الفحل سيدي بوزيد دفين شيشاوة ، بعمالة مراكش ، وانقطع للعبادة والمجاهدة بصومعة سيدي شيكر ، بقبيلة احمر ناحية اسفي .

ويقال : ان صاحب الصومعة سيدي شيكر هذا احد اصدقاء الفاتح العظيم سيدنا عقبة بن نافع رضي الله عنه .

ويقال ايضا : انه كل ليلة السابع والعشرين من رمضان المكرم يقع اجتماع المجاهدين على التوالي بهذه الصومعة للتعبد والتربية (عن كتاب الاستقصاء).

ويقال : ان الامام البوصيري الشهير رحمه الله بلغ كلفه بحب الشيخ ابي **محمد** صالح ، حتى انشد قائلا : انه ينتسب لدكالة الماجرين انتساب حب وتعظيم ، كما انتسب سيدنا سليمان الفارسي لبيت النبي الكريم صلوات الله عليه .

قال رحمه الله :

وما انا من دكالة غير انني
نسبتُ اليهم نسبة الصدق فى الحب

كنسبة سلمان لبيت نبيه
وما كان فى قبيل منهم ولا شعب ،

جزى الله خيرا ملة اخرجتهم
من الناس إخراج الحبوب من اللب

اجل اشتهر الشيخ الكريم ابو محمد صالح بالدعوة لحج البيت الحرام ، وزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام ، الدعوة للمؤتمر الاسلامي الاعلى المنظم من فوق سبع سموات الأثر المشهود ، والمقام المحمود ، حتى مهد له السبيل من المغرب ، وكون الركب الحجازي . فكان مهما انتهى إليه احد يجعل اهم الشروط لصحبته اياه حج بيت الله الحرام ، وبث اصحابه ومريديه فى المراكز من مدينة اسفي مسقط راسه الى الحجاز ، وجعل ولده عبد العزيز بمصر حتى توفى بها . ثم كان حفيده السيد ابراهيم بن احمد بن ابي محمد صالح بالاسكندرية . وكان جد ولده العلامة ابو العباس احمد ابن ابراهيم مؤلف كتاب « المنهاج الواضح » فى مقدمة الصلحاء الاوفياء لمباديء جده ابي محمد صالح .

كان اصحابه المنبثون فى المراكز مهما ورد عليهم احد يريد الحجاز يجعلون له مجالا فى المكث باي بلد يحج ويزور ، ثم يمدون له اليد بكل ما لديهم من معونة . ويسيرونه مع القوافل بعدما تجافى ذلك المغاربة لوعورة الطريق وكثافة الموانع ، حتى قال قائلهم : ان الحج ساقط على اهل المغرب ؟

فقام الشيخ ابو محمد صالح واصحابه لمحاربة هذه المقالة الصادمة ، لهذا الركن الاسلامي العظيم ، فبذلوا جهودهم فى الحث على الحج وتيسير ذلك على الناس ، وبث الاصحاب والمريدين فى المراكز لياخذوا بيد الضعفاء ، ويعينوهم على سلوك الطريق الى الاماكن المقدسة ، حتى يبلغوا الامنية من اداء الفرض الواجب ويفوزوا بالاسرار المودعة فيه .

يقول المؤلف الكانوني فى تآليفه السابقة الذكر : صفحة 99 رباط الشيخ ابي محمد صالح رضي الله عنه المتوفى سنة 631 هـ كان للشيخ عدة زوايا ورباطات بالمشرق والمغرب ، وهذا الرباط بأسفي هو مركزه الوحيد — وقد اتى غرس الشيخ فى هذه المهمة ، وفتح على يديه سلوك طريق تلك الاماكن المقدسة .

وكان اولاده واحفاده وتلاميذه على هذا المنوال، فى كل مكان مبشرين بالدعوة لحج البيت الحرام ، حتى تكون الركب الحجازي رسميا فى الدولة المغربية له قائده وقاضيه . وكان اولاد الشيخ واحفاده يتولون قيادته ورئاسته رسميا .

كانت طريقته جمعية اسلامية للتبشير بارقى نظام كافل للنجاح ، تحبب للناس الحج وتسهل عليهم الطريق وتزودهم بالزاد والمعونة والحراسة والتوعية، فما اوسع نظر هذا الشيخ ، وما اكثر غوصه فى فلسفة التشريع ؟ وفى صفحة 146 نجد المؤلف الكانوني ينقل بالنص .

فى عهد السعديين

فى عهد السعديين ظهر رجال من هذا البيت الكريم ، فى مقدمتهم العلامة ابو موسى بن محمد الماجري الاسفي ، وحفيده الامام الخطيب ابو اسحاق ابراهيم بن محمد المتوفى سنة 1071 هـ والعلامة الصدر الخطيب ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الماجري الاسفي يحذون حذو جدهم ، ويقتدون بعمله المبرور المشكور .

وقد ذكر بعضهم انه يوجد للشيخ ابي محمد صالح زوايا وتكايا بالمشرق والمغرب وبكافة بلاد

افريقيا ، بلغت على حد تعبير بعضهم ، 46 زاوية . كلها معمورة بالاشخاص والمريدين ، شغلهم الشاغل ، هو خدمة الحجيج ، وتسهيل مهمته ، وقطع الطريق الوعر الموحش بهم فى امن وامان ، الامر الذى يدهش من يؤرخ لهذه العصور التى كانت الطرق مجهولة ! ومخوفة ، وموحشة ! وقاتلة ، كانت زواياه وتكناته مزودة بالزاد والاعوان والانصار الذين يستسهلون كل الصعاب ، ويقربون كل بعيد ، ويحلون كل المشاكل ، ويطمئنون الارواح والاموال والعرض والانفس — وتذهب الوفود فى راحة بال وطمانينة ، ونصر من الله وعون وعناية . ولقد حاولت الحصول على معرفة هذه المراكز بكل دقة ، غير انني لم اتوفق ! وسألت عدة باحثين خبراء فى الموضوع فما وقفت على جواب يصح ، ولو بطريق خفي ، نعم لا زلت اذكر انني كنت فى احدى الجلسات الاخوية نتجاذب اطراف الحديث حول الصوفية والصوفيين مع الاخ العزيز الاستاذ الخريت سيدي المنتصر الكتاني ، فأفاض القول : فى تعداد الطرق وتسلسلها العقائدي وحتى الجغرافي كسلسلة الذهب ، فسمعت منه المدهش ، وارجوه على بعد الدار ، ان كانت لديه معلومات فى ان يجود بها للنشر على صفحات المجلة الاسلامية « **دعوة الحق** » تكميلا لهذا البحث الذى لا يزال غير تام فى نظري ، رغم ما نقلت فيه من مراجع عامة ، ونقل مؤتمن ، ووضوح وشروح وتعاليق .

ومنذ ظهورهذا الداعية المسلم الصالح المصلح، وبيته يحظى بالاجلال والتعظيم والتقدير والاحترام، فالظهور الاول زمان الموحدين ، وتبعهم المرينيون ، ثم السعديون حسب ما سبقت الاشارة اليه ، ثم جاء دور دولة العلويين الشريفة فاهتم ملوكها جميعا بهذه الاسرة المبشرة بفضائل الاسلام ، والمساعدة القوية على تأدية ركن عظيم من اركانه طيلة قرون وقرون ، يتناقلون هذه المبرة عظيما اثر عظيم ، وكريما اثر كريم .

ونجد بين يدي ابناء هذا البيت العظيم ، العديد من الظهائر الملكية الشريفة ، منذ اقدم العصور وبالاخص من ملوكنا العلويين الاشاوس تعلن التقدير والتكريم والاجلال لهذه الزاوية المباركة وابنائها وحفدتها حتى يوم الناس هذا .

ويصعب على أي كان ان يأتي على نشر كل ما ورد ، ونكتفي منها بظهير شريف صدر عن اذن **جلالة الملك الحسن الاول قدس سره** ، وقد اخذ الرحلة شخصيا لزيارة الضريح المؤسس على هدى من الله لرجل اوقف نفسه وماله وما ملكت يمينه على صنع المعروف ، وتخليد منقبة تعظيم شعائر الاسلام ، ويقف القارىء على نص مؤرخ بـه ربيع الثاني عام 1292 هـ بعد الطابع الشريف والحمد والتصلية (1) .

ولا ابالغ اذا ما ذكرت عناية ورعاية سلالة هذا الملك الهمام ، وابناءه واحفاده على التوالي بأبناء هذه الزاوية المنشأة على تقوى من الله ورضوان ، كما لا نغفل طاعة ومحبة ابناء هذه الشجرة المباركة ابناء المرابطين الاخيار للملوك الاجلاء على السواء ، وكامل عنايتهم واحترامهم وتجمعهم بالزاوية المباركة كلما حل ركاب الملك الهمام بمدينة اسفي ، وهذا ركاب سيدنا المنصور بالله الحسن الثاني حفظه الله وسدد خطاه ، عندما حل بمدينة اسفي بمناسبة تأسيس « المعمل الكيماوي » بها ، بادر رجالات هذا البيت باقامة عدة احتفالات وابتهالات الى الله فى حرم جدهم الصالح « ابي محمد صالح » رضوان الله عليه ، فختموا سلكا من كتاب الله والشفا للقاضي عياض ، والامداح النبوية وصالح الادعية المرجو من الله قبولها ، ان يحفظ جلالته واسرته ، وان يوفقه لصالح البلاد والعباد ويكون له وليا ونصيرا .

وللتاريخ اسجل نص رسالة روحانية قدمها ابناء هذا البيت الكريم لجلالة المولى الحسن الثاني بمناسبة زيارته الكريمة الميمونة وتتضمن رغبات ابناء الشيخ من همة الملك الهمام وهذا نصها (2) وهي مسك الختام لهذه الترجمة ، وفاء لصاحبها وتقديرا وتمجيدا لمن خدم الاسلام .

سلا — الحاج احمد معنينو

(1) الحمد لله وحده

الله وليه
الحسن بن محمد
بن عبد الرحمن

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه
يعلم من كتابنا هذا اسماه الله وشرف قدره ، واعز بجلاله امره ، اننا بحول الله وقوته وشامل يمنه وبركته ، جددنا لحملته المرابطين الاخيار ، الاجلة الاطهار ، حفدة الولي العلامة الاكبر، العارف

بالله الاشهر ، ذي الكرامات الواضحة والبراهين اللائحة ، والسعي الناجح ، سيدي ابي محمد صالح نفع لله ببركاته آمين – حكم ما بايديهم من ظهائر اسلافنا الكرام قدس الله ارواحهم ، ونعم في عليين اشباحهم ، المتضمنة تعظيم حرم جدهم المذكور وتوقيره وتبجيله وتكريمه، وزدناه تعظيما على تعظيم، وتكريما على تكريم ، فلا سبيل لمن يخفر فيه ذمة ، او ينتهك فيه حرمة ، ومن آوى اليه ، فلا يلحق بمكروه ، او يسام بسوء فى كل الوجوه ، تاسيا بسيرة صالح سلفنا فى ذلك ، واقتداء بهم فى السير على نهجهم الذى هو احسن المسالك ، وتعظيما لما امر الله سبحانه بتعظيمه ، فمن دخله فقد اجزاه ومن كل سوء منعناه .

ومن اكتنفته حدود الزاوية المعلومة لا سبيل لاحد عليها، ولا يخشى الا الله تعالى حسبما ذلك مقرر مثبت معتبر ، الا من ارتكب محارم شنيعة، وقبائح فظيعة ، واجهر بالعصيان وتعدى حدود الرحمن ، فمن التعظيم الاسراع الى اخذه ، وتطهير تلك الساحة منه ، فان تلك الزاوية المباركة زاويتنا ، ونحن اعرف بفضلها وبركتها واولى الناس بتعظيمها واحترامها ، تجديدا تاما يعلمه الواقف عليه ويعمل بمقتضاه ولا يتعداه والسلام صدر به امرنا المعتز بالله تعالى فى ثاني ربيع الثاني عام 1292 هـ .



(2) الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

مولانا صاحب الجلالة والمهابة امير المؤمنين مولانا الحسن الثاني ايده الله ونصره

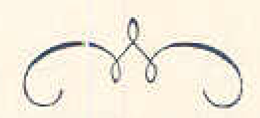
يتشرف احفاد الولي الصالح سيدي ابي محمد صالح دفين مدينة اسفي بتقديم كتابهم الى مقامكم العالي بالله زاده الله رفعة وتقديرا .

مولاي ان اسلافنا كانوا دائما متعلقين بعرش اسلافكم المنعمين وبعروته الوثقى متمسكين ومفتخرين ، فكان ذلك الحب والاخلاص باعثا على التفات المولوي الكريم من لدن اسلافكم الطاهرين قدس الله روحهم ، الشيء الذى جعلهم يولون اكبر اهتمامهم لسلفنا ، وينشرون عليهم اردية رضاهم الفاخرة ، وكثيرا ما كانوا رضي الله عنهم يبعثون باوامرهم المطاعة المتضمنة فى الظهائر التى كانوا يسلمونها لحفدة الشيخ ابي محمد صالح يحثون فيها عمال الدولة الشريفة وخدامها على احترام احفاد الشيخ وتوقيرهم بل كانوا فى بعض الاحيان يحثون العمال والولاة ان صدر منهم شيء يمس بكرامة الاحفاد المذكورين او يتسبب فى ضياع حق من حقوقهم الخاصة او العامة ، كما هو مسطر فى عدة ظهائر شريفة لا زلنا محتفظين بها – والله الحمد – وهي فى محل عناية واجلال واكبار ومكانة اكبر ، يرجع عهدها فى الدولة العلوية الشريفة – ابقاها الله – الى عهد مولانا الرشيد – وقد اعتز بها اسلافنا واعتبروها ذخيرة نفيسة توارثها الخلف عن

السلف ، ولا زلنا نعتز بها نحن كذلك ايمــا اعتزاز . فكان آخر ملك المجموعة الكريمة الفاخرة هو ظهير جدكم الاكرم مولانا يوســف نور الله ضريحــه .

وقد فاتنا والأسى والحسرة تملأ قلوبنا ان هذه المجموعة الفذة ينقصها جوهرة فريدة يا حبذا لــو نظمت في ذلك العقد الفريد ، لزدنا بها اعتزازا وافتخارا ، ولكن لم نحسب الزمان حسابه ولم يدر بخلدنا ان المنيــة ستختطف فجاة من بالمهج والارواح لو شاءت لفديناه بها من غير تردد ولا مشورة ، ولكن ، شاء الله سبحانه ولا مرد لمشيئته ان يختار الى جواره ابن الوطنية منقذ الشعب المغربي من ربقة العبودية ومذلة الاستعمار مولانــا محمــد الخامــس رضي الله عنه وارضاه وجعل في أعلــى عليين مثواه مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين آمين . فكانت كارثة عظمى ارتجت لها اركان المغرب من اقصاه الى اقصاه ، وخسارة لولاكم لم تعوض .

اجل لقد ترك فينا رضي الله عنه ــ خلفا صالحا وابنا بارا ناصحا حنونا ، فكان خير خلف لخير سلف ، فالله يبقيكم ذخرا وذخيــرة وملجــا لشعبكم الوفي عامة ولحفدة الشيخ ابي محمد صالح خاصة آميــن .



معرض الكتب :



فلسطين في ضوء الحق والعدل

تأليف هنري كتن بالانجليزية
ترجمة وديع فلسطين الى العربية
تقديم اكرم زعيتر
نشر مكتبة لبنان بيروت ١٩٧٠
دراسة وتقديم : د محمد عبد المنعم خفاجي

— 1 —

سفر نفيس ، من اجل المراجع العلمية فى قضية فلسطين . منذ اصبحت فلسطين قضية، حتى اليوم.

انه موسوعة تاريخية وقانونية ، قل ان يكون لها نظير فى مكتبتنا العربية ، ومن بين الكتابات والكتب التى صدرت عن مأساة فلسطين خلال نصف قرن من الزمان .

وقد استحالت قضية فلسطين ــ بفضل هنري كتن ــ الى حق وعدل واضحين ، يؤيدهما القانون الدولي تأييدا مطلقا ؛ ومن هنا وضحت الرؤية ، وتتضح امام جيلنا المعاصر ، وصار فى امكان العالم كافة ، بل فى امكان كل انسان ، مهما كان لونه وجنسه وموطنه ، ان يعرف : كيف اصبحت فلسطين قضية معروضة للبحث فى كل محافل العالم الدولية والقانونية .

وقد نشر الكتاب فى لندن بالانجليزية عام 1969 ثم ظهرت هذه الترجمة العربية فى طبعتها الانيقة البيروتية عام 1970 ، واعتمد الترجمة كل من المؤلف ونقيب المحامين السابق فى دمشق طاهر القاسمي ؛ واصبح فهم القضية الفلسطينية على وجهها الصحيح العادل فى امكان كل ذي ضمير انساني منصف يحب ان يسود السلام والعدل والحق هذه المنطقة الضخمة من العالم .

واذا كان فولتير قد قال : ان الكتاب نور يضيء او نار تحرق ، فان كتاب « فلسطين فى ضوء الحق والعدل » يضيف امام كل باحث مثقف عادل منصف ضوءا جديدا فى الصراع العربي الاسرائيلي ، ولن يكون هذا الضوء فى صالح اسرائيل فى يوم من الايام .

ان كتاب « فلسطين فى ضوء الحق والعدل » سجل جامع لادوار القضية الفلسطينية ، وتحليل دقيق لكل عناصر الموقف المتفجر الحالي فى الشرق الاوسط .

يقول اكرم زعيتر فى تقديمه للكتاب : ان قضية فلسطين لم تظفر فى المحاماة عنها بخير من هذا الكتاب ، ايضاحا لحقيقتها ، واثباتا لحقانيتها . وقد توفر للكتاب الاسلوب الذى يجعله مؤثرا فى ضمير الاجنبي ، بل وجدان العربي ؛ وهو يبرهن للعالم على أن فلسطين كانت عربية منذ فجر التاريخ ، وان اليهود بيئة طارئة عليها ، ناسفا بذلك الزعم الذى استحله الصهيونيون تسويغا لباطلهم ؛ وفيه تفنيد بليغ للزعم بان الانتداب قد جاء لانقاذ الفلسطينيين ، الذين كانوا يتمتعون بحقوقهم السياسية كاملة فى العهد العثماني، والذين كانوا على قدر من الحضارة والمستوى يؤهلهم للاستقلال ؛ ولكن جهود الانتداب انصبت على اقامة دولة يهودية فى فلسطين ، تحديا لحقائق التاريخ والعدل وحقوق الفلسطينيين ؛ وبحسبك انه لم تكن هناك منذ خمسين سنة مشكلة تدعى مشكلة فلسطين.

ان الكتاب بحق ــ كما قال زعيتر ــ مكتبة فى كتاب ، ويقول عنه بحق المترجم الاستاذ وديع فلسطين فى المقدمة التى كتبها لترجمته العربية انه حمل الى القراء فى اوربا وامريكا صوتا عربيا بليغا فى امانته ، سليما فى منطقه ، قويا فى حجته .

— 2 —

والمؤلف من اسرة عربية مقدسية عريقة، ويعد من كبار علماء القانون فى العالم العربي .. ولقد عمل فى فلسطين قبل النكبة ، وعاش احداثها بعد النكبة ، فكان ممثلا لعرب فلسطين امام الامم المتحدة ، بتكليف من الهيئة العربية العليا فى الدورة الخاصة لعامي 1947 و 1948 ؛ وندب من قبل جامعة الدول العربية عضوا فى وفدها الذي بحث قضية فلسطين مع وسيط الامم المتحدة ، الكونت برنادوت .. وله مؤلفات قانونية مشهورة .

ولقد كان المؤلف فى كتابه مؤرخا ، وعالما حقوقيا ، وسياسيا يعرض القضية الكبرى للوطن العربي والاسلامي من مختلف جوانبها التاريخية والسياسية والقانونية بوضوح شديد ، وحجج بليغة ، ووعي فقهي عميق ، وفى أسلوب مؤثر مهذب .

وما اجل ما يقول فى منطق قانوني بليغ : أن اسرائيل مخلوق غير شرعي وغير طبيعي ، وان اقحامه وسط خضم عربي كبير ، وفى قلب العالم العربي ، محض مغامرة جنونية تنذر بمزيد من الحروب والكوارث . وكما ينبذ الجهاز الانساني جسما غريبا عنه فان العالم العربي نبذ هذه الدولة العنصرية .

واذا رددت اسرائيل دعواها المعروفة ، وهي أن عقارب الساعة لا يمكن ارجاعها الى الوراء مرة أخرى ؛ فان المؤلف يرد على ذلك ردا بليغا فيقول : بلى، لقد رجعت الى الوراء فى الجزائر مثلا ؛ ولا بد لاقامة العدل فى فلسطين واعادة السلام الى الشرق الاوسط من ارجاع عقارب الساعة الى الوراء .

المؤلف بحق ، وكما يقول زعيتر : فقيه دولي موهوب ، متمكن ، يعرفك الفرق بين سيادة قانونية حقانية وسيادة واقعية ؛ فالسيادة كما وردت فى الدستور الفرنسي الصادر فى 3 من ايلول 1791 م « واحدة، لا تتجزأ ، ولا يمكن التفريط فيها ، ولا يجرى عليها التقادم » . وعليه فان ملكية فلسطين تعود الى سكانها الاصليين الذين استقرت لهم السيادة بمجرد انفصال هذه البلاد من تركية ، وسيادتهم على ارضهم المتوارثة هي واحدة لا تتجزأ ، ولا يمكن التفريط فيها ، ولا يجري عليها تقادم ؛ وهي تشمل فلسطين بكاملها ، على الرغم من اي تقسيم او احتلال أو اغتصاب أو تقادم .

ان وضوح الراي امام المؤلف جعله يقف متمكنا من الاحداث والتاريخ والازمات والمشكلات ، قويا فى حجته ، رائعا فى بلاغته ، عميقا فى فقهه ومنطقه ، مما يعد مكسبا للقضية ذاتها ، وربما للعرب كافة .

— 3 —

والمترجم وديع فلسطين اديب عربي قاهري متمكن ، واجادته التامة النادرة لادب الترجمة يذكرنا بطبقات المترجمين الكبار فى عصرنا الراهن ، وفى عصر نقل الثقافات العالمية الى لغة القرآن الكريم فى ذروة الحضارة العباسية .

وله كتب عدة مترجمة من العربية الى الانكليزية وبالعكس ، تشهد بذوقه اللغوي الرفيع ، بحسه البياني الدقيق .

وهو مع ذلك اديب وكاتب وصحفي وناقد متميز بالدقة والعمق والاصالة ؛ وكتابه « قضايا الفكر فى الادب المعاصر » مشهور .

لهذا كله كان قيامه على ترجمة هذا السفر القيم من الانجليزية الى العربية عملا جليلا اضاف الى بلاغة المؤلف فى الاصل الانكليزي بلاغة المترجم فى الاصل العربي ؛ ورأينا فى هذه الترجمة جهدا مبذولا صادقا وقويا لتكون الترجمة ببلاغتها ودقتها وقوة تاثيرها مكملة لكل ما احتواه الكتاب من مضمون ومحتوى تاريخي وقانوني وفقهي ، وبذلك اضفى المترجم النابغة على النص الاصلي للكتاب الكثير من فصاحته الكلاسيكية الاصيلة الامينة الدقيقة وهو ربح واي ربح للقارىء ، واللغة العربية الجليلة ، لغة القرآن الكريم .

— 4 —

ومما يدعو الى الحمد والاعجاب جميعا هذه المنهجية العلمية التي اضفاها المؤلف على كتابه ، دقة فى التبويب ، فى المصادر ، فى حقائق التاريخ ، فى السرد القانوني ، فى فهم النصوص واستخلاص الحقائق منها .

وأمامنا الكتاب .

مقسم الى ابواب رئيسية ، وكل باب مكون من عدة فصول .

ولنمش مع الحركة العلمية والذاتية للكتاب .

الباب الاول : عن النزاع بين العرب واليهود يتكون من فصول ثلاثة :

الاول : فى النزاع قبل قرار التقسيم الصادر فى 29 من نوفمبر 1947 .

والثاني : فى قيام اسرائيل وحرب 1948 .

والثالث : عن اجلاء اللاجئين الفلسطينيين .

والمؤلف فى هذا الباب يؤكد ان الفلسطينيين بعد الحرب العالمية الاولى ، كانوا اهلا للاستقلال .

ويذكر التصريح البريطاني الفرنسي (7 / 11 / 1918) الذي ينص على ان موقف الدولتين الكبيرتين آنذاك هو التحرير الكامل النهائي للشعوب التي طال عليها استبداد الترك لها ، واقامة حكومات وطنية ؛ ويشير الى التناقض بينه وبين تصريح بلفور (نوفمبر 1917) ، وان تصريح بلفور هذا مناقض للتصريح الثاني الذي اشرنا اليه . وما اجمل ما وصف به هذا التصريح البلفوري بانه يتلخص فى أن امة قطعت وعدا رسميا على نفسها لامة اخرى بان تمنحها بلاد امة ثالثة . ويقول: ان هذا التصريح ينص على انشاء وطن لا دولة ؛ ويؤكد ان هدف الصهيونية هو اقامة دولة فى فلسطين منذ مؤتمر بال المنعقد عام 1897 م ، وبذلك يبلور هنري كتن القضية الفلسطينية بلورة حقيقية .

ويذكر المؤلف كذلك فى هذا الباب نسبة اليهود الى السكان العرب فى فلسطين ، ونسبه ما يملكون الى املاك العرب .

فى عام 1170 م كان عددهم 1440 .

وفى عام 1800 م صار عددهم ثمانية آلاف

وفى عام 1845 بلغوا احد عشر الفا .

وفى عام 1880 بلغوا عشرين الفا .

وفى عام 1918 صاروا 56 الفا بنسبة هي اقل من 10 ٪ من السكان .

ويرد المؤلف فى هذا الباب كذلك على خطا شائع ، اختلق عمدا ، وهو أن عرب فلسطين كانوا غزاة لها فى اثناء الفتح الاسلامي العربي ؛ لان هذا الزعم الباطل غير صحيح تاريخيا ، فان العرب الفلسطينيين هم السكان الاصليون لهذه البلاد ..

ويرد كذلك المؤلف على كثير من الاباطيل التي روجت لها الدعاية الصهيونية ، ويعرض لمذبحة دير ياسين المشهورة ، وهدف اسرائيل منها (ص 46 و 47 الكتاب) .

والباب الثاني من هذا الكتاب القيم عنوانه : عشرون عاما من التوتر (1948 – 1967) ، وهو كذلك مقسم الى عدة فصول :

الاول : فى اخفاق الوساطة والتوفيق .

والثاني : فى حرب 1956 ونتائجها .

والثالث : عن رفض اسرائيل اعادة اللاجئين الى ديارهم .

والرابع : فى مساعدة اللاجئين وانشاء « هيئة اغاثة اللاجئين » التابعة لهيئة الامم المتحدة عام 1949

والخامس : فى مصير ممتلكات اللاجئين ، التي قدرت تقديرات مختلفة حسب الاهواء والظروف ، والتي قال عنها ستيفن بتروز رئيس جامعة بيروت الامريكية انها لا بد ان تبلغ رقما مذهلا يتفاوت بين مليارين وثلاثة مليارات من الجنيهات الانجليزية (8 و 12 مليار دولار) .

وفى هذا البيان كثير من الحقائق المذهلة ، والمآسي المفجعة ، التي احتوت عليها القضية الفلسطينية ، والتي لم يحدث مثلها فى التاريخ .

أما الباب الثالث من الكتاب فيتعلق بحرب 1967 ، وهو فى ثلاثة فصول :

الاول : فى اسباب الحرب .

والثاني : عن مأساة اخرى للاجئين .

والثالث : فى آثار الحرب .

والباب الرابع : يتعلق بالحل الصحيح للقضية الفلسطينية ؛ وهو فى أربعة فصول :

الاول : فى جوهر النزاع ، وهو الظلم الاساسي للعرب الفلسطينيين الذي وقع فى عام 1948 ، والذي تفاقم بسبب حرب 1967 .

والثاني : فى مفاهيم خاطئة للحل ، من مثل :

— قبول العرب للوضع الراهن .

— توطين اللاجئين خارج بلادهم .

— تعويض اللاجئين .

والثالث : عن الالتزامات التي فرضتها الامم المتحدة ومبادىء القانون الدولي وتعهدات اسرائيل للامم المتحدة ، سواء كانت هذه الالتزامات متعلقة بالجلاء عن الارض ، او باعادة اللاجئين الى ديارهم ، أو برد ممتلكات اللاجئين ، او بتعويضهم .

والرابع : عن امكانيات التسوية وشروطها ، من مثل :

— عقد صلح بين العرب واسرائيل .

— او اجراء تسوية سياسية وشروط الحل العادل او التسوية المنصفة ، مما يمكن تلخيصها فيما يلي :

1 — تصحيح الاخطاء التي ارتكبت فى فلسطين .

2 — اتخاذ قرار دولي يحدد الاجراءات الكفيلة برفع المظالم .

3 — التنفيذ على ايدي الامم المتحدة .

وليس من غرضنا هنا ان نستقصي او ان نتتبع كل فكرة عرض لها المؤلف ، وكل حدث تاريخي من احداث القضية ؛ فحسبنا ان نشير ، وأن نلفت نظر القارىء الى اهمية هذا الكتاب فى دراسة القضية الفلسطينية ، وفهم ابعاد النزاع العربي الاسرائيلي ، ونتائجه القريبة والبعيدة على حد سواء .

وقد ذيل المؤلف الكتاب بملاحق ووثائق ذات اهمية تاريخية وقانونية وسياسية فى دراسة هذه القضية واطوارها .

— 5 —

ان كتاب « فلسطين فى ضوء الحق والعدل » من أهم ما ظهر عن قضية الشرق العربي . وقضية فلسطين ، حتى اليوم . وهو مادة ثقافية ضرورية لكل عربي يعيش حياته وعصره ومشكلات أمته ويريد أن يفهم حقائق الصراع العربي الاسرائيلي .

ولا بد من أن تقوم وزارات المعارف والتعليم العالي والثقافة والاعلام فى جميع دول الشرق العربي بطبع الكتاب طبعات عدة ، وبطبعة كذلك طبعة صغيرة توزع مجانا على جميع طلبة الجامعات واساتذتها وعلى جميع المتفوقين فى مراحل التعليم الثانوي ، وعلى مختلف الهيئات الثقافية فى مختلف انحاء الوطن العربي والاسلامي ، وتوزع كذلك على جميع موظفي السلك الدبلوماسي والاعلامي فى بلادنا ، وعلى المثقفين فى الغرب من انصار العرب وقضيتهم الكبرى .

ان حقائق القضية ، وجوهر النزاع فيها وابعاد الصراع حولها ، لا يصح ان تظل بمعزل عن فهم وادراك كل شاب مثقف يعيش فى رقعتنا العربية .

لا بد من توعية قومية ثقافية حول قضية العالم الاسلامي قاطبة ، قضية فلسطين المسلوبة ، وهي القضية ، التي تناشد الضمير الانساني فى كل مكان ان يجد لها الحل العادل الاساسي ، فى اقرب وقت ؛ وقبل ان تحمل الانسانية كلها وزر هذه الجريمة الكبرى التي ارتكبت على ارض فلسطين العربية .

تهنئة للمؤلف هنري كتن .

وتحية للمترجم وديع فلسطين

وتقديرا للكتاب ، كتاب « فلسطين فى ضوء الحق والعدل » .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي



المغـــرب :

* بدعوة من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية حل بالمغرب الشيخ حسن كتبي وزير الحج والاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة العربية السعودية وقد استقبله بمطار النواصر بالدار البيضاء الاستاذ السيد الحاج أحمد بركاش وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الذي رحب بمقدمه وتمنى له مقاما طيبا بالمملكة المغربية.

وقد ادلى الوزير السعودي لدى نزوله من الطائرة بتصريح اعلن فيه انه يحمل رسالة شفوية من جلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية الى اخيه جلالة الملك الحسن الثاني ، وقام السيد الوزير بزيارة لوزارة القصور الملكية والاوسمة ووقع في الدفتر الذهبي .

وقد ادى الضيف الكريم صلاة الجمعة بمسجد حسان رفقة وزير الأوقاف المغربي ، ثم توجه رفقة رئيس ديوانه وممثل عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الى مدينة مراكش بعد ان قضى بضعة أيام بالعاصمة .

وتميز مقام السيد الوزير بعاصمة الجنوب بزيارة استطلاعية لاهم المآثر التاريخية والحضرية الشهيرة بمراكش ، كما عقد جلسة عمل مع اعضاء المجلس العلمي بكلية الدراسات العربية

ومن مراكش توجه سيادته الى مدينة فاس حيث وجد في استقباله السيد بنشمسي عامل الاقليم ورجال السلطة المحلية وعلماء المدينة ونظار الاحباس .

وتضمن برنامج مقام الوزير السعودي بفاس زيارة مسجد القرويين وخزانتها المليئة بنفائس المخطوطات ، وذخائر الاعلاق التي يرجع تاريخها الى عدة قرون ، وقد عقد جملة اتصالات مع عدد من العلماء من كلية الشريعة بفاس قبل ان يتوجه الى حمة سيدي احرازم للقيام بزيارة سياحية .

وفي يوم الاربعاء 3 اكتوبر استقباله صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده في الساعة السابعة والربع بالديوان الملكي ، وحضر هذه المقابلة السيد وزير الاوقاف الحاج احمد بركاش وسفير المملكة العربية السعودية بالرباط السيد فخري شيخ الارض .

وبعد هذه المقابلة جرى بمقر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية احتفال بالتوقيع على اتفاقية للتوعية الاسلامية بين المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية . وتنظم هذه الاتفاقية تبادل المعلومات والوثائق الدينية بين البلدين .

وقد تبادل الوزيران المغربي والسعودي الخطب بهذه المناسبة للتأكيد على الروابط الاسلامية القوية التي تجمع الشعبين العربيين المسلمين ، وقد جاء في كلمة الوزير السعودي :

بسم الله الرحمن الرحيم

انني احمد الله واشكره على ان جعل في المسلمين من يحمله التعب عن عامتهم ويسعى في توحيد جهودهم وجمع كلمتهم على كتاب الله وان يجعل من شريعتهم خطة عمل يسيرون عليها ويبنون عليها جل حياتهم. واني اشكر معالي وزير الاوقاف في البلاد المغربية اذ تفضل بدعوتي الى زيارة هذه البلاد الكريمة التي تعتبر حصنا من حصون الاسلام لما فيها من علماء اعلام وما فيها من رعاية القرآن الكريم حفظا واتقانا وفهما وتطبيقا .

وكذلك بالنسبة للحديث الشريف ، واننا ملتقون على تحمل الاعباء في التوعية بالنسبة للمسلمين عامة حتى نجعل من الدين الاسلامي حقيقة واضحة في قلوب المسلمين لكي يسروا لهم العمل على

مبادئه واتخاذه منهجا فى حياتهم لكي يطبقوها فى مجتمعاتهم كما كان المسلمون الاولون .

ونقاشي مع زميلي كان نقاشا مثمرا وقد وضعنا اسسا لدراسة المباديء التى ينبغي ان تكون اساسا لهذا التنظيم الذى يمكن من المسلمين من دراسة الحقائق الاسلامية ، وارجو الله ان يلهمنا ويوفقنا لما فيه خير الاسلام والمسلمين .

وقد رد عليه وزير الاوقاف المغربي السيد الحاج احمد بركاش بكلمة قال فيها :

معالي الوزير الاخ المحترم يشرفني ويسعدني فى هذه اللحظة بأن اوقع على هذه الاتفاقية التى تمت بيننا والتى اوقعها باسم حكومة صاحب الجلالة نصره الله ، وهي تحتوي على التوعية الاسلامية ونشر الدعوة الاسلامية فى العالم الاسلامي خدمة لهذا الدين الحنيف امتثالا لاومر جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، والملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية، ونحن مسرورون جدا بهذه الزيارة التى تفضلتم بها والتى من شانها ان تمتن الروابط الاسلامية التى بين القطرين الشقيقين وقد صرح لكم جلالة الملك حين تشرفتم بمقابلته بان المغرب مستعد للاستجابة لهذه المباديء التى دافع عليها ويدافع عليها فى كل وقت وحين .

وانتم يا معالي الوزير الذى شرفكم الله بالاشراف على البقاع المقدسة فاننا شخصيا نعتمد عليكم فى تزويدنا بجميع ما نطلب منكم فى ميدان الثقافة الاسلامية والشريعة الاسلامية كما وعدتكم على اننا على كامل الاستعداد ان نرسل لكم جميع ما يصدر منا حول الثقافة الاسلامية والدين الاسلامي، وسوف نزوركم بحول الله ونتبادل كل ما شانه ان يرفع كلمة الاسلام .

ونطلب الله ان يوفقنا جميعا لما فيه رضاه والسلام عليكم .

ومعلوم انه تمت مساء يوم الثلاثاء 3–10–72 بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية حفلة التوقيع على اتفاقية التوعية الاسلامية بين المغرب والمملكة العربية السعودية .

وقع هذه الاتفاقية باسم المغرب الحاج احمد بركاش وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية وباسم المملكة العربية السعودية الشيخ حسن كتبي وزير الحج والاوقاف. وترمي هذه الاتفاقية كما قدمنا الى تبادل المعلومات والوثائق الدينية بين البلدين .

وقد اقام الحاج احمد بركاش وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية مادبة غذاء على شرف الاستاذ السيد حسن كتبي وزير الحج والاوقاف بالمملكة العربية السعودية الشقيقة وحضر هذه المادبة سعادة السفير الاستاذ شيخ الارض وعدد من العلماء ورجال الفكر والثقافة فى المغرب .

وقد توصل السيد الحاج احمد بركاش وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ببرقية من وزير الحج والاوقاف السعودي السيد حسن محمد كتبي ببرقية لدى مغادرته ارض المغرب جاء فيها :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته :

ارجو أن تتكرموا نيابة عني برفع اسمى آيات الاجلال والتعظيم والشكر لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني المعظم على تفضله باستقبالي وشكري على ما ابداه من ود عظيم لمولاي جلالة الملك فيصل المعظم وحكومته وشعبه ومشاعر جلالته السامية نحو المقدسات الاسلامية والتراث الاسلامي وعنايته الاصيلة العميقة ، بالاهتمام بشؤون المسلمين ..

كما ارجو ان تتقبلوا مني جزيل الشكر والتقدير على ما لقيته من معاليكم من حفاوة وتكريم بالغين لائقين بنبل الاصول المغربية وكرمها الفطري – وانني ارجع من المغرب بمشاعر الاجلال والتقدير لهذه البلاد العظيمة واهلها الكرام .

وتقبلوا فائق احترامي ..

❋ تراس السيد أحمد بركاش وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية حفلة انتهاء السنة الدرسية يوم الثلاثاء 18 – 7 – 72 بدار القرآن التابعة لرابطة المجودين .

وفى بداية الحفل الذى حضره بعض الوزراء ورجال السلطة وعلماء مدينة الرباط وعلية القوم قام بعض طلبة المؤسسة القرآنية بتجويد آيات بينات من الذكر الحكيم .

وقد اعرب السيد الوزير عن سروره واغتباطه لهذا الحفل البهيج الذى اثلج القلب وأفعم الفؤاد حيث اعلن ان وزارته ستتكفل ابتداء من يوم الاحتفال

بأداء تعويض لأساتذة دار القرآن ، كما ان وزارته ستبدأ في اتصالات مع وزارة التعليم الابتدائي لضمان مستقبل هؤلاء الخريجين ، كما ان الوزارة ستعمل على اعداد المهرجان الدولي لتجويد القرآن الذي اعتادت الرابطة تنظيمه في شهر رمضان ..
وبشر سيادة الوزير الحاضرين بأن صاحب الجلالة والمهابة مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده اصدر تعليماته السامية لبناء مدرسة قرآنية بالرباط ، وان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ستشرع فورا في اعداد وبناء هذه المدرسة .

واثر ذلك وزعت على الفائزين في دار القرآن جوائز نقدية مهمة ومجموعة من الكتب ارصدتها لهذه الغاية وزارتا الاوقاف والشؤون الاسلامية والتعليم الابتدائي .

ثم قام سيادة الوزير صحبة الشخصيات المرافقة له بجولة في فصول دار القرآن التي تأسست في بداية هذه السنة .

واغتنم السيد وزير التعليم فرصة وجوده في هذا الحفل القرآني فالقى بالمناسبة كلمة مؤثرة عبر فيها عن اعتزازه بالدراسات القرآنية واكد ان وزارة التعليم ستتعاون في اخلاص واستمرار مع وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية للخروج بمشروع مدرسة القرآن الى حيز التنفيذ في أقرب الآجال ، وللعمل على سن التعليم القرآني على نطاق واسع في ربوع المملكة تبعا للتوجيهات الملكية السامية لصاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده .

※ في رحاب مسجد السنة بمدينة الرباط ، وفي حفل ضخم رائع ، وفي جو مليء بالخشوع والابتهال ، ومناخ معطر بالفرح والابتهاج ، وعبق بالغبطة والانشراح ، وبحضور الجم الغفير من العلماء الاجلاء ، والاساتذة الذين يحاضرون بهذ االمسجد الفخم الذي أسس على تقوى من الله ورضوان واعيد تجديده وترميمه ، واعادة شبابه بهمة سيد البلاد مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده ، تراس السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش ووزير التعليم الابتدائي السيد محمد حدو الشيكر حفلة انتهاء السنة الدراسية العلمية وتوزيع الجوائز على طلبة الدروس الدينية والعلوم الاسلامية التي تشرف على ادارتها والانفاق عليها واختيار الاساتذة الاكفاء بها وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية .

وبعد صلاة المغرب وتلاوة الآيات البينات من الكتاب العزيز والتام عقد جمع المؤمنين القى حضرة الاستاذ العالم السيد احمد سحنون احد اساتذة هذا المعهد درسا دينيا قيما في شرح آيات الله « انما المومنون اخوة » . وبعد التقرير الادبي لسير هذه الدروس خلال السنة الدراسية الماضية الذي سجل اقبال الطلبة على المناهج الدراسية التي توبعت باستمرار وبحماس خلال السنة الجارية القى السيد وزير الاوقاف حديثا توجيهيا شجع فيه الطلبة على المضي في الطريق اللاحب الذي رسمه سيد البلاد لهذه الامة لخلق اجيال صالحة للمستقبل الواعد ، وعن الاسس التربوية والدينية اللازمة لخلق مجتمع فاضل متقدم ومتماسك بمبادىء الاسلام وقيمه الخالدة ، وانتم تعلمون – يقول السيد الوزير – أن سيد البلاد امير المؤمنين قد جعل من سنتنا هذه سنة تهذيب وتربية وبعث اسلامي بالمعنى الصحيح وبالفلسفة الاسلامية الصحيحة .

ثم ابدى السيد الوزير في حماس واع وبايمان صادق استعداد وزارته لكل ما ينهض بهذه الدروس الدينية التي اعطت ثمارها خلال هذه السنة ، وأنه لا يبخل عليها برعايته الفائقة ، وعنايته البالغة التي تستمد حرارتها من حماس ورغبة امير المؤمنين الحارس الامين على مقدسات هذه الامة واعرافها وتقاليدها الصحيحة .

واخيرا قام معاليه بتوزيع الجوائز الادبية والنقدية على طلبة الفوج الاول الذي قضى سنته في هذه الجامعة الاسلامية مشجعا اياهم على المضي في الجد الدؤوب ومواصلة الدرس والتحصيل ...

وقد انتهت هذه الحفلة التي كانت مسك ختام السنة الدراسية بعد صلاة العشاء ..

※ اصدر الاستاذ الحاج امحمد العرايشي خريج جامعة القرويين ومدير المعهد المحمدي بمكناس ترجمة والده الشاعر ابي محمد عبد القادر العرائشي المكناسي .

وترجمة الشاعر عبد القادر المكناسي ، تناولت في هذا الكتاب اسم الشاعر ونسبه ومولده ونشأته

وشيوخه الذين اخذ عنهم ، والتعريف به من خلال ما كتبه عنه نخبة من العلماء والمؤرخين .

وفي الفصل الخامس من الكتاب نماذج شعرية من الشعر الوطني الرائع المليء بالاحداث حيث قسمه المؤلف قسمين :

عصر استقلال المغرب ، وعصر فرض الحماية على المغرب ، كما تناول في شعره الاحداث الكبرى التي كانت تشغل العالم اذ ذاك كانتصار الاتراك على اليونان ، اذ في الوقت الذي هنأ فيه الشاعران الكبيران احمد شوقي ومعروف الرصافي والشاعر المغربي الكبير الاستاذ محمد الجزولي الرباطي الاتراك بانتصارهم على اليونان ، وطرد المحتلين من غربي الاناضول وازمير عام 1923 هنأ عبد القادر العرايشي المكناسي بفوزهم في الحرب وانتصارهم على اليونانيين بقصيدة عبر فيها عن شعور المغاربة نحو هذا الانتصار .

* توجه السيد المهدي بنونة المدير العام ورئيس المجلس الاداري لوكالة المغرب العربي الى كوالا امبور لينضم الى الوفد المغربي الذي مثل المغرب في اجتماع الجمعية العمومية لوكالات الانباء الاسلامية الدولية الذي انعقد في العاصمة الماليزية يومي 16 و 17 غشت .

وتركزت جلسة الافتتاح على قرار دستور وكالة الانباء الاسلامية الدولية وانتخاب شاغلي المناصب وتقرير الخطوط التوجيهية وطريقة العمل والتقديرات المالية والتعهد بالمساهمات المالية من قبل الاعضاء .

واشارت مصادر من امانة الجمعية ان وكالة الانباء الاسلامية الدولية قد شكلت بمثابة اتحاد لوكالات الانباء للدول الاعضاء والمنظمات المناسبة التي تقوم بنفس وظائف وكالات الانباء وقالت نفس المصادر ان الوكالة المذكورة ستستهل عملها كجهاز للتنسيق بين وكالات الانباء الوطنية الاخرى ثم تتطور حتى تصبح وكالة انباء عالمية ومن ضمن الخدمات التي يمكن ان تؤديها لاعضائها توفير مواد الانباء والخبرات الفنية وتدعيم تبادل وجمع التحقيقات الصحفية أو الصور وتقديم التسجيلات لتدريب الموظفين ، وكذلك المساعدة في تنظيم المؤتمرات والحلقات الدراسية الخاصة بالصحافة وتزويد وكالات الانباء في البلاد الاسلامية بمعلومات نافعة لرفع المستوى الصحفي .

وجاء من كوالا لامبور ان المغرب انتخب الى جانب خمس دول اسلامية لعضوية المجلس الاداري للوكالة الاسلامية الجديدة للاخبار ، وسيقوم اعضاء المجلس بتعيين رئيسهم .

* مثل المغرب في المناظرة الدولية للنقد المسرحي التي نظمت تحت عنوان — المسرح والعالم الثالث — وباشراف المركز الثقافي الدولي للحمامات وذلك من فاتح غشت الى السابع منه .

وضمت هذه المناظرة ثلاثين ناقدا مسرحيا ومخرجا وخبراء في شؤون المسرح من 18 بلدا افريقيا واسيويا واوربيا وامريكيا .

ومثل المغرب في هذه المناظرة السيد الطيب الصديقي مدير المسرح البلدي بالدار البيضاء والسيد عبد الله استوكي وهو صحافي وناقد مسرحي .

* صدر المجلد الاول من السنة الاولى من مجلة (الباحث) التي تصدرها وزارة الثقافة. والعدد الاول ضخم اذ وصل الى 423 صفحة من القطع الكبير . وضم ابحاثا ودراسات في التاريخ والشخصيات المغربية ودراسات ميدانية عن الخدمة الاجتماعية والقناة الجامعية ودراسات ادبية في الرواية المغربية واللغة والمسرح .

* على اثر جمع تأسيسي انعقد في الخامس عشر من يونيو تقرر بعض المهندسين والمجازين المغاربة انشاء جمعية مهنية باسم الجمعية المغربية لمكاتب الدراسات والمهندسين يكون مقرها بالرباط .

وبهذه المناسبة اصدرت الجمعية المذكورة بيانا اكدت فيه انها تستهدف توطيد عرى الزمالة بين اعضائها والدفاع عن مصالحهم وتمثيلهم سواء في الداخل او الخارج والرفع من مستوى وقدر المهندس المغربي تحت شعار التقدم العلمي .

وقد انتخبت الجمعية مكتبا اداريا برئاسة الدكتور العلمي مشيش مصطفى كما قامت بوضع انظمتها وقانونها الداخلي وانشأت الجمعية كذلك اربع لجن تقنية تتكلف بشؤون الفلاحة والصناعة والمعادن والسياحة والطوبوغرافية .

※ اصدر المركز الجامعي للبحث العلمي التابع لجامعة محمد الخامس العدد الاخير من المجلة العلميه التي يصدرها تحت عنوان « البحث العلمي » وهي تحتوي على عدة دراسات علمية وقانونية ولغوية وادبية وفلسفية وتاريخية وجغرافية ، ودينية واجتماعية انجزها جماعة من الاساتذة والباحثين المغاربة ، ويتعلق الامر بالمواضيع التالية :

دور الرياضيات الحديثة في الفيزياء النظرية المعاصرة للاستاذ بالماحي الوزاني ، تطور نظام الملكية العقارية بالمغرب للاستاذ عبد الواحد بلقريز . الهيكلية في اللسنيات الحديثة للاستاذ محمد بن العابد الفاسي الفهري . اعادة نظر في ادب الخوارج للاستاذ جعفر الكتاني ، نظرية المعرفة عند ابن طفيل للاستاذة نجاة خليفة متواسي ، اصول المغاربة القسم البربري للاستاذ المكي العلوي، المغرب في جغرافية ابن حوقل للاستاذ عبد القادر زمامة ، مدينة سبتة في اواسط القرن الخامس الهجري من خلال : « كتاب الممالك والممالك الكبرى » للاستاذ جاك كافي ، ترجمة الغالي اللجائي العمراني للاستاذ عبد السلام بن سودة ، الشبيبة القروية في المغرب للاستاذ باسكون ، ومحمد بن الطاهر .

※ تلقى معهد المخطوطات رسالة خاصة من مديره ورئيس بعثته العلمية ، المستشار الاستاذ صالح ابو رقيق ، يقول فيها ان بعثته تواصل نشاطها في انتقاء وتصوير وفهرسة نوادر المخطوطات العربية في المكتبة الملكية والخزانة العامة وستبدا البعثة في زيارة جامعة القرويين بمدينة فاس لتصوير وفهرسة مخطوطاتها .

وقد تلقى المعهد من رئيس بعثته العلمية الدفعة الاولى من مصورات المخطوطات التي صورت من الخزانة الملكية .

ويقول الاستاذ صالح ابو رقيق في رسالته أن بعثة المعهد تلقى المعاونة والتكريم والرعاية من جميع المسؤولين في المملكة المغربية ومن الاوساط العلمية والثقافية .

※ انتهت دار «كريماديس» بتطوان من طبع ديوان الشاعر حسن الطريبق « تأملات في تيه الوحدة » وسيكون الديوان جاهزا ابتداء من هذا الاسبوع .

الديوان يحمل قصائد ذات ملامح صوفية جديدة واغلبها كتب في السجن .

※ تعلن وزارة الثقافة والتعليم الاصلي والعالي والثانوي — كعادتها كل سنة — عن جائزة المغرب لسنة 1972 لادبية والعلمية ، على شرط ان تكون مواضيعها المرشحة متسمة بالحضارة المغربية ، ومظاهرها الانسية .

يقفل باب الترشيح فيها بتاريخ 20 شتنبر من السنة الحالية .

وكل مرشح له الحق في أن يرشح لها موضوعين او ثلاثة على ان تكون مختلفة الاتجاه ويجب عليه الالتزام بما يلي :

1 — الانتاج المرشح يقبل مطبوعا او مخطوطا في خمس نسخ، فاذا كان مطبوعا فيجب الا يكون مر على طبعه اربع سنوات ، واذا كان مخطوطا فيجب ان يقدم مكتوبا على الآلة الكاتبة .

2 — اذا سبق للمرشح ان فاز بهذه الجائزة، فليس له الحق في ان يرشح نفسه الا بعد مرور اربع سنوات على الفوز بها .

3 — يرفق المرشح طلبه بـ :

— شهادة عقد الازدياد .

— شهادة السكنى

— نسخة من السجل العدلي .

وذلك الى وزارة الثقافة والتعليم الاصلي والعالي والثانوي (مديرية الشؤون الثقافية) زنقة غاندي الرباط . بواسطة البريد المضمون ، ويكتب على ظهر الغلاف « مسابقة جائزة المغرب لسنة 72».

جميع الوثائق تحتفظ بها الوزارة سواء فاز المرشح ام لم يفز .

※ بمناسبة السنة الدولية للكتاب كان اتحاد كتاب المغرب قد قرر اقامة اسبوع للكتاب المغربي . وقد تم الاتفاق مع اللجنة الوطنية المغربية لليونسكو على ان ينفذ المشروع بالاشتراك معها . ومن ضمن المنجزات التي يعتزم الاتحاد تحقيقها في اطار اسبوع الكتاب اعداد فهرس لكل المؤلفات المغربية التي نشرت في المغرب منذ يناير 1956 حتى يناير 1972. ونظرا لما

يقتضيه هذا العمل من جهود يهيب المكتب المركـــزي لاتحاد كتاب المغرب بجميع المؤلفين المغاربة انيتعاونوا معه في انجاز هذا العمل الذي سيكون اذا انجز في احسن الظروف مصدرا هاما لكل الباحثين فـي المغرب والخارج ، ويرجى من المؤلفين ان يرسلوا الى مقر الاتحاد بطاقة تتضمن المعلومات التالية :

ـ عنوان الكتاب

ـ اسم المؤلف

ـ عدد الصفحات

ـ مكان الطبع وتاريخه

ـ طبعات جديدة (ان كانت)

ـ نبذة قصيرة عن الكتابة لا تتعدى 10 اسطر.

وفي حالة تعدد المؤلفات يرجى كتابة بطاقـة منفصلة عنكل كتاب .

وقد قرر الاتحـاد ان يشتمـل الفهـرس على المؤلفات المنشورة في كل مجالات المعرفة من تاليف او تحقيق او اطروحات جامعية .

مـوريـطانيـــا :

※ تلقى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رسالة من رئيس بعثته الذي وصل نواكشوط ، يشيد فيها بما لقيه من ترحيب المسؤولين هناك ، كما اشاد بالاهتمام البالغ الذي يوليه المسؤولون للمخطوطات العربية ، واستقبـاله وزيـر الثقافـــة والاعــلان والامين العام للوزارة ومدير الثقافة فيها وقدموا له كل التسهيلات لاداء مهمته العلمية .

واشار رئيس البعثة الى لقائه بفضيلة الشيخ المختار بن حامد ، عالم موريطانيا ومؤرخهـا الـذي قضى عشرين عاما في العمل بفهرســة المخطوطـات الموريطانية وحصرها وتسجيلها ســواء كـانت في المكتبات العامة او الخاصة في موريطانيا .

وبناء على توجيهات مدير الثقافة ، سافــر المستشار الاستاذ صالح ابو رقيق الى وادرار ، ومنها الى شنقيط للاطلاع على المخطوطات العربية فيهما .

ومن المنتظر ان يعود رئيس البعثة الى الرباط بعد رحلته الاستطلاعية لمواصلة العمـل في المملكـة المغربية .

ويشـرف معهد المخطوطات ويسعده ان يتوجـه بالشكر الى كل المسؤولين في المملكة المغربيـة وفي جمهورية موريطانيـا الاسلاميـة على ما قدمـوه وما يقدمونه لبعثته العلمية من معونـات وتسهيـلات ستؤدي الى خدمة التراث العربي ونشر كنوزه .

※ تلقى المعهد ايضا رسالة خاصة من رئيس بعثته المستشار الاستاذ صالح ابو رقيـق يشيـد فيهـا بالمعونات والتسهيلات التي تقدمها السلطات المختصة في المملكة المغربية الى بعثـة المعهـد ، التي ستعـود برصيد كبير من نوادر المخطوطات العربية توضـع تحت يد العلماء والباحثين الذين يعملون في ميدان تحقيق كتب التراث العربي ونشرها .

※ تلقت الامانة العامة الاسلاميـة من سفـارة موريطانيا بجدة مذكرة عن مصادقة موريطانيـا علـى الميثاق الاسلامي .

الجـــزائـــر :

※ بمناسبة الذكرى العاشرة لاستقلال الجزائر وزع الرئيس هـواري بومديـن في حفـل تكريمـي الجوائز الادبية الكبرى للفنون والآداب عقب مسابقة نظمتها وزارة الاعلام والثقافـة الجزائريـة بهـذه المناسبة .

وقد فاز بالجوائز الادبية الاساتـذة الآتيـة اسماؤهم :

ـ في الدراسة والمقالة : الدكتـور عبد اللـه شريط . عبد المجيد باخروبي .

ـ في التاليف التاريخي : رشيد بورويبـة . محفوظ قداش .

ـ في الرواية : عبد الحميد بن هدوقة .

ـ في القصة : الدكتور ابو العيد دودو، الطاهر وطار .

ـ في الشعر : صالح خرفي

※ صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر الكتب التالية « الحسبة المذهبية في المغرب العربي نشأتها وتطورها » لموسى لقبـال « عنـوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعـة

ببجاية » تحقيق رابح بونار « نهضة الادب العربي المعاصر فى الجزائر » للدكتور عبد المالك مرتاض « دور الشعر فى معركة الدعوة الاسلامية » لعبد الرحمن خليل ابراهيم « مملكة سنغاي فى عهد الاسيقيين » لعبد القادر زبادية .

تونس :

☼ نقل الاستاذ محمد عزيزة كتابه (المسرح والاسلام) الى العربية (مرة ثانية) ، قالت جريدة « العمل » التونسية ان الطبعة الاولى اخرجتها احدى دور النشر من غير موافقة صاحب التاليف وهاته المرة ستتم الترجمة (الفاصلة) للكتاب بتونس وكذلك طبعه ..!!

☼ صادف اسبوع الفيلم السوفياتي فى تونس نجاحا كبيرا ، خصوصا عند عرض الافلام المطولة : « الملك لير » « التحرير » « سولاريس » . وقد حضر هذا الاسبوع وفد سوفياتي يتكون من المخرج يوري اوزيروف ، والممثل فيسفلود سانييف والممثلة فلانتينا شيدريكوفا .

☼ تأسس مؤخرا فى تونس « اتحاد الناشرين التونسيين » وقد وضع بين اهدافه :

- الرفع من مستوى الكتاب نشرا وترويجا .
- تدعيم حركة النشر والنهوض بها .
- التعريف بالمنشورات التونسية
- مساعدة أعضائه العاملين على انجاز اعمالهم ومشاريعهم وعلى المشاركة فى المؤتمرات والندوات المحلية والدولية .
- ربط علاقات صداقة وتعاون بين الاتحاد وبين الجمعية والمؤسسات التى تعنى بالنشر فى سائر الاقطار .

وقد اسس الاتحاد ليعمل على اقامة جسور التعاون بين جميع الاطراف سواء كانت منتجة للكتاب او مستهلكة له .

وسيحاول هذا الاتحاد حل جميع المشاكل الخاصة بالنشر وتسهيل مهمة الناشرين والتعاون مع الهيئات الثقافية العالمية وجميع اتحادات النشر العالمية .

☼ صدر عن الدار التونسية للنشر فى تونس « القصائد البصيرية » للشيخ محمد البصيري . وصدر كتيب لابراهيم شبوح عنوانه « حول منارة قصر الرباط بالمنستير وأصولها المعمارية » وصدر عن الدار التونسية « ديوان خزندار » الجزء الاول لمحمد الشاذلي خزندار ويضم اغلب القصائد التى قالها الشاعر فى الثلاثينيات . وصدر عن الشركة التونسية للتوزيع كتاب جديد لعثمان الكعاك عنوانه « العلاقات بين تونس وايران عبر التاريخ » .

☼ ستقام دائرتان جديدتان فى كلية الهندسة التونسية الوطنية احداهما لاعمال المسح والاخرى للهندسة المدنية بموجب اتفاق للتعاون الثقافي والفني بين سويسرا وتونس تم التوقيع عليه فى تونس .

وقد وقع الاتفاق عن تونس السيد احمد بن عرفة الامين العام لوزارة الخارجية . وعن سويسرا ادوارد ديبيتاي من كبار المسؤولين الحكوميين .

☼ افتتح بالمركز الثقافي الدولي بالحمامات بتونس الملتقى الاول حول الاساليب المعاصرة للفنون التشكيلية فى العالم العربي وينظم هذا الملتقى المركز الثقافي الدولي بالحمامات بالتعاون مع اليونسكو وشاركت فيه كل من مصر والاردن وفلسطين وسوريا وليبيا والمغرب والجزائر وتونس ولبنان .

افريقيا الغربية :

☼ صدر اخيرا معجم ثلاثي اللغة (بيل PEUL – فرنسي – انجليزي) قام بوضعه ونشره – بمعاونة اليونسكو – المركز الاقليمي لتسجيل الرواية المأثورة فى نيامي ويحتوي هذا القاموس على 5000 كلمة من الكلمات السائدة المستخدمة فى عدة لهجات « للفولفولد » وهي اللغة التى تستعملها جماعات البول وتغطي مساحة شاسعة من افريقيا الغربية تبدا من السينغال حتى شمال الكامرون .

وقد استخدمت الحروف اللاتينية وفقا لطريقة تدوين وضعها فريق دولي من اللغويين فى اجتماعاتهم

التي تمت بمدينة باماكو في عام 1966 بتكليف من اليونسكو . وبالاضافة الى لغة « البيل » فقد تم ايجاد طريقة تدوين لبعض لغات افريقيا الغربية كلغة الهوسا ، والسونغاي ، والتاماشك ، والبمبارا ، والكانوري .

وكانت اليونسكو ، بناء على طلب الكامرون وغينيا ومالي والنيجر ونيجيريا ، قد عهدت بهذه المهمة الى السيد د. و. ارنوت الاستاذ بمدرسة لندن للدراسات الشرقية والافريقية ، الذي اقام في سبيل ذلك بجميع المناطق التي تستخدم لغة « البيل » وقام بعده اثنان من الخبراء الافريقيين بتحقيق واستكمال القاموس وهما السيدان : الدريدج محمودو ، والفا ابراهيم سو . وقد قام بمراجعة الجزء الفرنسي من هذا القاموس السيد بيير فرنسيس لاكروا ، الاستاذ بمدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس .

ولا شك في ان هذا المعجم سيسهل قبل كل شيء ، عملية محو الامية بما يقدمه من املاء صحيح للكلمات المستعملة في اللغة . كما انه سيكون ايضا بمثابة نواة للابحاث الجارية حاليا لوضع القاموس العام للغة « البيل » .

السينغال :

* تقرر عقد ندوة اسلامية بجمهورية السينغال تحت رعاية الحكومة السينغالية وباشراف الاتحاد القومي للجمعيات الثقافية الاسلامية وذلك في النصف الثاني من شهر نوفمبر القادم .

وقد دعي للندوة ممثلون عن عدد من الدول الاسلامية والعربية والافريقية .

غانا :

* ابلغ وزير الحج والاوقاف السعودي الجهة المسؤولة في الوزارة بارسال الف نسخة من القرآن الكريم الى مديرية العلوم الاسلامية في شمال غانا باسرع وقت ممكن مساهمة منها في تحقيق غاية سامية ، نشرا للاسلام وتدعيما للصلات الروحية المتينة بين البلدين. وعلم بان ادارة التوعية بوزارة الحج بحده ، بصدد العمل على بعث هذه المصاحف الكريمة في غضون الايام القليلة القادمة .

زايير :

* يوجد العالم الفرنسي المتخصص في البراكين السيد هارون تازييف على راس وفد علمي يتكون من ممثلي عدة دول في زايير بهدف دراسة بركان نيراكونكو بولاية كيفو وهو البركان الوحيد في العالم المتميز بكونه يتوفر على بحيرة مليئة بالسائل البركاني الذي ازدادت مقاديره في الشهور الاخيرة .

وهذه ثالث مرة ينظم هارون تازييف بعثة من هذا النوع . ويقول بأن بركان نيراكونكو الذي يوجد على علو 3.800 متر اصبح اكثر تهديدا منذ ان اكتشف قبل حوالي قرن .

كمبالا :

* اقام عيدي امين حفل عشاء في منزله تكريما السيد عمر السقاف وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية .

وسلم السيد السقاف ، الذي وصل في زيارة تستغرق ثلاثة ايام ، الرئيس امين حوالة بمبلغ مليوني شلن - حوالي 115 الف جنيه استرليني - كتبرع من الملك فيصل لبناء مركز اسلامي في كمبالا .

وقال الراديو ان السيد السقاف عقد قبل ذلك اجتماعا مع المستر وانومي كيبيدي وزير خارجية اوغندا استعرضا فيه الوضع الدولي والتهديد الذي تشكله الصهيونية لاستقلال البلدان الافريقية .

ولم تتوفر تفاصيل اخرى عن المحادثات .. ولكن السيد السقاف كان قد صرح للصحفيين لدى وصوله انه يامل وضع وسائل عملية لتوسيع التعاون بين البلدين في جميع الميادين .

السودان :

* ذكر الدكتور عوني الشريف الخاتم وزير الشؤون الدينية السوداني بأن مجلس امناء الشؤون الاسلامية الذي يتالف من اعضاء يمثلون المملكة العربية السعودية والسودان ومصر والكويت وليبيا يجتمع في الخرطوم في اول سبتمبر القادم لبحث انشاء مركز اسلامي مقترح وقال ان المجلس

سيحدد الاشتراك المالي لكل دولة عضوة ويقر مناهج المركـز .

※ يعد الاستاذ عمر ابراهيم مصطفى ، مبعوث كليـة الدراسـات العربيـة بجامعـة الخرطـوم ، رسالة لنيل درجة الماجستير من كليـة دار العلـوم بجامعة القاهرة ، موضوعها « الكسائي راس مدرسة الكوفة واثره فى الدراسات اللغويـة » وذلـك تحت اشراف الدكتور محمد بدوي المختون الاستاذ المساعد بالكليـة .

※ يعد الاستاذ عبـاس عبد الله احمـد ، مـن السودان ، رسالة دكتوراه موضوعها « عبد القاهـر الجرجاني ومصادره البلاغية » وذلك فى قسم البلاغة بكلية اللغة العربية بجامعة الازهـر تحت اشـراف الدكتور محمد جمعة حسنين الاستاذ بالكلية ، وقد اطلع على المخطوطات والمراجع الخاصة بالبحث .

※ وصل الى الخرطوم السيد راشـد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الكويتي فى زيارة رسمية للسودان استغرقت عدة ايام .

واجرى الوزير الكويتي خـلال هـذه الزيـارة محادثات مع الدكتور عوني الشريف وزير الشؤون الدينية والاوقاف السوداني حول عدد من الموضوعات التى تهم البلدين ، وفى مقدمتـهـا انشـاء المركـز الاسلامي الافريقي فى الخرطوم الذى تسهـم فيـه المملكة العربية السعودية والكويت ومصر والسودان وليبيـا .

الكـامـيـرون :

※ شكلت فى الكامرون لجنة وطنية للتحضيـر للمهرجان العالمي الثاني للفن الافريقي وقد عين رئيسا للجنة المؤرخ والاديب الكامروني اينفيابير مفينغ . وتضم اللجنة مسؤولين فى كثير من الوزارات وكذلك بعض الممثلين البارزين لمختلف مجالات الفـن فـي الكامرون .

وسوف تعمل لدى اللجنة التحضيريـة لجـان فرعية للفن التقليدي المعاصر وصنعة الحرف اليدوية والموسيقى والسينما والباليه .

هذا وسيجري المهرجان العالمي الثانـي للفـن الزنجي سنة 1974 فى مدينة لاغوس .

أوغـنـدا :

※ اهدت رابطة العالم الاسلامي الرئيس عيدي امين رئيس جمهورية اوغندا مصحف مكة اثنـاء زيارتـه الاخيرة للمملكة حيث تقبله بالشكر والامتنان .

كما تقبل الرئيس عيدي امين ترجمة معانـي القرآن الكريم .. وترجمة صحيح البخـاري باللغـة الانجليزية الى جانب مجموعة من الكتب الاسلاميـة الثقافية قدمتها الرابطة فـي ثلاث لغات العربيـة والسـواحلية والانجليزية .

واهدت الرابطة الى قرينة الرئيس اميـن مجموعة من الكتب الثقافية الاسلامية تقبلتها شاكرة .

وكان الشيخ عبد الرزاق احمد قاضي قضاة جمهورية اوغندا ، والذى يرافق الرئيس الاوغندي فى جولته قد زار رابطة العالم الاسلامي وتفقد اقسامها وتباحث مع المسؤولين فيها وعلى راسهم الامين العام بالنيابة فى افضل السبل لتدعيم نشر الدعوة الاسلامية فى اوغندا وتامين كافة المساعدات للحركة هناك ماديـا وثقافيا تنفيذا لرغبة الزعيمين الفيصل المعظم وعيدي امين .

وقد استجابت رابطة العالم الاسلامي لجميـع الطلبات التى ابداها قاضي قضاة اوغندا فامنت فورا مجموعة من الكتب الاسلامية والثقافية بثلاث لغات : العربية ، والسواحلية (لغة المسلمين فى اوغندا) والانجليزية .. وتم ارسالها بطريق الجو على ان تقوم الرابطة بتامين مجموعـة اخـرى ترسـل للمدارس والمعاهد والجمعيات الاسلامية فى هذا البلد الافريقي .. وقد بلغ مجموع الكتب التى ارسلتهـا الرابطـة لاوغندا اكثر من الفي كتاب ومرجع توزع على النحو التـالـي :

1 ـ مجموعة لمكتبة المجلس الاسلامي الاعلى .

2 ـ مجموعة للمعاهد والمدارس والجمعيـات الاسلامية .

مـصـر :

※ ناقش مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية السابع الذى انعقد فى 9 سبتمبر الماضي عدة قضايا اسلامية

هامة في مقدمتها : التحديات الموجهة ضد الاسلام ، والتنسيق بين الهيئات العاملة في مجال الدعوة الاسلامية وقضايا الشبان ، ومشاكل العصر ...

* قرر الدكتور محمود الشنيطي رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب اصدار عدد من المجلات الثقافية مثل « المسرح » ويراس تحريرها نعمان عاشور و « السينما » ويراس تحريرها شادي عبد السلام و « الشعر » ويراس تحريرها صلاح عبد الصبور و « القصة » لم يتحدد رئيس تحريرها بعد و « التوثيق » ويراس تحريرها الدكتور احمد كابش بالاضافة الى مجلة « النقد » ويراس تحريرها الدكتور شكري عياد و « الفنون التشكيلية » ويراس تحريرها الدكتور يوسف سيده و «الموسيقى» ويراس تحريرها الدكتورة سميحة الخولي .

* انشئت في القاهرة جمعية ترعى الدراسات اللغوية وتنمي الوعي اللغوي بين الدارسين كما تعمل على تفاعل المدارس اللغوية المختلفة ، وقد سميت باسم « الجمعية اللغوية المصرية » هذا وقد اجتمعت الجمعية العمومية لاختيار مجلس للادارة وانتخبت الدكتور تمام حسان رئيسا ، والدكتور حسين نصار وكيلا ، والدكتور رمضان عبد التواب مقررا ، والدكتورة تفريد عنبر لامانة الصندوق ، وجعلت مقرها المؤقت في نادي هيئة التدريس بجامعة القاهرة .

* من الافلام التسجيلية التي تمت في الفترة الاخيرة فيلم بعنوان « اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم » وهو يصور المصاحف عبر اربعة عشر قرنا ، منذ مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى المصاحف المطبوعة في العصر الحديث ، مرورا بالمصاحف في العصر الفاطمي والايوبي والتركي ، والمصاحف المغربية والفارسية والايرانية والهندية .

وقد التقطت مناظره في دار الكتب المصرية حيث توجد صالة كبيرة خاصة بالمصاحف وفي المطبعة الاميرية بالقاهرة اثناء عملية طبع وتجليد المصحف ، ومدة الفيلم عشر دقائق بالالوان الطبيعية .

* ابن عصفور والتصريف ، تاليف الدكتور قباوة ، نشر دار الاصمعي في 279 صفحة .

* نوقشت في الفترة الاخيرة رسالة الدكتوراه المقدمة من الاستاذ توفيق سلطان اليوزبكي الى كلية الآداب بجامعة عين شمس ، وموضوعها « تاريخ اهل الذمة في العراق من سنة 17 هـ الى 218 هـ » وكانت لجنة المناقشة مكونة من الدكتور عبد المنعم ماجد مشرفا ، والدكتورين ابراهيم العدوي وعلي حسني الخربوطلي عضوين وبعد المناقشة منحته اللجنة درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى .

* الاستاذ حسن محمود عبد اللطيف المعيد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وهو يعد رسالة دكتوراه في الفلسفة الاسلامية موضوعها : نظرية المعرفة عند نصير الدين الطوسي مع تحقيق المقالة الخامسة من كتابه اساس الاقتباس ، وذلك باشراف الدكتور محمود قاسم عميد الكلية .

* سوف يصدر قريبا كتاب (مقامات ابن الجوزي) ، عن المؤسسة المصرية للطباعة والنشر ، بتحقيق الاستاذ محمد نفس الموظف بوزارة الثقافة بالقاهرة .

* اتمت شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي طبع الجزء الخامس من كتاب المحكم والمحيط الاعظم لابن سيده ، بتحقيق الاستاذ ابراهيم الابياري وجاء في 346 صفحة .

هذا ويتابع المعهد اصدار الكتاب بالتعاون مع مطبعة الحلبي ، وسوف تصل اجزاؤه الى اثني عشر جزءا .

* صدر بالقاهرة اخيرا الجزء العشرون من كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني بتحقيق الاستاذ علي النجدي ناصف ، وهو يصدر لاول مرة مستكملا طبعة دار الكتب ومحققا على المخطوطات الاصلية مع اضافات من التراجم لم يسبق نشرها ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب

* عقد في القاهرة في الفترة من 31 ابريل الى 6 مايو 1972 اجتماع للخبراء لبحث موضوع تنمية الكتاب في الدول العربية ، وقد اشترك في

هذا الاجتماع رواد دور النشر وقادة المكتبات ورجال الفكر والتربية من 16 دولة عربية هي الجزائر والبحرين وجمهورية مصر العربية والعراق والاردن والكويت ولبنان وليبيا والمغرب وقطر والسعودية . والسودان وسوريا وتونس واليمن واليمن الشعبية. وقد دام هذا الاجتماع الذى دعت الى عقده منظمة اليونسكو مدة اسبوع ، ونوقشت خلاله خطط التوسع فى انتاج وتوزيع الكتاب فى مختلف ارجاء العالم العربي .

وفى حفل الافتتاح القى الدكتور الشنيطي ، رئيس مجلس ادارة الهيئة المصرية العامة للكتاب بجمهورية مصر العربية ، كلمة رحب فيها بالسادة الخبراء والمشتركين والمراقبين واشار سيادته الى اهمية الدور الذى لعبه الكتاب فى تاريخ الامة العربية عبر عصورها المختلفة ، واكد على اهمية دور الكتاب فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المرحلة الحالية من تطور المجتمع العربي .

* يعيد الاستاذ محمد الاشين ، المعيد بكلية التجارة بجامعة الازهر ، رسالة ماجستير موضوعها « التنظيم المحاسبي للاموال العامة فى الاسلام » وذلك تحت اشراف الدكتور محمد سعيد عبد السلام الاستاذ بالكلية والدكتور شوقي شحاتة مدير بنك مصر .

* يعد الاستاذ زياد احمد حسن صالح ، من فلسطين ، رسالة ماجستير موضوعها : « تيارات النقد والبلاغة فى الشام فى القرن الثامن الهجري » مع تحقيق مخطوطة فض الختام عن التورية والاستخدام لصلاح الدين الصفدي ، وذلك فى كلية الآداب بجامعة الاسكندرية باشراف الدكتور محمد زغلول سلام الاستاذ بالكلية .

* يعد الاستاذ ابراهيم هلال المدرس الاول بالمدرسة التوفيقية الثانوية بالقاهرة رسالة دكتوراه فى الفلسفة الاسلامية عنوانها : نظرية المعرفة الاشراقية واثرها فى النظرة الى النبوة » وذلك فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة باشراف الاستاذ الدكتور محمود قاسم عميد الكلية .

* يعد الاستاذ الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة الاستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، الآن كتاب ذيل خزانة البغدادي للتحقيق والطبع ، وقد اطلع على بعض المخطوطات والمراجع المتعلقة بالموضوع .

* وافق المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بجمهورية مصر العربية على منح جائزة الدولة التقديرية فى الآداب (2500 جنيه وميدالية ذهبية) الى الاستاذ محمد خلف الله احمد، مدير معهد البحوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المنبثقة عن جامعة الدول العربية .

* نوقشت بكلية آداب جامعة الاسكندرية رسالة الماجستير المقدمة من محمد الكومي وموضوعها « ذو الرمة حياته وشعره » وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الدكاترة محمد زكي العشماوي ومحمد زغلول سلام وحسين نصار وقد حصل الطالب على تقدير جيد جدا .

* نوقشت بكلية الشريعة والقانون بجامعة الازهر اول رسالة دكتوراه فى الاقتصاد الاسلامي وعنوانها « الفكر الاقتصادى عند عمر بن الخطاب » المقدمة من احمد محمود الشافعي .

* اهم اعمال الروائي المصري نجيب محفوظ ستترجم الى الانجليزية . اتفق الدكتور احمد حسين الصاوي مدير النشر بالجامعة الامريكية فى القاهرة مع نجيب محفوظ على ان تتفق الجامعة مع نخبة من اساتذة الادب الانجليزي بالجامعة المصرية لترجمة اهم اعماله الروائية وتقديمها لقراء الغرب ستبدا الترجمة بروايات « الطريق » و « اللص والكلاب » و «ميرامار » و « السمان والخريف » .

* انتهى منذ ايام تصوير الفيلم الاول من سلسلة الافلام التى تنتجها وزارة الاوقاف فى مصر عن المساجد الكبرى فى بلاد الكنانة ...

الفيلم مدته نصف ساعة ، ويشمل تصوير صلاة الجمعة وموضوعه عن مسجد السيدة زينب وهو بالالوان ...

علق عليه عبد الخالق عبد الوهاب المذيع باذاعة القرآن الكريم ، وكريمان عبد اللطيف حمزة ، مذيعة البرامج الدينية بالتلفزيون المصري .

بعد هذا الفيلم يبدا الاعداد لتصوير فيلم تسجيلي جديد عن الامام الحسين ...

❊ نوقشت بكلية آداب جامعة الاسكندرية رسالة الماجستير المقدمة من حسين رجب وعنوانها « وجهة نظر فى تصنيف النحو العربي » اشترك فى المناقشة الاستاذ الاكبر الدكتور محمد الفحام شيخ الجامع الازهر والدكاترة حسن عون وطه الحاجري وعباس حسن ونال الكاتب شهادته بتقدير ممتاز .

❊ بدا فى القاهرة يوم 19 من ديسمبر الماضي المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية ، واشترك فيه ممثلون عن 70 دولة عربية واسلامية .. وقد صرح الدكتور عبد الرحمان بيصار رئيس المجمع بأن المؤتمر سيبحث موضوع التكامل الاقتصادي بين الشعوب الاسلامية ودوره فى تحقيق التقدم والاسس الاقتصادية التى تقوم عليها البنوك الحالية ، وكيفية الربط بينها وبين الشريعة الاسلامية .. كما سيبحث المؤتمر كذلك التامينات التى تقوم بها شركات التامين، وشهادة الاستثمار ، كما يبحث حالة الاسلام والمسلمين فى عدد من الدول المتقدمة اقتصاديا فى أوروبا وامريكا على ضوء العقائد والمذاهب السائدة هناك ، ونظرة المجتمع الى الدين وعلاقته بالعلم والتقدم .

❊ « شروق الاسلام » مجموعة قصص تاريخية تاليف ابراهيم المصري صدرت حديثا عن دار الشعب بالقاهرة فى 240 صفحة .

❊ « منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الاوربي » كتاب الدكتور عثمان موافي المدرس بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية صدر عن مؤسسة الثقافة الجامعية فى 250 صفحة حجم كبير .

❊ ومن الكتب التى تتصل بالتراث الاسلامي والتاريخ العربي صدر ما يلي :

ـ الايجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق، وهو من تاليف الدكتورة بنت الشاطىء دار المعارف بالقاهرة ، فى 520 صفحة .

ـ البسملة بين اهل العبارة واهل الاشارة تاليف الدكتور ابراهيم بسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فى 105 صفحات .

ـ الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، تاليف الدكتور احمد هيكل الجزء السادس، دار المعارف بالقاهرة فى 422 صفحة .

ـ العصر الجاهلي ، تاليف الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف بالقاهرة فى 435 صفحة .

ـ الادب فى العصر المملوكي ، (الدولة الاولى: 648 ـ 783 هـ تاليف الدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف بالقاهرة فى 320 صفحة .

ـ الاغالبة 184 ـ 296 هـ) سياستهم الخارجية، تاليف الاستاذ محمود اسماعيل عبد الرازق ، مكتبة سعيد رافت بجامعة عين شمس ، فى 289 صفحة .

ـ تاريخ التصوف فى الاسلام ، تاليف قاسم غني ، ترجمة صادق نشات ، مراجعة الدكتورين احمد ناجي القيسي ، ومحمد مصطفى حلمي ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، فى 908 صفحة وهو الجزء الثاني من الكتاب .

ـ المذهب الاشراقي بين الفلسفة والدين فى الفكر الاسلامي ، تاليف الاستاذ محمد جلال ابو الفتوح ، دار المعارف بالقاهرة فى 318 صفحة .

ـ البحث الادبي ، طبيعته ، مناهجه ، اصوله ، مصادره ، تاليف الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بالقاهرة ، فى 278 صفحة .

ـ الطبعة الثانية لتفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن) تحقيق الاستاذ محمود محمد شكر ، وهذا هو الجزء الثامن ، ويتضمن تفسير الآيات من 8 ـ 87 من سورة النساء صدرت بالقاهرة عن دار المعارف فى 638 ص .

ـ الجزء الاول (العدد الثامن) من جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير ، للامام السيوطي صدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، من ص 859 ـ 986 .

ـ مفتى ذوي الافهام عن الكتب الكثيرة فى الاحكام على مذهب الامام المبجل احمد بن محمد بن حنبل ، تاليف جمال الدين يوسف بن عبد الهادي

الحنبلي ، تحقيق عبد العزيز بن محمد آل الشيخ طبع في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

ـ تاويل الدعائم ، تاليف النعمان بن محمد ، تحقيق محمد حسن الاعظمي ، وهو في فقه الشيعة صدر عن دار المعارف بالقاهرة في 325 صفحة .

ـ الطبعة الثالثة لكتاب العقد الفريد لابي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي الاندلسي ، شرح وضبط وتصحيح احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري صدر عن لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، الجزء الثالث في 507 ص .

ـ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ، مراجعة وتعليق شوقي ضيف ، صدر منه الجزء الثالث وهو يحتوي على تاريخ آداب العربية من دخول السلاجقة بغداد سنة 447 هـ الى دخول الفرنسيين مصر سنة 1213 هـ ـ 1798 م .

مطبعة دار الهلال بالقاهرة في 368 صفحة .

ـ الطبعة الثانية لشرح ديوان الحماسة تاليف ابي علي احمد بن محمد المرزوقي تحقيق احمد امين وعبد السلام هارون ، وهذا هو القسم الرابع ومعه الفهارس العامة للكتاب ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، من صفحة 1557 الى 2133 .

ـ نصان جديدان من وثيقة الامير صرغمتش ، تحقيق الدكتور عبد اللطيف ابراهيم مستخرج من حوليات كلية الآداب بجامعة القاهرة المجلد 28 لسنة 1966 ، في 106 صفحة .

ـ الفتوحات المكية للشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي ، تحقيق الدكتور عثمان يحيى ومراجعة الدكتور ابراهيم بيومي مدكور ، السفر الاول ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر بالقاهرة .

ـ ابن خفاجة ، تاليف الدكتور محمد رضوان الداية مدرس الادب والاندلس في جامعة دمشق ، وهو الكتاب الاول من سلسلة الذخائر التي يصدرها المكتب الاسلامي في دمشق ، في 145 صفحة .

ـ يعمل الاستاذ ابراهيم هلال في تحقيق رسائل الامام الشوكاني مع مقدمه في الاجتهاد والتقليد له ايضا ، وسوف يصدر قريبا في لبنان .

ـ يعد الاستاذ عبد الحليم عبد الفتاح عويس ، رسالة ماجستير عن دولة بني حماد بالمغرب في كلية دار العلوم (قسم التاريخ) باشراف الدكتور احمد شلبي ، وقد اطلع على كتاب الذخيرة لابن بسام للاستفادة به في رسالته .

※ صدر الجزء العشرون من كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ، بتحقيق الاستاذ علي النجدي ناصف ، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، ويقع في 525 صفحة .

※ وافق المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة على منح جائزة الدولة التقديرية ، وهي 2.500 جنيه وميدالية ذهبية ، لاسم الفقيد محمد كريم في الفنون . والدكتور خلف الله احمد في الاداب والدكتور محمد مصطفى القللي في العلوم الاجتماعية وواقق المجلس على منح عدة جوائز تشجيعية ، قدر الجائزة 500 جنيه ، منها : في ادب الرحلات : كتاب « من اقصى الشرق » لممدوح مصطفى عبد الرزاق وكتاب « صالون من ورق » لكمال الملاخ . وفي القصة والرواية : رواية « العودة الى المنفى » لابي المعاطي ابي النجا . وفي التربية : كتاب « التربية والتقدم » للدكتور سعيد مرسي احمد واعتباره المرشح الاول للجائزة ومجموعة كتب الدكتور محمد البسيوني واعتباره المرشح الثاني . وفي التاريخ والآثار : كتاب « قناة السويس والتيارات السياسية » للدكتور محمد عبد العزيز الشنواني . وقرر المجلس حجب جائزة الدولة التشجيعية للفنون الزخرفية ، والشعر ، وراى المجلس ان الانتاج المقدم هذا العام لا يرقى الى المستوى المطلوب لنيل الجائزة في فروع : الاجتماع والاقتصاد والمالية العامة والقانون الجنائي وعلم الاجرام والمرافعات والقانون التجاري .

※ نوقشت بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية رسالة الماجستير المقدمة من الانسة سائدل احمد يس وموضوعها « التاثيرات الاجنبية في اعمال توفيق الحكيم » .

※ اعلن مجمع اللغة العربية نتيجة المسابقة الادبية التي كان قد اعلن عنها في العام الماضي وموضوعها (قصة او مسرحية عن التفرقة العنصرية) فاز بالجائزة الاولى القصاص علي الفلال عن قصته « المعذبون في الجنوب » وبالجائزة

* الدار المتحدة للنشر في بيروت اصدرت مذكرات المرحوم خالد العظم السياسي السوري وهي تؤرخ من دخول الملك فيصل دمشق عام 1917 الى ما بعد نهاية الوحدة بين سورية ومصر . كما ان الدار اقدمت على اعادة نشر المجموعة الكاملة من مجلة (شعر) التي تضم 44 جزء يقع في 11 مجلدا عدد صفحاتها 6 آلاف وهي مطبوعة بالاوفست على ورق ممتاز ومجلدة بالقماش وثمن المجموعة 250 ليرة في الداخل 350 ليرة في الخارج . عنوان الدار ص . ب 9059 بيروت تليفون 239194 .

* ينشر الباحث المحقق يوسف اسعد داغر كتابين جديدين له في عداد منشورات الجامعة اللبنانية اولهما (مصادر الدراسة الادبية) الجزء الثالث في 1800 صفحة حجم كبير يضم 550 دراسة لمثل هذا العدد من الادباء الراحلين بين 1800 – 1972 اما الكتاب الثاني فهو (الاصول العربية للدراسات اللبنانية) ويقع في 700 صفحة ويضم 5.400 مصدرا من مصادر تاريخ لبنان في شتى مراحله ومناحي نشاطاته .

* قبل مغادرته لبنان الى الولايات المتحدة انتهى الدكتور جاك . ل. كابس استاذ زائر في الجامعة الامريكية من تحقيقه العلمي حول الشعر الانجليزي غير المجموع لامين الريحاني واشار في هذا التحقيق الى ان قصائده الانجليزية تشكل وثيقة تاريخية للنقاد والباحثين تساعد على رسم التطور الثقافي عند الريحاني الشاعر . ويقسم البحث شعر الريحاني الانجليزي الى الابواب التالية : قصائد في العلاقات الشخصية ، قصائد في الشعر وفنه ، قصائد الحب ، شعر مسرحي ، اناشيد ، قصائد الحب ، شعر مسرحي ، اناشيد ، قصائد سياسية ، رباعيات .

وتضم هذه المجموعة 138 قصيدة تقع في 280 صفحة .

* صدر كتاب : امام دار الهجرة عن « دار ادريس» ببيروت للكاتب محمد المنتصر الكتاني ، وهو دراسة عن امام دار الهجرة مالك بن انس . وقد وفق المؤلف في تجلية شخصية هذا الامام القدوة في فصول مركزة . والكتاب حرى بالقراءة لانه يتصل بجانب من الشخصية المغربية الاسلامية لارتباطها التاريخي بمذهب الامام مالك .

* في بيروت صدرت الطبعة الجديدة لكتاب « ادب الغرباء » لابي الفرج الاصبهاني تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

* اعلنت الندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين عزمها على عقد مؤتمرها العالمي الثاني في كانتربوري بانجلترا .

وقد عقد المؤتمر في 11 سبتمبر الماضي و 16 منه بحضور 200 شخصية مسيحية من مختلف انحاء العالم وبحثت فيه موضوعات مهمة تتركز في القاء الضوء على القضية الفلسطينية .

وقالت الامانة انها اقترحت أن تتركز مناقشات مؤتمر كانتربوري في الوضع الحالي للشعب الفلسطيني ونضاله من اجل التحرير والحصول على حقوقه المشروعة وفي كشف خداع المزاعم الدينية للصهيونية بالاضافة الى اطلاع الراي العام العالمي على عملية تهويد القدس وباقي المناطق المحتلة .

الاردن :

* القى محمد اديب العامري في قاعة المجلس الثقافي البريطاني في عمان محاضرة باللغة الانجليزية عن « القدس وتراثها العربي » وقد دلل المحاضر بمقتبسات من التوراة والمراجع الاجنبية لاثريين ومؤرخين على ان القدس وفلسطين كانت وظلت عبر حقب التاريخ جزءا من جزيرة العرب وان الشعوب والقبائل العربية الاصول خرجت منذ القدم (خمسة آلاف قبل الميلاد) واستوطنت العراق وسورية ولبنان والاردن وفلسطين وسيناء ومصر كما دلل المحاضر على ان اليبوسيين الذين هم بطن من الكنعانيين ، وهؤلاء من اصول عربية، هم الذين انشاوا القدس وعمروها وذلك في نحو 4 آلاف قبل الميلاد ، اما العبرانيون فقد جاءوا متأخرين الى القدس بعد ان كانت قد ازدهرت واصبحت ذات ملك ولغة وديانة وحضارة . دخلوها غازين كعنصر غريب من اصول مختلطة جدا حوالي سنة الف قبل الميلاد كما دخلها غزاة سابقون عابرون من حوريين وحيثيين وهكسوس ثم زالوا عنها بسرعة .

* تتابع اللجنة الوطنية الاردنية للعام الدولي للكتاب نشاطها في مختلف الميادين الدعائية لنشر عادة المطالعة والاهتمام بالكتاب وقد تالفت لجنة

* قررت وزارة الاوقاف المصرية انتاج فيلم تسجيلي عن جميع جلسات مؤتمر علماء المسلمين الذي انعقد بالقاهرة ، وسيتم توزيعه على جميع الهيئات والجامعات الاسلامية فى انحاء العالم .

* صرح الدكتور لبيب السعيد مدير عام شؤون القرآن بوزارة الاوقاف المصرية ان 40 دولة من مختلف انحاء العالم طلب اختيار مقرئين لاحياء ليالي رمضان المعظم هذا العام ، ومن بين هذه الدول بلجيكا وايران وفرنسا وانجلترا ويوغوسلافيا وتركيا ومعظم الدول العربية والاسلامية وبعض الدول الافريقية .

وقد قرر وزير الاوقاف اجابة جميع هذه الطلبات واختيار المقرئين ، وستتحمل مصر جميع نفقات سفر المقرئين واقامتهم .

لبنــــــان :

* تقوم الآن فى بريطانيا محاولات حثيثة لاقامة مركز شامل للمسلمين الموجودين فى بريطانيا والذين يفوق عددهم المليون مسلم .

هذا وفى نهاية الاجتماع السنوي الذى عقده الاتحاد الاسلامي فى المملكة المتحدة وايرلندا المتعقد فى لندن اتخذ الاتحاد قرارا بالاجماع يقضي بالمباشرة باقامة بيت للشباب المسلم يضم بين جدرانه امكنة للتسلية الرياضية النافعة كحوض للسباحة مثلا ومدرسة لتعليم الدين الحنيف وقاعة كبيرة للاجتماعات مع جامع عصري .

وقد ادلى السكرتير العام للاتحاد المدعو سيد باشا بحديث قال فيه ان هذه الفكرة لا تتعارض مع مشروع المليون والنصف جنيه استرليني التى كانت قد خصصت فى وقت سابق لبناء مركز اسلامي وجامع فى مدينة لندن ولكنها الحقيقة هي تكملة لهذا المشروع .

* توفي فى بيروت الصحفي الكبير الاستاذ جورج النقاش، ولد الفقيد عام 1904 فى الاسكندرية ودرس فى اليسوعية فى الاسكندرية ثم فى مدرسة الهندسة ببيروت حيث تخرج مهندسا عام 1923 بدا عمله الصحفي سنة 1922 واسس مع غبريال خباز عام 1924 جريدة « لوريان » باللغة الفرنسية وفى سنة 1952 اسس جريدة « الجريدة » باللغة العربية ، وفى العام الماضي باع الفقيد جريدة « لوريان » حيث اندمجت مع « لوجور » تحت اسم « لوريان — لوجور » الا انه بقي رئيسا لتحريرها .

* يعد الاستاذ جورج حداد، الطالب بالدراسات العليا بالجامعة اليسوعية ببيروت ، رسالة ماجستير فى الادب بتلك الجامعة تحت اشراف الدكتور اسعد علي وقد اختار ديوان ابن المشد لتحقيقه ودراسته .

* افتتح فى مصيف برمانا اللبناني ، حوار مسيحي — اسلامي لبناني استمر اسبوعا برعاية مجلس الكنائس العالمي الذى يتخذ من جنيف مقرا له . وافتتح السيد غالب الترك محافظ جبل لبنان بالنيابة عن الرئيس سليمان فرنجية هذا المؤتمر الذى يحضره حوالي 50 مسيحيا ومسلما من 20 بلدا .

وهذه اول مرة يشترك فيها مثل هذا العدد من المسلمين والمسيحيين من البلدان فى حوار .

وقال الدكتور يوجين كارسون بليك السكرتير العام لمجلس الكنائس العالمي فى خطابه الترحيبي أن الحوار لا يستهدف ايجاد تحالف اسلامي مسيحي ضد الاديان الاخرى اوضد المعتقدات البشرية .

واضاف يقول ان شعار الاجتماع هو السعي والتفاهم والتعاون بين بقية البشر .

وسيبحث المجتمعون فى جلسات مغلقة فيما يلي :

1 — الديانات والامم .
2 — الصدق والطاعة .
3 — العلاقات بين المسيحيين والمسلمين .
4 — الصلاة والعبادة .

* صدر عن مطبعة صادر فى بيروت (نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة) تأليف القاضي ابي علي المحسن بن علي التنوخي المتوفى سنة 384 هـ تحقيق المحامي عبود الشالجي وقد صدر الكتاب فى اربعة اجزاء مجلدة فى طباعة انيقة وورق ممتاز . يقع الجزء الاول فى 410 صفحات والثاني فى 418 صفحة والثالث فى 340 صفحة والرابع فى 338 صفحة حجم كبير .

الثانية كل من الدكتور محمد رجب البيومي عن مسرحيته الشعرية « بأي ذنب » والدكتور نجيب الكيلاني عن قصته « قاتل حمزة » . اعلن المجمع ان مسابقته هذا العام موضوعها « اللغة فى أدب القصة والمسرحية » .

* الباحث المصري الدكتور عبد المنعم خفاجي يصدر له قريبا تحقيق علمي لكتاب « اسرار البلاغة » لعبد القاهر الجرجاني . كما أصدرت له دار الكتاب اللبناني ببيروت كتاب « شرح الايضاح فى علوم البلاغة » فى جزءين .

* نوقشت بكلية دار العلوم بالقاهرة رسالة الماجستير المقدمة من احمد ابراهيم درويش المعيد بالكلية وموضوعها « الصورة الشعرية فى البلاغة والنقد العربي القديم والمعاصر » .

* « اعجب الرحلات فى التاريخ » كتاب جديد لانيس منصور صدر بالقاهرة .

* صدر بالقاهرة للدكتور محمد حسن عبد الله كتاب « الواقعية فى الرواية العربية » من الدكتور محمد حسنين هيكل الى نجيب محفوظ .

* « عندما تحب المرأة » مجموعة قصص تاليف حلمي مراد صدرت فى سلسلة « اقرأ » عن دار المعارف بمصر فى 192 صفحة .

* اصدر الشيخ محمد ابو زهرة كتابا (ليس جديدا) عن الوحدة الاسلامية . يتناول فيه هذه الوحدة من الوجهة التاريخية والعقائدية والمصلحية . ويركز على الجانب النظري فى الموضوع . وقد كانت الوحدة الاسلامية عنوان كتاب صدر فى حجم صغير للمؤلف منذ سنوات .

* تقرر تحديد عدد الحجاج المصريين الذين يؤدون الفريضة هذا العام بنحو 25 الفا بخلاف اصحاب الدعوات . على ان يتم السفر والعودة بالطائرات .

صرح بذلك المهندس الطيار احمد نوح وزير الطيران المدني . واضاف ان مؤسسة مصر للطيران استأجرت ثلاث طائرات لتنضم الى اسطولها الجوي للمساهمة فى نقل الحجاج . وسيكون الحجر الصحي لاول مرة بالمبنى الجديد للامن المركزي بمنطقة العباسية .

* المذاهب الاسلامية للدكتور عبد الرحمان بدوي . وهو كتاب ضخم فى نحو 600 صفحة من القطع الكبير يعرض للمذاهب الاسلامية منذ ظهورها بعد تفرع علم الكلام نتيجة احتكاك المسلمين بالثقافات الاغريقية واليونانية والهندية . وفى نية المؤلف ان يستمر فى اصدار اجزاء متتالية يعرض فيها جميع مذاهب الاسلاميين كما يعبر عنها . ويعتبر الكتاب أول دراسة مفصلة عما يصطلح عليه بالفلسفة الاسلامية .

* افتتح الدكتور عبد الحليم محمود ، وزير الاوقاف المصري ، نيابة عن الرئيس انور السادات مؤتمر علماء المسلمين الذي بدأ أعماله فى القاهرة وحضر حفل الافتتاح الامام الاكبر الدكتور محمد الفحام شيخ الازهر والدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الامين العام لمجمع البحوث .

وقد ناقش المؤتمر عدة ابحاث حول احوال المسلمين فى العالم وتحدث عنها الشيخ ابو بكر حمزة – فرنسا – والدكتور اسماعيل بالتش – النمسا – والامام موسى ابراهيم – تشاد – والاستاذ بودري هاشم سيرالانكا – والدكتور مصطفى رفعت – تركيا – والاستاذ سفيان درامى – اوغندا – والشيخ عبد الرزاق متوفى – اوغندا – والحاج امام زشكش – اندونيسيا –

ومن جهة اخرى فقد ارسل السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية برقية الى شيخ الازهر بمناسبة افتتاح مؤتمر علماء المسلمين جاء فيها بمناسبة انعقاد المؤتمر السابع لمجمع البحوث الاسلامية فى الازهر الذى كان جامعا فاصبح جامعة ومجمعا للبحوث وفى هذه المرحلة التى يمر بها العالم الاسلامي والعالم العربي بصور من التحدي الاستعماري تتمثل فى الوجود الصهيوني الناهض اكل الديانات .. يطيب لي ان ابعث اليكم والى علماء المسلمين المشتركين فى المؤتمر بكل تمنيات التوفيق التى تهم الاسلام والمسلمين .

* عن دار الشعب بالقاهرة صدر كتاب « من دلائل النبوة » تأليف مولانا ابو الكلام ازاد ، تقديم احمد حسن الباقوري .

خاصة لتيسير الكتاب للقاريء سواء اكان ذلك للاطفال ام للكبار ويراس اللجنة محمد اديب العامري الوزير السابق ويشترك فيها امين ابو الشعر المدير السابق لدائرة المطبوعات ورجا العيس المدير العام لوكالة التوزيع الاردنية ومحمود سيف الدين الايراني مندوبا عن وزارة الاعلام ومحمود العابدي المستشار الثقافي لامانة العاصمة ومحمود الاخرس مدير قسم المكتبات بوزارة التربية وستعمل اللجنة على تنسيق العمل لانتاج كتب الاطفال وتيسير طباعة كتب المؤلفين الاردنيين ونشرها .

* عقدت اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر اجتماعا برئاسة وزير التربية الدكتور اسحاق الفرحان ناقشت فيه اعمال الوفود المزمع ارسالها الى سورية ومصر والعراق لزيارة المجامع اللغوية فيها وبحثت اللجنة موضوع المترجمين الذين سيقومون بترجمة بعض الكتب الى اللغة العربية في الفيزياء والكيمياء والاحياء والرياضيات والطب العربي وعهد الى سكرتير اللجنة عيسى الناعوري بمتابعة الاعمال .

* قرر وزير التربية تشكيل لجنة لدراسة موضوع هجرة الادمغة ونزوح ذوي المؤهلات والكفاءات من الاردن ووضع تقرير عن ذلك الى منظمة اليونسكو .

* يعد الاستاذ كامل محمد يعقوب، من الاردن ، رسالة ماجستير في النحو بكلية الآداب بجامعة القاهرة تحت اشراف الدكتور سيد يعقوب بكر الاستاذ بالكلية وقد اطلع على فهارس المعهد، ومراجعه لاختيار موضوع مناسب

* قرر مجلس الوزارة انتداب الدكتور احمد سعيدان الاستاذ في كلية العلوم بالجامعة الاردنية للعمل في مكتب التعريب التابع لجامعة الدول العربية في مدينة الرباط بالمغرب لمدة اربعة اشهر .

* اصدر في عمان ابراهيم السمان كتابه الثالث (سفارة الادب) عرض فيه نماذج من البرامج الاذاعية الخاصة ولمسات من حياة بعض الادباء المعاصرين والكلمة المضيئة المكافحة في سفارة الادب .

الكويت :

* يعد الاستاذ فايز فارس الحمد ، المدرس بالكويت ، رسالة ماجستير موضوعها : دراسة وتحقيق كتاب (شرح لمع ابن جني) لابن برهان وذلك في كلية الآداب بجامعة القاهرة باشراف الدكتور سيد يعقوب بكر الاستاذ بالكلية ، وقد اطلع على المخطوطات الخاصة بموضوعه .

* صدر عن مطبعة حكومة الكويت مجموعة شعرية لرضا الفيلي عنوانها « ضفاف الهوى » تقديم محمد عفيفي ، في 168 صفحة

* صرح مصدر مسؤول بوزارة المالية والاقتصاد الوطني الكويتي بأنه تم خلال شهر رجب الماضي صرف مساعدات مالية لهيئات ومؤسسات اسلامية في انحاء مختلفة من العالم كله وهي كما يلي :

- احد عشر الف جنيه استرليني مساعدة لاتحاد الطلبة المسلمين ببريطانيا

- خمسة آلاف جنيه سترليني مساعدة لدار الايتام في كولبو بسيلان .

- خمسمائة دينار عراقي مساعدة في بناء مسجد ابي بكر الصديق بالعراق .

- خمسة آلاف ليرة سورية مساعدة في بناء مسجد القامشلي بسوريا .

- خمسة آلاف ريال مساعدة لجمعية الاسلام في اورا بأوغندة .

- الفا دينار اردني مساعدة لدار الطفل العربي بالاردن .

- الفا دولار مساعدة للهيئة التأسيسية للمدرسة الاسلامية في ولاية سيهول في تايلاند .

تركيا :

* ذكرت مصادر مجلس الاوقاف الاردني ان المجلس قرر تخصيص مبلغ سنوي للانفاق على اربع بعثات دراسية لطلاب اتراك سيرشحون للدراسة في الجامعة الاردنية

* عقد فى انقرة مؤتمر ضم ممثلين عن اتحادات الائمة وخطباء المساجد وقد توافدوا من مختلف انحاء تركيا الى اجتماعهم السنوي لتدارس الامور العائدة لعملهم .

ويبلغ عدد هذه الاتحادات فى تركيا نحوا من 240 اتحادا تعمل فى خدمة الديانة الاسلامية سواء اكان فى سبيل التدريس ام بواسطة الرعاية .

وقد خطب فى المؤتمرين حضرة رئيس شؤون الديانة فى الدولة التركية السيد لطفي دوغان فحثهم على المضي فى بث روح الوحدة فى الامة كما دعا الخطباء الى كشف خطر الشيوعية الملحدة التى ترمي الى التخريب ونبه الجميع الى ضرورة زيادة معلوماتهم الدينية والتثقف الفقهي بما يوزع لهم من نشرات وما يمكنهم التزود به من كتب علمية لتحقيق نهضة دينية شاملة فى البلاد .

السعوديـــــة :

* صدر فى مطبوعات كلية اللغة العربية بالرياض الكتاب الاول من موسوعة « ادب الدعوة الاسلامية » وعنوانه « شعر الدعوة الاسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين » جمعه وحققه ووثقه وشرح غريبه وترجم لاعلامه وصنع فهارسه عبد الله بن حامد الحامد باشراف الدكتور عبد الرحمان رأفت باشا ، وهو بحث قدم لنيل الشهادة العالية من كلية اللغة العربية بالرياض ونال درجة الامتياز ويقع فى 616 صفحة حجم كبير .

* ظهر فى السعودية كتاب « الهداية فى الفقه الحنبلي » تأليف شيخ ابي الخطاب بن احمد الكلوذاني وتحقيق اسماعيل الانصاري وصالح السليمان العمري وناصر السليمان العمري ، جزءان، طبع على نفقة مطابع القصيم بالرياض .

* سلكت كلية اللغة العربية بالرياض السبل النافعة لخدمة الدين والعلم ورفع المستوى الثقافي فى موطن الاسلام ومهد العربية ولم تأل جهدا لتحقيق الاهداف التعليمية والثقافية التى انيطت بها مساهمة فى النهضة التى تحياها المملكة . ورات من الخير نشر المجلات العلمية التى ترتكز على البحوث المنوعة النابعة من صميم الحياة الهادفة لخدمة الامة فقامت بطبع الجزء الثاني من مجلة الكلية ويقع هذا الجزء فى 212 صفحة ويضم شتى البحوث العلمية والادبية .

* عقدت لجنة الآثار اجتماعا بالمدينة المنورة برئاسة وكيل امارة منطقة المدينة المنورة سعد الناصر السديري وقد قال سعادته ان اللجنة بحثت كافة المواضيع المتعلقة بالمحافظة على الآثار الاسلامية ومد الطرق المسفلتة اليها مع مراعاة العناية بتلك الآثار وصيانتها وابرازها بالشكل اللائق بها كما وانه من المقرر انشاء ميادين ومواقف للسيارات بالساحات المحيطة باماكن الآثار وقد انهت الشركة المكلفة بعمل الدراسات اعمالها وستتم مرحلة التنفيذ قريبا . واضاف بان هناك آثار فى المدينة المنورة يعود تاريخها الى ما قبل هجرة الرسول الكريم بأكثر من 200 سنة وسوف يراعى ابراز هذه الآثار القيمة وتسهيل الوصول اليها .

* «الادب الحديث فى نجد» كتاب جديد للشيخ محمد بن حسين المدرس بالمعهد العلمي بالرياض وتحقيق الدكتور عبد السلام سرحان الاستاذ بجامعة الازهر ، وقد تناول فيه المؤلف الشعر والشعراء فى نجد بحثا وترجمة ، كما عرج على الباب النثري .

والكتاب يقع فى 300 صفحة من القطع المتوسط .. وهو عبارة عن محاضرات كان المؤلف قد القاها فى مناسبات متعددة .

* صدر عن مطابع القصيم بالرياض كتاب « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » لابي بكر بن هارون الخلال الحنبلي تحقيق اسماعيل الانصاري .

* اجتمعت فى مقر الامانة الاسلامية بجدة اللجنة المالية لمؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي برئاسة الامين العام للمؤتمر تنكو عبد الرحمن وتتكون اللجنة من سفراء الدول الاعضاء فى المؤتمر الاسلامي فى المملكة .

وقد افتتح الامين العام اجتماع اللجنة بخطاب رحب فيه باعضاء اللجنة .. واوضح خطاب الامين العام ان الدول الاعضاء يجب ان تقوم بدفع نصيبها

فى ميزانية الامانة فى أقرب وقت حتى يتسنى للامانة القيام بنشاطاتها كما ينبغي .

ثم طلب الامين العام من اللجنة اتخاذ توصيات بادخال بعض التعديلات على اللائحة المالية .. وقد شكلت لجنة فرعيه من ممثلي المملكه العربية السعودية والكويت وايران ومصر والصومال وليبيا والسنغال ، وفى اثناء الاجتماع اعلن مندوب الصومال ان حكومته قد صادقت على ميثاق المؤتمر الاسلامي ، وبذلك تصبح الصومال ثالث دولة تصادق على الميثاق بعد المملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية الهاشمية .

❊ يعد الشيخ عبد المحسن العباد ، المدرس بكلية الشريعة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، بحثا موضوعه : شرح حديث « نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها ، فرب مبلغ اوعى من سامع » وذلك تكملة لرسالته فى الماجستير من كلية اصول الدين بجامعة الازهر .

❊ تم افتتاح المعهد البحري بمدينة جدة والتحق به 30 طالبا يتلقون الدروس النظرية والعملية على اعمال الموانيء البحرية وقد تقرر ابتعاث المتفوقين للخارج فى دورات عليا .

❊ افتتح فى مدينة الرياض معرض الكتاب السعودي بمناسبة عام الكتاب الدولي الذى نظمته اليونسكو .

❊ تدرس كلية الهندسة فى الرياض فكرة تعريب المواد التى تدرس فى الكلية باللغة الانجليزية فى الوقت الحاضر الى اللغة العربية . وقد شكلت لجان فى الكلية لدراسة هذه الفكرة كما علم ايضا عن انشاء معمل الضغط العالي لقسم الهندسة الكهربائية ومشروع توسعة قسم العمارة وزيادة غرف المدرسين وغرف رسم الطلبة .

❊ حول (كليلة ودمنة) و (الف ليلة وليلة) واثرهما فى الفكر العالمي دارت ندوة اذاعية سجلتها واذاعتها اذاعة الرياض واشترك فيها الدكاترة والاساتذة محمد عبد المنعم خفاجى ، احمد خالد البدلي وعبد الله الشهيل .

❊ نوقشت فى قاعة المحاضرات بمقر كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة رسالة الماجستير الثالثة وهي التى قدمها الطالب عبد القادر حبيب الله السندي بعنوان (تحقيق الروايات فى غزوة تبوك) وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الشيخ سيد الحكيم ، والدكتور محمد السماحي ، والدكتور محمد الهراس ، من جامعة الملك عبد العزيز .

❊ (ورقة بن نوفل) كتاب جديد صدر فى الرياض فى سلسلة المكتبة الصغيرة بقلم الاديب السعودي عبد العزيز الرفاعي .

❊ تقرر عقد المؤتمر القادم للمجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامي فى العاشر من شهر شوال المقبل وذلك بمقر الرابطة بمكة المكرمة .

وقد اجتمعت اللجنة الاستشارية برابطة العالم الاسلامي فى العاشر من شهر رجب الحالي وذلك لدراسة المواضيع والقضايا المقرر ادراجها فى جدول أعمال المؤتمر .

سوريا :

❊ عقد اتحاد مجامع اللغة العربية المؤلف من مجامع القاهرة وبغداد ودمشق اجتماعا فى مطلع سبتمبر الماضي بدمشق . من اهم الموضوعات التى ناقشها المجلس موضوع تعريب وتوحيد المصطلحات القانونية والحقوقية فى الوطن العربي واقرارها ، بهدف التوصل لتوحيد جميع المصطلحات العلمية والفنية المستخدمة فى الاقطار العربية فى شتى مجالات العلوم والفنون تنفيذا لتوصيات اتحاد الجامعات العربية واستجابة للاهداف القومية ومقتضيات النهضة العربية . الجدير بالذكر ان مرسوما كان قد صدر بانضمام مجمع اللغة العربية بدمشق الى اتحاد مجامع اللغة العربية المؤلف من مجمعي القاهرة وبغداد .

❊ بحث المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، شؤون معهد المخطوطات واتخذ توصية بشان ادخال التحقيق العلمي للمخطوطات ضمن المنهج الدراسي فى مرحلة التعليم الجامعي لدرجة البكالوريوس . وابلغ المعهد هذه التوصية الى الدول العربية .

وكانت الجمهورية العربية السورية اول دولة عربية تنفذ هذه التوصية .

※ اصدرت وزارة التعليم العالي في سوريا كتابا بعنوان (تاريخ علم اللغة) ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم . وذلك ضمن سلسلة الكتب العلمية الخاصة بالجامعيين . .

※ استقبل الدكتور شاكر الفحام ، وزير التعليم العالي ، وفدا ثقافيا جزائريا يضم 17 شخصا من مختلف الاختصاصات العلمية وصلوا الى دمشق ، في زيارة لسوريا تستغرق خمسة ايام .

وقال مصدر مسؤول للصحفيين اثر المقابلة ان البحث فيها تناول وسائل تدعيم وتطوير العلاقات الثقافية والعلمية والتربوية بين سوريا والجزائر وتزويد الجزائر بالمدرسين السوريين .

※ انتخب الشاعران الكبيران الاستاذ حسن كامل الصيرفي والاستاذ محمد عبد الغني حسن عضوين مراسلين بمجمع اللغة العربية في دمشق ، والاديبان الفاضلان غنيان عن التعريف ، فقد أسهما بجهودهما في خدمة اللغة العربية وادبها وتراثها اكثر من اربعين عاما ، وشاركا بانتاجهما الادبي في مختلف المجامع العلمية والمجلات العربية وبخاصة في مجلة معهد المخطوطات بما يشهد لهما بالفضل الجم والعلم الغزير والمعهد يزجي لهما التهنئة الخالصة ويتمنى لهما دوام الصحة والتوفيق .

※ صدر في حلب ديوان شعر زهير بن ابي سلمى ، صنعة الاعلم الشنتمري ، بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة المدرس بكلية الآداب بجامعة حلب، ونشر المكتبة العربية في حلب ، وجاء في 360 صفحة .

※ الاخطل الكبير حياته وشخصيته وقيمته الفنية ، كتاب من تاليف الدكتور فخر الدين قباوة، ومن نشر دار الاصمعي بحلب ، في 368 صفحة .

※ « العمل في الاسلام » كتاب جديد تاليف أحمد ماهر محمود البقري يتحدث فيه المؤلف عن قيمة العمل والعامل في النظام الاسلامي وما ورد عنهما في الاحاديث الاسلامية والقرآن الكريم مع مقارنات موجزة بالنظم الحديثة ويقع في 96 صفحة.

※ يعكف الناقد عبد الله الطنطاوي بحلب على دراسة عدد من قصائد الشاعر المنبجي محمد منلا غزيل تمهيدا لاصدار مجموعته الرابعة الجديدة « طاقة الريحان » وينتظر أن تصدر عن الدار العلمية أو المكتب الاسلامي ببيروت .

※ يعد الدكتور جلال شوقي الاستاذ بكلية الهندسة جامعة القاهرة ، والمعار الى جامعة حلب بالجمهورية العربية السورية ، بحثا عن اثر العلماء المسلمين في الهندسة والرياضيات ليلقيه في أسبوع العلم الذي سيقام في حلب في شهر نوفمبر القادم، وقد اطلع على عدد من المخطوطات والمراجع .

※ يعد الدكتور جلال شوقي الاستاذ بكلية الاسلاميات والادب في كلية الادب بجامعة حلب انتهى من تاليف كتاب بعنوان « القرآن الكريم : تاريخا وتفسيرا واعجازا وادبا » ينتظر صدوره قريبا عن دار العلم للملايين بيروت .

※ انهى الروائي السوري الدكتور عبد السلام العجيلي روايته المرتقبة « قلوب على الاسلاك » وقبل صدورها مطبوعة ستذيعها محطة لندن على 26 حلقة اذاعية .

※ قررت دائرة الاوقاف في حلب افتتاح متحف للمخطوطات الاسلامية .

※ الاديب الحلبي عبد الله الطنطاوي القى محاضرة في دار الكتب الوطنية بحلب عنوانها « ناظم حكمت والمسرح » .

※ « حكاية البيت الشامي الكبير » كتاب جديد للدكتور كاظم الداغستاني صدر في دمشق في 208 صفحات .

※ الدكتور بكري الشيخ امين مدرس الاسلاميات والادب في كلية الآداب بجامعة حلب انتهى من تاليف كتاب بعنوان « دراسات في شعر العصرين المملوكي والعثماني » .

※ دعت لجنة تابين فقيد الادب العربي الاستاذ سامي الكيالي لحضور حفل التابين الذي اقيم في

دار الكتب الوطنية بحلب وشارك فيه عدد كبير من الادباء والشعراء العرب .

* بعد ديواني الشاعر نهاد رضا « ميلاد شاعر » و « الرعشة الاولى » اللذين صدرا فى دمشق أخيرا، صدر له ديوانان آخران هما «هكذا حدثني القلب» و « شعر فى لوحات » وسيصدر له قريبا « موعدنا فى القمر » و « استجاب الفارس الاخضر » .

* الاديب السوري عبد العزيز رجب صدر له فى دمشق « ماساة حب » وهى رواية قصيرة ، وسيتبع هذه الرواية روايتان هما « اشباح بلا ظلال» و « اليقظة » .

* النادي العربي الفلسطيني فى حلب اصدر مجلة بعنوان «المقاومة» وقد ضم العدد الاول قصائد: لمحمود علي السعيد ومحيي الدين الحاج عيسى وممدوح عدوان وعبد الهادي كامل وفوزي كريم وخالد محادين وعادل اديب أغا وعصام ترشحاني وخلدون صبيحي ونظيم ابو حسان وابراهيم محمد ابراهيم . وقصص : اوليد اخلاصي ورشيد رمضان وحمد وكيروان . وابحاث للدكتور نعيم اليافي وعادل عبهري وشوقي شعت ورياض اللال .

* حقق الاستاذ علي حيدر ، امين مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق الكتب الآتية ، وسيدفع بها الى المطبعة :

ا ـ الجمل فى النحو ، لعبد القاهر الجرجاني.

ب ـ المرتجل فى شرح الجمل ، لابن الخشاب، على اربع نسخ خطية ، اثنتان من دار الكتب المصرية والثالثة من تركيا ، والرابعة من مكتبة غوطة بالمانيا .

ج ـ نزهة الطرف فى علم الصرف ، للميداني، وكان الكتاب قد طبع فى القسطنطينية سنة 1299 هـ، ويعتمد الاستاذ حيدر على نسخة اخرى من المتحف البريطاني فى لندن .

د ـ منافسات ابن الخشاب للحريري فى مقاماته ، وانتصار ابن بري للحريري .

العـــــراق :

* «الخليل بن احمد الفراهيدي : حياته وآثاره فى المراجع العربية والاجنبية » كتاب جديد صدر فى بغداد تأليف كوركيس عواد وميخائيل عواد فى 64 صفحة حجم كبير من منشورات وزارة الاعلام العراقية الهيئة العليا لمهرجان المربد الشعري . كما صدر ايضا عن الهيئة المذكورة كتاب « الشعر العربي منذ مطلع 1971 لغاية اذار 1972 » اعداد ميخائيل عواد وطراد الكبيسي وعبد الجبار داود البصري فى 46 صفحة حجم كبير .

* علم فى العاصمة العراقية ان اللجنة العراقية الايطالية التى انشئت بالتعاون بين الادارة العراقية للآثار والمعهد العراقي الايطالي للآثار تواصل حاليا اعمالها فى تصنيف الآثار الاسلامية فى بغداد .

ويتضمن نشاط هذه اللجنة تصوير القطع المختلفة لهذه الآثار ودراسة الكتابات الموجودة عليها وجمع النصوص التاريخية المتعلقة بها .

* صدر فى بغداد المجلد الرابع من كتاب « التكملة لوفيات النقلة » للمنذري بتحقيق بشار عواد معروف .

* صدر فى منشورات وزارة الاعلام العراقية فى سلسلة الكتب الحديثة كتاب « الرؤيا الابداعية فى شعر عبد الوهاب البياتي » تاليف عبد العزيز شرف فى 212 صفحة حجم كبير.

* صدر فى بغداد « المرصع فى الآباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات » لمجد الدين ابن الاثير وتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي .

* « العرب واليهود فى التاريخ : حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الاثرية » تأليف المهندس احمد سوسة كتاب جليل الفائدة ظهر فى منشورات وزارة الاعلام العراقية ببغداد ويقع فى 540 صفحة حجم كبير .

يتناول الكتاب بحث تاريخ فلسطين القديم وحضارتها وثقافتها ودور العرب والجزيرة العربية فى تنميتها وازدهارها وذلك فى ضوء المكتشفات الآثارية

الاخيرة ، فيحلل المؤلف الاسباب التي ادت الى انتشار بعض الآراء المغلوطة عن تاريخ العرب واليهود مفندا خطل ما اثير حولها ويعرض صورة كاملة باسلوب علمي شيق معززا بصور ومرسمات وخارطات لبلاد كنعان السامية العربية الاصل شارحا حضارتها وثقافتها ومدنها وقراها الكنعانية التي ترجع الى ما قبل اكثر من خمسة آلاف عام اي قبل ظهور اليهود على مسرح الاحداث بزهاء الفي عام ، حبذا لو تبنت جامعة الدول العربية هذا الكتاب وترجمته الى عدة لغات اجنبية وتولت توزيعه ونشره في العالم .

❋ يعد الاستاذ عبد الله محمد الجبوري ، وكيل عميد كلية الامام الاعظم في بغداد ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في القانون من كلية الشريعة بجامعة الازهر موضوعها « الامام الاوزاعي وفقهه » وذلك تحت اشراف الدكتور عبد الغني عبد الخالق الاستاذ بالكلية وقد اطلع على بعض المراجع المتعلقة بموضوعه .

❋ الاستاذ عبد الوهاب محمد علي العدواني ، المدرس بالمدارس الثانوية بالموصل وهو يضع اللمسات الاخيرة في رسالته للماجستير ، وموضوعها تحقيق « شرح فصيح ثعلب لابن ناقيا البغدادي » وذلك في كلية الآداب بجامعة القاهرة تحت اشراف الدكتور حسين نصار الاستاذ بالكلية ، وقد اطلع على المراجع والمخطوطات الخاصة بموضوعه .

❋ « دراسات وتراجم عراقية » كتاب جديد لعبد الرزاق الهلالي صدر في منشورات مكتبة النهضة ببغداد وقد ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره ويقع في 240 صفحة حجم كبير .

❋ يوشك الاستاذ عبد الرحيم محمد علي من ادباء العراق على الانتهاء من وضع كتاب سماه « ذيل معجم الاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي » وهو تكملة لكتاب « معجم الاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي » الذى وضعه المستشرق النمساوي زامباور ، وسبق ان قامت الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية بترجمته الى العربية ونشرته عام 1951 .

وقد جاء الذيل على المنهج نفسه الذى اتبعه زامباور وتناول فيه حتى الدول والامارات العربية الصغيرة التي لم يذكرها زامباور .

ومن المنتظر أن ينشر هذا الكتاب القيم في وقت قريب .

❋ يعد الاستاذ هاشم الطعان ، من العراق ، رسالة ماجستير موضوعها كتاب « البارع لابي علي القالي » تحقيق ودراسة ، وذلك في كلية الآداب بجامعة بغداد ، تحت اشراف الدكتور ابراهيم السامرائي رئيس قسم اللغة العربية بالكلية .

❋ انتهى الاستاذ محمد جبار المعيبد، من العراق، من تحقيق كتاب « حماسة الظرفاء » لابي عبد الله محمد العبد لكاني الزوزني ، ودفع به الى المطبعة .

❋ يعد الاستاذ كاظم بحر المرجان ، المعيد بكلية الآداب جامعة البصرة ، رسالة دكتوراه موضوعها تحقيق كتاب « المقتصد في شرح الايضاح » لعبد القاهر الجرجاني مع دراسة لآرائه النحوية ، وذلك في كلية الآداب بجامعة القاهرة تحت اشراف الدكتور حسين نصار الاستاذ بالكلية .

❋ صدر كتاب الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ، بتحقيق الاستاذ بن عبد الحليم محمد عبد الحليم ، وعبد الرحمن حسن محمود ، ومن نشر دار الكتب الحديثة ، ويقع الكتاب في 624 صفحة .

❋ اتمت دار الكتب الحديثة طبع الجزاين الاول والثاني من كتاب الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، للامام الذهبي بتحقيق الدكتور عزت علي عطية والاستاذ موسى محمد علي الموشي ، وهي تقوم بطبع الجزء الثالث المتمم للكتاب .

❋ يقوم الشيخ عبد الرحمن محمود ، خطيب جامع مدينة الضباط في بغداد بتحقيق تفسير البقاعي ، وقد اتم الجزء الاول منه ، وسيقدمه الى رئاسة ديوان الاوقاف بالعراق لطبعه ضمن السلسلة التي تصدرها لجنة احياء التراث الاسلامي .

❋ صدر عن دار الطباعة الحديثة في بصرة العراق كتاب « المكتبة ومنهج البحث : دليل الباحث

والطالب الى وسائل استخدام الكتب والمكتبات » تأليف عبد الجبار عبد الرحمن ماجستير في علم المكتبات ومدرس في كلية الاداب وامين مكتبة جامعة البصرة والكتاب في 180 صفحة حجم كبير .

* في سلسلة محاضرات جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد القيت في الشهر الماضي دراسة لغوية جديدة عنوانها « العين للفراهيدي » القاها الدكتور خليل الحماش . كما القى عز الدين الخيرو محاضرة عنوانها «منهج فلسطين وقضاياها المعاصرة».

* عاد الى بغداد الدكتور يوسف عز الدين امين سر المجمع العلمي العراقي بعد ان زار تونس بدعوة رسمية وقد القى خلال زيارته عدة محاضرات في عدد من المدن ومن هذه المحاضرات : « التيارات الادبية في العراق » « الشعر الحر في العراق » « التيارات الفكرية في العراق » وقد احتفت به مختلف الاوساط الثقافية .

آسيـــــا :

ترينيـــداد :

* نظمت اليونسكو بمدينة سانت اوجستين (ترينيـــداد وتوباجو) اجتماعا خصص لدراسة اتجاهات العلاقات بين المجموعات العنصرية في امريكا اللاتينية وجزر الكاريبي . والغرض من ذلك هو القيام بدراسة مقارنة عن مفهوم العنصر البشري بمعناه الاجتماعي في هذه المنطقة من العالم اكثر من معناه العضوي البيولوجي .

ويرى الخبراء انه من اللازم ان تعاد صياغة معنى كلمة «عنصر» ، « متعدد السلالات » و « المجموعة العنصرية » و « التفرقة العنصرية » وذلك في اطار المضمون الاقتصادي والثقافي للاقليم .

الفليبيـــن :

* وصل الى مانيلا وفد من الدبلوماسيين المصريين تلبية لدعوة من الرئيس الفيليبيني فرديناند ماركوس ، وقد طلب الوفد زيارة منطقة ميندناو التي كانت مسرحا لحوادث القتل ضد المسلمين .

والجدير بالذكر ان الفلبيـــن قد شهدت في الآونة الاخيرة حوادث قتل جماعية اشترك فيها الجيش والبوليس الفلبيني ضد المسلمين .. وتجيء زيارة الوفد رغبة في التحقيق في المذابح التي وقع معظمها في جنوب الفليبين والتي راح ضحيتها المئات من المسلمين العزل .

* دعا أحد زعماء المسلمين في الفلبين جميع الدول والشعوب الاسلامية ان تدرس بجدية نتائج زيارة البعثة العربية للفلبين وما جاء في تقريرها حول اوضاع المسلمين هناك الذين يتعرضون للتعذيب والتقتيل واحراق مساجدهم ومنازلهم .

وقال انه يجب على كافة الشعوب والبلاد الاسلامية ان تتخذ من نتائج زيارة البعثة نقطة انطلاق لها في مساندة اشقائهم في الفليبين واوضح الزعيم الفليبيني ان المساعدات التي قدمت الى المسلمين في الفليبين لا تتناسب في حجمها مع عدد اللاجئين الذين بلغوا حتى الآن حوالي نصف مليون لاجيء .

ماليـــزيـــا :

* كوالالمبور ــ بدات جمعية علماء الدين في ولاية بيراك الشمالية في ماليزيا لمنع الرجال المسلمين من مجالسة نساء غير نسائهم وقريباتهم .

وقالت الجمعية ان الشريعة الاسلامية لا تبيح للمسلم ان ينفرد باية امراة سوى زوجته الشرعية او افراد اسرته من الاناث .

وهذا يشمل النساء من ملل اخرى كذلك .

وقررت الجمعية اثارة الموضوع في المؤتمر القادم للمجلس العلمي الاسلامي في ماليزيا .

واذا نجحت الجمعية فانها ستغلق الحانات وصالات الرقص والعرض ودور السينما في وجه المراهقين الماليزيين بصورة تلقائية وتحولها الى أماكن عائلية للترفيه .

* في نبأ لوكالة الانباء الماليزية « برماتا » ان اربعة آلاف وستمائة شخص من ولاية صباح في غرب ماليزيا اعتنقوا الاسلام .

وقال رئيس وزراء صباح السيد تون داتو حاج مصطفى فى رسالة بعث بها الى حفل ديني اقيم لهذا الغرض انه لن يتردد فى طرد اي اجنبي يتدخل فى شؤون الدولة وخصوصا الشؤون الدينية والسياحية .

وقال تون داتو حاج مصطفى انه لا يريد ان يحدث نزاع ديني فى صباح شبيه بما يجري الآن فى ايرلندة .

* اعلن تون مصطفى رئيسا وزراء ولاية صباح التابعة لماليزيا أن 45 الف شخص قد اعتنقوا الدين الاسلامي منذ بدات رابطة صباح الاسلامية المتحدة نشاطها فى الولاية قبل ثلاث سنوات . وقال تون مصطفى الذى يراس الرابطة انه قد جرى فتح العديد من المدارس الدينية فى ولاية صباح وان النية متجهة الآن لفتح كلية اسلامية هناك فى موعد قريب .

* استطاعت قوات الامن الماليزية فى كوتشينج عاصمة ولاية سراواك الماليزية عن استئصال 110 اشخاص من افراد العصابات الشيوعية فى سرواك ، وجاء فى تصريح للجنرال اسماعيل ابراهيم قائد قواد شرقي ماليزيا ان 44 فردا من افراد العصابات قد قتل و 27 اسر بينما استسلم 39 شخصا .

وقد تم الاستيلاء على 1970 مجموعة ذخائر و 245 قنبلة يدوية .

* بينانج — قال السيد تنكو عبد الرحمن الامين العام للامانة الاسلامية انه يتوجب عليه ان يطلب من البلدان الاسلامية الغنية أن تمول وكالة الانباء الاسلامية الدولية التى اسست حديثا .

واضاف السيد عبد الرحمان يقول ان انشاء وكالة الانباء الاسلامية وعملها على اسس سليمة يتطلب الكثير من المال .

وكان مؤتمر افتتاح الوكالة الذي عقد فى الاسبوع الماضي قد وافق على ميزانية تبلغ 195 الف دولار للمدة الواقعة بين سبتمبر سنة 1972 ومايو سنة 1973 .. وقالت مصادر رسمية فى ماليزيا ان ان المملكة العربية السعودية قدمت حتى الآن 40 الف دولار للبدء بعمل الوكالة وان المبلغ المتبقى سياتي من اشتراكات من بلدان اخرى .

وقد قام السيد عبد الرحمان فور عودته الى جدة فى 16 سبتمبر الماضي بجولة فى سبعة بلدان اسلامية افريقية هي تشاد ، ومالي ، والنيجر ، وموريشيوس ، والسنغال ، وغينيا ، والسودان .

* بينانغ — تبرعت لجنة مساعدة فلسطين الماليزية بمبلغ 11.700 جنيه استرليني آخر لشعب فلسطين .

وقد قدم هذا التبرع الى السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا السابق والامين العام للامانة الاسلامية .

وبلغت قيمة التبرع الماليزي الاول الذى قدم فى السنة الماضية حوالي عشرة آلاف جنيه استرليني.

وقال السيد عبد الرحمن أن التبرع الجديد سيسلم الى السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية فى اقرب وقت ممكن .

* قررت لجنة مساعدة فلسطين الماليزية فى اجتماع لها تقديم 90 الف دولار ماليزي (1300 جنيه استرليني) لحركة «فتح» الفلسطينية .

وقال السيد تان سري سيد ناصر اسماعيل سكرتير اللجنة ان التبرع سيقدم الى (فتح) عن طريق السيد تنكو عبد الرحمن السكرتير العام للامانة الاسلامية .

كما وافقت اللجنة فى اجتماعها على تقديم الدعم الدائم للشعب الفلسطيني . وتقرر قيام اعضاء اللجنة بعقد الندوات والقاء الخطابات ونشر المقالات فى الصحف واصدار كتاب لشرح قضية الشعب الفلسطيني بمناسبة يوم فلسطين .

* عقد مؤتمر مشترك بين اندونيسيا وماليزيا فى مدينة (بربات) بجزيرة سومطرة وبحث الجانبان سبل تنسيق جهودهما فى ميدان القضاء على الشيوعيين ونشاطاتهم الهدامة المتزايدة .

وقد ادلى الجنرال (بانقين) نائب القائد العام للقوات المسلحة الاندونيسية بتصريح قال فيه :

ان التعاون بين الدولتين ضد الشيوعيين سيزداد فى المستقبل نتيجة لرغبتهما المشتركة فى استتباب الامن والنظام فى اراضيهما .

وقد ادلى الجنرال بانقين بهذا التصريح عقب زيارة قام بها الى اقليم (كاليمنتان الغربية) فى اندونيسيا واقليم سرواك الماليزي المجاور .. كما قال الجنرال : بان الشيوعيين لم يعودوا قوة عسكرية فى اندونيسيا كما انه لم يعد لهم اثر فى (كاليمنتان الغربية) .. وان هنالك حوالي 700 من الشيوعيين يعملون فى قليم – سرواك – الماليزي ولكن قوات الامن الماليزية .

اليابان :

❊ ظهرت فى القرآن اول ترجمة للقرآن الكريم باللغة اليابانية . وقد قام باعداد هذه الترجمة اشهر مترجم ياباني للكتب العربية والاسلامية الدكتور « توسيهيدوبوكو ايزوتو » .

التايلاند :

❊ علم من بانكوك ان معاني القرآن باللغة التايلاندية سوف تكون فى متناول الجمهور فى التايلاند فى نهاية هذا العام او اوائل العام القادم .

وقد تمت ترجمة وطبع المجلد الاول والذى يحتوي على الاجزاء السبعة الاولى ووزع على 1400 مسجد فى جميع انحاء البلد كما وزع على المسؤولين الحكوميين .

وصرحت سكرتيرة مستشار الدولة للشؤون الاسلامية السيدة بوان حبيبة حاجي اسماعيل أن ملك التايلاند قد امر باجراء الترجمة منذ عام 1967 وحتى يمكن ان يفهم المسلمون وغير المسلمين مباديء الدين .

واضافت فى تصريحها أن المسلمين فى التايلاند لا يفهمون تعاليم القرآن كما هي باللغة العربية .

وقد قام بالترجمة مستشار الدولة للشؤون الاسلامية السيد حاجي اسماعيل ابن حاج يحيى والذى تستشيره حكومة التايلاند فى الموضوعات المتعلقة بالدين .

اندونيسيا :

❊ الاستاذ محمد نور أندرا، من اندونيسيا، وهو يعد بحثا لتكملة رسالة الماجستير فى كلية الشريعة بجامعة الازهر موضوعه : فضائل القرآن ، وقد اطلع على مخطوط خاص به بالمعهد بهذا الاسم .

❊ أعلن السيد عبد الله أبو السمح مدير وكالة الانباء الاسلامية الدولية ان الوكالة ستعطي الاولوية فى انبائها لاخبار البلدان الاسلامية اكثر من غيرها .

وقال قبل مغادرته جاكرتا بعد زيارة استغرقت اسبوعا ان الوكالة التى تتخذ من جدة مقرا لها ستتعاون مع وكالات الانباء فى البلدان الاسلامية على تبادل الاخبار .

وقد اجرى السيد ابو السمح محادثات مع المسؤولين فى وكالة انباء انتارا الاندونيسية الرسمية بشان امكان تبادل الانباء بين الوكالتين .

كوريا :

❊ اكتشف الآن أن كوريا كانت اول من استعمل الحروف المعدنية فى الطباعة فبين معروضات كوريا فى معرض « تاريخ » الكتاب المقام الآن فى المكتبة الاهلية فى باريس كتاب « شيشكي سيميونغ » المطبوع بحروف معدنية فى سنة 1377 ، فى عهد مملكة كوريا اي قبل 220 سنة من طبع انجيل غوتمبرغ .

وقد طبع العالم الالماني غوتمبرغ الانجيل بين سنتي 1452 و 1456 .

وقالت السيدة ماري روز سيغوى الاخصائية فى الكتب الشرقية بالمكتبة الاهلية انه سيجري التصحيح اللازم لتاريخ الطباعة الحديث .

والنسخة الوحيدة من الكتاب الكوري المعروض، غير واردة فى السجلات الكورية ، وقد حصل عليها مدير المكتبة الاهلية الفرنسية فى سنة 1911 وهي التى تملكها الآن .

❊ تحدث الشيخ أحمد صلاح جمجوم ردا على سؤال يتعلق بمؤتمر مكافحة الشيوعية الذى عقد بمانيلا بالفلبين وذلك فى العام المنصرم باعتباره عضوا فى المؤتمر وعن مكان انعقاد المؤتمر فى هذا

العام . فأجاب بأن المؤتمر الثامن عشر لشعوب آسيا لمكافحة الشيوعية سيعقد في سيول عاصمة كوريا الجنوبية في 20 اغسطس كما سيعقد المؤتمر الدولي السادس في المكسيك بامريكا الوسطى اعتبارا من 25 اغسطس وقال بانه سوف يحضر كل المؤتمرين بصفته عضوا فيهما من هذه البلاد وقد قصد الى عقد المؤتمرين في دولتين مختلفتين في هذا العام زيادة في التشهير بالشيوعية والتنديد بمبادئها الهدامة بين جميع دول العالم .

وعن وجهة نظر الشيخ احمد جمجوم وهو وزير سابق حول هذا المؤتمر قال : ان المؤتمر عبارة عن مظاهرة دولية ضد الشيوعية يتقدم اثناءها الاعضاء بتقاريرهم عن نشاطاتهم المختلفة ضد الشيوعية ووضع الشيوعية في مناطقهم المختلفة .. واجاب الشيخ الجمجوم على سؤال عن تقريره حول المنطقة قال ان التطورات الاخيرة التي ادت الى طرد المستشارين الشيوعيين من مصر تعتبر بداية انحسار للشيوعية من منطقة الشرق الاوسط بكامله وان الجيوب الصغيرة الموجودة في جنوب الجزيرة وشمالها آيلة الى الانكماش التام والزوال ان شاء الله .

الهنـــــد :

* الصحفي الهندي ظفر الاسلام خان يعد الآن مشروعا لاصدار مجلة فصلية (اي تصدر كل ثلاثة اشهر) وتنشر مختارات مما تنشره المجلات الاسلامية على المستوى العالي .

الباكستـــــان :

* نوقشت في الفترة الاخيرة الرسالة المقدمة من الاستاذ محمد مقبول حسين من باكستان لنيل درجة الدكتوراه من كلية الشريعة والقانون بالازهر ، وكان موضوعها : الامام محمد بن الحسن الشيباني وجهوده في خدمة الفقه الاسلامي ، وكانت لجنة المناقشة مكونة من الاساتذة الشيخ محمد علي السايس رئيسا والدكتورين عبد الغني عبد الخالق والسيد الجراحي عضوين ، وبعد المناقشة منحته اللجنة درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى .

* بيشاور «اينا» : اصبحت معرفة القرآن الكريم شرطا اساسيا للقبول في واحد من اكبر المراكز التعليمية في باكستان .

فقد جاء في نبأ لوكالة الاسوشيتد بريس الباكستانية ان تسجيل الطلبة المسلمين بجامعة بيشاور اصبح مقصورا على هؤلاء الذين يستطيعون قراءة القرآن .

ويضيف النبأ ان سلطات الجامعة وضعت شرطا اجباريا لكل طالب مسلم يلتحق بالجامعة بان يثبت للجنة الامتحان انه يستطيع قراءة القرآن الكريم .

* في احداث احصاء عن مجموع عدد المسلمين في اقطار العالم .. بلغ عدد المسلمين الاجمالي 732.986.000 شخصا .. وتقوم احدى اكبر الهيئات الاسلامية باعداد هذا الاحصاء تمهيدا لنشره وتوزيعه وذلك بعد ان عكفت فترة طويلة على عداده بالاعتماد على مصادر رسمية وثيقة .. بحيث جاء الاحصاء شاملا لعدد المسلمين وعدد السكان الاجمالي واللغات الرسمية ونسبة المسلمين الى عدد السكان الاجمالي .

ومن واقع الاحصاء يتبين ان هناك واحدا وسبعين بلدا في العالم يمثل المسلمون فيها اكثر من 50 ٪ بالنسبة لعدد السكان الاجمالي .

وهذه بعض المعلومات التي وردت في الاحصاء:

هناك 17 بلدا في العالم يشكل فيها المسلمون نسبة 100 ٪ و 22 بلدا يمثلون فيها نسبة 90 ٪ وما فوق .. و 11 بلدا يمثلون فيها نسبة 80 ٪ وما فوق .. و 3 بلدان 70 ٪ وما فوق .. و 6 بلدان 60 ٪ وما فوق ق.. و 12 بلدا 50 ٪ وما فوق .. و 3 بلدان 40 ٪ وما فوق .. و 11 بلدا 30 ٪ وما فوق .. و 10 بلدان 20 ٪ وما فوق .. و 20 بلدان 10 ٪ وما فوق .. و 16 بلدا يشكل فيها المسلمون نسبة تقل عن 10 ٪ .

اوروبــــــا :

اسبانيـــــا :

* قرر المجلس البلدي لمدينة قرطبة اليوم مطالبة منظمة اليونسكو بجعل مسجد قرطبة من الآثار الدوليـــة .

كما وافق المجلس البلدي لهذه المدينة الاسبانية على توجيه الدعوة الى المجلس الدولي للأثار والاحياء للقيام بزيارة مدينة قرطبة من 22 الى 28 اكتوبر القادم .

* مجلة « المنارة » التي يصدرها المستشرقون الاسبان فى مدريد قد نشرت نص المقابلة التى كان قد أجراها عصام محفوظ مع الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي بعنوان « الثورة لا تخمد والحب لا يموت » ونشرتها مجلة « شعر » اللبنانية فى شتاء 1968 وقد ترجمها الى الاسبانية فيدريكو آربوس كما انتهى آربوس من ترجمة ديوان « الموت فى الحياة » للبياتي وسيصدر فى مدريد فى هذا الصيف .

* يشرف المستعرب الاسباني بيدرو مارتينث مونتافيث على اصدار مجلة (المنارة) نصف السنوية فى مدريد خدمة للثقافة العربية .

والعدد الثاني من (المنارة) الذى صدر مؤخرا يقع فى 276 صفحة يشتمل على دراسات وترجمات من بينها :

ـ العالم العربي من خلال اعمال الرحالين الاسبان فى القرن التاسع عشر ـ لحسين ابو عرابي .

ـ اسبانيا وتاريخها كما يراها عرب اليوم ـ لميخيل دي ابالثا .

ـ مشكلة اساسية ـ فلسطين : ملاحظات حول الادب والثورة الفلسطينية لجبرا ابراهيم جبرا . ترجمة كارمن رويث برابو فيللا سانته .

ـ الادب العربي فى المغرب :

ا ـ لقاء حول الادب المغربي الحالي : اعداد فرناندو دي اغريدو بورريللو .

ب ـ صور من الشعر التونسي الاخير ـ اختارها وترجمها فرناندو بيرال كالفو .

ـ من السودان : دومة ودحامد (للطيب صالح) ترجمة الآنسة لويزا كافيرو .

ـ لقاء مع محمد الماغوط ـ اجراه الاستاذ بيدرو مارتينث مونتافيث .

بالاضافة الى ابحاث ولقاءات ومراجعة عدد كبير من الكتب العربية لعدد من الكتاب فى الاقطار العربية .

* وضعت الدار القومية فى اسبانيا ، فى مشروعها لسنة 1971 سلسلة من الكتب المختلفة من بينها كتاب (المتطوعون القطلونيون فى حرب المغرب 1589 ـ 1860) من تاليف لويس نابارو ميرايس.

فرنسـا :

* ارسلت احدى الجمعيات فى باريس تطلب افلاما تعرض جوانب من الدين الاسلامي . مثل فيلم « ظهور الاسلام » ، وفيلم « وا اسلاماه » ، وفيلم « خالد بن الوليد » ، تقول الجمعية ان اعضاءها معجبون بالاسلام ، ويريدون مشاهدة افلام سينمائية عنه . وتقول الجمعية ايضا أن لها اعضاء منتشرين فى وسط أوربا وفى فرنسا .

* اندريه بارو مدير البعثة الاثرية الفرنسية المنقبة فى مدينة ماري (تل حريري) ومدير متحف اللوفر فى باريس القى محاضرة باللغة الفرنسية فى دار الكتب الوطنية بحلب عنوانها « ماري مدينة الفن والتاريخ » .

* اصدرت اليونسكو اخيرا دراسة تحت عنوان « دور الراديو والتليفزيون فى محو الامية » وهي دراسة خاصة باستخدام التقنيات السمعية والبصرية لمكافحة محو امية الكبار .

وتقدم هذه لدراسة الاجابة على مجموعة الاسئلة التى وجهت فى عام 1969 الى 40 دولة . ويتضح منها انه ، ومنذ عدة سنوات ، قد اتسع نطاق انتشار الوسائل السمعية والبصرية فى محو الامية . فان غالبية الدول الاربعين المعنية تذيع دراسات محو الامية بالراديو ، بينما تقوم 21 دولة منها ببث هذه الدراسات على شاشة التليفزيون .

* ضمن السنة الدولية للكتاب خصصت المكتبة الوطنية بفرنسا معرضا هاما جدا « للكتاب » تاريخه وصناعته وتطوره فى مختلف البلدان والصور . وتشكل المعروضات مخزونات المكتبة الوطنية (مؤسسة المطبوعات والمخطوطات) .

وتاريخ الكتاب وهو جناح فى المعرض موضح بعدد من المراحل :

ـ اوراق البردى المكتشفة فى طيبة والتى تعتبر اقدم كتاب فى العالم (حوالي الالفين سنة قبل الميلاد)

ـ تمثال الكاتب الجالس وهو مستعار من متحف اللوفر .

ـ الرسائل المختلفة التى اختارها الانسان للكتابة (الصخور المنحوتة، الواح الشمع، الترقيم ـ جلود وقطع حريرية) الخ ..

ـ مخطوطة نادرة من المانية (حضارة امريكا الجنوبية) عليها علامات فى ورق لم يقع حتى الآن الكشف عن معمياتها ..

وخصص قسم كبير لكتاب العصر الوسيط قبل اختراع الطباعة (مخطوطات ، اوراق مكتوبة باليد الخ ..)

اما انتاج المطبعة ففزير وتمثله نسخ من كتب نادرة ومن المطابع والادوات وهناك ايضا تقنية الزخرفة والتجليد ، وتجارة الكتاب وجميع النشاط المتعلق به ..

* وضع الكاتب الفرنسي هنري دومنتيرلان حدا لحياته فى منزله بباريس بان اطلق على نفسه النار . ولا تعرف حتى الآن اسباب الوفاة الا ان الكاتب الذي يبلغ السادسة والسبعين كان يشكو منذ مدة باضطراب جسدي وبالاخص فى عينه ويخشى ان يصبح أعمى .

ولد الكاتب سنة 1896 وتجول طويلا فى اسبانيا حيث استلهم كثيرا من اعماله ، ثم اخذ يؤلف منذ العاشرة الا ان الاوساط الادبية لم تهتم به الا حينما نشر رواية (العزاب) التى نال عليها الجائزة الادبية للاكاديمية الفرنسية ، واشتغل بعد ذلك مراسلا حربيا واصيب . وجاءت سنة 1942 ليحقق نجاحه الكبير بمسرحيته (الملكة الميتة) ومن هناك تفرغ للمسرح . وانتخب فى سنة 1960 عضوا فى الاكاديمية الفرنسية .

آخر اعماله كانت هي (الاولاد) و (القاتل هو معلمي) .

و (القاتل هو معلمي) .

انجلترا :

* يستطيع المسلمون فى ساوث شيلدز بشمال انجلترا اداء الصلاة والاحتفال بالمناسبات الدينية فى المسجد الجديد الذى افتتح يوم 16 يوليو الماضي .

وسوف يطلق على المسجد اسم ـ مسجد الازهر ـ كما سلحق به مركز اسلامي .

وقد بنى المسجد والمركز على طراز معماري شرقي وزود المسجد بقبة ومنارة وبلغت تكاليف البناء 35000 جنيه استرليني .

وحضر حفل الافتتاح سفراء الدول الاسلامية فى لندن وكذلك كبار الشخصيات الاسلامية .

* وافقت بلدية لندن اخيرا على اقامة اكبر مركز ثقافي اسلامي فى قلب العاصمة الانجليزية المركز يتكلف مليونا ونصف مليون جنيه استرليني ، ستدفع السعودية والكويت والبحرين وقطر 750 الف جنيه من تكاليف المشروع .

* اتحاد النساء المسلمات فى لندن احتفل بمرور 10 سنوات على انشائه فى الاسبوع الماضي.. افتتح بهذه المناسبة دار لليتامى من ابناء المسلمين واطلق عليها اسم « المدينة المنورة »

* سرق من مكتبة جامعة ما نشستر البريطانية مخطوط عن مسرحيات شكسبير يبلغ عمره 349 عاما .. قال المشرفون على المكتبة ان سارق المخطوط استخدم مفاتيح مصطنعة للسطو على المخطوط الذى يبلغ ثمنه 24 الف دولار .

المانيا :

* تكونت فى بون جمعية اسلامية اطلق عليها اسم (جمعية التعاون الاسلامي المسيحي) . الجمعية أسسها الشيخ عثمان يادجي وقد بدات نشاطها بمحاضرة من المستشرق الايطالي د. كيوزي عضو الجامعة الاسلامية فى فرانكفورت تناول فيها أوجه التشابه والخلاف بين المسيحية والاسلام . د. كيوزي

يعتنق الدين الاسلامي وهو اول من ترجم معاني القرآن الكريم الى لغة الاسبرانتو العالمية .

* نشر المعهد الالماني الغربي للعلاقات مع الخارج ومقره فى ستوتغارت كتابا جديدا باللغة الالمانية حول المغرب .

وهذا الكتاب المزين بالصور الملونة والخرائط والذى يتضمن دراسات واحصاءات رسمية يعكس اهتمام المانيا الغربية بالمغرب .

ويعالج هذا المؤلف عدة مواضيع لها صلة بالتعاون بين البلدين والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياحية والنشاط الثقافي .

هولـــنـــدا :

* الدكتور هندريكوس فرنكن مدير البعثة الاثرية الهولندية المنقبة فى منطقة حوض الفرات القى محاضرة باللغة الانجليزية فى دار الكتب الوطنية بحلب عنوانها « علم الآثار المنهجي والكتاب المقدس » .

* عدة رسائل الدكتوراة التى تناقش فلسفة الامام الشيخ محمد عبده سيزداد واحدة . صاحبها هذه المرة ليس من خريجي الازهر او الجامعة المصرية لكنه قسيس هولندي اسمه الاب كريستيان (34 سنة) من الذين يتولون تدريس فلسفة اللاهوت فى بلاده .

الرسالة لن تناقشها ايضا جامعاتنا ولكنها ستناقش فى جامعة باريس .

الاب الهولندي جاء الى القاهرة من اجل تحضير رسالته التى اختار لها عنوانا (تفسير المنار وفلسفة الشيخ محمد عبده) .

يشرف على الرسالة استاذ الفلسفة فى جامعة باريس د. ارنولد .

الاب كريستيان حصل عام 62 من فرنسا ايضا على الماجستير عن رسالة موضوعها (الرئيس ابن سيناء) .

أيطالـيـــا :

* بمناسبة العام الدولي للكتاب ، تعرض مكتبة الفاتيكان على الجمهور فى الوقت الحالي أول كتاب طبع فى أوروبا وهو « الكتاب المقدس المطبوع فى جوتنبرج » ، والذى يرجع تاريخ طبعه الى 1454 . وتعرض المكتبة كذلك 150 كتابا من الكتب المقدسة النادرة .

وسيظل هذا المعرض مفتوحا للجمهور حتى آخر العام ، هذا وقد قام الفاتيكان بتنظيمه فى اطار العام الدولي للكتاب تحت اشراف منظمة اليونسكو . وفى 25 مارس الماضي افتتحه البابا بول السادس بنفسه بحضور المسيو رينيه ما هو المدير العام للمنظمة .

وتعتبر المعروضات من الروائع النادرة التى يرجع تاريخها الى القرن الثالث وحتى القرن السادس عشر وتدور كلها حول « الكتاب الوحيد » الذى لا يزال ، على حد تعبير المنسنيور سلفاتور جاروفالو رئيس اللجنة المشرفة على هذا المعرض ، اشهر الكتب المباعة واكثرها رواجا بالرغم مما يظهر من بدع وامور مستحدثة .

الدانمـــارك :

* فى التاسع من شهر نوفمبر عام 1971 م انهى بعض سفراء الدول الاسلامية مناقشة مشروع قانون اساسي للمركز الاسلامي باسكندينافيا .. ثم تم اقرار المشروع فى منزل السفير المغربي بكوبنهاجن عاصمة الدانمارك .

وجاء فى نص القانون الاساسي للمركز بأن الهدف من وراء انشائه هو تنمية الروابط الروحية بين المسلمين المقيمين باسكندينافيا .. وان يكون مكانا للالتقاء الثقافي والاجتماعي للمسلمين ولغيرهم من المهتمين ..

والمركز مؤسسة مستقلة ومقره الرئيسي مدينة كوبنهاجن .. وتنشأ فروعا له فى اماكن اخرى حسب الحاجة داخل اسكندينافيا وايسلندا .. اما واجبات المركز فهي :

1 ــ نشر الثقافة الاسلامية وابراز فلسفة الاسلام وحضارته ..

2 ــ انشاء مسجد او اكثر والقيام بصيانته حسب الحاجة والامكانيات وانشاء مكتبة بكل منها تحتوي على مؤلفات عن الثقافة والحضارة الاسلامية وفلسفتها وعن الدول والشعوب الاسلامية .

3 ـ تنظيم دروس لتعليم اللغة العربية واصول الدين لابناء المسلمين .

4 ـ تنظيم المؤتمرات والندوات ودوائر الابحاث والمحاضرات والمعارض وتعليم اللغات .

5 ـ فتح فروع للمركز في اماكن اخرى داخل اسكندنافيا وايسلندا حسب الحاجة والامكانيات .

6 ـ اصدار نشرة دورية .

7 ـ التعاون مع كل من يرغب في التعاون مع المركز في روح من الانسانية والصداقة .

وهناك لجنة اشراف تتألف من رؤساء البعثات الدبلوماسية للدول الاسلامية المعتمدين في كوبنهاجن تقوم ببعض المهام الرئيسية كتعيين رئيس للجنة العاملة حول اختيار الاعضاء .. اعتماد ميزانية المركز ومراقبة حساباته .. اسداء النصح والتوجيه للجنة العاملة ودراسة المشروعات والمقترحات ..

وتقرر ان تجتمع اللجنة الشرفية مرتين في العام .

المجـــــر :

* قدمت حكومة المجر عدة منح دراسية الى عدد من الفنيين من الدول النامية لتمضية ستة شهور في المجر يتدربون خلالها على اتقان الحرف المتعلقة بصناعة الكتاب ، وذلك في اطار برنامج اليونسكو للتدريب في الخارج .

كما اعلنت كذلك عن سلسلة من المبادرات من اجل النهوض بالكتاب ، ومن ضمنها اصدار مجموعة جديدة من كتب الجيب لنشر الادب المجري المعاصر والتعريف به ، وانشاء مكتبات عامة جديدة وخاصة المكتبة الرائدة المزمع انشاؤها في احدى المدارس الثانوية ، واقامة عدة معارض للكتاب في بوادبست خلال شهري اغسطس وسبتمبر ، وذلك بمناسبة انعقاد مؤتمر الاتحاد الدولي لروابط امناء المكتبات والاتحاد الدولي للتوثيق .

الاتحـــاد السوفياتــي :

* اصبحت اليوم طشقند عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفياتية « عاصمة سينمائية » لقارتي آسيا وافريقيا وغدت محط انظار العاملين في حقل السينما في العالم كله اذ جاءها للاشتراك في المهرجان السينمائي الدولي الثاني لبلدان آسيا وافريقيا والذي انعقد تحت شعار « في سبيل السلم والتقدم الاجتماعي وحرية الشعوب » وفود من 60 بلدا في آسيا وافريقيا بينها وفود من سيلان وجمهورية مصر العربية واليابان وفيتنام والجزائر وسورية وكمبوديا والعراق والكويت وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والمغرب وبنغلادش والهند وتركيا بالاضافة الى ممثلين عن 20 بلدا اوروبيا وامريكا جاءوا كضيوف شرف من انكلترا والولايات المتحدة وهنغاريا وكولومبيا والمكسيك وايطاليا وبلدان اخرى .

وقد ضم الوفد السينمائي من جمهورية مصر العربية العربية كلا من الكاتب عبد الحميد جودة السحار رئيسا للوفد والممثلات زيزي البدراوي وماجدة وزبيدة ثروت والكاتب والمخرج عبد الرحمن الخميسي والصحفية ماري غضبان ومراسل جريدة « الجمهورية » احمد ماهر محرم وآخرون . ويتألف الوفد العراقي من ضياء البياتي رئيسا وطارق عبد الكريم وعبد السلام الاعظمي وقد جاء لحضور المهرجان من العراق ايضا خليل شوقي وعزيز حداد وعلي فوزي وعبد الهادي الراوي وحسن عطية العزي وعباس الشلاه . ومن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية محمد صالح والي رئيسا ومحمد سعيد وعبد الله غانم وهذه هي اول مرة تشترك فيها اليمن بمهرجان طشقند الدولي . اما عن المغرب فقد حضر احمد وجراجي والعربي بناني. ومن الجزائر المخرج محمد ولد رئيسا للوفد ورباح امراجي وعبد الغني آيت المهداوي والصحفي مهدي عبد القادر عن مجلة المجاهد . ومندوبون آخرون من سورية ولبنان والكويت والجمهورية العربية اليمنية .

* اكتشفت بعثة من علماء الآثار السوفييت مدينة تعود الى الفترات الاولى بعد الميلاد وذلك في محل يبعد عشرة كيلومترات عن مدينة اوش بقرغيزيا ـ آسيا الوسطى ـ

وتم رفع التراب عن بقايا دور واكتشفت ادوات منزلية بينها اوان طينية كبيرة لحفظ الماء والخمر وحلى نسائية .

ويوجد فى وسط المدينة جدار من اللبن ارتفاعه خمسة امتار هو جزء من برج قلعة المدينة وتعلوه فوهتان . وقال رئيس فريق الحفريات أن عمر المدينة يناهز الالفي عام .

* سيحتفل فى الاتحاد السوفياتي بالفية ابي الريحان البيروني فى خريف 1973 ، وتمهيدا لذلك عقد علماء فى مختلف المجالات ندوة عن البيروني . كما القى الكيميائي عبيد صادقوف ورئيس اكاديمية العلوم الاوزباكستانية محاضرة أوضح فيها ان البيروني كان قد اكتشف قبل الف سنة نتائج هامة اكدتها المخابر العصرية وذلك فى مادة الجوهر النباتي كما انه وضع ادوية عديدة ما زالت تستعمل لحد الآن . وتحدث ايضا علماء الرياضيات والفلك والجغرافية الخ .. ويوجد بمعهد الاستشراق (البيروني) بطشقند مجموعة هامة من مخطوطات العالم الكبير . وقد بدا هذا المعهد فى نشر النصوص الاصلية وترجمتها فى اللغات المختلفة . كما تم تصوير فيلم وثائقي عن البيروني ..

* احتفل العالم فى السنة الماضية بالذكرى 150 لميلاد الكاتب الروسي الكبير فيدور دوستويفسكي ، وفى 11 نوفمبر القادم ستنظم مهرجانات بمناسبة الذكرى 151 لميلاد كاتب الجريمة والعقاب .

وبالمناسبة ستصدر طبعات جديدة لمؤلفات فيدور دستويفسكي ومنها الطبعة الاولى لسلسلة مجموعة مؤلفاته الفنية . كما يصدر المجلد الكبير « فى الاثر الادبي » المكرس لهذا الكاتب والطبعة الجديدة للمؤلف المعروف بقلم (م. باجتين) تحت عنوان : « قضايا شعر دوستويفسكي » وتصدر الآن فوق هذا (سلسلة المجموعات العلمية والابحاث تحت عنوان (دوستويفسكي وعهده) .

والى جانب الاعتناء بتراث ديستويفسكي ستفتح بعض المتاحف والاماكن التذكارية التى اقام بها الكاتب . كما ستعرض الاشرطة التي اقتبست من رواياته كالابله و « الاخوة كارامازوف » و « الجريمة والعقاب » و « الليالي البيضاء » و « الوديعة » اضافة الى الاوبريتات التى اقتبست من بعض رواياته ..

امريـــكـــا :

* اخبر الدكتور عزيز سوريال عطية ان جامعة لوتا قد حصلت على مجموع صور المخطوطات العربية التى جمعها من مختلف انحاء العالم الفقيد البروفيسور مارتن ليفي استاذ العلوم السابق فى جامعة نيويورك وتبلغ حوالي 1000 ميكرو فيلم تضم صور مخطوطات تبحث فى علوم الهندسة والكيمياء والطبيعية والعلوم التطبيقية (التكنولوجي)، وتعد اكبر مجموعة فى تاريخ العلوم الاسلامية والعربية.

ووعد الدكتور عطية بتزويد معهد المخطوطات بنسخة من صور هذه المجموعة كاملة ، وسيقوم المعهد مقابل ذلك بتزويد جامعة يوتا بما تختاره من صور المخطوطات المحفوظة لديه .

وسيقوم المعهد بعد حصوله على هذه المجموعة بنشر فهارسها المفصلة ووضعها تحت يد الباحثين والعلماء .

* قامت اليونسكو منذ عام 1967 بدراسة واسعة لثقافات امريكا اللاتينية بمختلف وجوهها من ادب وعمارة وعمران وفنون تشكيلية وموسيقى وفنون المسرح وتاريخ الافكار .

والغرض المنشود من وراء هذه الدراسة هو ان تقدم للجمهور سلسلة من المؤلفات ــ ستة او سبعة اجزاء فى حوالي 500 الى 600 صفحة ــ تمكنه من تكوين فكرة شاملة عن البنيان الاصيل لهذا الاقليم من خلال فنونه وآدابه .

وستصدر اليونسكو هذا المؤلف تحت العنوان العام « امريكا اللاتينية فى ثقافتها » وذلك بالتعاون مع دار للنشر من امريكا اللاتينية .

وسيشترك فى هذا العمل كبار الكتاب والنقاد .. الخ الذين تم اختيارهم لهذه المهمة بواسطة لجان الخبراء . وتشرف اليونسكو على تنسيق اعمالهم لضمان توحيد هذه المهمة .

ولقد انتهى العمل من الجزء المخصص للادب وتجري الآن ترجمة فرنسية له . كما يتم اعداد الجزئين الخاصين بالعمارة والفنون التشكيلية . كما تم وضع الخطوط العريضة للجزء الخاص بالموسيقى.

كما سيتم طبع سلسلة من الدليل البيليوغرافي ، والبوم عن العمارة والعمران ، سيضم صورا عديدة ومجموعة من الاحاديث مع اهم المهندسين المعماريين في المنطقة ، ثم البوم آخر يخصص للرسم والنحت .

وتغطي هذه الدراسة الدول الآتية : الارجنتين، بوليفيا ، البرازيل ، كولومبيا ، كوستاريكا ، كوبا ، شيلي، جمهورية الدومينيكان، الاكوادور، جواتيمالا، غيانا، هايتي، هندوراس، جاميكا ، المكسيك .

✼ الشاعر المهجري شفيق المعلوف في سان باولو بالبرازيل حاز على جائزة الشعر العربي لعام 1971 بقرار اتخذه (الاتحاد الثقافي برازيل لبنان) ومما قالته الجمعية : (وقع الاختيار بالاجماع على الشاعر العبقري شفيق معلوف لدواوينه ومنتوجاته الادبية الرائعة واهمها ديوان (عبقر) الذي ترجم الى بعض اللغات الاجنبية ويعتبر تحفة نادرة في الادب العالمي ودراسة عميقة للاساطير العربية التي لم يسبقه اليها سابق لا نثرا ولا شعرا) .

✼ يعمل الاستاذ الدكتور فوزي النجار الاستاذ في جامعة ولاية ميشجان بالولايات المتحدة الامريكية في تحقيق كتاب الجمع بين الفلسفتين لابي نصر الفارابي على عدة نسخ كما يقوم بترجمته الى الانجليزية ، وستنشر الكتاب دار المشرق في بيروت. وقد سبق لهذه الدار أن نشرت للدكتور النجار تحقيقه لكتابي : السياسة المدنية للفارابي سنة 1964 م ، وفصول منتزعة للفارابي ايضا سنة 1971 م .

✼ انعقد من فاتح سبتمبر الى الرابع منه (بسانت لويس) بالولايات المتحدة المؤتمر السنوي لجمعية الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا وسيكون شعار المؤتمر « الاسلام والمسلمون في امريكا الشمالية » وينتظر وصول عدد من ممثلي هذه المنظمة للمشاركة في الجلسة العلنية لهذا الملتقى ودراسة مختلف المشاكل المتعلقة بالجاليات الاسلامية بالولايات المتحدة ومدى فعاليتها .

✼ تؤكد السيدة جاكلين ماركس العالمة باللغات وهي من ساو باولو بالبرازيل بعد ان قضت سنوات وهي تدرس لغات العالم تؤكد ان اللغات العشر الاكثر انتشارا في العالم هي : اللغة الصينية 605 مليون الانجليزية 333 مليون الروسية الكبرى 206 مليون ، الاسبانية 120 مليون ، العربية 109 مليون ، البنغالية 108 مليون ، البرتغالية 108 مليون، اليابانية 105 مليون .

وتؤكد السيدة جاكلين ماركس في دراستها انه توجد ما بين 000 3 و 000 4 لهجة في العالم ، لكن هناك فقط 149 لغة اساسية يتحدث بكل واحدة منها مليون شخص على الاقل .

وتحتل اللغة العربية المرتبة السابعة من اللغات العشر الشائعة أكثر ، لكن السيدة ماركس ادهشت الناس بتأكيدها على ان ابحاثها ادت بها الى القول بانه لا يوجد سوى ثمانين مليون شخص يتحدثون بالفرنسية ، وصرحت في هذا الصدد بأن القضية قضية ارقام ولا يمكننا ان نضع اللغة الفرنسية من بين اللغات العشر الشائعة حتى وان كان ذلك هو راي الاكاديمية الفرنسية .

✼ انعقد في كلية مدينة سانت لويس بولاية ميسوري الاميركية مؤتمر للطلبة المسلمين السنوي تحت شعار الاسلام والمسلمون في امريكا الشمالية وكندا من 1 الى 4 من شهر سبتمبر الماضي . وحضر المؤتمر حوالي 500 عضو يمثلون ثلاثمائة منظمة اسلامية وذلك لبحث وتدارس شؤون واحوال الجاليات المسلمة المنتشرة في قارة اميركا الشمالية وكندا .

وقد افاد رئيس المؤتمر الدكتور احمد صقران مناقشات المؤتمر ستتركز حول اقتراحات معينة تتعلق بالجماعات العرقية التي تعتبر العمود الفقري للجاليات المسلمة وخاصة الفئات التي تنحدر من اصل لبناني وسوري وتركي وباكستاني وهندي ويوغسلافي وحول كيفية تقوية روابط التفاهم بينها .

وقال الدكتور صقر أن الجميع بين هذه الفئات يمثل تحقيق فكرة عالمية الاسلام واننا نوالي اهتمامنا بالجميع دون تمييز فئة على اخرى .

ويتضمن جدول الخطابة اسم الاقتصادي الهندي الدكتور نجات الله صدقي الذي تحدث عن دور المسلمين في الهند الحديثة . تحدث في المؤتمر الدكتور صدقي وهو باكستاني ويدرس الآن علم الاحصاء في جامعة كولورادو ، كما تناول

المؤتمر بالبحث كيفية تنشيط وسائل التعليم واتاحة الفرص لابناء المسلمين الامريكيين لتلقي العلوم الدينية الى جانب العلوم العصرية . وكذلك العمل على حث المسلمين على زيادة بناء المساجد وتقوية روابطهم الروحية فيما بينهم .

※ اصدر مكتب الاحصاء التابع لمنظمة الامم المتحدة اخيرا دليلا احصائيا ضخما من 818 صفحة تضمن آخر الاحصائيات التى تلقاها مكتب الاحصاء من مختلف دول العالم .. يستفاد من الدليل أن عدد سكان العالم بلغ سنة 1970 ثلاثة مليارات و 632 مليون نسمة بعد ان كان فى سنة 1969 ثلاثة مليارات و 561 مليون نسمة .. وان عدد سكان افريقيا سنة 1970 بلغ 544 مليون بزيادة تسعة ملايين نسمة عن عام 1969 .. فى حين سجلت آسيا خلال نفس المدة زيادة قدرها 47 مليون نسمة بينما ازداد سكان أمريكا الشمالية فى نفس الفترة سبعة ملايين نسمة ، ولم يزد سكان اوروبا سوى اربعة ملايين نسمة .

